

كِتَابُ
الْفَرْجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ

تأليف

القاضي أبي علي المحسن بن علي الترمذي

المتوفى سنة ٥٣٨٤ هـ

بتحقيق

عبد الواسع الشاذلي

الجزء الرابع

دار صادر
بيروت

جميع الحقوق محفوظة للمحقق

٥١٣٩٨ — ١٩٧٨ م

الفرج بعد الشدة

إسحاق المصعبي

تحركه رقاع أصحاب الأرباع ببغداد

[حدثني عبد الله بن محمد بن داسه البصري رحمه الله ، قال : حدثني أبو يحيى بن مكرم ، القاضي البغدادي ، قال : حدثني أبي ، قال : ^١ . كان في جوارى ، رجل يعرف بأبي عبيدة ، حسن الأدب ، كثير الرواية للأخبار ، وكان قديماً ينادم إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، فحدثني : أن إسحاق استدعاه ذات ليلة ، في نصف الليل .

قال : فهالني ذلك ، وأفزعني ، لما كنت أعرفه منه ، من زعارة الأخلاق ^٢ ، وشدة الإسراع إلى القتل ، وخفت أن يكون قد نقم عليّ شيئاً في العشرة ، أو بلغ عني باطلاً ، فأحفظه ^٣ ، فیسرع إلى قتلي ، قبل كشف حالي . فخرجت طائر العقل ، حتى أتيت داره ، فأدخلت إلى بعض دور الحرم ، فاشتدّ جزعي ، وذهب عليّ أمري .

فانتهى بي إليه ، وهو في حجرة لطيفة [٢١٦ غ] ، فسمعت في دهليزها بكاء امرأة ونحيبها ، ودخلت ، فإذا هو جالس على كرسي ، وبيده سيف مسلول ، وهو مطرق ، فأيقنت بالقتل .

فسلمت ، ووقفت ، فرفع رأسه وقال : اجلس أبا عبيدة ، فسكن روعي ، وجلس .

فمرى إليّ رقاعاً كانت بين يديه ، وقال : اقرأ هذه

١ الزيادة من ن .

٢ الزعارة : شراسة الأخلاق .

٣ الحفيظة : الغضب .

فقرأت جميعها ، فإذا رقاأ أصحاب الشرط في الأرباع^٤ ، يخبره كل واحد منهم بخبر يومه ، وما جرى في عمله [٣٦ ن] ، وفي [٢٠٧ ر] جميعها ذكر كبسات وقعت على نساء وجدن على فساد ، من بنات الوزراء ، والأمراء ، والأجلاء ، الذين بادوا ، أو ذهب مراتبهم ، ويستأذنون في أمرهن .

فقلت : قد وقفت على هذه الرقاأ ، فما يأمرني به الأمير أعزّه الله ؟

فقال : ويحك يا أبا عبيدة ، هؤلاء الناس الذين ورد ذكر حال بناتهم ، كلهم كانوا أجلّ مني ، أو مثلي ، وقد أفضى بهم الدهر في حرمهم إلى ما قد سمعت ، وقد وقع لي أن بناتي بعدي ، سيبلغن هذا المبلغ ، وقد جمعتن - وهن خمس - في هذه الحجرة ، لأقتلن الساعة ، وأستريح ، ثم أدركني رقة البشرية ، والخوف من الله تعالى ، فأردت أن أشاورك في [٢١٤ م] إمضاء الرأي ، أو شيء تشير به عليّ فيهن .

فقلت : أصلح الله الأمير ، إن آباء هؤلاء النساء اللواتي قرأت رقاأ أصحاب الأخبار بما جرى عليهن ، أخطأوا في تديبرهن ، لأنهم خلّفوا عليهنّ النعم ، ولم يحفظوهنّ بالأزواج ، فخلون بأنفسهنّ ، ونعمهنّ ، ففسدن ، ولو كانوا جعلوهنّ في أعناق الأكفاء ، ما جرى منهنّ هذا .

والذي أرى أن تستدعي فلاناً القائد ، فله خمسة بنين ، كلهم جميل

٤ أصحاب الأرباع : من رجال الشرطة ، وكانت البلد تقسم أرباعاً ، ويعيّن لكل ربع صاحب ، ثم يقسم كل ربع إلى أرباع ، ويعيّن لكل جزء من يناط به ، ويقدم هؤلاء الأخبار إلى صاحب الربع ، ويقدمه أصحاب الأرباع الأربعة إلى عامل البلد ، فيطلع على جميع أخبار البلد ، وكانت قسمة الأرباع ببغداد كما يلي : الربع الأول : من حدّ المخرم (مدينة الطب الآن) ، إلى الطرف الأعلى ، من الجانب الشرقي ، الربع الثاني : من حدّ المخرم إلى أسفل من الجانب الشرقي ، الربع الثالث : مدينة أبي جعفر المنصور ، وما يتصل بها إلى أعلى من الجانب الغربي ، الربع الرابع : الشرقية ، إلى طرف الجانب الغربي الأسفل (تجارت الأمم ٣٩٩/٢ و ٤٠٠) .

الوجه ، حسن اللبس والنشوة^٥ ، فترّوج كلّ واحدة من بناتك ، واحداً منهم ، فتكفى العار والنار ، وتكون قد أخذت بأمر الله عزّ وجلّ ، والحزم ، ويراك الله تعالى قد أردت طاعته في حفظهنّ ، فيحفظك فيهنّ .
فقال : امض الساعة إليه ، [فقرر معه ما يكون لنا فيه المصلحة]^٦ ، وافرغ لي معه من هذا الأمر .

قال : فضيت إلى الرجل ، وقررت الأمر معه ، وأخذت الفتیان ، وأباهم ، وجئت إلى دار إسحاق بن إبراهيم ، [وعقدت النكاح لهم ، على بنات إسحاق ، في خطبة واحدة]^٧ ، وجعل إسحاق بين يدي كلّ واحد منهم ، خمسة آلاف دينار عيناً ، وشيئاً كثيراً من الطيب ، والثياب ، وحمل كلاً منهم على فرس بمركب ذهب ، وأعطاني كلّ واحد من الأزواج مالاّ مما دفع إليه ، وأمر لي إسحاق بخمسمائة دينار ، وخلعة ، وطيب .

وأنفذ إليّ أمّهات البنات هدايا وأموالاً جلييلة ، وشكرني على تخلص بناتهنّ من القتل ، وانقلبت تلك الغمة فرحاً .
فعدت إلى داري ، ومعى ما قيمته ثلاثة آلاف دينار وأكثر .

٥ النشوة : النشأة ، قلب البغداديون همزتها واواً على طريقتهم في قلب الهمزة إذا كانت في وسط الكلمة واواً أو ياء ، وحذفها إذا كانت في آخر الكلمة ، راجع حاشية القصة ١٦٧ من هذا الكتاب .

٦ الزيادة من غ .

٧ في غ : فاطم الفجر حتى عقدت للخمس على الخمس بنات في خطبة واحدة .

ما خاب من استشار

[وحكى محمد بن عبدوس الجهشياري ، في كتاب الوزراء] ^١ : أنَّ المنصور لما حجَّ ^٢ ، بعد تقليد المهدي العهد ، وتقديمه فيه على عيسى بن موسى ^٣ ، دفع عمه عبد الله بن علي ، إلى عيسى بن موسى ^٤ ، ليعتقله ، وأمره سرّاً بقتله ، وكان يونس بن أبي فروة يكتب لعيسى بن موسى .

فغزم عيسى على قتل عبد الله بن علي ، ثم تعقّب الرأي ، فدعا يونس ، فخبّره بالخبر ، وشاوره .

فقال له يونس : نشدتك الله أن لا تفعل ، فإنّه يريد أن [٢١٧ غ] يقتله بك ، ويقتلك به ، لأنّه أمرك بقتله سرّاً ، ويجحدك ذلك في العلانية ، ولكن استره حيث لا يطلع عليه أحد ، فإن طلبه منك علانية ، دفعته إليه ، وإياك أن تردّه إليه سرّاً أبداً ، بعد أن قد ظهر حصوله في يدك علانية ، ففعل عيسى ذلك وانصرف المنصور من حجّه ، وعنده أنّ عيسى قد قتل عبد الله ، فدرس إلى عمومته ، من يشير عليهم بمسألته في أخيه عبد الله ، فجاءوه يسألونه ذلك ، فدعا بعيسى بن موسى ، وسأله عنه بحضرتهم .

فدنا منه عيسى بن موسى ، وقال له ، فيما بينه وبينه : ألم تأمرني بقتله ؟

١ الزيادة من ر ، وغ .

٢ حجّ المنصور سنة ١٤٧ (العيون والحدائق ٢٥٧/٣) .

٣ في العيون والحدائق ٢٥٧/٣ : أنَّ المنصور لما أسلم عمه عبد الله ، إلى عيسى بن موسى ، قال له . أنت تعلم أنَّ الخلافة صائرة إليك ، وأنّ عمّي عبد الله أراد أن يزِيل النعمة عنيّ وعنك ، وطلب منه أن يقتله ، وهذا يعني أنَّ حجّ المنصور كان قبل عزل عيسى عن ولاية العهد ، وأنا أميل إلى ترجيح هذا الرأي ، لأنّه إذا كان المنصور قد عزل عيسى عن ولاية العهد ، فلا محلّ لقوله أنَّ الخلافة صائرة إليه .

٤ أبو موسى عيسى بن موسى بن محمد العباسي : ترجمته في حاشية القصّة ١٥٦ من الكتاب .

قال : معاذ الله ، ما أمرتك بذلك ، كذبت .
ثم أقبل على عمومته ، فقال : هذا قد أقرّ بقتل عبد الله ، وادّعى عليّ أنّي
أمرته بذلك ، وقد كذب ، فشأنكم به .
قال : فوثبوا عليه ليقتلوه ، فلمّا رأى صورة أمره ، صدّق أبا جعفر ، وأحضر
عبد الله ، فسلمّه إليه بمحضر من الجماعة .
فكان عيسى يشكر ليونس بن أبي فروة ذلك ، مدّة عمره .

٥ وردت هذه القصّة في العيون والحدائق ٢٥٧/٣ ، وفي الطبري ٨/٨ وفي ابن الأثير ٥٨١/٥ ، وقد اتّفقت
جميعها على أنّ اسم الكاتب : ليونس بن فروة ، وأنّه كان يكتب للأمير عيسى بن موسى ، والظاهر أنّ
نصيخته التي حفظت للأمير عيسى حياته ، أثارت حفيظة المهدي وأولاده عليه ، فأنهم بالزندقة ،
تلك التهمة التي كانت تنصبّ على كلّ من أثار حفيظة الحاكمين ، فاستتر ، وظل مستتراً إلى أيام الرشيد
(الطبري ٨/٢٣٤ وابن الأثير ١٠٨/٦) .

منصور بن زياد يـُـجـيـى البرمكى

[وذكر في هذا الكتاب]^١ : دعا الرشيد صالحاً صاحب المصلّى^٢ ، حين تنكّر للبرامكة ، فقال له : اخرج إلى منصور بن زياد^٣ ، فقل له : قد صحت عليك عشرة آلاف ألف درهم ، فاحملها إلينا في هذا اليوم ، وانطلق معه ، فإذا دفعها إليك كاملة [٢١٥ م] قبل مغيب الشمس ، وإلا فاحمل رأسه إليّ ، وإياك ومراجعتي في شيء من أمره .

قال صالح : فخرجت إلى منصور بن زياد ، وعرفته الخبر .
فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذَهَبَتْ - والله - نفسي ، ثم حلف أنه لا يعرف موضع ثلثمائة ألف درهم ، فكيف عشرة آلاف ألف درهم .

فقال له صالح : فخذ في عملك .
فقال له : امض بي إلى منزلي ، حتى أوصي ، فضى معه ، فما هو إلا أن دخل منزله ، حتى ارتفع الصباح من منازلهم وحجر نسائه ، فأوصى ، وخرج وما فيه دم .

فقال لصالح : امض بنا إلى أبي يحيى بن خالد ، لعل الله أن يأتينا بفرج من عنده ، فضى معه إلى يحيى وهو يبكي .

فقال له : ما وراءك ؟

فقصّ عليه القصة ، فقلق يحيى لأمره ، وأطرق مفكراً ، ثم دعا بخازنه ،

١ الزيادة من ن .

٢ صالح صاحب المصلّى : ترجمته في حاشية القصة ٢٦ من هذا الكتاب .

٣ منصور بن زياد : كان يكتب للوزير يحيى بن خالد البرمكي (الطبري ٢٥٦/٨) وكان محل ثقة البرامكة في جميع أمورهم ، لتقديم صحبته لهم ، وحرمة بهم ، واستخلفه الفضل البرمكي بباب الرشيد لما شخص لمحاربة يحيى بن عبد الله العلوي الثائر بالديلم (الطبري ٢٤٢/٨) .

فقال له : كم عندك من المال ؟

قال : خمسة آلاف ألف درهم .

فقال له : أحضرنيها ، فأحضرها .

ثم وجهه إلى الفضل ابنه ، يقول له : إنك أعلمتني - فذاك أبوك - أن عندك ألفي ألف درهم ، تريد أن تشتري بها ضيعة ، وقد وجدت لك ضيعة يبقى لك ذكرها ، وتحمد ثمرتها ، فوجهه إليّ بالمال ، فوجهه به .

ثم قال للرسول : امض إلى جعفر ، وقل له : ابعث - فذاك أبوك - إليّ ألف ألف درهم ، لحقّ لزمني ، فوجهه بها .

ثم قال لصالح : هذه ثمانية آلاف درهم ، ثم أطرق إطرقةً ، لأنه لم يكن عنده شيء .

ثم رفع رأسه إلى خادم له ، فقال : امض إلى دنانير^٤ ، فقل لها : وجهي إليّ بالعقد الذي كان أمير المؤمنين وهبه لك .

قال : فجاء به فإذا بعقد في عظم الذراع ، فقال لصالح : اشتريت هذا لأمر المؤمنين بمائة وعشرين ألف دينار ، فوهبه لدنانير ، وقد حسبه بألفي ألف درهم ، وهذا تمام حقك ، فانصرف ، وخلّ عن صاحبنا ، فلا سبيل لك عليه .
قال صالح : فأخذت ذلك ، ورددت منصوراً معي ، فلمّا صرت بالباب ، أنشأ منصور يقول متمثلاً :

وما بقيا عليّ تركتاني ولكن خفتما صرّده النبال

فقال صالح : ما على وجه الأرض أنبل من هذا الذي خرجنا من عنده ،

٤ دنانير : جارية البرامكة ، نبغت في بيت الوزير يحيى البرمكي ، وكان الرشيد معجباً بها ، ولما نكب البرامكة ، أرادها الرشيد على الغناء له ، فأبت ، فأمر بصفها ، ثم أطلقها ، وخطبت للزواج ، فأبت ، ولزمت حالها إلى أن توفيت (الأعلام ٢١/٣) .

٥ صرد الهامي السهم : أنفذه .

ولا سمعت بمثله فيما مضى من الدهر ، ولا على وجه الأرض أخبث سريرة ، ولا أكفر لنعمة ، ولا أدناً طبعاً من هذا النبطي الذي لا يشكر من أعطاه ، ووزن عنه هذا المال العظيم .

قال : وصرت إلى الرشيد ، وقصصت عليه القصة [٣٧ ن] ، وطويت عنه ما تمثّل به منصور ، خوفاً أن يقتله إذا سمع ذلك .

فقال الرشيد : قد علمت أنّه إن نجا فأبما ينجو بأهل هذا البيت ، أطلق الرجل ، واقبض المال ، واردد العقد ، فأبى لم أكن أهب هبة ، وترجع إلى مالي . قال صالح : فلم أطب نفساً إلا بتعريف يحيى ما قاله منصور ، فرجعت إليه وأطنبت في شكره ، ووصف ما كان منه .

وقلت له : ولكنك أنعمت على غير شاكر ، قابل أكرم فعل ، بالألم قول . قال : فأخبرته بما كان ، فجعل - والله - يطلب له المعاذير ، ويقول : يا أبا عليّ إنّ المنخوب القلب ، ربما سبقه لسانه ، بما ليس في ضميره . وقد كان الرجل في حال عظيمة .

فقلت : والله ، ما أدري من أيّ أمريك أعجب ، من أوله ، أو من آخره ، ولكنني أعلم أنّ الدهر لا يخلف مثلك أبداً^٦ .

٦ هذه القصة لا توجد في ر ، ولا في غ ، وقد وردت في كتاب المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي التنوخي مؤلف هذا الكتاب .

درس في المروءة والكرم

قال محمد بن عبدوس في كتابه الوزراء : حدثني محمد بن عبد الله بن الوليد ، قال : حدثني ^١ علي بن [٢١٦ م] عيسى القمي ^٢ ، وكان ضامناً لأعمال الخراج والضبايع ببلده ^٣ ، فبقيت عليه أربعون ألف دينار .

وألح المأمون في مطالبته ، حتى قال لعلي بن صالح ، حاجبه ^٤ : طالبه بالمال ، وأنظره ثلاثة أيام ، فإن أحضر المال قبل انقضائها ، وإلا فاضربه بالسياط ، حتى يؤذيها أو يتلف .

وكانت بين علي بن عيسى وغسان بن عباد عداوة ، فانصرف علي بن عيسى من دار المأمون آيساً من نفسه ، لا يقدر على شيء من المال .

فقال له كاتبه : لو عرّجت على غسان ^٥ ، وأخبرته بنجرك ، لرجوت أن

١ الزيادة من ن .

٢ علي بن عيسى القمي : من رجال الدولة العباسية ، أناط به الحسن بن سهل ، أمر خراج العراق (العيون والحدائق ٣/٣٤٤) ، ولما خرج جعفر بن داود القمي ، بقم ، في السنة ٢١٧ خرج علي لمحاربته ، فأسره ، وبعث به إلى أبي اسحاق بن الرشيد (المعتصم) فضرب عنقه (ابن الأثير ٦/٤٢٠ ، ٤٢٢ والطبري ٨/٦٣٠) .

٣ أي بمدينة قم .

٤ علي بن صالح صاحب المصلى : خدم المهدي (الطبري ٨/١٧٢) وحجب الهادي (الطبري ٨/٢١٥) وولي ديوان الرسائل والتوقيعات للأمين (الطبري ٨/٣٨٧ وابن الأثير ٦/٢٣٥) وخلاصة الذهب المسبوك (١٧٤) ثم تولى حجابة المأمون (الطبري ٨/٦٥٦ والعيون والحدائق ٣/٣٧٩) وخلاصة الذهب المسبوك (١٩١) وكان رزقه على حجابة المأمون ثلاثمائة ألف درهم في السنة (المفوات النادرة ص ٢٨٧ رقم القصة ٢٨١) .

٥ غسان بن عباد بن أبي الفرج : من رجال المأمون ، وهو ابن عم الفضل بن سهل ، ولأه الحسن بن سهل خراسان ، ولأه المأمون السند ، إقرأ في لباب الآداب ١١٥ وفي كتاب المستجد من فعلات الأجواد ١٥٦-١٥٨ قصة عن غسان تدل على نجدة وشهامة ، وخلق كريم

يعينك على أمرك [٢٠٨ ر] .

[فقال : على ما بيني وبينه ؟

قال : نعم ، فإنَّ الرجل أرحمُ كريم] ^٦ .

قال : فحملته حاله على قبول ذلك ، فدخل إلى غسان ، فقام إليه ، وتلقاه

بجميل ، ووفاه حقّه .

[فقال له : إنّ الحال الذي بيني وبينك ، لا يوجب ما أبديته من تكرمتي .

فقال : ذاك حيث تقع المنافسة عليه والمضايقة فيه ، والذي بيني وبينك

بحاله ، ولدخول داري حرمة توجب لك عليّ بلوغ ما ترجوه ، فإن كانت لك حاجة

فاذكرها] ^٦ ، فقصّ كاتبه عليه قصّته .

فقال غسان : أرجو أن يكفيه الله تعالى [ولم يزد على هذا شيئاً] ^٧ .

فضى علي بن عيسى ، آيساً من نفسه ، كاسف البال ، نادماً على قصده ،

وقال لكاتبه لما انصرف : ما أفدتني بقصد غسان إلّا تعجّل المهانة والذلّ .

وتشاغل في طريقه بلقاء بعض إخوانه ، وعاد إلى داره ، فوجد على بابه بغالاً

عليها أربعون ألف دينار ، مع رسول غسان بن عبّاد ، فأبلغه سلامه ، وعرفه

غمّه بما دفع إليه ، وسلّم إليه المال ، وتقدّم إليه بحضور دار المأمون من غد ذلك

اليوم .

فبكّر علي بن عيسى ، [فوجد غسان بن عبّاد قد سبقه إليها] ^٧ ، فلمّا وصل

الناس إلى المأمون ، مثل غسان بن عبّاد بين الصّفيّين ، وقال : يا أمير المؤمنين

إنّ لعليّ بن عيسى حرمة وخدمة ، وسالف أصل ، ولأمر المؤمنين عليه سالف إحسان ،

وقد لحقه من الخسران في ضمانه ما قد تعارفه الناس ، وقد جرى عليه من حدة

المطالبة ، وشدّتها ، والوعيد بضرب السياط إلى أن يتلف ، ما حيّره ، وقطعه

٦ الزيادة من ر ، وغ .

٧ الزيادة من غ .

[٢١٨ غ] عن الاحتيال فيما عليه من المال ، فإن رأى أمير المؤمنين ، أن يجربني على حسن عادته في كرمه ، ويشفعني في بعض ما عليه ، ويضعه عنه ، فعل .
قال : فلم يزل به بهذا ونحوه ، حتى حطّه النصف ، واقتصر منه على عشرين ألف دينار .

قال غسان : إن رأى أمير المؤمنين أن يجدّ عليه الضمان ، ويشرفه بخلع .
فأجابه المأمون إلى ذلك .
قال : فيأذن أمير المؤمنين ، أن أحمل الدواة إليه ، ليوّقع بذلك ، ويبقى شرف حملها عليّ وعلى عقي .
قال : افعل .

ففعل ، وخرج علي بن عيسى ، والتوقيع معه بذلك ، وعليه الخلع .
فلما وصل إلى منزله ، ردّ العشرين ألف دينار ، إلى غسان ، وشكره .
فردّها غسان ، وقال : إني لم أستحطّها لنفسي ، وإنما أحببت توفيرها عليك ،
واستحطّتها لك ، وليس - والله - يعود شيء من المال إلى ملكي [أبدًا] .
وعرف علي بن عيسى ، ما فعله معه غسان ، فلم يزل يخدمه إلى آخر العمر .^٨

٨ الزيادة من غ ، وقد وردت القصّة في كتاب المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي التنوخي مؤلّف هذا الكتاب (المستجاد ص ١٥٦-١٥٩) ، ووردت كذلك في كتاب لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص ١١٥-١١٧ .

القدرة تذهب الحفيظة

[وجدت في بعض كتيبي بغير إسناد] ١ .

حضر الشعبي ٢ ، عند مصعب بن الزبير ٣ ، وهو أمير الكوفة ، وقد أتى
بقوم ، فأمر بضرب أعناقهم ، فأخذوا ليقتلوا .
فقال له الشعبي : أيها الأمير ، إنَّ أول من آخذ السجن كان حكيماً ،
وأنت على العقوبة ، أقدر منك على نزعها ٤ .
فأمر مصعب بحبس القوم ، ثم نظر في أمرهم بعد ، فوجدهم براء ٥ ،
فأطلقهم ٦ .

١ الزيادة من ن .

٢ أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الحميري (١٩-١٠٣) : ترجمته في حاشية القصة ٩٣ من هذا الكتاب .

٣ أبو عبد الله مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي (٢٦-٧١) : أحد كبار الولاة في الإسلام ، كان العضد الأقوى لأخيه عبد الله بن الزبير في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق ، ضبط له العراق ، وقتل المختار بن أبي عبيد الثقفي ، ثم حاربه عبد الملك ، وقتله بمسكن (الاعلام ١٤٩/٨) أقول : مسكن ، موضع قريب من أوانا ، على نهر دجيل ، عند دير الجاثليق (معجم البلدان ٥٢٩/٤) وأثار مسكن ما تزال ماثلة ، ويسمى أهل المنطقة : خرائب مسكين ، وتبعد ثلاثة كيلومترات جنوبي قرية سمبكة ، وقبر مصعب ما زالت عليه قبّة ، وقد حرّف اسمه ، فصار : الامام منصور (الديارات للشابتي ، تحقيق كوركيس عواد ٣٥٠ و ٣٥١) ، أقول : لعلّ تقليد زيارة قبر المصعب ، بدأ في السنة ٤٢٥ (المنتظم ٧٨/٨) وكان عبد الملك بن مروان ، يشهد لمصعب بكمال المروءة (القصة ١٠/٧ من نشوار المحاضرة) .

٤ كذا في الأصل .

٥ البرئ ، جمعه برئون ، وأبراء ، وأبرياء ، وبراء ، وبراء .

٦ لا توجد في ر ، ولا في غ ، وقد وردت في كتاب إعتاب الكتاب ص ١٢٠ و ١٢١ .

ما صحب السلطان أنخبث

من عمر بن فرج الرخجي

[قال محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء] ^١ ، حكى عن أبي عبد الله أحمد ابن أبي دؤاد ، أنه قال :

ما صحب السلطان أرجل ^٢ ، ولا أنخبث ^٣ من عمر بن فرج الرخجي ، غضب عليه المعتصم يوماً [٢١٧ م] وهمّ بقتله ، وأمر بإحضاره ، فجاءوا به وقد نزع دمه .

فقال المعتصم : السيف ، يا غلام ، فجعلت ركبتا عمر تصطكان .
فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يسأله عن ذنبه ، فلعله أن يخرج منه بعذر .
فقال له : يا ابن الفاعلة ، أمرتك في ولد أبي طالب أن تتعرف خبر منازلهم ؟
قال : لا .

قال : فلم فعلت ذلك ؟
قال عمر : إنما فعلت ذلك لأنه بلغني عن واحد منهم أن أهل قم ° يكاتبونه ،

١ الزيادة من ن .

٢ الرجولية : الجلادة .

٣ الخبث : اللؤم والمكر والرداءة .

٤ عمر بن فرج الرخجي : ترجمته في آخر القصة .

٥ قم : مدينة إسلامية ، أبنيتها بالآجر ، سراديبها في نهاية الطيب ، وبينها وبين الريّ مفازة سبخة ، وأهلها شيعة إماميون بأجمعهم (معجم البلدان ١٧٥/٤ ، والقصة ١١٠/٨ من نشوار المحاضرة) ، وتعصب أهل قم للعلويين مشهور بحيث أصبح مثاراً للنكته (البصائر والذخائر م ٣ ق ٢ ص ٥٣٦) أقول : زرت قم في السنة ١٩٦٨ عبرت إليها المفازة بينها وبين طهران ، فلم أستسغ ماءها ، ولا هواءها ، ولا طعامها .

فأردت أن أعلم ما في الكتب الواردة عليه .
وجعل عمر في خلال ذلك يلمس البساط الذي كان تحت المعتصم ، فزاد ذلك في غضبه .

وقال : يا ابن الفاعلة ، ما شغلك ما أنت فيه عن لمس البساط ، كأنك غير مكترث بما أريده بك ؟

فقال : لا والله - يا أمير المؤمنين - ولكنّ العبد يعنى من أمر سيّده ، بكلّ شيء ، على جميع الأحوال ، فأني استخشنت هذا البساط ، وليس هو من بسط الخلافة .

فقال له : ويلك ، هذا البساط ذكر محمد بن عبد الملك أنّه قام علينا بخمسين ألف درهم .

فقال : يا سيّدي عندي خير منه قيمته سبعمائة دينار .

قال : فذهب عن المعتصم - والله - ذلك الفور الذي كان به ، وسكن غضبه .
وقال : [٢٠٩ ر] وجه الساعة من يحضره .

فجاء ببساط قد قام عليه - فيما أظنّ - بأكثر من خمسة آلاف دينار^٦ ، واستحسنه المعتصم ، واستلانه .

وقال : هذا - والله - أحسن من بساطنا ، وأرخص ، وقد أخذناه منك بما قام عليك .

ووالله ما برح ذلك اليوم ، حتى نادمه ، وخلع عليه .

٦ في غ : ثلاثة آلاف دينار .

عمر بن فرج الرّحجي

عمر بن فرج بن زياد الرّحجي : ذكرنا أصله ونسبته في ترجمة أبيه ، في حاشية القصة ١٢٩ من هذا الكتاب .

وكان عمر ، وأبوه فرج ، من شرار الخلق ، تقلّد عمر الأهواز للمأمون ، فسرق ، وخان (القصة ٣٤١ من هذا الكتاب) ثم تقلّد الديوان في أيام المعتصم ، وعزل (القصة ٣٧٩ من هذا الكتاب ، والبصائر والذخائر م ١ ص ٥٤) ثم تقلّد الأهواز للمتوكل (القصة ٢/٢ من النشوار) وكان من أهل الرشا (القصة ٣/٢ من النشوار) فاعتقله المتوكل ، وقبض ضياعه ، وأمواله ، وجواريه وكنّ مائة ، ثم صولح على أن يؤدّي عشرة آلاف ألف درهم ، على أن يرّد عليه ما حيز عنه من ضياع الأهواز فقط (الطبري ١٦١/٩ والكامل لابن الأثير ٣٩/٧) ثم غضب عليه ثانية ، فأمر بأن يصفع في كلّ يوم ، فأحصي ما صفع فكان ستة آلاف صفقة ، وألبس جبة صوف ، ثم سخط عليه آخر مرّة فأحدره إلى بغداد ، فأقام بها إلى أن مات (مروج الذهب ٤٠٣/٢) .

وكان عمر من المعروفين بغيض الإمام علي وأهل بيته (ابن الأثير ٥٦/٧) ، وكان يتبرّع بالتجنّس على العلويّين (البصائر والذخائر م ٣ ق ١ ص ٣١٩ وهذه القصة) ، وعرف المتوكل فيه ذلك ، فولّاه أمر الطالبين ، ففسّهم ، وأخذ يحيى بن عمر ، فضربه ثماني عشرة مكرّة ، وجبسه في المطبخ ، فاضطرّه بذلك إلى الخروج ، فخرج بالكوفة ، وقتل بعد معارك عنيفة (الطبري ١٨٢/٩ و ٢٦٦-٢٧١ والكامل لابن الأثير ١٢٦/٧-١٣٠) . ثم استعمله المتوكل على مكّة والمدينة ، فنع آل أبي طالب أرزاقهم وعطاءهم ، ومنعهم من التعرّض لمسألة الناس ، ومنع الناس من البرّ بهم ، وكان لا يبلغه أن أحداً ، يرّ أحداً منهم بشيء إلاّ أنهكه عقوبة ، وأثقله غراماً ، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويّات يصلّين فيه واحدة بعد واحدة ، ثم يرفعه ، ويجلسن على مغازلنّ ، عواري ، حواسر ، إلى أن قتل المتوكل ، فعطف المنتصر عليهم ، وأحسن إليهم (مقاتل الطالبين ٥٩٩) . ووصفت للمتوكل عائشة بنت عمر بن فرج الرّحجي ، فوجّه في جوف الليل ، والسماء تهطل ، إلى عمر ، أن أحمل إليّ عائشة ، فسأله أن يصفح عنها فإنّها القيّمة بأمره ، فأبى ، فانصرف عمر ، وهو يقول : اللهمّ قبي شرّ عبدك جعفر ، ثم حملها بالليل ، فوطئها ، ثم ردّها إلى منزل أبيها (المحاسن والأضداد للجاحظ ١١٨) ، وكذلك نوّي بعض الظالمين بعضاً ، بما كانوا يكسبون (١٢٩ ك الأنعام ٦) .

مصعب بن الزبير يعفو عن أحد أسراه ويجعله من ندمائه

وقرأت في بعض الكتب :
أن مصعب بن الزبير ، أخذ رجلاً من أصحاب المختار بن أبي عبيد^١ ،
فأمر بضرب عنقه .
فقال : أيها الأمير ، ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه
الحسنة ، ووجهك هذا الجميل الذي يستضاء به ، فأتعلّق بك ، ثم أقول :
يا ربّ ، سل مصعباً فيم قتلني ؟
فقال له مصعب : قد عفوت عنك .
فقال : أيها الأمير اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض عيش ، فإنّه
لا عيش لفقير .
فقال : ردّوا عليه عطاءه ، وأعطوه مائة ألف درهم .

١ أبو إسحاق المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي (١-٦٧) : من زعماء الثائرين على بني أمية ، وأحد
الشجعان الأفاذا ، أبوه أبو عبيد ، كان قائد جيش المسلمين الذي توجه لفتح العراق ، فالتقى بجيش
الفرس ، ووجد أبو عبيد أنّ الفيل عظيم النكاية في المسلمين ، فدنا من الفيل ، وشدّ عليه ، وطلعه بالرمح
في عينيه ، ثم ضرب مشفره بالسيف فقطعه ، فخطب الفيل أبا عبيد بقوائمه ، وبرك عليه ، فقتله (مروج
الذهب ١/٢٤٤ والطبري ٨/٤٥٨) ومكث المختار في المدينة منقطعاً إلى بني هاشم ، ثم كان مع الإمام
علي بالعراق ، وأقام بالبصرة من بعده ، ولما قتل الحسين ، انحرف عن عبيد الله بن زياد ، فقبض
عليه ، وجلده ، وضربه بالسوط ، فذهبت إحدى عينيه (لطائف المعارف ١٠٩) فخرج ودعا إلى بني
هاشم ، واستولى على الكوفة والموصل ، وتبع قتلة الحسين ، فاستأصلهم ، وقتل عبيد الله بن زياد في
وقعة الخازر على نهر الزاب ، ثم حصره مصعب بن الزبير بالكوفة ، وقتله (الاعلام ٨/٧٠) أقول :
للمختار ترجمة مفصلة في أنساب الأشراف للبلاذري ٥/٢١٤-٢٥٢ .

قال : أشهد الله ، آتي قد جعلت نصفها لابن قيس الرقيات .

قال : لم ؟

قال لقوله :

إِنَّمَا مَصْعَبُ شَهَابٍ مِنَ اللَّهِ	هـ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
مُلْكُهُ مَلِكٌ رَحْمَةٌ لَيْسَ فِيهِ	جَبْرُوتٌ مِنْهُ وَلَا كِبَرِيَاءُ
يَتَنَبَّأُ اللَّهُ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفْ	لَحَ مِنْ كَانَ هَمَّهُ الْإِتِّقَاءُ

فضحك مصعب ، وقال : أرى فيك للصنعة موضعاً ، وجعله من ندمائه ،
وأحسن صلته ٢ .

٢ لا توجد في غ .

عمارة بن حمزة في كرمه وكبرياه

وحكي أنه قيل للفضل بن يحيى بن خالد البرمكي ، قد أفسدت جودك بكبرك ، فقال [٢١٩ غ] :

والله ما لي حيلة في التزوع عنه ، وما كان سبب حصوله في إلا أنني حملت نفسي عليه ، لما رأيت من عمارة بن حمزة^١ ، فتشبهت به ، فصار طبعاً ، ولا أقدر على الإقلاع عنه .

وذلك إن أبي كان يضمن فارس من المهدي ، فحلت عليه ألف ألف درهم . وكان المهدي قد ساء رأيه فيه ، فحرّك ذلك ما كان في نفسه ، وأمر أبا عون [عبد الملك بن يزيد]^٢ ، أن يأخذ أبي ، فيطالبه بالمال ، فإن غربت الشمس في يومه ذاك ، ولم يصحّح جميعه ، أو بقي درهم منه ، أتاها برأسه من غير [٢١٨ م] أن يستأذنه أو يراجعه .

قال : فأخذه أبو عون ، فاستدعاني ، وقال : يا بني ، قد ترى ما نحن فيه ، فلا تدعوا في منازلكم شيئاً إلا أحضرتموه .

-
- ١ عمارة بن حمزة بن ميمون : من كبار العمال في الدولة العباسية ، كاتب ، شاعر ، جواد ، داهية ، كان وافر الحرمة عند السفاح والمنصور والمهدي ، جمعت له ولاية البصرة ، وفارس ، والأهواز ، واليمامة ، والبحرين ، أخباره في الكرم عجيبة ، وأخباره في التيه أعجب ، توفي سنة ١٩٩ (الأعلام ١٩٢/٥) .
 - ٢ الزيادة من غ ، وهو أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي الخراساني : من قدماء الدعاة العباسيين ، وكان من قواد أبي مسلم الخراساني ، وقحطبة ، واشترك في الحروب التي رافقت تأسيس الدولة العباسية ، ولما استقر الأمر للعباسيين ولأه السفاح مصر ، ثم بعثه المنصور إلى خراسان ، وسيّره المهدي لحرب المقتع ، ثم استعمله على خراسان ، وعزلته ، وفي السنة ١٦٩ مرض ، فعاده المهدي ، وتوجّع له ، ولم أجد له خيراً بعد ذلك ، وأحسب أنه مات في السنة ١٦٩ (ابن الأثير ٣٦٣/٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٤٥ ، ٣٩/٦ ، ٤١ ، ٤٦ ، الطبري ١٨٠/٨) .

قال : فجمعنا كلَّ ما في منازلنا ، من صامت وغيره ، فلم يبلغ عشر المال .
فقال : يا بنيّ ، إن كانت لنا حيلة في الحياة ، فن قبل عمارة بن حمزة ،
والأ فأنا مقتول العشيّة ، فألقه ، واذكر له الصورة .

فقضيت إلى بابه ، فاستؤذن لي عليه .
فدخلتُ ، وهو مضطجع قد غاص في فرش له ، ما يكاد يبين إلّا وجهه ،
فوالله ما تحرّك ، وسلّمت ، فأومأ إليّ بالجلوس ، فجلست بعيداً منه ، فلم يعرني
الطرف .

فانكسرت نفسي ، وقلت : أيّ خير عند من هذا لقاءه ، وهذا عنوان أمره ،
فأمسكت لا أتكلّم ، مفكراً في الكلام ، أو القيام ، فقال : اذكر حاجة إن
كنت أتيت لها .

فقصصت عليه القصّة ، فوالله ما أجابني بحرف ، أكثر من قوله : إمض ،
فإن الله يكفيك .

فقممت متحيراً ، أجّر رجلي ، لا أشكّ في أنّه قد آسنى ، وقلت : إن عدت إلى
أبي بهذا الجواب مات غماً قبل ضرب العنق .

فتوقّفت ساعة ، لا أدري ما أصنع ، ثم قلت : على كلّ حال ، أمضي إليه
فأؤنسه ، فإن كانت له حيلة أخرى شرعنا فيها قبل انصرام النهار .

فجئت ، فوجدت على الباب بغالاً كثيرة محمّلة .

فقلت لمن معها : من أنتم ؟

قالوا : أنفذنا عمارة إليكم بمال على هذه البغال .

فدخلت ، فعرفت أبي بما جرى لي ، وأخذنا المال فصحّحناه ، وما صلّيت
العصر حتى عرف المهدي الصورة ، وأفرج عن أبي [٢١٠ ر] وكان ذلك سبب
رضاه عنه ، وصلاح نيّته له .

فلما كان بعد شهرين ، ورد لنا من فارس مال عظيم كثير ، فقال لي أبي :

خذ هذا المال ، وامض به إلى عمارة ، واشكره ، وردّه عليه .
فحملت المال على بغال ، ومضيت به إلى بابه .
فوقفت ، حتى استؤذن لي ، فدخلت ، وهو على فرشه ، فزادني على ما
عاملني به أولاً ، ولا نقصني .
فشكرته عن أبي ، ودعوت له ، وعرفته إحضاري المال ، وسألته الأمر بقبضه .
فقال لي : أكنت قسطاراً^٣ لأبيك ، أقرضه ، وأرتجع منه ؟
فقلت : لا ، ولكن أحييته ، وحقت دمه ، ومننت عليه ، وما أحب أن
يتغنمك ، فلمّا حصل له المال ، أنفذه .
فقال : أمّا إذ ردّه أبوك ، فقد وهبته لك ، خذه وانصرف .
فقمّت ، وقد أعطاني ما لم يعط أحدٌ أحداً .
فجئت إلى أبي فعرفته ما جرى ، فقال : لا والله - يا بني - ما تطيب لك به
نفسي كلّه ولكن خذ منه مائتي ألف درهم ، فأعطانيها ، وهي أوّل مال جاءني
كثيراً مجتمعاً ، وهي أصل نعمتي .
فتعلّمت من عمارة الجود والكبر معاً ، فصارا لي طبعاً . [٢٢٠ غ]

٣ القسطار : الجهيد ، أو الصيرفي .

الهائم الراوية يقتل أسوداً مصاباً بداء الكلب

وحدثني الهائم الراوية^١ ، قال :

كنت أسير من الشام ، أريد العراق ، فلما انتهيت إلى قرية في بعض الطريق ، لقيني خراساني معه مخللة .

فقال : أين تريد ؟

فقلت : بغداد .

فقال : أنا رفيقك ، فاصطحبنا وسرنا إلى قرية خراب على شاطئ الفرات في برية الشام .

فأبنا على باب القرية رجلاً أسود ، منكر الخلقة ، عرياناً ، لا يواريه شيء البتة [٢١٩ م] ، فعدا مجفلاً عنا .

فدخلنا القرية ، وجلسنا في دار خراب على شاطئ الفرات ، وأخرجنا زاداً [٣٩ ن] كان معنا ، وأقبلنا نأكل .

فأبنا الحجارة نجحنا متداركة^٢ ، حتى خفنا أن نهلك بها ، وما تمالكنا أن نقوم إلا بجهد .

١ في غ : وحكى أبو علي أحمد بن محمد ، أقول : والهائم لقب لأي علي أحمد بن علي المدائني : نسبة إلى المدائن (راجع حاشية القصة ١٢٦ من هذا الكتاب) ، كان من ندماء عضد الدولة ، ويتضح من القصة ٤٢/٤ من نشوار المحاضرة ، أنه كان يقوم في مجلس عضد الدولة حيث يكون القاضي التنوخي جالساً ، وقد غضب عليه عضد الدولة مرة ، لأنه أبدى في شعره رأياً لم يرضه ، فأمر بضربه مائتي سوط (الحقوات النادرة ٥٧) وغضب عليه ثانية ، فأمر بضربه مائتي مفرقة ، فلما انتهى منها ، نهض ونفض ثيابه ، وقال : أكثر الله خيركم ، فغضب عليه ، وأمر بضربه مائة مفرقة أخرى ، (راجع القصة في تجارب الأمم ١٩/٢ ومعجم الأدباء ٢٦٠/٦ وتاريخ بغداد للخطيب ٣١٧/٤) .

٢ متداركة : متلاحقة ، والتدارك : التلاحق .

وتأمّلنا أمرنا ، فرأينا الأسود يرجمنا ، فطلبناه ، وطلبنا .
فلما تداخلنا ، رام الأسود أن يقبض عليّ ، فزغت منه ، فقبض على
الخراساني ، وكان الخراساني أيداً ، فما زال يتعاركان ساعة طويلة ، ثم انكبّ
الأسود على كتف الخراساني فعضّه .

فصاح الخراسانيّ : يا بغداديّ أدركني ، فقد قتلتني .
فدنوت من خلف الأسود فقبضت على خصيتيه ، ولكمّتها لكمات شديدة
فخرّ مغشياً عليه ، وقام الخراساني ، فجلس على صدره ، وخنقه بيده حتى
تلف .

وسرنا ، والخراساني يصبح من ألم العضّة ، حتى انتهينا إلى حيال قرية عامرة .
فصحنا بملاح ، فقدّم^٣ زورقه لنعبر إلى القرية ، فطرح الخراساني نفسه
على الشطّ كالنالف .

فشجّعته ، وقلت له : مالك ؟ وأي شيء قدر عضّة ؟
فقال : ويحك أنظر إليها ، فنظرت إليها ، فإذا هي قد أخذت كتفه كلّها ،
واسودّت ، واحمرّ بدنه كلّهُ .

فحملته أنا والملاح ، حتى حصّلناه في الزورق ، وعبرنا ، فلما صرنا بقرب
الشطّ ، تلف ، فأخرجناه ميتاً .
فاجتمع أهل القرية وسألوا عن شأنه ، فحدّثهم الحديث .

٣ قدّم الزورق : اصطلاح بغداديّ ، بمعنى : أرساه على الشاطئ ، وهذه الكلمة مستعملة إلى الآن عند
القوارية ببغداد . والعامة ببغداد يسمّون القارب : بَلَمَ ويجمعونه على : أبلام ، وبلمات ، ويسمّون
القواريّ : بَلَام ، وأحسب أنّ لفظة بَلَمَ ، محرّقة عن برم ، جمعها : برمات ، نوع من القوارب التي
كان استعمالها شائعاً ببغداد في القرن الرابع الهجري في العهد العباسي ، راجع حكاية أبي القاسم البغدادي
ص ١٠٧ ، وللإطلاع على تفصيل أنواع وأسماء المراكب والسفن في ذلك العهد ، راجع معجم المراكب
والسفن في الإسلام للعلامة حبيب زيات نشر بمجلة المشرق ، آب-كانون الأول ١٩٤٩ السنة ٤٣ .

فقالوا : قد فتحتم فتحاً ، [وقد سلّمك الله أنت ، وأراحنا من ذلك العبد] ،
هذا عبد آل فلان ، أصابه داء الكلب وتغرّب في تلك الخرابات ، وقد قتل خلقاً
بالعضّ .

قال : وتبادر قوم منهم يريدون الموضع للنظر للأسود ، وسرت أنا في طريقي ،
وحمدت الله تعالى على سلامتي من الأسود .

أبو جعفر بن شيرزاد

كان لداره أربعة عشر باباً

حدّثنا أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن شيرزاد ، قال : حدّثني خالي ،
وابن عمّ أبي ، أبو جعفر محمّد بن يحيى بن شيرزاد^١ ، قال :
لما سعي عليّ عند بجكم^٢ ، حتى صرفني عن كتبت^٣ ، ونكبتني ، وألزميني

١ أبو جعفر محمّد بن يحيى بن شيرزاد : كان يكتب لماون بن غريب الخال (خال المقتدر) ، ثم كتب لابن رائق ، ثم وُزّر لبجكم ، ثم قبض عليه ، ولما قتل بجكم ، وُزّر لتوزون ، وحكم بغداد باسمه ، وفي أيامه بلغ تقلّت الأمور في بغداد ، إلى حدّ عجيب ، لا يكاد يصدق ، فإنّ لصّاً اسمه ابن حمدي ، عظم شأنه ، وكثر أتباعه ، فأمنه ابن شيرزاد ، وخلع عليه ، وشرط معه أن يوصل إليه في كلّ شهر ، خمسة عشر ألف دينار ، ممّا يسرقه هو وأصحابه ، وكان ابن شيرزاد يستوفيا من ابن حمدي بالروزات ، أي مقابل وصولات رسمية ، وهذا ما لم يسمع بمثله قط ، ولما مات توزون ، نصب الجند ابن شيرزاد في مكانه ، ولما سار معزّ الدولة يريد العراق ، اختفى ، ثمّ ظهر ، فولّاه معزّ الدولة الخراج والجباية ، ثمّ قرّ منه ، ولحق بناصر الدولة ، واحتلّ بغداد باسمه ، ودبّر الأمور نيابة عنه ، فكّر معزّ الدولة على بغداد ، ونهبها جنوده ، قيل إنهم نهبوا عشرة آلاف ألف دينار ، فكّر ابن شيرزاد راجعاً إلى ناصر الدولة ، ثمّ اختلف معه ، فسلمه إلى معزّ الدولة الذي صادره على خمسمائة ألف درهم (تجارب الأمم ١٦٣/١-١٦٦) و١١١-١٣/٢ ، والكامل لابن الأثير ٨/٣٥٤-٤٦٧) راجع القصة ١٧٧/٢ من نشوار المحاضرة .

٢ بجكم ، بفتح الباء والكاف : كان من غلمان مرداويج ، واشترك في قتله ، ثمّ غامر ، فأصبح أمير الأمراء ، واستولى على الدولة العبّاسيّة في أيام الراضي ، وكان عاقلاً ، يفهم العربية ، ولا يتكلّم بها ، مخافة الخطأ ، وكان يقول : الخطأ من الرئيس قبيح ، وكان استوطن واسط ، وأظهر العدل ، وبنى دار ضيافة للفقراء ، وبدأ بعمل المارستان ببغداد ، وهو الذي أتمه عضد الدولة ، وطالت إمارته ستين وثمانية أشهر ، وقتل في السنة ٣٢٩ ، وقال فيه الشاعر :

إنّما العزّ فاعلم للأُمير المعظّم
سَيّد الناس بجكم =

بمائتي ألف دينار^٤ ، فأدّيت أكثرهما من غير أن أبيع شيئاً من أملاكي الظاهرة .
فلماً قاربت وفاءها^٥ ، استحضرتني أحمد بن عليّ الكوفي^٦ كاتبه [وكانت
له مروة]^٧ ، وأخذ [٧٧ ن] يخاطبني بكلام طويل ، هو مقدمة واعتذار لشيء
يريد أن يخاطبني به .

فقلت له : يا سيّدي ما تريد ؟ وما بك حاجة إلى التسبّب ، فإنّي بمودّتك

واثق .

فقال : إنّ هذا الرجل - يعني بكم - قد رجع عليك في صلحك ، وطمع
فيك ، وطالبني أن آخذ منك مائتي ألف دينار أخرى ، ووالله ، ما هذا عن رأيي ،
ولا لي فيه مدخل ، [ولا هو من فعلي]^٨ ولو قدرت على إزالته عنك لفعلت .
قال : فأخذت أحلف له أنّي لا أهتدي إليها ، ولا إلى عشرها ، وأنّ [٢٧٣ غ]
النكبة قد استنفدت مالي ، ولم يبق لي شيء ، إلّا داري ، وضيعتي ، وأنا أسميها ،
ولا أكرم شيئاً منهما ، وأخرج له عنهما ، ليهب لي روعي .

قال : فطال الخطاب بيننا ، فلماً قام في نفسه صدقي ، فكّر طويلاً .
ثم قال : يا سيّدي ، هذا رجل أعجميّ ، وعنده أنّ وراءك أضعاف هذا
المال ، وأنّ فيك من الفضل ما يصلح لقلب دولته عليه ، وأنّ - والله - معه في
طريق القتل ، إلّا أن يكفيك الله عزّ وجلّ ، ووالله ، ما أحبّ أن يجري مثل هذا

وكان يلقّب بالماكاني ، لأنّه كان يتسبّب إلى ماكان ، أحد قواد الديلم ، (المنتظم ٣٢٠/٦ وتجارب الأمم
٧/٢) .

٣ كان ذلك في السنة ٣٢٩ راجع تفصيل ذلك في تجارب الأمم ٤١٥/١ .

٤ في ر : بمائة ألف دينار .

٥ في ن : فلماً قاربت إغلاقها .

٦ أبو عبد الله أحمد بن عليّ الكوفي : ترجمته في حاشية القصة ٧٧ من هذا الكتاب .

٧ الزيادة من ن .

٨ الزيادة من غ .

على يدي ، ولا في أيامي ، فيلزميني عاره إلى الأبد ، وأجسره على قتل كتّابه ،
فدبر خلاصك .

فتحيرت ، ثم سكنتُ ، وقلت له ^٩ : تعطيني ميثاقلك ، وتحلف لي أن
سرك في محبة خلاصي كعلائنتك ، حتى أقول لك ما عندي ؟ ففعل .
فحلفت له أيّ قد صدقته ، وأني لا أمتنع مما يجريه عليّ [من بعد هذا اليمين ،
ولو شاء مني أن أفتح دواقي ، وأكتب بين يديه .

وقلت له : أنت وقتك مقبل ، ووقتي مدبر ، وأنت فارغ القلب ، وأنا ذاهل
بالمحنة ، فدبر أمري الآن كيف شئت ، فإنه يفتح لك بهاتين الخلتين ، ما قد
استبهم عليّ ^{١٠} .

قال : ففكر ، ثم قال : أنا إن آيست هذا الرجل من مالك ، لم آمنه على
دمك ، وإن أطعمته في مالك ، وليس لك ما تعلله به ، أدت بك المطالبة إلى
التلف ، ولكن الصواب عندي أن أطعمه في ضيعتك ، [وأصف له جلاتها] ^{١١}
فاشترها له منك ، وأقول له : [إن ضياع السواد الخراجية ، قد أجمع شيوخ
الكتّاب بالحضرة ، قديماً وحديثاً ، على أن كلّ ما كان منه غلّته درهم ، فقيمته
أربعة دراهم ، وأبو جعفر يقول :] ^{١٢} إن غلّة الضيعة - بعد الخراج - خمسة
وعشرون ألف دينار ، وإنه يضمنها بذلك ، حاصلاً ، خالصاً ، بعد الخراج
والمؤن ، ويقيم بذلك كفلاء ، فاشترها منه بمائتي ألف دينار كمالاً ، ويحصل
لعقبك ملك جليل ، وهو مع هذا يؤدي باقي المصادرة الأولى ، وتصير ضامناً
للضيعة ، فأدفعها إليك ، ومن ساعة إلى ساعة فرج ، وأنا أحتال بحيلة في أن

٩ في غ : قال : فتحيرت في النكبة ، وذهلت ، ثم أناب إليّ رأيي فقلت .

١٠ ساقطة من غ .

١١ الزيادة من غ .

١٢ ساقطة من غ .

يكون الكتاب عندي ، فلا أسلمه إليه ، فلعلّ حادثة تحدث ، وترجع إليك ضيعتك ، وتكون بالعاجل قد تخلّصت ، وسلم دمك أربع سنين .

قال : فعلمت أنّه قد نصحتني ، وآثر خلاصي ، وأجبت .

فدخل إلى بحكم ، ولم يزل معه في محادثات ، إلى أن تقرّر الأمر على ما قاولني عليه ، وأحضر الشهود ، وكتب عليّ الكتاب بالابتياح ، والكتاب بالإجارة .

وقال لي : ألوجه أن تقيم كفلاء ببقية المصادرة الأولى ، فقد استأذنته في صرفك إلى منزلك ، وإذا انصرفت ، فانضمّ ، ولا يراك أحد ، وكن متحذراً ، ولا تظهر أنّك مستتر ، فتغريه بك .

قال : فشكرته ، وأقمت الكفلاء بالمال ، إلى أيام معلومة ، فصرفني .

فعدت إلى داري ، وكنت متحذراً ، أجلس في كلّ يوم ، فيدخل إليّ بعض الناس ، بمقدار ما يعلم أنّي بداري ، فإذا كان نصف النهار ، خرجت إلى منازل إخواني ، وأقمت يوماً عند هذا ، [٢٥٦ ر] ويوماً عند الآخر ، وراعت أخبار داري ، أتوقع أن يجيئها من يكبسها ، فأكون بحيث لا يعرف خبري ، فأنجو .

فطال ذلك ، والسلامة مستمرة ، وانحدر بحكم إلى واسط ، فأنست بالجلوس والاستقرار في داري .

فلما كان [٢٧٤ غ] في بعض الأيام ، ضاق صدري ضيقاً لا أعرف سببه ، واستوحشت ، وفكرت في أمري ، وقلت : إن كبست على غفلة ، فإذا أصنع ؟ قال : وكان لداري أربعة عشر باباً ، إلى أربعة عشر سكة ، وشارعاً ، وزقاقاً نافذاً ، ومنها عدّة أبواب لا يعرف جيرانها أنّها تفضي إلى داري ، وأكثرها عليه الأبواب الحديد^{١٣} .

١٣ كانت دار أبي جعفر بن شيرزاد ، في محلة قصر فرج ، بالجانب الشرقي (نجارب الأهم ٧٩/٢) ، =

قال : قترأى لي ، أن أرسلت إلى غلماني المقاتلة ، وكانوا متفرقين عني ،
قد صرفتهم لئلا يصير لي حديث ، فجاءوني ، واجتمع منهم ، ومن أولادهم ،
نحو ثلثمائة غلام .

فقلت لهم : إذا كان الليلة فاحضروا جميعاً بسلامكم ، وبيتوا عندي ليلاً ،
وأقيموا نهراً ، إلى أن أدبر أمري .

قال : ففعلوا ذلك ، وفرقتهم في الحجر المقاربة للمجلس الذي كنت أجلس
فيه ، وقلت : إن كبست ، فشاغلوا عني من يطلبني ، لأنجو .

قال : وكنت أدبر كيف أعمل في قلب الدولة ، أو استصلاح بحكم ، فلم
يقع لي الرأي ، ولا أجد إلى ذلك طريقاً .

وكنت أوصيت بوائي ، أن يغلق بابي المعلوم للناس ، ولا يفتحه لأحد من
خلق الله ، إلا بأمري .

وأجلست غلاماً كان يحجبني في أيام الدولة ، ومعه عشرون غلاماً بسلام
خلف الباب ، وأمرته أن لا يفتح لأحد .

فما مضى لهذا إلا يومان أو ثلاثة ، حتى جاءني حاجبي ، وقال : قد دقّ
الباب .

فقلت : من الطارق ؟

فقال : أنا غلام محمد بن ينال الترجمان ، وهو وأبو بكر النقيب^{١٤} بالباب ،
يستأذنان على سيدنا بالدخول .

أقول : محلة قصر فرج تقع شمالي مدفن الإمام أبي حنيفة ، راجع أطلس بغداد للدكتور أحمد سوسة
ص ٤ خارطة بغداد في أول أدوارها العباسية ، المربع ٢ ح .

١٤ أبو بكر النقيب : من أتباع أبي طاهر محمد بن عبد الصمد ، الذي كان صاحب الشرطة ببغداد ،
وقام بتنفيذ حكم الإعدام في الحلاج سنة ٣٠٩ ، ولما انتقل محمد إلى خدمة البريدي ، انتقل أبو بكر
معه ، ثم خدم أبو بكر بحكم (تجارب الأمم ٨١/١ ، ٣٤١) .

فقلت في نفسي : بليّة والله .

وأمرت الغلمان ، فاجتمعوا بأسرهم ، متسلّحين ، في بيت له قبة كبيرة ، كنت جالساً في أحد أروقته ، وأمرتهم أن لا ينسوا بكلمة .

وقلت للحاجب : اصعد إلى السطح ، فانظر ما ترى ، وأخبرني به ، ففعل . وعاد ، فقال : رأيت الشارع مملوءاً بالخيـل والرجال ، وقد أحاطوا بالدار من جنبات كثيرة ، ولما رأوني أراقبهم تنحّيت .

فصاح بي الترجمان ، قائلاً : كلّمني ، وما عليك بأس . فأخرجت رأسي ، فقال : ويحك ، ما جئنا لمكروه ، وما جئنا إلّا لبشارة ، فعرف سيّدنا بذلك .

فقلت : ليس هو في الدار ، ولكن أرسله ، ثم أخبر الأمير أيّده الله ، في غدٍ ، برسول إلى داره .

فقال : أنا ها هنا واقف ساعة ، إلى أن يرى [٧٨ ن] رأيه .

ففكرت ، وقلت : هذه حيلة للقبض عليّ ، لا شكّ في ذلك .

ثم رجعت ، فقلت : يجوز أن يكون بحكم ، قد تغيّر على الكوفي ، ولا يجد لخدمته غيري ، واعترضني الطمع ، وكاد أن يفسد رأبي .

ثم قلت للغلمان : إن قلت لكم اخرجوا ، فضعوا على أبي بكر النقيب ، والترجمان^{١٥} أيديكم ، فاخرجوا وخذوا رأسيهما ، ولا تستأذنوا البتّة ، فأجابوا . فقلت : احذروا أن تخالفوا فأهلك .

فقالوا : نعم .

ثم قلت للحاجب : اطلع السطح ، وقل له : إنّي على حال من إختلال الفرش والكسوة ، لا أحبّ معه دخول أحد إلّيّ ، فإن رضيت أن تدخل أنت وأبو بكر النقيب فقط ، وإلّا فأنا أصلح أمري وأجيء إلى دارك الليلة .

١٥ محمّد بن ينال الترجمان ، القائد : ترجمته في حاشية الفصّة ٣٥٩ من الكتاب .

قال : فعاد الغلام ، وقال : كلمته ، فقال : رضينا بذلك .
فقلت : يا فلان ، أخرج ، واحذر أن يفتح الباب كله فتدخل الجماعة ،
وأرى أن تقول له ، أن يتباعد عن الباب إلى الشارع قليلاً ، [وينزل ، ويقصده
هو وأبو بكر النقيب فقط ، واجعل في الدهليز نفسين يمسان الباب من نقاوة
الغلمان .

فقال : نعم .

ثم قمت بنفسي ، فأغلق باب حديد كان بين [٢٧٥ غ] صحن الدار
والدهليز ، وجعلت خلفه جماعة غلمان بالسلاح .

وقلت : قل لهما أن يدخلوا ، وافتح من الباب الذي على الشارع قليلاً^{١٦}
فإن ازدحم الناس ، وتكاثروا ، فهي حيلة ، فدعهم يدخلون ، وصح : ما
هذا ؟ فأعلم أنها حيلة ، فأخرج من بعض الأبواب ، أما هم فيفضون إلى هذا
الباب ، وهو مقفل ، ووراءه الغلمان .

وإن حضرا وحيدين ، فقل لهما : الشرط أن أقفل الباب [من وراء ظهريكما]^{١٦}
بينكما وبين أصحابكما ، ثم افتح الباب الذي يلي الشارع ، حتى يدخلان ،
ثم أقفله ، وأرم مفاتيحه من تحت الباب الثاني إلينا إلى الصحن ، ودق هذا
الباب ، فأني واقف وراءه ، لأتقدم بفتحه ، فيدخلان .

ففعل الحاجب ذلك ، وحصل أبو بكر [٢٥٧ ر] النقيب والترجمان في
الدهليز وحيدين .

فلما سمعت صوت قفل الباب الخارجي ، وأنا عند الباب الداخلي ، ودق
الحاجب الباب الثاني ، ورمى بالمفتاح ، عدت إلى مجلسي ، فجلست فيه ،
ونحييت من كنت أقمته وراء الباب الثاني بالسلاح ، وأعدت عليهم الوصية
بقتلها إن صحت : يا غلمان اخرجوا .

١٦ الزيادة من غ .

ثم تقدّمت إلى غلام لي كان واقفاً بلا سلاح^{١٧} ، أن يفتح الباب ، ويدخلهما ،
ففعل ذلك .

وألقيت نفسي على الفراش كأني عليل ، ودخلا ، فلم أوفهما الحق ،
وأخفيت كلامي ، كما يفعل العليل .

فقالا : أيش خبرك ؟

فقلت : أنا منذ أيام عليل ، وارتعت بحضوركما .

فأخذ الترجمان يحلف أنه ما حضر إلا ليردني إلى منزلي ، واستكتابي لبجكم ،
فشكرته على ذلك .

وقلت : أنا تائب من التصرف ، ولا أصلح له .

فقال : قد أمرني الأمير بمخاطبتك في الخروج إليه ، إلى واسط ، لتقرير

هذا الأمر ، ولا يجوز أن أكتب إليه بمثل هذا عنك ، ولكن إذا كنت زاهداً في

الحقيقة ، فأخرج إليه ، وأحدث بخدمته عهداً ، واستغفه ، فإنه لا يجبرك .

فقلت : هل كاتبني بشيء توصله إليّ .

فقال : لا ، ولكنه اقتصر على ما كتب به إليّ ، لعلمه بمودتي لك ، ولئلا

يفشو الخبر .

فقلت : تقفني على كتابه إليك .

فقال : لم أحمله معي .

فعلمت أنه قد كوتب بالقبض عليّ ، وأنه يتوصّل بالحيلة لتحصيلي .

فقلت : أنا عليل كما ترى ، ولا فضل فيّ للسفر ، ولكن تجيب الأمير أطال

الله بقاءه بالسمع والطاعة ، وأني أخرج بعد أسبوع ، إذا استقلت قليلاً .

فقال : يقبح هذا ، والوجه أن تخرج .

فقلت : لا أقدر .

١٧ في غ : كان واقفاً بالسلاح .

فراجعني ، وراجعته ، إلى أن قال : لا بدّ من خروجك .

فقلت : إني لا أخرج .

فقال : تخرج طائعا أو كارها .

فجلست ، وظهر [٢٢٠ م] في أثر الاحتداد مع القدرة ، وقلت : إني لا أخرج ، ولا كرامة لك ، فاجهد جهدك ، وذهبت لأصيح بالغللمان .

وكان أبو بكر النقيب خبيثاً ، فقال : أسأل سيّدنا بالله العظيم أن لا يتكلّم بحرف ، ويدعني وهذا الأمر .

ثم أخذ بيد الترجمان وقاما إلى ناحية في المجلس بعيدة ، لا أسمع ما يجري بينهما ، فأطالا السرار ، ثم جاءا إليّ .

فأخذ أبو بكر يعتذر إليّ مما جرى ، ويخاطبني باللين ، ويقول : فبعد كم يخرج سيّدنا ؟ حتى نفتن بوعده ، ونصرف .

فقلت : بعد عشرة أيام .

فقال : قد رضينا .

فأخذ الترجمان [يترق^{١٨} عليّ في الكلام ، وأبو بكر يغمزه ، ويرفق به .

فلما بلغا إلى قريب من الدهليز ، رجع أبو بكر ، وجرّ الترجمان ، معه] ^{١٩} ،

وقال : هذا ليس يعرفك حقّ معرفتك ، وعنده أنّه يقدر يستوفي عليك الحجّة ،

فبالله إلّا ما عرفته [٢٧٦ غ] ما كان في نفسك أن تعمله بنا ، لو استوفينا عليك المطالبة ، لئلاّ أقع في مكروه معه ومع الأمير .

فقلت في نفسي : أنا أريد الهرب الساعة ، فما معنى مساترتي لهما ما أردت

أن أفعله ، ولم لا أظهره ليكون أهيب في نفوسهما ؟

فقلت للغلام الذي كان واقفاً على رأسي بلا سلاح : إمض إلى أصحابنا ،

١٨ الترق : الطيش والخفة عند الغضب .

١٩ ساقطة من غ .

وقل لهم أن يخرجوا ، ولا يعملوا ما كنت قلت لهم .
ففى الغلام ، وفتح الباب عليهم ، وقال : أخرجوا ، ولا تحدثوا على القوم
حادثه ، فخرج القوم بالسلاح .

فقلت : هؤلاء أعددتهم لدفعكما عن نفسي ، إن رميتما قسري على ما لا أؤثره .
قال : فمات الترجمان في جلده ، واصفرّ وتحير^{٢٠} .
فقال له أبو بكر : أنت تظنّ أنّك بالجليل^{٢١} ، وليس تعلم بين يدي من
أنت الآن ؟ عرفت أنّ الرأي كان في يدي ، لا في يدك ؟ والله ، لو زدت في
المعنى ، لخرج هؤلاء فأخذوا رأسك ورأسي .

فقلت : معاذ الله ، ولكن كانوا يمنعوكما من أذاي .
ثم قلت للغلمان : كونوا معهما ، إلى أن يخرجوا ، وتغلقوا الأبواب خلفهما ،
ففعلوا .

وقمت في الحال فلبست خفّاً وإزاراً على صورة النساء ، واستصجبت جماعة
من عجائز داري ، وخرجت معهنّ من باب من تلك الأبواب الخفية ، متحيراً ،
لا أدري أين أقصد .

فقصدت عدّة مواضع ، كلّما قصدت موضعاً ، علمت أنّه لا يحملني ،
فأتجاوزّه ، إلى أن كدّني المشي ، [٢٥٨ ر] وقربت من الرصافة ، فعنّ لي أن
أقصد خالة المقتدر^{٢٢} ، وأطرح نفسي عليها .

فصرفت جميع من كان معي ، إلّا واحدة ، وقصدت دار الخالة ، ودخلت
دهليزها .

٢٠ في غ : واصفرّ لونه ، وتغيّر وجهه .

٢١ في غ : أنت تظنّ أنّك تقدر عليه بالحيل ، ولعرفة الجبل ، راجع حاشية القصّة ٦٥ من هذا الكتاب .

٢٢ خالة المقتدر ، واسمها : خاطف ، واحدة من الثالوث الحاكم الذي كان يحكم ويدير أمور الدولة
في أيام المقتدر ، وهم خاطف خالة المقتدر ، ودستبويه أمّ ولد المعتضد ، والسيدة شغب والدة المقتدر ،
وكانوا يلقّبون بالسّادة (الوزراء ١١٩) .

فقام إليّ الخادم ، وقال : من أقول ؟
فقالت العجوز : امرأة لا تحبّ أن تسمّي نفسها ، فدخل وإذا بالخالة قد
خرجت إلى الدهليز .

فقالت لها المرأة : يا سّي ، تأمرين الخادم بالانصراف ، فأمرته ، فانصرف .
فكشفت وجهي ، وقلت : يا سّي ^{٢٣} [٧٩ ن] ، الله ، الله في دمي ، اشتريني ،
فقالت : يا أبا جعفر ، ما الخبر ؟
فقلت : أدخليني ، أهدئك .

فقالت : كن مكانك ، فإنّي قد علمت أنّك ما جئتني إلّا مستتراً .
ثم دخلت ، فأبطأت ، حتى قلت : قد كرهت دخولي ، وستخرج إليّ من
بصرفي ، وتعتذر ، وهممت بالانصراف .
وإذا بها قد خرجت ، ثم قالت : أرعبتك بالانتظار ، وما كان ذلك إلّا عن
احتياط لك ، فادخل .

فدخلت فإذا دارها الأولى - على عظمها - فارغة ، ما فيها أحد .
فسلكت بي ، وبالمرأة العجوز ، إلى موضع من الدار ، فدخلت إلى حجرة ،
فأقفلتها بيدها ، ومشيت بين أيدينا ، حتى انتهت بنا إلى سرداب ، فأنزلتنا فيه ،
ومشينا فيه طويلاً ، وهي بين أيدينا ، حتى صعدت منه إلى درجة طويلة ، أفضت
بنا إلى دار في نهاية الحسن والسرو ، وفيها من [٢٢١ م] الفرش ، والآلات ،
كلّ شيء حسن .

وقالت : إنّما احتبست عنك ، حتى أصلحت لك هذه الدار ، وأخليت
الأولى ، حتى لا يراك الذين كانوا فيها ، فيعرف خبرك ، [فعرّفتني قصتك .
فذكرتها لها ، من أولها إلى آخرها .

فقالت : ^{٢٤} [اجلس ها هنا ما شئت ، فوالله ، إنّك تسرّني بذلك ، فاحفظ

^{٢٣} في ن : يا مولائي .

^{٢٤} الريادة من غ .

نفسك من أن ينتشر خبرك من جهتك ، فليس معي من جهتي من يدخل عليك
[٢٧٧ غ] أو يخرج منك ، قهلك نفسك ، وتهلكني ، فإنك تعلم أن هذا الرجل
ظالم جاهل ، لا يعرف حق مثلي .

فقلت : ما معي غير هذه العجوز ، ولست أدعها تخرج .
فقلت : هذا هو الصواب .

فأقمت عندها مدة ، فكانت تخبئني كل يوم ، وتعرفني أخبار الدنيا ،
وتحدثني ساعة ، وتنصرف ، وتحمل إلي كل شيء فاخر ، من المأكول ، والمشروب ،
والبخور ، وأخدم بما لم أخدم بمثله في أيام دولتي .

فلما كان في غداة يوم بعد حصولي عندها ، قالت : يا أبا جعفر ، أنت
وحدك ، وليس يصلح أن يخدمك كل أحد ، وقد حملت إليك هذه الجارية
- وأومأت إلى وصيفة كانت معها ، في نهاية الحسن والجمال - فاستخدمها ،
وإنها تقوم مقام فراشة ، وقد أهديتها لك ، وإن احتجت إلى ما يحتاج إليه
الرجال ، صلحت لذلك أيضاً .

فقبلت ذلك ، وشكرتها ، [ودعوت لها] ٢٤ .

وتأملت ٢٥ الجارية ، فإذا هي تغني أحسن غناء وأطيبه ، فكان عيشي معها
أطيب من عيشي أيام الدولة .

ومضى على استتاري نحو شهرين ، لا يخرج من عندي أحد ، ولا يدخل
إلي غير الجارية .

فقلت لها يوماً : قد تطلعت نفسي إلى معرفة الأخبار ، وإنفاذ هذه العجوز
إلى من تتعرف ذلك منه .

فقلت : افعل ، واحتفظ جهدك .

فكتب مع العجوز كتاباً إلى وكيل لي أثق به ، أمره أن يتعرف لي الأخبار ،

٢٥ في غ : وتأنست .

ويكتب إليّ بها مع العجوز .

ورسمت له أن ينفذ طيوراً مع غلام أسميته له وكنت به واثقاً من دون سائر غلماني ، ويأمره بالمقام بواسطة ، والمكاتبه على الطيور في كلّ يوم بالأخبار^{٢٦} ، وأن يكتب عنيّ إلى جماعة بواسطة - كنت أثق بهم - بأن يمدّوا الغلام بالأخبار . ورسمت للعجوز أن لا تعرّف الوكيل موضعي ، لئلاّ يظهر شيء من الأمر ، ويقع الوكيل ، ويطلب بي ، فبدل عليّ .

فعاد الجواب إليّ ، بما عنده [٢٥٩ ر] من الأخبار ، وأنه لا يتقضي يومه ، حتى ينفذ الغلام والطيور .

فأمهلته عشرة أيام ، ثم رددت العجوز ، فأنفذ لي على يدها ، كتباً وردت على الطيور ، فقرأتها ، ومضى على ذلك مدّة .

فأصبحت يوماً وأنا على نهاية النشاط ، والسرور ، والانبساط ، من غير سبب أعرفه ، فقلت للعجوز : امضي إلى فلان ، وأعرني هل ورد عليه كتاب من واسط ؟

ففضت العجوز إلى الوكيل ، فهي عنده ، إذ سقط عليه طائر بكتاب ، فحلّه ، وسلّمه إليها ، من غير أن يقف عليه .

فجاءتني به ، فإذا هو من الغلام المرتّب بواسطة ، بتاريخ يومه ، [وأكثره رطب ، كتب في الحال]^{٢٧} يذكر فيه ورود الأخبار إلى واسط ، بقتل الأكراد لبجكم^{٢٨} ، وأنّ الناس قد اختلطوا وماجوا .

٢٦ الطيور المقصودة بالذكر هي الحمام الزاجل ، والزرجل ، في اللقّة : الرمي بشيء ، وفي الاصطلاح : إرسال الحمام الهادي من مزجل بعيد (لسان العرب) ، للتفصيل ، راجع كتاب الحيوان للجاحظ ، وخطط المقرئزي ، ودائرة المعارف الاسلامية .

٢٧ الزيادة من غ .

٢٨ مقتل بجكم : راجع التفصيل في تجارب الأمم ٩/٢-١١ وابن الأثير ٣٧١/٨ و٣٧٢ .

فَقَبِلَتِ الْأَرْضُ شُكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكُتِبَ فِي الْحَالِ إِلَى الْكُوفِيِّ رَقْعَةً
أَشْكُرُهُ فِيهَا عَلَى [٢٧٨ غ] جَمِيلِهِ ، وَأَعْرَفَهُ أَنِّي مَا طَوَيْتُ خَبْرِي عَنْهُ إِلَى الْآنَ ،
إِلَّا إِشْفَاقًا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ عَنِّي ، فَيَكُونُ مَتَى حَلَفَ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ خَبْرِي ، صَادِقًا ،
وَأَنَّ أَقْلَ حَقُوقٍ مَا عَامَلَنِي بِهِ ، أَنْ أَعْرَفَهُ مَا يَجِبُ أَنْ يَتَحَرَّزَ مِنْهُ ، وَذَكَرْتُ لَهُ مَا
وَرَدَ مِنَ الْخَبَرِ ، وَأَشْرَتُ عَلَيْهِ بِالْإِسْتِتَارِ .

وَأَنْفَذْتُ رَقْعَتِي إِلَيْهِ بِذَلِكَ ، طَيَّ رَقْعَتِي إِلَى الْوَكِيلِ ، وَأَمَرْتُهُ أَنْ يَمْضِي بِهَا فِي
الْوَقْتِ إِلَيْهِ .

وَقُلْتُ لِلْعَجُوزِ : إِذَا مَضَى الْوَكِيلُ فَارْجِعِي أَنْتِ ، وَلَا تَقْعَدِي فِي دَارِ الْوَكِيلِ .
فَعَادَتْ ، وَعَرَّفَنِي أَنَّ الْوَكِيلَ تَوَجَّهَ إِلَى الْكُوفِيِّ .

فَلَمَّا كَانَ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ مِنْ [٢٢٢ م] ذَلِكَ الْيَوْمِ رَدَدَتْهَا إِلَى الْوَكِيلِ ، وَقُلْتُ
لَهَا : اطْرُقِي بَابَهُ ، فَإِنْ كَانَ فِي بَيْتِهِ ، عَلَى حَالِ سَلَامَةٍ فَادْخُلِي ، وَإِنْ بَانَ لَكَ أَنَّهُ
مَعْتَقِلٌ ، أَوْ أَنَّ دَارَهُ مَوْكَلٌ بِهَا ، فَانْصُرْفِي وَلَا تَدْخُلِي .

فَعَادَتْ إِلَيَّ بِرَقْعَةِ الْوَكِيلِ ، وَطَيَّهَا رَقْعَةً مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيِّ .

وَفِي رَقْعَةِ الْوَكِيلِ : إِنَّهُ حِينَ أُوصَلَ الرَقْعَةُ إِلَى الْكُوفِيِّ ، بَانَ لَهُ فِي وَجْهِهِ
الْإِضْطِرَابُ ، وَإِنَّهُ مَا صَلَّى الْعَصْرَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، حَتَّى امْتَلَأَ الْبَلَدُ بِأَنَّ الْكُوفِيَّ
قَدْ اسْتَرَى ، وَأَنَّ بِحُكْمٍ قَدْ حَدَثَتْ بِهِ حَادِثَةٌ لَا نَدْرِي مَا هِيَ ، وَقَدْ عَدْتُ بَعْدَ
الْعَصْرِ إِلَى دَارِ الْكُوفِيِّ ، فَوَجَدْتُهَا مَغْلُوقَةً ، وَلَيْسَ عَلَيْهَا أَحَدٌ ، وَإِنِّي قَدْ أَنْفَذْتُ جَوَابَ
الْكُوفِيِّ طَيَّ رَقْعَتِي .

وَقَرَأْتُ رَقْعَةَ الْكُوفِيِّ ، فَإِذَا هُوَ يَشْكُرُنِي ، وَيَقُولُ : [قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مِثْلَكَ
يَا سَيِّدِي لَا يَفْتَعِلُ مِثْلَ هَذَا الْخَبَرِ ، وَلَا يَضِيعُ مَرْوَعَتُهُ ، وَأَنَّ مِثْلَهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
صَحِيحًا ، وَقَدْ تَشَاغَلَ الَّذِينَ مَعَ الْأَمِيرِ بِالْهَرْبِ ، عَنْ أَنْ يَكْتُبُوا لِي بِالْحَادِثِ ،
وَكُتِبَ بِهِ مِنْ رَبِّبَتِهِ أَنْتِ ، كَمَا ذَكَرْتُ فِي رَقْعَتِكَ ، فَأَوْجِبِ الرَّأْيَ أَنْ أُسْتَظْهَرَ
لِنَفْسِي ، فَإِنْ كَانَ الْخَبَرُ صَحِيحًا ، وَهُوَ عِنْدِي صَحِيحٌ ، فَالرَّأْيُ مَعِي ، وَإِنْ

كان باطلاً ، فلا يضرتني ذلك عند صاحبي إن كان حياً ، لأنه يتصورني جباناً لا غير ، فيكون أسلم في العاجل] ٢٩ .

وقد أنفذت إليك - يا سيدي - طي رقعتي هذه ، الكتابين اللذين كتبتهما عليك في ضيعتك بالانتياح والإجارة ، ابتغاء إتمام مودتك ، ولتعلم صدقي فيما كنت توسطته ، ونصحي فيما عاملتك به ، فإن كان موت الرجل صحيحاً ، فقد رجعت إليك ضيعتك ، وإن كان باطلاً فإنه لا يسألني عنهما ، ولا يذكرهما ، وإن ذكرهما جحدت آتي تسلمتهما ، وقضيت [٨٠ ن] حقك بذلك ، وأعدت نعمتك عليك .

قال : وإذا بالكتابين في طي الرقعة ، فزقتهما في الحال .
ولبست من عند الخالة ، خفاً ، وإزاراً ، بعد أن عرقبتها الصورة ، وخرجت مع العجوز ، وجئت إلى داري فدخلتها من بعض أبوابها الخفية .
فلما كان من الغد ، قوي الخبر بقتل بيجكم ، ففتحت بابي ، وفرج الله عني المحنة .

فلما كان العشاء ، أتاني رسول الخالة ، ومعه الجارية ، وقال : سيدي تقرئك السلام ، وتقول لك : لم تدع جاريتك عندنا ؟
قال : وإذا هي قد حملت معها ، كل ما كانت قد أخدمتني من فرش ، وآلة ، وغير ذلك ، من أشياء كثيرة جلييلة المقدار .
وقالت : هذا جهاز الجارية ، وأحب أن تقبله مني [٢٦٠ ر] .
فقبلته ، ورددت الرسول شاكراً ، وقد من الله علي بالعود إلى أحسن حال ٣٠ .

٢٩ ساقطة من غ .

٣٠ غذه القصة لم ترد في ر .

تعذيب العمال المطالبين بضرهم بالمقارع ووضع الحجارة على أكتافهم

وذكر محمد بن عبدوس ، في كتابه «كتاب الوزراء» ، قال : حدثني أحمد بن علي بن بيان ، قرابة ابن بسطام ، قال : قال لي سليمان بن سهل البرقي ، وكان أستاذ أبي العباس ابن بسطام .
انصرفت من بعض الأعمال^١ ، فألفت عمر بن فرج^٢ يتقلد الديوان ، وكان في نفسه عليّ شيء ، فأخفيت نفسي ، وستررت أصحابي .
فطلبني ، وأذكى العيون عليّ ، فلم يصلوا إليّ ، فأمر أن يعمل لي مؤامرة تشمل على ثلثمائة ألف^٣ .
وكانت بيني وبين نجاح بن سلمة^٤ مودة ، فأنا في عشيّة من العشايا ، في استتاري ، إذ وردت عليّ رقعة نجاح يأمرني بالمصير إليه .
فلما صرت إليه ، قال لي : صر إلى عمر بن فرج ، وسلّم عليه ، وعرفه أنّي قد بعثت بك إليه .
قال : ققلت له : يا سيدي ، انظر ما تقول ، فإنّه قد نذر دمي ، فكيف أمضي إليه هكذا ؟

-
- ١ يريد أنّه كان متقلداً عملاً من أعمال السلطان ، وصرف عنه ، فعاد إلى الحضرة .
 - ٢ عمر بن فرج بن زياد الرخجي : ترجمته في حاشية القصة ٣٧٤ من الكتاب .
 - ٣ المؤامرة : عمل يثبت فيه مقدار ما تحقّق على الشخص من أموال عليه أن يؤدّيها للسلطان ، راجع القصة ١٧٧/٢ من كتاب نشوار المحاضرة ج ٢ ص ٣٣٦ سطر ٦ .
 - ٤ أبو الفضل نجاح بن سلمة الكاتب : ترجمته في حاشية القصة ٧٣ من هذا الكتاب .

فقال : نعم ، اعلم أنه قال لي اليوم ، إن فلسطين^٥ قد انغلقت علينا ،
وفسدت ، مع جلالتها ، وقد أكلها العمال ، وإنه في طلب من يكفيه أمرها ،
وينحفظ مالها ، وليس يعرف من يرضي كفايته .

فقلت له : إن أردت الكفاية ، فهذا سليمان بن سهل ، وفيه من الكفاية
والإخلاص [٢٢٣ م] والجد ، ما لا يشك فيه ، فلم عطّته ، وأخفته ؟
فقال : كيف لي به ؟

فقلت : تؤمنه ، وتزيل ما عليه من المطالبة ، وتقلّده فلسطين ، فإنه يكفيك ،
ويوفر عليك ، ويمجّلك فيما يتصرّف لك فيه ، وأنا أبعث به إليك .
فقال : أبعث به إليّ ، وهو آمن .

فصر إليه ، فإنه لا يعرض لك إلّا بما تحبّ .
فبكرت إليه ، وهو في ديوانه ، فلما دخلت صحن الدار ، رأيت العمال
على أكتافهم الحجارة ، والمقارع^٦ تأخذهم ، فهالني ما رأيت .

٥ فلسطين : راجع حاشية القصة ١٣٥ من الكتاب .

٦ أورد صاحب الصلة ص ٣٤ ، أبياتاً ، أثبت قائلها فيها ، ألواناً من العذاب الذي كان يصبّ على
رؤوس العمال والمتصرّفين المصروفين ، منها :

أين ضرب المقارع الأرزنيّا	ت وأين الترهيب والانتهاز
أين صفع القفا وأين التهاويـ	ل إذا علّقت عليها الثفـ
أين ضيق القيود والألسن الفظـ	ة أين القيام والأخطار
أين عرك الآذان واللطم للهاـ	م وعصر الخصا وأين الزيار
أين نتف اللحي وشدّ الحيازيرـ	م وأين الجوس والمضمار

وفي وفيات الأعيان ٤/٤٦٩ و ٤٧٠ أبيات لابن التعاويذي ، ذكر فيها ما أنزله الوزير ابن البلدي ،
بالعمال المصروفين ، من ألوان العذاب وأول القصيدة :

يا قاصداً بغداد حد عن بلدة للجور فيها زخرة وعباب

ومنها : =

فلما وصلت إليه ، سلّمت عليه ، وقلت : إني كنت خادم أبي الفضل ،
أعني فرج الرّخّجي^٧ ، وأحد صنائعه .

فقال : لولا ما تمّت به من هذه الخدمة ، لكنت أحد هؤلاء الذين تراهم .
ثم رفع مصلاه ، وأخرج الكتب بولايي فلسطين ، وسلّمها إليّ ، وأمرني
بكتّان أمري عن الناس ، والاستعداد للمسير .

فأخذت الكتب ، وشخصت إلى هناك ، فأرضيته ، وقضيتُ حقّ نفسي^٨ .

من كان قبلُ بيعته يرتاب	شهدوا معادهم فعاد مصدّقاً
وصحائفٌ منشورةٌ وحساب	حشرٌ وميزانٌ وعرضٌ جرائدٍ
وسلاسلٌ ومقامعٌ وعذاب	وبها زبانيةٌ تبثّ على السورى
في الحشر إلا راحمٌ وقاب	ما فاتهم من كلّ ما وعدوا به

٧ أبو الفضل فرج بن زياد الرّخّجي : ترجمته في حاشية القصّة ١٢٩ من الكتاب .

٨ هذه القصّة لم ترد في ر ولا في غ .

الله يحزي سعيد الخير نائلة

حدّثني أبو الفرج ، المعروف بالأصبهاني ، قال : أخبرني أبو دلف هشام^١ بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك الخزاعي ، ومحمد بن الحسن^٢ الكندي ، قالا : حدّثنا الخليل بن أسد ، قال : أخبرني العمري ، عن الهيثم بن عدي ، عن الحسن^٣ بن عمارة ، عن الحكم بن عيينة :
 أَنَّ حارثة بن بدر الغداني^٤ ، كان قد سعى في الأرض فساداً ، فنذر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه دمه ، فاستجار بأشراف الناس ، فلم يحره أحد .

ف قيل له : عليك بسعيد بن قيس الهمداني^٥ ، فلعله أن يحريك .

١ في ن : هاشم .

٢ في ن : محمد بن الحسين .

٣ في م : الحسين بن عمارة .

٤ حارثة بن بدر بن حصين التميمي الغداني : تابعي ، بصري ، مستهتر بالشراب ، وكان جليساً لزياد بن أبيه لما ولي البصرة ، ولما مات وخلفه ولده عبيد الله ، قال له : اختر من عملي ما شئت ، فاختر الولاية على سرق ، لأنّ شرابها طيب ، فقال أبو الأسود الدؤلي :

أجار بن بدر قد وليت ولايةً
 ولا تحتقر يا حار شيئاً وجدته
 فكن جرذاً فيها تحون وتسرق
 فحظك من مال العراقيين سرق

وخرج في بعث يحارب الخوارج ، ثم بلغه ، تأمير المهلب ، فأقبل بمن معه نحو البصرة ، وركب سفينة في نهر دجيل ، فاستغاث به رجل ليحمله معه ، فقرب السفينة إلى الشاطئ فوثب الرجل إليها فغاصت بجميع من فيها ، فغرقوا ، وذلك في السنة ٦٥ (وثقات الأعيان ٥٠٢/٢ وابن الأثير ١٩٦/٤) .

٥ سعيد بن قيس بن زيد الهمداني : فارس ، شجاع ، جواد ، داهية ، من سلالة ملوك همدان ، اشترك في فتح فارس على عهد الخليفة عمر ، وولاه عثمان الرّي ، وحارب في صفين مع الإمام علي ، توفي نحو سنة ٥٠ (الاعلام ١٥٣/٣ وابن الأثير ١٠/٣ ، ١٤٧ ، ٢٨٥) .

فطلب سعيداً ، فلم يجده ، فجلس في طلبه ، حتى جاء ، فأخذ بلجام
دابته ، وقال : أجرني ، أجارك الله .

قال : مالك ويحك ؟

قال : قد نذر أمير المؤمنين دمي .

فقال : أقم مكانك ، وانصرف إلى أمير المؤمنين ، فوجده قائماً يخاطب على

المنبر .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في

الأرض فساداً ؟

قال : أن يقتلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ،

أو ينفوا من الأرض .

قال : يا أمير المؤمنين ، إلّا من تاب .

قال : إلّا من تاب .

قال : فهذا حارثة بن بدر قد جاءنا تائباً ، وقد أجرته .

قال : أنت رجل من المسلمين ، وقد أجرنا من أجرته .

ثم قال وهو على المنبر : أيّها الناس ، إني كنت قد نذرت دم حارثة بن بدر ،

فمن لقيه فلا يعرض له .

فانصرف إليه سعيد ، فأعلمه ، وكساه ، وحمله ، وأجازه ، فقال فيه

حارثة شعراً :

الله يجزي سعيد الخير نائلة أعني سعيد بن قيس قرم همدان

أنقذني من شفا غبراء مظلّمة لولا شفاعته ألّبت أكفاني

قالت تميم بن مرّ لا تحاطبّه وقد أبت ذلكم قيس بن عيلان

قال الحسن بن الهيثم : لم يكن يروي الحسن بن عمار ، من هذا الشعر ،

غير هذه الأبيات ، فأخذت الشعر كلّهُ من حمّاد الراوية ، وقلت له : ممّن أخذته ؟

فقال : من سماك بن حرب ، وهو :

أساغ في الحلق ريقاً كنت أجزئه وأظهر الله سرّي بعد كتمان
إني تداركني عفّ شمائله آباؤه حين ينمي خير قحطان

وذكر بقيّة الشعر والحديث ، ولم يكن مما يدخل في كتابي هذا ، فلم
أسقه^٦ .

٦ هذه القصّة لم ترد في ر ، ولا في غ .

فإن نلتني حجّاج فاشتف جاهدًا

وأخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني ، قال : أخبرني عمي الحسن بن محمد ، قال : قال لي الكراي^١ ، عن الخليل بن أسد ، عن العمري ، عن عطاء عن عاصم بن الحدثان ، قال :

كان ابن نمير الثقفي^٢ ، يشب بزيب بنت يوسف بن الحكم^٣ ، وكان الحجّاج أخوها يتهدّده ، ويقول : لولا أن يقول قائل ، لقطعت لسانه [٢٢٤ م] . فهرب إلى اليمن ، ثم ركب بحر عدن ، وقال في هربه :

أتني عن الحجّاج والبحر بيننا عقارب تسري والعيون هواجع
فضقت بها ذرعاً وأجهشت خيفة ولم آمن الحجّاج والأمر قاطع
وحلّ بي الخطب الذي جاءني به سميع فليست تستقرّ الأضالع [٨١ ن]
فبت أدير الأمر والرأي ليلتي وقد أخضلت خدي الدموع الهوامع

١ الكراي : النسبة إلى كران ، محلة بأصبهان (اللباب ٣/٣٣) ، واسمه محمد بن سعد من رجال سند صاحب الأغاني (كتاب الأغاني ٣١/١) .

٢ محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي : شاعر غزل ، ولد ونشأ بالطائف ، وهو صاحب القصيدة المشهورة شبّ فيها بزيب بنت يوسف الثقفي ، ذكرها صاحب الأغاني ٦/١٩٢-١٩٤ وصاحب العقد الفريد ٥/٣٢٥ ومطلعها :

تضوّع مسكاً بطنُ نعمان إذ مشت به زيبٌ في نسوةٍ خفّرات

٣ زيب بنت يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي : أخت الحجّاج ، زوّجها من ثقي ، وولاه البصرة ، ولما ثار أهل العراق على الحجّاج ، بعث بها ضمن أفراد عائلته إلى الشام ، ولما انتهت الحرب ، كتب إليها الحجّاج ، فوردت الرسالة إليها ، وهي على دابة ، فلما فتحها لقرأها ، قعقع ورقها ، فنفرت الدابة ، وألقها ، فقتلتها (الأغاني ٦/١٩٠-٢٠٨) .

فلم أر لي خيراً من الصبر إنّه
وما أمنت نفسي الذي خفت شرّه
إلى أن بدا لي رأس إسييل^٤ طالعاً
فلي عن ثقيف إن هممت بنجوة
وفي الأرض ذات العرض عنك ابن يوسف
فإن نلتني حجّاج فاشتفِ جاهداً
أعفّ وأحرى إذ عرتني الفواجع
ولا طاب لي ما حبّيته^٥ المضاجع
وإسييل حصن لم تنله الأصابع^٦
مهامه تعفى بينهنّ الهجارع^٦
إذا شئت منأى لا أبالك واسع
فإنّ الذي لا يحفظ الله ضائع^٧

قال : فطلبه الحجّاج ، فلم يقدر عليه ، ثم طال على النميري مقامه هارباً ،
واشتاق إلى وطنه فجاء حتى وقف على رأس الحجّاج .

فقال له الحجّاج : يا نميري ، أنت القاتل :

فإن نلتني حجّاج فاشتفِ جاهداً .

فقال : بل أنا أقول :

أخاف من الحجّاج ما لست خائفاً
أخاف يديه أن تنال مفاصلي
وأنا الذي أقول :
من الأسد العرياض^٨ لم يشنه ذعر
بأبيض غضبٍ ليس من دونه ستر

فها أنا قد طوّفت شرقاً ومغرباً
فلو كانت العنقاء عنك تطير بي
وأبتُ وقد دوّخت كلّ مكان
لختلك - إلا أن تصدّ - تراني

قال : فتبسّم الحجّاج ، وأمّنه ، وقال : لا تعاود إلى ما تعلم ، وخليّ سبيله^٩

٤ في الأغاني ١٩٩/٦ : ممّا خشيت .

٥ إسييل : جبل في مخلاف ذمار (معجم البلدان ١/٢٣٩) .

٦ المهامه ، مفردتها : المهمة والمهمة : المفازة البعيدة ، والمجرع : الكلب السلوقي الخفيف .

٧ وردت الأبيات كاملة في الأغاني ١٩٨/٦ و ١٩٩ وفي معجم البلدان ١/٢٤٠ .

٨ العرياض : الثقيل العظيم .

٩ هذه القصّة لم ترد في ر ، ولا في غ ، ووردت في الأغاني بتفصيل ١٩٨/٦ - ٢٠٠ .

أسود راجل رزقه عشرون درهماً

بزّ في كرمه معن بن زائدة الشيباني

أخبرني أبو الفرج علي بن الحسين القرشي ، قال : أخبرني حبيب بن نصر المهلب^١ ، قال : [حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : أخبرنا محمد بن نعيم البلخي ، أبو يونس ، قال :]^٢ ، حدّثني مروان بن أبي حفصة ، وكان لي صديقاً ، قال :

كان المنصور قد طلب معن بن زائدة الشيباني طلباً شديداً ، وجعل فيه مالا . فحدّثني معن باليمن ، أنّه اضطرّ لشدة الطلب أن قام في الشمس ، حتى لوّحت وجهه ، وخفّف من [٢٧٩ غ] عارضيه ولحيته ، ولبس جبّة صوف غليظة ، وركب جملاً [من جمال النقاله]^٣ ، وخرج عليه ليمضي إلى البادية ، [وقد كان أبلى في الحرب بين يدي ابن هبيرة^٤ بلاءً حسناً ، فغاظ المنصور^٥ ، وجدّ في طلبه]^٣ .

١ حبيب بن نصر المهلب : من عمّال الدولة العبّاسيّة ، استعمله الرشيد على إفريقية في السنة ١٧٤ بعد وفاة أميرها روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وعزله في السنة ١٧٧ بالفضل بن روح بن حاتم (ابن الأثير ١٣٥/٦ والأعلام ٦٣/٣) .

٢ الزيادة من ن ، ومن الأغاني ٨٤/١٠ .

٣ ساقطة من غ .

٤ أبو خالد يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري (٨٧-١٣٢) : من قوّاد الدولة الأمويّة . جمعت له ولاية العراق سنة ١٢٨ في أيام مروان بن محمد ، وقاتل العبّاسيّين ، ثمّ انجحر في واسط ، وحاصره المنصور فيها ، فلم يقدر عليه ، فأمنه ، ثمّ غدر به فقتل سنة ١٣٢ بواسط (الأعلام ٢٤٠/٩) .

٥ كان معن بن زائدة من قوّاد يزيد بن عمر بن هبيرة ، وصمد في محاربة العبّاسيّين فلمّا قتل يزيد بن عمر ابن هبيرة ، استتر إلى أن ظهر يوم الهاشمية ، لما ثار بعض الخراسانيّين على المنصور ، فظهر معن ،

قال معن : فلمّا خرجت من باب حرب^٦ ، تبغني أسود ، متقلّداً سيفاً ، حتى إذا غبت عن الحرس ، قبض على خطام الجمل ، فأناخه ، وقبض عليّ .

فقلت : مالك ؟

فقال : أنت طلبة أمير المؤمنين .

فقلت : ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين .

قال : أنت معن بن زائدة .

فقلت : يا هذا اتق الله ، وأين أنا من معن بن زائدة .

فقال : دع عنك هذا ، فأنا والله أعرف بك منك .

فقلت له : فإن كانت القصّة كما تقول ، فهذا جوهر حملته معي بأضعاف

ما بذل المنصور لمن جاء بي ، فخذ ، ولا تسفك دمي .

فقال : هاته ، فأخرجته إليه .

فنظر إليه ساعة ، وقال : صدقت في قيمته ، ولست قابله حتى أسألك عن

شيء ، فإن صدقتني أطلقتك .

فقلت : قل .

قال : إنّ الناس قد وصفوك بالجود ، فأخبرني هل وهبت قطّ مالك كلّ ؟

قلت : لا .

قال : فنصفه ؟

قلت : لا .

قال : فثلثه ؟

وحارب بين يدي المنصور ، فلمّا انقمع الثائرون ، كشف وجهه للمنصور ، فأمنه ، وأكرمه ، وولّاه راجع القصّة ٣٨٣ من هذا الكتاب .

٦ باب حرب : إحدى أبواب مدينة المنصور ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي أحد قوّاد المنصور ، راجع معجم البلدان ٤٤٤/١ و ٢٣٤/٢ .

قلت : لا ، حتى بلغ العشر .
فاستحييت ، فقلت : أظنّ آتيّ قد فعلت ذلك .
قال : ما أراك فعلته ، وأنا والله راجل^٧ ، ورزقي مع أبي جعفر عشرون درهماً ،
وهذا الجوهر قيمته آلاف دنانير ، وقد وهبته لك ، ووهبتك لنفسك ، ولجودك
المأثور بين الناس ، ولتعلم أنّ في الدنيا أجود منك [٢٢٥ م] فلا تعجبك نفسك ،
ولتحقر بعدها كل شيء عمله ، ولا تتوقّف عن مكرمة ، ثم رمى العقد في حجري ،
وخلّى خطام البعير ، وانصرف .
فقلت له : يا هذا ، قد والله فضحتني ، ولسفك دمي أهون عليّ مما فعلته ،
فخذ ما دفعته إليك ، فأبى عنه غيًّا .
فضحك ، وقال : أردت أن تكذّبنني في مقالي هذا ، والله لا أخذته ، ولا
أخذ لمعروف ثمناً أبداً ، وتركني ومضى .
فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت ، وضمنت لمن جاءني به ما شاء ، فما عرفت له
خبراً ، وكأنّ الأرض ابتلعه^٨ .

٧ الراجل : الجندي الذي يحارب راجلاً ، وهو أقلّ الجنود رزقاً ، سميّ بذلك تمييزاً له عن الفارس الذي يرتزق رزقاً أكثر ، ويستخدم الراجل عادة في الخدمة في الدواوين وفي مرافقة المستحقين والمستخرجين وتنفيذ أوامره فيما يتعلّق باستحصال الديون الأميرية ، راجع القصة ١٢٠/١ و ١٤٧/٢ من الشوار .
٨ هذه القصة لم ترد في ر ، ولا في غ ، ووردت في الأغاني ٨٤/١٠ و ٨٥ وفي نهاية الأرب ٢١١/٣ و ٢١٢ .

سبب رضا المنصور عن معن بن زائدة

قال : وكان سبب رضا المنصور عن معن بن زائدة ، أنه لم يزل مستتراً ، حتى يوم الهاشمية^١ ، ووثب القوم على المنصور^٢ وكادوا يقتلونه ، فوثب معن وهو مثلث ، وانتضى سيفه ، فقاتل ، وأبلى بلاءً حسناً ، وذبح القوم عنه ، والمنصور راكب على بغلة ولجامها بيد الربيع .

فقال له : تنح ، فأني أحقّ بلجامها في هذا الوقت .

فقال له المنصور : صدق ، ادفعه إليه ، فأخذه ، ولم يزل يقاتل ، حتى انكشفت تلك الحال .

فقال له المنصور : من أنت لله أبوك ؟

فقال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين ، معن بن زائدة .

فقال : قد أمنتك الله على نفسك ومالك ، ومثلك يصطنع ، ثم أخذه معه ، وخلع عليه ، وجباه ، وقرّبه .

ثم دعا به يوماً ، فقال : إني قد أهلتك لأمر ، فانظر كيف تكون فيه ؟

فقال : كما تحبّ يا أمير المؤمنين ، فولاه اليمن ، وتوجّه إليها ، فبسط فيهم السيف ، حتى استووا .

١ الهاشمية : مدينة بناها أبو العباس السفاح ، أول الخلفاء العباسيين ، حيال قصر ابن هبيرة ، واتخذها حاضرة له ، ثم تركها وانتقل إلى الأنبار ، ومات بها ، ولما استخلف المنصور عاد إليها فزها ، وكان فيها لما ثار عليه الراوندية ، وفيها حبس عبد الله بن الحسن بن الحسن ومن كان معه من أهل بيته ، ثم بنى بغداد وانتقل إليها ، راجع معجم البلدان ٩٤٦/٤ .

٢ هؤلاء القوم يسمون : الراوندية ، وكانوا على رأي أبي مسلم الخراساني ، تحرّكوا على المنصور بعد قتل أبي مسلم ، فحبس المنصور منهم مائتي شخص من رؤسائهم ، فأثاروا وأخرجوهم من الحبس ، فحاربهم المنصور ، ونصره العامة والجند ، فاستعلى عليهم ، وقتلهم جميعاً (العيون والحدائق ٢٢٧/٣ و ٢٢٨) .

قال مروان : وقدم معن بن زائدة بعقب ذلك على المنصور ، فقال له ،
بعد كلام طويل : قد بلغ أمير المؤمنين عنك شيء ، لولا مكانك عنده ، ورأيه
[٢٨٠ غ] فيك ، لغضب عليك .

فقال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله ما تعرّضت لسخطك ، فقال :
عطائك مروان بن حفصة ، لقوله فيك :

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً إلى شرف بنو شيبان
إن عدّ أيام الفعّال فأثما يوماه يوم ندى ويوم طعان
فقال : والله ، يا أمير المؤمنين ، ما أعطيته ما بلغك ، لهذا الشعر ، ولكن
لقوله : [٨٢ ن]

ما زلت يوم الهاشميّة معلناً بالسيف دون خليفة الرحمن [٢٦١ ر]
فمنعت حوزته وكنت وقاء من وقع كلّ مهّد وسنان

قال : فاستحيا المنصور ، وقال : إنّما أعطيت لمثل هذا القول ؟
فقال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، ولولا مخافة الشنعة ، لأمكنته من مفاتيح
بيوت الأموال ، وأبحته إياها .
فقال المنصور : لله درك من أعرابي ، ما أهون عليك ما يعزّ على الناس
وأهل الحزم^٣ .

٣ هذه القصّة لم ترد في ر ، وقد وردت في الأغاني ٨٥/١٠ و ٨٦ .

قطن بن معاوية الغلابي يستسلم للمنصور

أخبرني علي بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجراح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا عمر بن شبّة ، قال : أخبرني أيوب بن عمر بن أبي عثمان ^١ ، عن أبي سلمة الغفاري ، قال : حدّثنا قطن بن معاوية الكلابي ^٢ ، قال :

كنت ممن سارع إلى إبراهيم ، فاجتهدت معه ، فلمّا قتل ، طلبني المنصور ، فاستخفيت منه ، فقبض على أموالي ودوري .

ولحقّت بالبادية ، فجاورت في بني نصر بن معاوية ، وبني كلاب ، من بني فزارة ، ثم بني سليم ، ثم تنقّلت في بوادي قيس ، أجاورهم . حتى ضقت ذرعاً بالاستخفاء ، فأزمت القدوم على أبي جعفر ، والاعتراف له ، فقدمت البصرة ، ونزلت في طرف منها .

ثم أرسلت إلى أبي عمرو بن العلاء ^٣ ، وكان لي ودّاً ، فشاورته في الأمر الذي أزمعت عليه ، فلم يقبل رأيي .

وقال : إذا يقتلك ، وأنت [٢٢٦ م] المعين على نفسك .

فلم ألثفت إليه ، وشخصت إلى بغداد ، وقد بنى أبو جعفر مدينته ، ونزلها ،

١ في ن : أبو أيوب بن عمر بن أبي عمر ، وفي مخطوطة (د) : أيوب بن عمر أبي محمّد .

٢ كذا في الأصل ، والصحيح : الغلابي ، نسبة إلى غلاب وهي امرأة ، أم خالد بن غلاب البصري القرشي ، ولخالد صحبة ، وكان والياً لعثمان بن عفان على أصبهان ، وهو جد الغلابيين الذين بالبصرة (الأنساب ٤١٤) .

٣ أبو عمرو العريان بن العلاء بن عمّار التميمي المازني البصري : ترجمته في حاشية القصة ٣٨٧ من الكتاب .

وليس من الناس أحد يركب فيها ، ما خلا المهدي^٤ .
فنزلت خائفاً ، ثم قلت لغلماني : إني ذاهب إلى أمير المؤمنين ، فأمهلوا
ثلاثاً ، فإن جئتمكم ، وإلا فأنصرفوا .
ومضيت حتى دخلت المدينة ، فجئت إلى دار الربيع ، والناس ينتظرونه ،
وهو حينئذ ينزل داخل المدينة ، في الدار الشارعة على قصر الذهب .
فلم يلبث أن خرج يمشي ، وقام إليه الناس ، وقمت معهم ، فسلمت عليه ،
فرد عليّ السلام .

وقال : من أنت ؟

قلت : قطن بن معاوية .

فقال : انظر ما تقول ؟

فقلت : أنا هو .

قال : فأقبل على مسوودة^٥ كانوا معه ، وقال : احتفظوا به .

قال : فلما حرست ، لحقتني الندامة ، وذكرت رأي أبي عمرو .

ودخل الربيع ، فلم يُطل حتى خرج خصي ، فأخذ بيدي ، فأدخلني قصر
الذهب ، ثم أتى بي إلى بيت ، فأدخلني إليه ، وأغلق الباب عليّ ، وانطلق .
فاشتدّت ندامتي ، وأيقنت بالبلاء ، وأقبلت على نفسي ألومها .
فلما كان وقت الظهر ، أتاني الخصي بماء ، فتوضأت ، وصليت ، وأتاني
بطعام ، فأخبرته بأني صائم .

٤ في معجم البلدان ٦٨٤/١ : لم يكن أحد يدخل إلى مدينة المنصور إلا راجلاً ، ما خلا المهدي ابنه ،
وداود بن علي عمه ، فإنه كان منقراً ، وكان يحمل في محفة ، فقال له عمه عبد الصمد بن علي :
يا أمير المؤمنين ، أنا شيخ كبير ، فلو أذنت لي أن أنزل داخل الأبواب ، فلم يأذن له .

٥ الخان : محلّ نزول المسافرين ، راجع حاشية القصة ٢٤٦ من الكتاب .

٦ يريد بالمسوودة : الجند ، وكانوا يلبسون السواد ، شعار العباسيين .

فلَمَّا كَانَ وقت المغرب ، أَنَا نِي بِمَاء ، فَتَوَضَّأْتُ ، وَصَلَّيْتُ ، وَأَرْخَى عَلَيَّ
الليل سدوله ، فَأَيْسَتْ مِنَ الحَيَاةِ ، وَسَمِعْتُ أَبْوَابَ المَدِينَةِ تَعْلُقُ ، فَامْتَنَعَ عَنِّي
النوم .

فلَمَّا ذَهَبَ صدر من الليل ، أَنَا نِي الخَصِيَّ ، فَفَتَحَ عَنِّي ، وَمَضَى بِي ،
فَادْخَلَنِي صَحْنِ دَارٍ ، ثُمَّ أَدْنَانِي مِنْ سِتُورِ مَسْدُولَةٍ .

فَخَرَجَ عَلَيْنَا خَادِمٌ ، وَأَدْخَلَنَا ، فَإِذَا أَبُو جَعْفَرٍ وَحْدَهُ ، وَالرَّبِيعُ قَائِمٌ نَاحِيَةٍ .

فَأَكْبَّ أَبُو جَعْفَرٍ هَنِيئَةً ، مَطْرَقًا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : هَيْه .

فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَا قُطْنُ بْنُ مَعَاوِيَةَ .

فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ جَهَدْتَ عَلَيْكَ جَهْدِي ، حَتَّى مِنْ اللَّهِ عَلَيَّ بِكَ .

فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ وَاللَّهِ جَهَدْتَ عَلَيْكَ جَهْدِي ، وَعَصَيْتُ أَمْرَكَ ،

وَوَالَيْتَ عَدُوَّكَ ، وَحَرَصْتَ عَلَى أَنْ أَسْلِبَكَ مَلِكَكَ ، فَإِنْ عَفَوْتَ فَأَهْلُ ذَلِكَ أَنْتَ ،

وَإِنْ عَاقَبْتَ فَبِأَصْغَرِ ذُنُوبِي تَقْتُلُنِي .

قَالَ : فَسَكَتَ هَنِيئَةً ، ثُمَّ قَالَ : أَعَد ، فَأَعَدْتُ مَقَالَتِي .

قَالَ : فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَفَا عَنْكَ .

قَالَ : فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَصِيرُ وَرَاءَ بَابِكَ فَلَا أَصِلُ إِلَيْكَ ، وَضِيَاعِي

وَدُورِي مَقْبُوضَةٌ ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيَّ ، فَعَلَ .

قَالَ : فَدَعَا بِدَوَاةٍ ، ثُمَّ أَمَرَ خَادِمًا لَهُ أَنْ يَكْتُبَ بِإِمْلَائِهِ ، إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ

أَيُّوبَ النَّمِيرِيِّ^٧ ، وَهُوَ يَوْمُنَا عَلَى الْبَصْرَةِ : أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ رَضِيَ عَنْ قُطْنِ بْنِ

مَعَاوِيَةَ ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ ضِيَاعَهُ وَدُورَهُ وَجَمِيعَ مَا قَبِضَ عَلَيْهِ ، فَاعْلَمْ ذَلِكَ وَأَنْفِذْهُ

إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ : ثُمَّ خَتَمَ الْكِتَابَ ، وَدَفَعَهُ إِلَيَّ ، فَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِي ، لَا أَدْرِي أَيْنَ

٧ عبد الملك بن أيُّوب بن ظبيان النَمِيرِيُّ : اسْتَعْمَلَهُ الْمَنْصُورُ عَلَى الْبَصْرَةِ فِي السَّنَةِ ١٥٤ وَعَزَلَهُ فِي السَّنَةِ ١٥٥

ثُمَّ أَعَادَهُ فِي السَّنَةِ ١٥٩ (الْكَامِلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ٦١٢/٥ وَ٦/٦ وَ٤٠ وَ٤١) .

أذهب ، فإذا الحرس بالباب ، فجلست إلى جانب أحدهم .
فلم ألبث أن خرج الربيع ، فقال : أين الرجل الذي خرج آنفاً ؟ فقصت
إليه .

فقال : انطلق أيها الرجل ، فقد - والله - سلمت ، ثم انطلق بي إلى منزله ،
فعشاني ، وفرش لي .

فلما أصبحت ، ودعته ، وأتيت غلماني فأرسلتهم يكترون لي .
فوجدت صديقاً لي من الدهاقين^٨ ، من أهل ميسان^٩ ، قد اكترى سميرية^{١٠}
لنفسه ، فحملني معه .

فقدمت على عبد الملك بن أيوب بكتاب أبي جعفر ، فأقعدني عنده ، فلم
أقم حتى رد علي جميع ما اصطفي لي^{١١} .

وأخبرني بهذا الخبر أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأنباري^{١٢} ، المعروف بأبن

٨ الدهقان ، وجمعه دهاقين : صاحب القرية ، أو مالك الأرض ، فارسيّة (المعجم الذهبي) .

٩ ميسان : قال باقوت في معجم البلدان ٧١٤/٤ إنها كورة واسعة كثيرة القرى والنخل ، بين واسط والبصرة ،
سميت في العهد العثماني وما بعده باسم العمارة ، وأعيد إليها اسمها الأول أي ميسان في السنوات الأخيرة ،
وفيها قبر النبي العزيز ، واليهود يسمونه : عزره ، كاتب التوراة ، في منطقة اسمها : قلعة صالح ،
وقد رأيت معموراً يقوم بخدمته اليهود .

١٠ السميرية ، والسمارية : زورق يتخذ لنقل المسافرين ما بين بلد وبلد ، أو لإجازة من يريد العبور من
أحد جانبي النهر إلى الجانب الآخر ، راجع معجم المراكب والسفن في الإسلام لحبيب زيات بمجلة
المشرق م ٤٣ .

١١ لم ترد هذه القصة في ر ولا في غ ، ووردت في مخطوطة (د) ص ١٦٣-١٦٥ ، وفي نشوار المحاضرة
٧٧/٦ .

١٢ أبو القاسم إسماعيل بن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الكاتب المعروف بأبن بزنجي الكاتب : كان أبوه
يكتب لابن الفرات قبل وزارته ، وفي أيامها ، وكتبنا له معاً أيام الوزارة ، وهما مصدر الكثير من أخبار
الوزير ابن الفرات ، في وزارته ، وقبلها (الوزراء للصابي ٣٠-٣٢٨) .

زنجي ، قال : حدّثني أبو عليّ الحسين بن القاسم الكوكبي^{١٣} ، قال : حدّثني
ابن أبي سعيد^{١٤} ، قال : حدّثنا ابن دريد ، وذكر بإسناده مثله .

١٣ أبو عليّ الحسين بن القاسم الكوكبي : ترجم له الخطيب في تاريخه ٨/٨٦ وقال عنه : إنّه صاحب
أخبار وآداب توفي سنة ٣٢٧ .

١٤ أبو بكر عبد الله بن أبي سعيد الوراق : ترجم له الخطيب في تاريخه ٩/٤٧٣ .

المأمون يغضب على إبراهيم الصولي ثم يرضى عنه

[أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، فيما أجاز لي روايته عنه ، بعدما سمعته من حديثه ، قال : ^١ أخبرني أبو بكر محمد بن سعيد الصوفي ^٢ ، قال : حدثني محمد بن صالح بن النطّاح ^٣ ، قال : لما عزم [٢٢٧ م] المأمون على الفتك بالفضل بن سهل ، وندب إليه عبد العزيز بن عمران الطائي ^٤ ، ومؤنساً البصري ^٥ ، وخلف المصري ^٦ ، وعليّ بن أبي سعيد السلميتي ^٧ ، وسراج الخادم ^٨ ، أنهي الخبر إلى الفضل ، فعاتبه عليه .

١ / الزيادة من ن .

٢ أبو بكر محمد بن سعيد الحربي الصوفي : أحد شيوخ الصوفية ، ترجم له الخطيب في تاريخه ٣١٠/٥ .

٣ أبو النّياح محمد بن صالح بن مهران النطّاح البصري : ترجمته في حاشية القصة ٢٦ من هذا الكتاب .

٤ عبد العزيز بن عمران الطائي : من قوّاد المأمون (الطبري ٥٦٤/٨) اتهمه بالاشتراك في المؤامرة على قتل وزيره ذي الرياستين الفضل بن سهل ، فقتله في السنة ٢٠٢ (الطبري ٥٦٥/٨) .

٥ سناه الطبري : موسى أحد قوّاد المأمون ، اتهمه بالاشتراك في المؤامرة على قتل الوزير الفضل بن سهل ، فقتله (الطبري ٥٦٥/٨) .

٦ خلف المصري : أحد قوّاد المأمون ، اتهمه بالاشتراك في المؤامرة على قتل الوزير الفضل ، فقتله (الطبري ٥٦٥/٨) .

٧ علي بن أبي سعيد : ابن أخت الفضل بن سهل الوزير (الطبري ٥٦٤/٨) أحد القوّاد الكبار في جيش المأمون ، ولّاه في السنة ١٩٨ خراج العراق (الطبري ٥٢٧/٨) وحارب تحت قيادة الحسن بن سهل في العراق (الطبري ٥٣١/٨ ، ٥٣٣ ، ٥٣٥) ، ثمّ خالف على الحسن في السنة ٢٠٠ وشخص إلى المأمون (الطبري ٥٤١/٨) وفي السنة ٢٠٢ اتهمه المأمون بالاشتراك في المؤامرة على الوزير الفضل فقتله (الطبري ٥٦٤/٨ و ٥٦٥) .

٨ سراج الخادم : خدام المأمون ، كان المأمون ينقله في المهم من أموره (الطبري ٥٤١/٨) .

فلما قتل الفضل^٩ ، قيل للمأمون : إنه عرفه من جهة إبراهيم بن العباس الصولي ، فطلبه ، فاستتر .

وكان إبراهيم عرف هذا الخبر من جهة عبد العزيز بن عمران ، وكان الفضل قد استكتب إبراهيم لعبد العزيز ، فعلمه منه ، فأخبر الفضل .

وتحمّل إبراهيم بالناس على المأمون ، وجرد في أمره هشام الخطيب ، المعروف بالعباسي ، لأنه كان جريئاً على المأمون ، ولأنه رباه ، وشخص إلى خراسان ، في فتنة إبراهيم بن المهدي ، فلم يجبه إلى ما سأل .

فلقبه إبراهيم بن العباس ، مستتراً ، وسأله عما عمل في حاجته ؟ فقال له هشام : قد وعدني في أمرك بما تحبّ .

فقال له إبراهيم : أظنّ الأمر على خلاف هذا .

قال : لم ؟

قال : لأنّ محلك عند أمير المؤمنين أجلّ من أن يعد [٨٣ ن] مثلك شيئاً ويؤخّره ، ولكنك سمعت فيّ ما لا تحبّ ، فكرهت أن تغمّي به ، فقلت لي هذا القول ، فأحسن الله - على كلّ الأحوال - جزاءك .

ففضى هشام إلى المأمون ، فعرفه خبر إبراهيم فعجب من فطنته ، وعفا عنه^{١٠} .

٩ في الطبري ٥٦٥/٨ وفي ابن الأثير ٣٤٧/٦ : إنّ الذين قتلوا الفضل ، أربعة : غالب المسعودي الأسود ، وقسطنطين الرومي ، وفرج الديلمي ، وموفق الصقلي ، وإنّ المأمون قتلهم .

١٠ هذه القصة لم ترد في ر ولا في غ .

الأمير سيف الدولة

يصفح عن أحد أتباعه ويعيد إليه نعمته

حدّثني عبد الله بن أحمد بن معروف ، أبو القاسم^١ ، قال : كنت بمصر ، وكان بها رجل يعرف بالناصري^٢ ، من تناء حلب^٣ ، قد قبض سيف الدولة على ضيعته ، وصادره .

فهرب منه إلى كافور الإخشيدي^٤ ، فأجرى عليه جراية سابعة في كلّ شهر . وكان يجري على جميع من كان يقصده ، من الجرايات التي تسمّى الراتب ، وكان مالا عظيماً قدره في السنة خمسمائة ألف دينار^٥ ، لأرباب النعم ، وأجناس الناس ، ليس لأحد من الجيش ، ولا من الحاشية ، ولا من المتصرفين في الأعمال ، شيء منها .

قال : فجرى يوماً ذكر هذا الناصري بحضرة كافور ، وقيل له بأنّه بغاء ، وكثرت عليه الأقاويل في ذلك ، فأمر بقطع جرايته . فرفع إليه قصّة^٥ يشكو فيها انقطاع مادّته ، ويسأل التوقيع بإجرائه على رسمه .

١ أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن معروف ، أخو قاضي القضاة أبي محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف : ترجمته في حاشية القصّة ٢٦٢ من الكتاب .

٢ التانى : المقيم في البلد من وجوه أهلها ، والجمع : تناء .

٣ أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي (٢٩٢-٣٥٧) : كان مملوكاً للإخشيدي صاحب مصر ، ولما توفّي الإخشيدي ، وخلفه ولده ، سيطر كافور على المملكة ، وحكم مصر حكماً مستمراً دام ٢٢ سنة ، توفّي بالقاهرة ، وقد خلّده المتنبّي مدحاً وذمّاً (الأعلام ٦/٦٨) .

٤ في القصّة ١٢٠/٣ من كتاب نشوار المحاضرة : خمسون ألف دينار .

٥ القصّة ، بكسر القاف : في اللغة الحديث ، وفي الاصطلاح الرقعة التي ترفع إلى الحاكم ، إما بالنظم (القصّة ٢٨/٥ من نشوار المحاضرة) ، أو للاستراحة (القصّة ١٣/١ من نشوار المحاضرة) ، أو التقرير =

فأمر فوّقع على ظهرها : قد صحّ عندنا أنّك رجل تصرف ما تجريه عليك فيما يكره الله عزّ وجلّ ، من فساد نفسك ، وما نرى أن نعينك على ذلك ، فالحق بحيث شئت ، فلا خير لك عندنا بعدها .

قال : فخرج التوقيع إلى الرجل ، فعنّم ذلك ، وعمل محضراً أدخل فيه خطّ خلقي كثير ممن يعرفه ، أنّه مستور ، وما قرف قط ببغاء .
وكتب رقعة إلى كافور ، يحلف فيها بالطلاق والعناق والأيمان الغليظة ، أنّه ليس ببغاء ، واحتجّ بالمحضر ، وجعل الرقعة طيّ المحضر .

وقال فيها : أنّه لم يكن يدفع إليه ما يدفع لأجل حفظه فرجه أو هتكه ، وإلّا ما كان ذلك لأنّه منقطع ، وغريب ، وهارب ، ومفارق بنعمة ، وإنّ الله عزّ وجلّ أقدر على قطع أرزاق مرتكبي المعاصي ، وما فعل ذلك بهم - بل رزقهم - وأمهلهم ، وأمرهم بالتوبة ، وإنّه إن كان ما قذف به صحيحاً ، فهو نائب إلى الله عزّ وجلّ منه ، وسأله ردّ رسمه إليه ، ورفع القصّة إلى كافور .
قال : فما أدري إلى أيّ شيء انتهى أمره ، إلّا أنّه صار فضيحة [٢٨١ غ] وتحدّث الناس بحديثه .

واتفق خروجي من مصر ، عقيب ذلك ، إلى حضرة سيف الدولة ، فلقيته بحلب ، وجرت أحاديث المصريين ، وكان يتشوّق أن يسمع حديث صغيرهم وكبيرهم ، ويعجبه أن يذكر له .

الذي يرفعه صاحب الربع لحاكم البلد (القصّة ٦٨/٣ من نشوار المحاضرة) ، وكان المنظّم الذي يخشى أن لا تصل قصّته إلى الحاكم ، يرفع قصّته على قصبة ، ويقف في الطريق الذي يمرّ به الحاكم ، فإذا مرّ ، رفعها ، وحركها أمامه ، فيراها ، ويأمر بأخذها (القصّة ١٥١/٧ من كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي) أما القصّة بمعنى الحكاية ، فعروفة ، والذي يروي القصّة ، يسمّى (القاصّ) ويسمّيه البغداديون : قصّه خون ، محرّقة عن : خوان ، فارسيّة ، بمعنى : قارئ ، أو راوي ، وكان هذا الاسم يطلق على القاصّ الذي يستأجره صاحب المقهى ، فيتصدّر المجلس ويقرأ على المجتمعين قصّة عنتر ابن شدّاد ، وقصّة أبي زيد الهلالي ، وقد انقرض هذا النوع من القصّاص في بغداد منذ زمن .

قال : فقلت : من عجيب ما جرى بها آنفاً ، أنه كان بها رجل يقال له الناضري ، وقصصت القصة عليه .

فضحك من ذلك ضحكاً عظيماً ، وقال : هذا المشؤوم بلغ إلى مصر ؟ فقلت : نعم .

فقال لي محمد الأسمر النديم : إعلم أن هذا [٢٢٨ م] الرجل صديقي جداً ، وقد هلك ، وافترق ، وفارق نعمته ، فأحب أن تخاطب الأمير في أمره ، عقيب ما جرى آنفاً ، لأعاونك ، ففعل الله عز وجل أن يفرج عنه . فقلت : أفعل .

وأخذ سيف الدولة يسألني عن الأمر ، فأعدت شرحه ، وعاد ، فضحك . فقلت : أطل الله بقاء مولاي الأمير ، قد سررت بهذا الحديث ، ويجب أن يكون له ثمرة ، إماماً لي ، وإماماً للرجل الذي تركته فضيحة بحلب ، بما أخبرت من قصته ، زيادة على فضيحته بمصر . فقال : إماماً لك ، فنع ، وإماماً له ، فلا يستحق ، فإنه فعل وصنع ، وجعل يطلق القول فيه .

قال : فقلت له : فوائدي من مولانا متصلة ، ولست أحتاج مع إنعامه ، وترادف إحسانه ، إلى التسبب في الفوائد ، ولكن إن رأى أن يجعلها لهذا المفتضح المشؤوم .

فقال : تنفذ إليه سفتجة بثلاثة آلاف درهم .

قال : فشكرته الجماعة ، وخاطبته في أن يأذن له بالعودة [إلى وطنه ، ويؤمّنه .

قال : فكتب أماناً له مؤكداً ، وأذن له في العود^٦ .

قال : فغمزني الأسمر في الإسترادة .

فقلت : أطل الله بقاء مولانا الأمير ، إن الثلاثة آلاف درهم لو أنفذت إلى

٦ ساقطة من غ .

مصر ، إلى أن يؤذن له في العود ، ما كفته لمن يحمله على نفسه ، لأنّ أكثر [٢٦٢ ر] أهل مصر بغاؤون ، وقد ضايقوه في الناقة ، وغلبوه باليسار ، فلا يصل هو إلى شيء إلا بالغرم الثقيل .

قال : فأعجبه ذكر أهل مصر بذلك ، فقال : كيف قلت هذا يا أخ ؟
فقلت : إنّ المياسير من أهل مصر ، لهم العبيد العلوج ، يأتونهم ، لكل واحد منهم عدّة غلمان ، والمتوسّطون ، يدعون العلوج ، والزنوج ، المشهورين بكبر الأيور ، وينفقون عليهم أموالهم ، ولا يصل الفقير المتجمل إليهم .
ولقد بلغني أيضاً ، وأنا بمصر ، أنّ رجلاً من البغّائين بها اشتدّ عليه حكاكه ، فطلب من يأتيه ، فلم يقدر عليه ، فخرج إلى قرية ، ذكر أنّها قرية من مصر ، فأقام بها .

فكان إذا اجتاز به المجتازون ، استغوى منهم من يختاره لهذا الحال ، فحمله على نفسه ..

فكان يعيش بالمجتاز بعد المجتاز ، ويتمكّن من إرضائه بما لا يمكنه في مصر .
فعاش بذلك برهة ، حتى جاء يوماً بغاء آخر ، فسكن معه في الموضع ، فكان إذا جاء الغلام الذي يصلح لهذا الشأن ، تنافسا عليه ، ففسد على الأوّل أمره .

فجاء إلى الثاني ، فقال : يا هذا ، قد أفسدت أمري ، وأبطلت عملي ، وإمّا خرجت من مصر ، لأجل المنافسة في الناقة ، وليس لك أن تقيم معي ها هنا .

[فقال له الثاني : سواء العاكف فيه والباد^٧ ، وما أبرح من ها هنا^٨ .
فقال له الأوّل : بيني وبينك شيخنا ابن الأعجمي الكاتب^٩ ، رئيس البغّائين

٧ يريد بالعاكف : المقيم ، وبالباد : غير المقيم ، أي المجتاز .

٨ ساقطة من غ .

٩ في غ : ابن العجمي .

بمصر ، وجذبه إلى حضرته ، فتحاكما إليه .
 [فقال : إني لما كنت اشتدّ بي أمري الذي تعرفه ، ومنعني فقري من اتّخاذ
 الناقة بمصر ، عدلت إلى الموضع الفلاني ، فعملت كذا ، وقصّ عليه القصّة ،
 فجاء هذا ، وصنّع ، وقصّ عليه القصّة ، وشرح له أمره ، فإن رأيت أن تحكم
 بيني وبينه ، فاحكم]^{١٠} .
 فحكم ابن العجمي للأوّل ، ومنع الثاني من المقام ، وقال له : ليس لك أن
 تفسد عليه عمله وناحيته ، فاطلب لنفسك موضعاً آخر .
 فكيف يمكن للناصريّ [٢٨٣ غ] - أيّد الله مولانا الأمير - أن يستغني
 بثلاثة آلاف درهم أمرت له بها في بلد هذه عزّة الناقة فيه ، وكثرة البغّاثين ؟
 هذا لو كان مقيماً ، فكيف وقد أنعمت عليه بالإذن في المسير ، ويحتاج إلى
 بغال يركبها في الطريق بأجرة ، ونفقة ، وديون عليه يقضيها ، وموّن .
 قال : فضحك ضحكاً شديداً من حكاية البغّاثين ، وحكم ابن العجمي
 بينهما ، [وكان هذا من مشهوري كتاب مصر]^{١١} .
 قال : فاجعلوها خمسة آلاف درهم .
 قال : فقلت أنا والأسمر : فيعود الرجل - أطال الله بقاء مولانا الأمير - وقد
 أنفقها في الطريق ، إلى سوء المنقلب ؟
 وكان يعجبه أن يماكس في الجود ، فيجود مع المسألة ، بأكثر مما يؤمّل منه ،
 ولكن مع السؤال ، والدخول عليه مدخل المزاح في ذلك ، والطيبة ، واقتضاء
 الغرماء بعضهم لبعض في ذلك ، وما شابهه^{١٢} .
 فقال : قد طولّتم عليّ في أمر هذا الفاعل الصانع ، أطلقوا له عن [٢٢٩ م]

١٠ الزيادة من القصّة رقم ١٢٠/٣ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي .

١١ الزيادة من القصّة ١٢٠/٣ من نشوار المحاضرة .

١٢ بشأن طبيعة الأمير سيف الدولة في إسداء المكارم ، راجع القصّة ١٦٣/٢ من نشوار المحاضرة .

ضيعته بأسرها ، ووقعوا له بذلك إلى الديوان ، وعن مستغله ، ومروا [٨٤ ن] من في داره ، بالخروج عنها ، وتقدموا له بأن تفرش أحسن من الفرش الذي نهب له منها لما سخط عليه .

قال : فأكبت الجماعة ، يقبلون يديه ورجليه ، ويحلفون أنهم ما رأوا ، ولا سمعوا ، بمثل هذا الكرم قط ، ويقولون : هذا مع سوء رأيك في الرجل ، وسوء حديثه ، فما على وجه الأرض بغاء أقبل على صاحبه بسعد ، مثل هذا .

قال : فضحك ، ونفذت الكتب والتوقيعات بما ذكره ورسمه .

فلما كان بعد مدة - وأنا بحلب - جاء الرجل ، وعاد إلى نعمته ^{١٣} .

١٣ لم ترد هذه القصة في ر ، ووردت في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي مؤلف هذا الكتاب .

ربما تجزع النفوس من الأمر له فرجة كحلّ العقل

أخبرني أبو بكر أحمد بن كامل القاضي^١ ، قال : حدّثنا أبو شيبيل عبيد الله ابن عبد الرحمن بن واقد^٢ ، قال : حدّثنا الأصمعيّ ، قال : حدّثنا أبو عمرو بن العلاء^٣ ، قال :
خرجت هارباً من الحجّاج إلى مكّة ، فبينما أنا أطوف بالبيت ، إذا أعرابيّ ينشد :

يا قليل العزاء في الأحوال	وكثير الهموم والأوجال
لا تضيقنّ في الأمور فقد يك	شف غماؤها بغير احتيال
صبر النفس عند كلّ ملّم	إنّ في الصبر راحة المحتال
ربما تجزع النفوس من الأم	ر له فرجة كحلّ العقل

١ أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف القاضي (٢٦٠-٣٥٠) : كان عالماً بالأحكام وعلوم القرآن والنحو والشعر وأيام الناس ، وله مصنفات ، ولّاه القاضي أبو عمر قضاء الكوفة (تاريخ بغداد للخطيب ٣٥٧/٤) راجع ما كتبه عنه صاحب تجارب الأمم ١٨٤/٢ .

٢ أبو شيبيل عبيد الله بن عبد الرحمن بن واقد ، المعروف بابن أبي مسلم الواقدي : ترجم له الخطيب في تاريخه ٣٤٠/١٠ وقال إنه توفّي سنة ٢٩٨ ، وورد في اللباب ٢٦٠/٣ أنّه أبو شيبيل عبد الله بن عبد الرحمن ابن واقد الواقدي الدقاق .

٣ أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني البصري (٦٨-١٥٦) : قيل اسمه العريان ، وقيل اسمه زبان ، والأكثر أنّ كنيته اسمه ، أحد القراء السبعة ، كان أعلم الناس بالقرآن والنحو والعربية والشعر والأدب ، سئل : حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلّم ؟ فقال : ما دامت الحياة تحسن به ، وكان له في كلّ يوم فلسان ، يشتري بأحدهما كوزاً جديداً يشرب فيه يومه ، ثم يتركه لأهله ، ويشتري بالآخر ريحاناً يشمه يومه ، فإذا أمسى ، قال لجارته : جفّفيه ودقّيه في الأسنان (وفيات الأعيان ٤٦٦/٣-٤٦٨) .

فقلت : مه ؟

فقال : مات الحجاج^٤ .

[قال : فلا أدري بأيّ القولين كنت أسرّ ، بقوله : فَرَجَةٌ ، بفتح الفاء ، أو بموت الحجاج]^٥ .

ووجدتُ هذا الخبر بغير إسناد في بعض الكتب ، وفيه : أن أبا عمرو بن العلاء سمع أعرابياً ينشد هذه الأبيات :

يا قليل العزاء في الأهوال وكثير الهموم والأوجال
لا تضيقن في الأمور فقد تك شف غماؤها بغير احتيال
صبر النفس عند كلّ مهمّ إنّ في الصبر حيلة المحتال^٦
ربّما تجزع النفوس من الأم رله فرجة كحلّ العقال

[قيل : والفُرجة : من الفرج ، والفُرجة : فرجة الحائط]^٧ .

ووجدت بخطّ أبي عبد الله بن مقلة^٨ ، في كتاب الأبيات السائرة : قال

٤ روى القاضي ابن خلكان في وفيات الأعيان ٤٦٧/٣ هذه القصّة عن أبي عمرو ، وذكر أن الهارب من

الحجاج أبوه ، وأنه كان مع أبيه ، ورواها كذلك صاحب الغيث المسج ١٧٢/٢ .

٥ الزيادة من غ ، وورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٥٧ .

٦ ورد هذا البيت في غ .

٧ الزيادة من غ .

٨ أبو عبد الله الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الله ، المعروف بابن مقلة (٢٧٨-٣٣٨) : ومقالة اسم أمّ لم ، وأبو عبد الله ، أخو الوزير أبو علي محمد بن علي بن مقلة ، كان الوزير أوحّد الدنيا في كسبة قلم الرقاع والتوقيعات ، وكان أبو عبد الله هذا أكتب من أخيه في قلم الدفاتر والنسخ ، وكان منقطعاً إلى بني حمدان ، يقومون بأمره ، وقد أنزلوه في دار قوراء حسنة ، وفيها فرش تشاكلها ، ومجلس ، وله دشت للنسخ ، وحوض فيه أقلام ومحابر ، فيقوم ويتمشّى في الدار إذا ضاق صدره ، ثم يعود فيجلس في بعض تلك المجالس ، وينسخ ما يحفّ عليه ، ثم ينهض ويطوف على جوانب البستان ، ثم يجلس في مجلس آخر ، وينسخ أوراقاً آخر ، فاجتمع في خزائهم من خطّه ما لا يحصى (معجم الأدباء ١٥٠/٣) .

أمية بن أبي الصلت :

ربما تكره النفوس من الشئ لها فرجة كحلّ العقال
وقال القاضي أبو الحسين في كتابه : روى المدائني ، عن الأصمعي ، عن
أبي عمرو بن العلاء ، قال :
كنت مستخفياً من الحجاج بن يوسف الثقفي ، فسمعت قائلاً يقول :
مات الحجاج

ربما تجزع النفوس من الأم رله فرجة كحلّ العقال
وقال القاضي : وجدت أنا في كتاب المدائني ، كتاب الفرج بعد الشدة
والضيقة ، هكذا :

حدثني علي بن أبي الطيب ، قال : حدثنا ابن الجراح ، قال : حدثنا
ابن أبي الدنيا ، قال : حدثنا أبو عدنان ، قال : حدثنا أبو عبيدة معمر بن
المثنى ، عن يونس بن حبيب ، قال : قال أبو عمرو بن العلاء^٩ :
كنت هارباً من الحجاج بن يوسف ، فصرت إلى اليمن ، فسمعت منشداً
ينشد :

ربما تجزع النفوس من الأم رله فرجة كحلّ العقال
فاستطرف قوله : فرجة ، فأنا كذلك ، إذ سمعت قائلاً يقول : مات الحجاج ،
فلم أدر بأيّ الأمرين كنت أشدّ فرحاً ، بموت الحجاج ، أو بذلك البيت^{١٠} .
وأخبرني محمد بن الحسن بن المظفر بن الحسن^{١١} ، قال : حدثنا أبو عمر

٩ في ن : حدثني علي بن أبي الطيب ، قال : حدثنا ابن الجراح ، قال : حدثنا ابن أبي الدنيا ، قال :
حدثني عبد الرحمن بن أخي الأصمعي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبو عمرو بن العلاء .

١٠ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٥٣ .

١١ أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر المعروف بالحاتمي : ترجمته في حاشية القصة ١٣ من هذا الكتاب .

محمد بن عبد الواحد الزاهد ، المعروف بـ غلام ثعلب ، قال : أخبرنا أبو العباس أحمد بن يحيى ، ثعلب ، عن أبي منصور^{١٢} ابن أخي الأصمعي ، عن أبي عمرو ابن العلاء ، قال :

كنت مستخفياً من الحجاج ، وذلك أنّ عمّي كان عاملاً له ، فهرب ، فهمّ بأخذي .

فبينما أنا على حال خوفي منه ، إذ سمعت منشداً ينشد :

ربما تجزع النفوس من الأم رلها فرجة كحل العقال
وذكر الحديث ، وزاد فيه : أنّ ثعلباً قال : إنّ أبا عمرو كان يقرأ : إلّا من اغترف غرقةً ، وفرجةً - بفتح الفاء - شاهد في هذه القراءة^{١٣} .

١٢ في ن : عن أبي نصر عن الأصمعي .

١٣ لم ترد هذه القصة في ر .

الوليد بن عبد الملك يعفو عن القمير التغلبي

وذكر أبو الحسن المدائني ، في كتابه ، بغير إسناد ، أنَّ القمير التغلبي^١ ،
قال في الوليد بن عبد الملك [م ٢٣٠]

أتنسى يا وليد بلاء قسومي بمسكن والزير يّون صيد [٢٨٣ غ]
أتسانا إذا استغنيت عنا وتذكرنا إذا صلّ الحديد

فطلبه الوليد ، فهرب منه .

فلما ضاقت به البلاد ، واشتدّ به الخوف ، أتى دمشق مستخفياً ، حتى حضر
عشاء الوليد ، فدخل مع الناس .

فلما أكل الناس بعض الأكل ، عرف القمير رجل إلى جانبه ، فأخبر الوليد .
فدعا بالقمير ، وقال له : يا عدوّ الله ، الحمد لله الذي أمكنني منك بلا
عقد ولا ذمّة ، أنشدني ما قلت .

فتلكاً ، ثم أنشده ، فقال له الوليد : ما ظنك بي ؟
فقال : إني قلت في نفسي ، إن أمهلت حتى أطأ بساطه ، وآكل طعامه ،
فقد أمنت ، وإن عوجلت قبل ذلك فقد هلكت ، وقد أمهلت حتى وطئت بساطك ،
يا أمير المؤمنين ، وأكلت طعامك ، فقد أمنت .

١ كذا ورد في م ، وفي غ : الفهر التغلبي ، وفي ن : العمر التغلبي ، ولعله عمير التغلبي أبو سعيد عمير
ابن شيم بن عمرو بن عباد ، الملقّب بالقطامي : شاعر غزل ، كان نصرانياً وأسلم ، وهو صاحب
البيت المشهور :

قد يدرك المتأبّي بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

راجع ترجمته في الأعلام ٢٦٤/٥ .

فقال له الوليد : فقد أمنت ، فانصرف راشداً .
فلما ولى ، تمثّل الوليد قائلاً :
شمس^٢ العداوة حتى يستقاد لهم^٣ وأعظم الناس أحلاماً^٤ إذا قدرُوا

٢ الشماس : شدة العداوة والشر .

٣ استقاد : ذلّ وخضع .

٤ الحلم ، وجمعه أحلام : الصبر والأناة والعقل .

مزنة امرأة مروان الجعدي

تلجأ إلى الخيزران جارية المهدي

حدّثني طلحة بن محمد بن جعفر ، المقرئ ، الشاهد ، قال ^١ : حدّثني أبو عبد الله الحرّمي بن أبي العلاء ، كاتب القاضي أبي عمر ، قال : حدّثنا أبو علي الحسن بن محمد بن طالب الديناري ، قال : حدّثني الفضل بن العباس ابن يعقوب بن سعيد بن الوليد بن سنان بن نافع ، مولى العباس بن عبد المطلب ، قال : [حدّثني أبي] ^٢ ، قال : ما أتيت زينب بنت سليمان بن علي الهاشمي ^٣ ، قط ، فانصرفت من عندها إلا بشيء وإن قلّ .

وكان لها وصيفة يقال لها : كتاب ، فعلقتها .
فقلت لأبي : أنا - والله - مشغول القلب بكتاب ، جارية زينب .
فقال لي : يا بنيّ اطلبها منها ، فإنّها لا تمنعك إيّاها .
فقلت : قد كنت أحبّ أن تكون حاضراً لتعيني عليها .

١ في كتاب المستجد من فعلات الأجواد للقاضي التنوخي : روى أبو موسى محمد بن الفضل بن يعقوب ، كاتب عيسى بن جعفر ، ووصيّته ، قال : حدّثني أبي ، قال ... الخ .

٢ الزيادة من ن .

٣ زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس : أميرة عباسيّة ، من ذوات الرأي والمكانة ، كان أبوها أمير البصرة ، ولما ظهر إبراهيم بن عبد الله العلويّ بالبصرة ، مضى بنفسه حتّى وقف على بابها ، فتأذى بالأمان لآل سليمان (الطبري ٥٣٦/٧) ، وكان الخلفاء العباسيّون يحلّونها ويقدمونها ، وكان المهديّ أمر الخيزران بأن تلزم زينب ، وقال لها : اقتبسي من آدابها ، وتخذي من أخلاقها ، فإنّها عجزونا ، وقد أدركت أوائلنا ، توفّيت سنة ٢٠٤ ببغداد (الأعلام ١٠٧/٣) .

فقال : ليس بك إليّ ، ولا إلى غيري من حاجة .
فعدوت إليها ، فلمّا انقضى السلام ، قلت : جعلني الله فداك ، فكُرت في
حاجة ، فسألت أبي أن يحضر كلامي إياك فيها ، لأستعين به ، فأسلمني ، فقالت :
يا بنيّ ، إنّ حاجة لا تقضى لك حتى تحضر أباك فيها ، لحاجة عظيمة القدر .
ثم قالت : ما هي ؟

فقلت : كتاب ، وصيفتك ، أحبّ أن تهيبها لي .
فقالت : أنت صبيّ أحمق ، اقمعد ، حتى أجدّتك حديثاً ، أحسن من
كلّ كتاب على وجه الأرض ، وأنت من كتاب على وعد .
فقلت : هاتي ، جعلني الله فداك .

فقالت : كنتُ - من أوّل أمس - عند الخيزران [٨٥ ن] ، ومجلسي
ومجلسها - إذا اجتمعنا - في عتبة باب الرواق ، وبالقرب منّا في صدر المكان ،
برذعة^٤ ، ووسادتان ، ومسانيد ، عليها سبنيّة^٥ ، لأمير المؤمنين .
وهو كثير الدخول إليها والجلوس عندها ، فإذا جاء جلس في ذلك الموضع ،
وإذا انصرف ، طرحت عليه السبنيّة إلى وقت رجوعه ، فإنّا لجلوس ، إذ دخلت
عليها إحدى جواريتها ، فقالت : يا ستيّ ، بالباب امرأة ما رأيت أحسن منها
وجهاً ، ولا أسوأ حالاً ، عليها قميص ما يستر بعضه موضعاً من بدنّها ، إلّا انكشف
منها موضع آخر غيره ، تستأذن عليك .

٤ البرذعة : الأصل فيها أنّها كساء يلقى على ظهر الدابة ، ثمّ استعير للفرش الذي يوضع في الحجرة
من أجل الراحة والاستمتاع ويسمّى عند الافرنج : شيزلونك ، راجع نشوار المحاضرة ، القصة ٩٠/١ ،
ج ١ ص ١٧٥ سطر ١٤ .

٥ السبنيّة : ضرب من الثياب الكتّان أغلظ ما يكون (معجم البلدان ٣/٣٥) ، وهذا القماش بالنظر لثباته
كانت تتخذ منه الستائر (القصة ٣٤/٢ و ٤٨/٨ من نشوار المحاضرة) وأغطية الفرش (كما في هذه
القصة) ، ويحمل فيه المرضى والزمنى (القصة ٥٨/٤ من نشوار المحاضرة) أقول : واللفظة مستعملة إلى
الآن في بغداد ، وقد حرّفت إلى : شبليّة ، يقال : جابوه شايليه بشبليّة .

فالتفتت إليّ ، وقالت : ما ترين ؟

فقلت : تسألين عن اسمها ، وحالها ، ثم تأذنين لها على علم ، فقالت الجارية :
قد والله جهدت [٢٨٤ غ] بها كلّ الجهد ، أن تفعل ، فما فعلت ، وأرادت
الانصراف ، فنعتها .

فقلت للخيزران : وما عليك أن تأذني لها ، فأنت منها بين ثواب ومكرمة ،
فأذنت لها .

فدخلت امرأة على أكثر مما وصفت الجارية ، وهي مستخفية ، حتى صارت
إلى عضادة الباب^٦ ، مما يليني ، وكنت متكنة .

فقالت : السلام عليكم ، فرددنا عليها السلام .

ثم قالت للخيزران : أنا [مزنة]^٧ امرأة [٢٣١ م] مروان بن محمد .

قالت : فلما وقع اسمها في أذني ، استويت جالسة^٨ ، ثم قلت : مزنة ؟

قالت : نعم .

قلت : لا حيّك الله ، ولا قرّبك ، الحمد لله الذي أزال نعمتك ، وأدال
عزّك ، وصيّرك نكالا وعبرة ، أتذكرين يا عدوة الله ، حين أذاك عجائز أهل
بيتي يسألنك أن تكلمي صاحبك في إنزال إبراهيم بن محمد من خشبته^٩ ،
فلقيتين ذلك اللقاء ، وأخرجتين ذلك الإخراج ، الحمد لله الذي أزال نعمتك .

٦ عضادتا الباب : خشبته من جانبيه .

٧ الزيادة من المستجد ص ٢٢ .

٨ في غ : استويت قاعدة .

٩ في المستجد للتنوخي : في الإذن بدفن إبراهيم بن محمد ، وقد اختلفت الروايات في كيفية موت إبراهيم ،
فقول إنّه لم يقتل ، وأنما مات في حبس مروان بالطاعون (الطبري ٤٣٥/٧) وقول : إن مروان حبسه في
بيت ثمّ هدمه عليه فقتله (الطبري ٤٣٦/٧ ، والكامل لابن الأثير ٤٢٢/٥) وقول : إنّه سمّ في لبن شربه
فأصبح ميتاً (الطبري ٤٣٧/٧ وابن الأثير ٤٢٣/٥) وقول : إنهم جعلوا رأسه في جراب فيه نورة مسحوقه ،
فاضطرب ساعة ، ثمّ خمد (مروج الذهب ١٩٣/٢) ، وأنا إلى تصديق القول الأول أميل .

فضحكت - والله - المرأة ، حتى كادت تهقه ، وبدا لها ثغر ، ما رأيت أحسن منه قط .

وقالت : أي بنت عم ، أي شيء أعجبك من حسن صنع الله بي على ذلك الفعل ، حتى أردت أن تتأسي^{١٠} بي ، [والله ، لقد فعلتُ بنساء أهل بيتك ، ما فعلتُ ، فأسلمني الله إليك جائعة ، ذليلة ، عريانة ، فكان هذا مقدار شكرك لله تعالى على ما أولاك فيّ ، ثم قالت :]^{١١} السلام عليكم .

ثم ولّت خارجة تمشي خلاف المشية التي دخلت بها .
فقلت للخيزران : إنها مخبأة من الله عزّ وجلّ ، وهديّة منه إلينا ، والله - يا خيزران - لا يتولّى إخراجها مما هي فيه أحد غيري .

ثم نهضت على أثرها ، فلما أحسّت بي أسرعّت ، وأسرعّت خلفها ، حتى وافيتها عند السر ، ولحقتني الخيزران ، فتعلّقت بها .

وقلت : يا أخت ، المездеرة إلى الله - عزّ وجلّ - وإليك ، فأبّي ذكرت ، بمكانك ، ما نالنا من المصيبة بصاحبنا ، فكان ممّي ما وددتُ أنّي غفلت عنه ، ولم أملك نفسي .

وأردت معانقتها ، فوضعت يدها في صدري ، وقالت : لا تفعلّي ، يا أخت ، فأبّي على حال ، أصونك من الدنو منها .

فرددناها ، وقلت للجواري : أدخلن معها الحمام .

وقلت للمواشيط : اذهبن معها ، حتى تصلحن حفافها^{١٢} ، وما تحتاج إلى

١٠ التأسي : الاقتداء .

١١ الزيادة من المستجد للتوخي ص ٢٢ .

١٢ الحفاف : الطرّة من الشعر ، أو ما سقط منه ، والحفّ : في اللّغة : القشر ، وفي الاصطلاح : إزالة الشعر ، والكلمة ما زالت مستعملة ببغداد بهذا المعنى ، والبغداديات كنّ يحفن وجوههنّ وأبدانهن ويستعملن في ذلك خيوطاً من القطن وطحن الاسفيداج ، ويسمونه (سبداج) ، وكان ذلك قبل أن تغمر أسواق العراق ، أسباب التزيّن الافرنجية من مساحيق ودهون ، راجع حاشية القصة ٣٦١ من هذا الكتاب .

إصلاحه من وجهها .

ففضت ، ومضين معها ، ودعونا بكرسي ، وجلسنا أنا والخيزران عليه ، في صحن الدار ، ننتظر خروجها .

فخرجت إلينا إحدى المواشط^{١٣} وهي تضحك .

فقلت لها : ما يضحكك ؟

فقالت : يا سَيِّ ، إنا لرى من هذه المرأة عجباً .

فقلت : وما هو ؟

فقالت : نحن معها في انتهار ، وزجر ، وخصومة ، ما تفعلين أنت ، ولا ستنا ، مثله إذا خدمنا كما .

فقلت للخيزران : حتى تعلمين - والله - يا أختي أنّها حرّة رئيسة ، والحرّة لا تحتشم من الأحرار .

وخرجت إلينا جارية أعلمتنا أنّها قد خرجت من الحمام ، فوجّهت إليها الخيزران أصناف الخلع ، فتخيّرت منها ما لبسته ، وبعثنا إليها بطيب كثير ، فتطيّبت ، ثم خرجت إلينا .

فقمنا جميعاً ، فعانقناها ، فقالت : الآن ، نعم .

ثم جئنا إلى الموضع الذي يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي ، فأقعدها فيه .

ثم قالت الخيزران : إنّ غداءنا قد تأخر ، فهل لك في الطعام ؟

فقالت : والله ما فيكنّ من هي أحوج إليه مني .

فدعونا بالطعام ، فجعلت تأكل ، وتضع بين أيدينا ، حتى كأنّها في منزلها .

فلما فرغنا من الأكل ، قالت لها الخيزران : من لك ممن تعين به ؟

قالت : ما لي وراء هذا الحائط أحد من [٢٨٥ غ] خلق الله تعالى .

١٣ الماشطة : المرأة التي تخدم النساء في الحمام وتبّيهن أسباب الزينة والعناية بأبدانهنّ ووجوههنّ .

وما زال هذا اسمها ببغداد .

فقلت لها الخيزران : فهل لك في المقام عندنا ، علي أن نخلي لك مقصورة من المقاصير ، ويحوّل إليها جميع ما تحتاجين إليه ، ويستمتع بعضنا ببعض ؟
فقلت : ما درت إلاّ على أقلّ من هذا الحال ، وإذ قد تفضّل الله - عزّ وجلّ - عليّ بكما ، وبهذه النعمة ، فلا أقلّ من الشكر لأمر المؤمنين المهدي ، لكلّ نعمة ، ولكما ، فافعلي ما بدالك ، وما أحببت .

فقامت الخيزران ، وقمت معها ، وأقمناها معنا ، ودخلنا نطوف بالمقاصير ، فاخترت - والله - أوسعها ، وأحسنها .

فلأتها الخيزران ، بالجواري ، والوصائف ، والخدم ، والفرش ، والآلات ، ثم قالت : ننصرف عنك ، وعليك بمنزلك ، حتى تصلحيه ، فخلّفناها في المقصورة ، وانصرفنا إلى موضعنا [٢٣٢ م] .

فقلت الخيزران : إنّ هذه امرأة رئيسة ، وقد عضّتها الفقر ، وليس يملأ عينها إلاّ المال ، ثم بعثت إليها بخمسة آلاف دينار ، ومائة ألف درهم^{١٤} . وأرسلت إليها : تكون هذه في خزانتك ، ووظيفتك ، ووظيفة حشمك ، قائمة في كلّ يوم ، مع وظيفتنا .

ثم لم نلبث أن دخل علينا المهدي ، فقلت له : يا سيّدي ، لك - والله - عندي حديث طريف .

فقال : ما هو ؟ فحدّثته بالخبر .

فلما قلت له ما كان منّي ، من الثوب عليها ، وإسماعها ، اقشعرّ ، واصفرّ . ثم قال : يا زينب ، هذا مقدار شكرك لربّك عزّ وجلّ ، وقد أمكنك من عدوّك ، وأظفرك به ، على هذا الحال الذي تصفين ؟ والله ، لولا مكانك منّي ، لحلفت أن لا أكلّمك أبداً ، أين المرأة ؟

قالت : فوقّيته خبرها ، فالتفت إلى الخيزران ، يصوّب فعلها ، وجزاها خيراً .

١٤ في غ : ومائتي ألف درهم ، وفي المستجاد : خمسمائة ألف درهم (المستجاد ص ٢٤) .

ثم قال لخدام بين يديه : احمل إليها عشرة آلاف دينار ، وماتني ألف درهم^{١٥} ،
وبلّغها سلامي ، واعلمها أنّه لولا خوفي من احتشامها لسرت إليها مسلماً عليها ،
ومخبراً لها بسروري بها ، فقل لها : أنا أخوك ، وجميع ما ينفذ فيه أمري ، فأمرك
فيه نافذ مقبول .

قالت زينب : فإذا هي قد وردت إلينا مع الخادم ، وعلى رأسها دواج
ملحم^{١٦} ، حتى جلست .

فلقبها المهدي أحسن لقاء ، فأقعدها عنده ساعة ، [٨٦ ن] تحادثه ، ثم
انصرفت إلى مقصورتها .

فهذا الحديث يا بنيّ ، خير لك من كتاب .
قال : فأمسكتُ .

فقلت لي : قد اغتممت ؟

فقلت لها : ما أغتمّ ، ما أبقاك الله عزّ وجلّ لي .

فقلت : الليلة توافيك كتاب .

فلما كان الليل ، أنفذت بها إليّ ، ومعها ما يساوي أضعاف ثمنها من كلّ
صنف من الحليّ ، والرقيق ، وغير ذلك^{١٧} .

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه ، هذا الخبر ، فقال : روى أبو موسى
محمّد بن الفضل عن أبيه ، قال :

كنت ألقتُ زينب بنت سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، أكتب عنها

١٥ في المستجد (ص ٢٤) : مائة بدرة .

١٦ الدواج : فارسيّة ، بمعنى اللحاف (المعجم الذهبي) ، وهو قطعة من القماش تتخذ غطاء للرأس (كما
في هذه القصّة) وقد تتخذ غطاء للبدن بدلاً من اللحاف (القصّة ١٦٥/٣ و ٩٧/٤ من نشوار المحاضرة) ،
راجع معجم دوزي للألبسة ١٨٦ ، والملحم : القماش الذي سداه ابريسم ولحمته غير ابريسم .

١٧ لم ترد هذه القصّة في ر ، ووردت في كتاب المستجد للتوخي ٢١-٢٥ .

أخبار أهلها ، وكانت لها وصيفة يقال لها : كتاب .
 فذكر الحديث بطوله ، على خلاف في الألفاظ يسير ، والمعنى واحد ، ليس
 فيه زيادة ، إلا في ذكر المال ، فإنه ذكر أن الذي حملته الخيزران خمسمائة
 ألف درهم ، وأن الذي حمله المهدي ، ألف ألف درهم .
 وأنه لما أتاه رسول المهدي ، جاءت ، فقالت : ما عليّ من أمير المؤمنين
 حشمة ، وما أنا إلا من خدمه .
 وأن زينب قالت في أول الخبر : أتذكرين يا عدوة الله حين جاءك عجائز
 أهلي يسألنك مسألة صاحبك [٢٨٦ غ] بالإذن لنا في دفن صاحبنا إبراهيم
 الإمام ، فوثبت عليهن .
 ووجدت في كتاب آخر ، هذا الخبر ، يمثل هذا المعنى ، على خلاف في
 الألفاظ ، منها ما وجدته في كتاب القاضي أبي جعفر بن البهلول التنوخي الأنباري^{١٨} ،
 حكاه عن الفضل بن العباس يمثل هذا المعنى ، بغير إسناد متصل .

١٨ القاضي أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي الأنباري : ترجمته في حاشية القصة ١٢١
 من الكتاب .

فرّ من إسحاق المصعبي فوجد كنزاً

وذكر أبو الحسين القاضي في كتابه ، قال : حدثني أبي ، عن أبي الحسين عبد الله بن محمد الباقطائي ، قال :

كنّا نتعلّم - ونحن أحداث - في ديوان إسحاق بن إبراهيم الطاهري ، ومعنا فتى من الكتّاب ، له خلق جميل ، يعرف بأبي غالب .
 فزور جماعة من الكتّاب تزويراً بمال أخذه ، فوقف إسحاق على الخبر ، فطلبهم ، فظفر ببعضهم ، فقطع [٢٦٣ ر] أيديهم ، وهرب الباقيون .
 وكان فيمن هرب ، الفتى الذي كنت ألزم مجلسه ، فغاب سنين كثيرة ، حتى مات إسحاق .

فبينا أنا ذات يوم في بعض شوارع بغداد ، فإذا به .

فقلت : أبو غالب ؟

فقال : نعم ، وإذا تحته دابة فاره ، بسرج محليّ ، وثياب حسنة .

فقلت : عرفني حالك ؟

قال : في المنزل .

فسرت معه ، فاحتبسني ذلك [٢٣٣ م] اليوم عنده ، ورأيت له مروءة

حسنة ، فسألته عن خبره .

فقال : لما طلبنا إسحاق ، استترتُ ، فلمّا بلغني ما عامل به من كان معي

في الجناية ، ضاقت عليّ بغداد ، فخرجت على وجهي ، خوفاً من عقوبة إسحاق ،

إن ظفر بي .

ولم أزل مستخفياً ، إلى أن أتيت ديار مصر ، أطلب التصرّف ، فتعذّر عليّ ،

وتفرّق من كان معي ، إلّا غلام واحد .

فرقت حالي جداً ، حتى بعت ما في البيت عن آخره ، على قلته .
فأصبحت يوماً ، فقال لي غلامي : أي شيء نعمل اليوم ؟ ما معنا حاجة .
فقلت : خذ مبطنتي معها ، واشتر لنا ما نحتاج إليه .
فخرج الغلام ، وبقيت في الدار وحدي ، أفكر فيما دفعت إليه من الغربة
والوحدة ، والعطلة ، والضيقة ، والشدة ، وتعذر المعيشة والتصرّف ، وكيف أصنع ،
ومن أقترض ، فكاد عقلي أن يزول .
فينا أنا كذلك ، وإذا بجرد قد خرج من كوة^١ في البيت ، وفي فمه دينار ،
فوضعه ثم عاد ، فما زال كذلك ، حتى أخرج ثمانين ديناراً ، فصفّها ، ثم جعل
يتقلب عليها ، ويتمرغ ، ويلعب .
ثم أخذ ديناراً ودخل إلى الكوة ، فخشيت إن تركته أن يردّها جميعها إلى
الموضع الذي أخرجها منه ، فقمّت ، وأخذت الدنانير ، وشدّدتها .
وجاء الغلام ، [ومعه ما قد ابتاعه ، فتغدّينا ، وقلت له : خذ هذا الدينار ، فابتع
لنا فأساً .

فقال : ما نصنع به ؟^٢
فحدثته الحديث ، وأريته الدنانير ، وقلت له : قد عزمت على أن أقلع
الكوة .

ففعل ما أمرته به ، وأفضى بنا الحفر إلى برنية^٣ فيها سبعة آلاف دينار .
فأخذتها وأصلحت الموضع كما كان ، وخرجت إلى بغداد ، بعد أن أخذت
بالمال سفاتي ، وتركته بعضه معي .

١ الكوة ، بفتح الكاف وبضمّها : الخرق في الحائط ، تجمع على : كواء ، وكوى ، وكوّات .

٢ ساقطة من غ .

٣ البرنية : وعاء من الفخار ، يسمّيه البغداديون الآن : بستوقة ، فارسية ، بستو ، أي قطرميز فخاري
(المعجم الذهبي ، والألفاظ الفارسية المعربة ٢٢) .

وأنفذت الغلام بالسفاتيح إلى بغداد ، وأقمتُ ، حتى ورد عليّ كتاب الغلام
بصحّة السفاتيح ، وتحصيل المال في بيتي ، وكان إسحاق قد مات .
فانحدرت إلى بغداد ، وابتعت بالمال كلّ ضيعة ، ولزمتها ، فأثمرت ، ونمت ،
وتركت التصرف^٤ .

٤ لم ترد هذه القصّة في ر .

أبو أمية الفرائضي يخلص رجلاً من القتل

وحكى أبو أمية الفرائضي^١ ، قال :

كنت في الوفد الذي وفد على أبي جعفر من أهل البصرة ، فلما مثلنا بين يديه ، دعا برجل ، فكلّمه ، ثم أمر بضرب عنقه ، فجذب ليقتل .

فقلت في نفسي : يقتل رجل من المسلمين ، وأنا حاضر فلا أتكلّم ؟
فقلت ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن رأيت أن تأمر بالكفّ عن قتل هذا ، حتى أخبرك بشيء سمعت الحسن يقوله .
فأمر بالكفّ عنه ، وقال : قل .

قلت : سمعت الحسن يقول : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم ، إذا كان يوم القيامة ، جمع الله الأولين والآخرين ، في صعيد واحد ، [٢١١ ر]
ينفذهم البصر ، ويسمعهم المنادي ، ثم يقوم مناد من قبل الله تعالى ، فيقول : ألا من كان له على الله حقّ فليقم ، فلا يقوم إلّا من عفا .

فقال أبو جعفر : الله الشاهد عليك ، أنّك سمعت الحسن يقول ذلك ؟

قلت : نعم ، سمعته يقوله [٢٢٢ غ]

فعفا عن الرجل ، وأطلقه ، فانصرف الرجل وهو يحمد الله على السلامة^٢ .

١ في غ : وحكى المبارك بن فضالة .

٢ هذه القصة لم ترد في م .

المهدي يحتجّ على شريك برؤيا رآها في المنام

وحكى الحسن بن قحطبة^١ ، قال :

استؤذن لشريك بن عبد الله القاضي^٢ ، على المهدي ، وأنا حاضر ، فقال :
عليّ بالسيف ، فأحضر .

قال الحسن : فاستقبلتني رعدة لم أملكها ، ودخل شريك ، فسلم ، فانتضى
المهدي السيف ، وقال : لا سلم الله عليك يا فاسق .

فقال شريك : يا أمير المؤمنين ، إنّ للفاسق علامات يعرف بها ، شرب
الخمور ، وسماع المعازف ، وارتكاب المحظورات ، فعلى أيّ ذلك وجدتني ؟
قال : قتلتني الله إن لم أقتلك .

قال : ولم ذلك يا أمير المؤمنين ، ودمي حرام عليك ؟

قال : لأنّي رأيت في المنام ، كأنّي مقبل عليك أكلمك ، وأنت تكلمني
من قفاك ، فأرسلت إلى المعبر ، فسألته عنها ، فقال : هذا رجل يطأ بساطك ،
وهو يسرّ خلافاك .

فقال شريك : يا أمير المؤمنين ، إنّ رؤياك ليست رؤيا يوسف بن يعقوب
عليهما السلام ، وإنّ دماء المسلمين لا تسفك بالأحلام^٣ .

١ الحسن بن قحطبة بن شبيب الطائي ، القائد العبّاسي : ترجمته في حاشية الفصّة ٤٦٠ من هذا الكتاب .

٢ أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي القاضي (٩٥-١٧٧) : فقيه ، عالم بالحديث ،
ذكي ، سريع البديهة ، ولّاه المنصور قضاء الكوفة سنة ١٥٣ ، ثمّ عزله ، وأعاد المهدي ، وعزله
موسى الهادي ، وكان عادلاً ، ولد ببخارى ، وتوفّي بالكوفة (الأعلام ٢٣٩/٣) .

٣ كان الربيع حاجب المهدي ، يعارض شريك ، ويحمل المهدي عليه ، ويدسّ له عنده ، ويقول له :
إنّ شريك فاطميّ محض (العقد الفريد ١٧٨/٢ و ١٧٩) ، ودخل شريك على المهدي يوماً ، فقال له =

فنكس المهدي رأسه ، وأشار إليه بيده : أن أخرج ، فانصرف .
قال الحسن : فقممت فلحقته ، فقال : أما رأيت صاحبك ، وما أراد أن
يصنع ؟
فقلت : اسكت - لله أبوك - ما ظننت أنني أعيش حتى أرى مثلك ٤ .

الربيع : خنت مال الله ، ومال أمير المؤمنين ، فقال : لو كان ذلك ، لأتاك سهمك (العقد الفريد
١٧٩/٢) .

٤ لم ترد هذه القصة في م ولا في غ ، ووردت بصورة أكثر تفصيلاً في العقد الفريد ١٧٨/٢ و ١٧٩ .

إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا

وحكى الحسن بن محمد ، قال : قال أحمد بن أبي دؤاد :
 ما رأيت رجلاً قط نزل به الموت ، وعائنه ، فما أدهشه ، ولا أذهله ، ولا
 أشغله عما كان أراده ، وأحب أن يفعله ، حتى بلغه ، وخلّصه الله تعالى من القتل ،
 إلاّ تميم بن جميل الخارجي^١ ، فإنه كان تغلب على شاطئ الفرات ، فأخذ ،
 وأتى به إلى المعتصم بالله .
 فرأته بين يديه ، وقد بسط له النطع والسيف^٢ ، فجعل تميم ينظر إليهما ،
 وجعل المعتصم يصعد النظر فيه ، ويصوبه .
 وكان تميم رجلاً جميلاً ، وسيماً ، جسيماً ، فأراد المعتصم أن يستنطقه ،
 لينظر أين جنانه^٣ ولسانه ، من منظره ومخبره .
 فقال له المعتصم : يا تميم ، تكلم ، إن كان لك حجة أو عذر فابده .
 فقال : أمّا إذ أذن أمير المؤمنين بالكلام ، فأقول : الحمد لله الذي أحسن
 كل شيء خلقه ، وقد خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلاله من ماء
 مهين ، يا أمير المؤمنين ، جبر الله بك صدع الدين ، ولمّ شعث المسلمين ، وأحمد
 بك شهاب الباطل ، وأوضح نهج الحق ، إنّ الذنوب تحرس الألسنة ، وتعمي
 الأفئدة ، وأيم الله ، لقد عظمت الجريمة^٤ ، وانقطعت الحجة ، وكبر الجرم ،

١ في المستجد ص ١١٧ : تميم بن جميل السدوسي ، الخارجي .

٢ في المستجد : ورأته قد جيء به أسيراً ، فأدخل عليه في يوم موكب ، وقد جلس المعتصم للناس مجلساً
 عاماً ، ودعا بالسيف والنطع .

٣ الجنان من كل شيء : جوفه ، وجنان المرء : قلبه .

٤ الجريمة : الذنب والجنابة .

وساء الظنّ ، ولم يبق إلا عفوك ، أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما مني وأسرعهما إليّ ، أولاهما بإمامتك ، وأشبههما بخلافتك ، وأنت إلى العفو أقرب ، وهو بك أشبه وأليق ، ثم تمثل بهذه الأبيات :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً يلاحظني من حيثما أتلفلت
وأكبر ظنيّ أنك اليوم قاتلي وأيّ امرئ مما قضى الله يفلت [٤٣ن]
ومن ذا الذي يدلي بعذرٍ وحجّةٍ وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعزّ على الأوس بن تغلب موقفٌ يهزّ على السيف فيه وأسكت^٥
وما جزعي من أن أموت وإنّي لأعلم أنّ الموت شيء موقت
ولكنّ خلفي صيبة قد تركتهم وأكبادهم من حسرة تتفتّت [٢١٢ر]
كأنّي أراهم حين أنعى إليهم وقد خمشوا حرّ الوجوه وصوتوا^٦
فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة أذود الأذى عنهم وإن متّ موتوا^٧
فكم قائل لا يبعد الله داره وآخر جذلان يسرّ ويشمت

قال : فنبسم المعتصم^٨ ، ثم قال : أقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ من البيان لسحراً .

ثم قال : يا تميم كاد والله أن يسبق السيف العذل ، إذهب ، فقد غفرت لك الهفوة ، وتركتك للصيبة ، وهبتك لله ولصبيتك .

ثم أمر بفك قيوده ، وخلع عليه ، وعقد له على ولاية على شاطئ الفرات^٩ ، [وأعطاه خمسين ألف دينار]^{١٠} .

٥ في غ : يهزّ على السيف فيه ويصلت .

٦ في غ : وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا ، وفي المستجاد : وقد لطموا حرّ الخدود .

٧ هذا البيت ساقط من غ .

٨ في غ ، وفي المستجاد : فبكى المعتصم .

٩ هذه القصة لا توجد في م ، ووردت في المستجاد للتنوخي ١١٧-١١٩ .

١٠ الزيادة من المستجاد ص ١١٩ .

سقى معن بن زائدة أسراه ماءً فأطلقهم لأنهم أصبحوا أضيافه

أوحى أن معن بن زائدة ، جىء إليه بثلاثمائة أسير ، فأمر بضرب أعناقهم ،
وأحضر السياف ، والنطع .

فقدّم واحد منهم ، فقتل ، ثم قدّم غلام منهم ، وكان له فهم وبلاغة .

فقال : يا معن ، لا تقتل أسراك وهم عطاش .

فقال : أسقوهم ماءً ، فشريوا .

فقال : أيها الأمير ، أقتل أضيافك ؟

فقال : خلّوا عنهم ، فأطلقوا كلّهم .

١ وردت القصّة في المستجد للتوخي ص ١١٩ بتفصيل أكثر ، فأثرت إثباتها : أتى معن بن زائدة بأسرى ، فعرضهم على السيف ، فقال له بعضهم : نحن أسراك أيها الأمير ونحن نحتاج إلى شيء من الطعام ، فأمر لهم بذلك ، فأنى بأنطاع ، فبسطت ، وأتى بالطعام ، فقال لأصحابه امضوا في الأكل ، ومعن ينظر إليهم ، ويتعجب منهم ، فلمّا فرغوا من أكلهم ، قام ، فقال : أيها الأمير ، قد كنا قبل أسراك ، ونحن الآن أضيافك ، فانظر ماذا تصنع بأضيافك ، فعفا عنهم ، وخصّى سبيلهم ، فقال له بعض من حضر : ما ندري أيها الأمير ، أيّ يوميك أشرف ، يوم ظفرك ، أو يوم عفوك .

فتى بغدادى قُدم للقتل

وسئل ما يشتهي فطلب رأساً حاراً ورقاقاً^١

وحكى محمد بن الحسن بن المظفر ، قال :
حضرت العرض في مجلس الجانب الشرقي ببغداد^١ ، أيام نازوك ، فأخرج
خليفة نازوك^٢ على المجلس جماعة ، فقتل بعضهم .
ثم أخرج غلاماً حدث السن ، مليح المنظر ، فرأيت لما وقف بين يدي خليفة
نازوك ، تبسم .

فقلت : يا هذا ، أحسبك رابط الجأش ، لآني أراك تضحك في مقام
يوجب البكاء ، فهل في نفسك شيء تشتهي ؟
فقال : نعم ، أريد رأساً حاراً^٣ ورقاقاً^٤ .
فسألت صاحب المجلس أن يؤخر قتله إلى أن أطعمه ذلك ، ولم أزل ألطف

١ كان مجلس الشرطة بالجانب الغربي من مدينة السلام إلى عهد المأمون (المفوات النادرة ١٩٢) ثم أنشئ
من بعد ذلك مجلس آخر بالجانب الشرقي في رأس الجسر بمحلة باب الطاق (الصرافية) .

٢ كان خليفة نازوك على الشرطة غلامه عجيب (القصة ٧٦ من هذا الكتاب) وقد قتل عجيب مع نازوك
في السنة ٣١٧ في دار الخلافة لما هاجمه الجند وخلعوا القاهر وأعادوا المقتدر للخلافة (الكامل ٢٠٤/٨
وتجارب الأمم ١/١٩٦) .

٣ الرأس : رأس الخروف المشوى أو المسلوق ، وما زال هذا اسمه ببغداد ، وبائع الرؤوس : الرؤاس ،
ويسمونه ببغداد : الرؤاس ، وهناك مثل عامي ببغدادى قديم :

لو راسي جايب راس لو راسي عند الرؤاس

٤ الرقاق ، مفردة رقاقة : الخبز المنبسط الرقيق ، ما زال هذا اسمه ببغداد .

به ، إلى أن أجاب ، وهو يضحك مني ، ويقول : أي شيء ينفع هذا ، وهو يقتل ؟

قال : وأنفذت من أحضر الجميع بسرعة ، واستدعيت الفتى ، فجلس يأكل غير مكترث بالحال ، والسياف قائم ، والقوم يقدّمون ، فتضرب أعناقهم . فقلت : يا فتى ، أراك تأكل بسكون ، وقلة فكر .

فأخذ قشة^٥ من الأرض ، فرمى بها ، رافعاً يده ، وقال وهو يضحك : يا هذا ، إلى أن تسقط هذه إلى الأرض مائة فرج .

قال : فوالله ، ما استتم كلامه ، حتى وقعت صيحة عظيمة ، وقيل : قد قتل نازوك .

وأغارت العامة على الموضع ، فوثبوا بصاحب المجلس ، وكسروا باب الحبس ، وخرج جميع من كان فيه .

فاشتغلت أنا عن الفتى ، وجميع الأشياء ، بنفسى ، حتى ركبت دابّتي مهرولاً ، وصرت إلى الجسر ، أريد منزلي .

فوالله ، ما توسّطت الطريق ، حتى أحسست بإنسان قد قبض على إصبعي برفق ، وقال : يا هذا ، ظننا بالله - عزّ وجلّ - أجمل من ظنك ، فكيف رأيت لطيف صنعه .

فالتفتُ ، فإذا الفتى بعينه ، فهنأته بالسلامة ، فأخذ يشكرني على ما فعلته ، وحال الناس والزحام بيننا ، وكان آخر عهدي به^٦ .

٥ القشة : ما صغر ودقّ من ببس النبات .

٦ هذه القصّة لم ترد في م ولا في غ .

أشرف يحيى البرمكي على القتل

فخلصه إبراهيم الحرّاني وزير الهادي

وحكي : أنّ موسى الهادي كان قد طالب أخاه هارون أن يخلع نفسه من العهد ، ليصيرَه لابنه من بعده^١ ، ويخرج هارون من الأمر ، فلم يجب إلى ذلك . وأحضر يحيى بن خالد البرمكي ، ولطف به ، وداراه ، ووعدَه ومَنّاه ، وسأله أن يشير على هارون بالخلع ، فلم يجب يحيى إلى ذلك ، ودافعه مدّة . فتهدّده وتوعّده ، وجرت بينهما في ذلك خطوب طويلة ، وأشفى يحيى معه على الهلاك ، وهو مقيم على مدافعتة عن صاحبه .

إلى أن اعتلّ الهادي ، علّته التي مات منها ، واشتدّت به ، فدعا يحيى ، وقال له : ليس ينفعني معك شيء ، وقد [٢٢٢ غ] أفسدت أخي عليّ ، وقوّيت نفسه ، حتى امتنع مما أريده ، ووالله لأقتلنك ، ثم دعا بالسيف والنطع ، وأبرك يحيى ، ليضرب عنقه .

فقال إبراهيم بن ذكوان^٢ الحرّاني [٢١٣ ر] يا أمير المؤمنين : إنّ لي يحيى

١ اسم الابن جعفر بن موسى الهادي ، إذ لما أفضت الخلافة إلى موسى الهادي ، أراد خلع أخيه هارون من ولاية العهد ، والبيعة لابنه جعفر ، وتابعه القوّاد على ذلك ، وأمر أن لا يسار أمام الرشيد بحريّة (الطبري ٢٠٧/٨) ومضى الرشيد مرّةً ومعه جعفر بن موسى الهادي راكبين ، فبلغا قنطرة من قناطر عيساباذ ، فالتفت أبو عصمة ، القائد المرافق لجعفر ، وقال للرشيد : مكانك حتّى يجوز وليّ العهد (الطبري ٢٣٢/٨) فكان أوّل ما صنعه الرشيد لما بوع أن أمر بأبي عصمة فضربت عنقه وشدّت جملته في رأس قناة ، وحملت في موكبه لما دخل بغداد (الطبري ٢٣٢/٨) ولما أفضت الخلافة للرشيد زوج ابنته حمدونة من جعفر بن موسى الهادي (الطبري ٢١٢/٨) .

٢ إبراهيم بن ذكوان الحرّاني ، وزير الهادي : ترجمته في حاشية القصة ٣٤٦ من هذا الكتاب ، راجع =

عندي يداً ، أريد أن أكافئه عليها ، فأحب أن تهبه لي الليلة ، وأنت في غدٍ
تفعل به ما تحب .

فقال له : ما فائدة ليلة ؟

فقال : إما أن يقود صاحبه إلى إرادتك يا أمير المؤمنين ، أو يعهد في أمر
نفسه وولده ، فأجابه .

قال يحيى : فأقيمت من النطع ، وقد أيقنت بالموت ، وأيقنت أنه لم يبق
من أجلي إلا بقية الليلة ، فما اكتحلت عيناى بغمض إلى السحر .
ثم سمعت صوت القفل يفتح عليّ ، فلم أشك أن الهادي قد استدعاني
للقتل ، لما انصرف كاتبه .

وانقضت الليلة ، وإذا بخادم قد دخل إليّ ، وقال : أجب السيّدة .
فقلت : مالي وللسيّدة ؟

فقال : قم ، فقمّت ، وجئت إلى الخيزران .

فقالت : إن موسى قد مات ، ونحن نساء ، فادخل ، فأصلح شأنه ، وأنفذ
إلى هارون ، فجيئ به .

فأدخلت ، فإذا به ميتاً ، فحمدت الله تعالى على لطيف صنعه ، وتفريج
ما كنت فيه ، وبادرت إلى هارون ، فوجدته نائماً ، فأيقظته .

فلما رأيّ ، عجب ، وقال : ويحك ما الخبر ؟

قلت : قم يا أمير المؤمنين إلى دار الخلافة .

فقال : أو قد مات موسى ؟

قلت : نعم .

فقال : الحمد لله ، هاتوا ثيابي ، فإلى أن لبسها ، جاءني من عرقبي أنه

أخباره في الفخري ١٩٢ والطبري ٢٠٧/٨ و٢١١ و٢١٥ و٢١٦ و٢٢١ و٢٢٤ و٢٢٦ و٢٢٨ و٢٢٨
و٢٣٢ و٢٣٣ وابن الأثير ٩٨/٦ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥ .

ولد له ولد من مراحل ، ولم يكن عرف الخبر ، فسماه عبد الله ، وهو المأمون^٣
وركب ، وأنا معه ، إلى دار الخلافة .
ومن العجب أن تلك الليلة ، مات فيها خليفة ، وجلس خليفة ، وولد
خليفة^٤ .

٣ الطبري ٢٣٢/٨ .

٤ هذه القصة لم ترد في م .

رمي من أعلى القلعة أولاً وثانياً فنجا وسلم

وحكى الشريف أبو الحسن محمد بن عمر العلوي الزبيدي^١ ، قال :
لما حصلت محبوساً بقلعة خست^٢ بنواحي نيسابور ، من فارس ، حين
حبسني عضد الدولة بها ، كان صاحب القلعة الذي أسلمتُ إليه يؤنسني بالحديث .
فحدّثني يوماً : أن هذه القلعة كانت في يد رجل كان راعياً بهذه البلاد ، ثم
صار قائداً ، واحتوى عليها ، فصارت له معقلاً ، وانضمَّ إليه اللصوص ، فصار
يغير بهم على النواحي ، فيخرجون ، ويقطعون الطريق ، وينهبون [٤٤ ن] القرى ،
ويفسدون ، ويعودون إلى القلعة ، فلا تمكن فيهم حيلة ، إلى أن قصدهم أبو الفضل
ابن العميد^٣ ، وحاصرهم مدة ، وافتتحها ، وسلمها إلى عضد الدولة .
قال : فكان في محاصرة أبي الفضل لهم ، ربّما نزلوا وحاربوه ، فظفر منهم

١ أبو الحسن محمد بن عمر العلوي الكوفي (٣١٥-٣٩٠) : كان المقدّم على الطالبيين ، مع ثروة ،
وغنى ، وجاه ، وكان العوامّ يطيعونه ، وكان يرأسل وكلاءه بالحمام الزاجل ، وأطلع عضد الدولة
مرّة على فقرة تبين أن المطلوب من أبي الحسن عن معاملاته بفارس ألف ألف وثلاثمائة ألف ، فانزعج منه ،
وتصوّره بصورة من إذا أراد شيئاً تمكّن منه ، فاعتقله ، واستولى على أمواله ، ثم أطلقه شرف الدولة ،
وصادته بهاء الدولة على ألف ألف دينار (المنتظم ٢١١/٧) .

٢ في غ : بقلعة خست بنواحي بلاد سابور من فارس ، وخست : ناحية من بلاد فارس قريبة من البحر
(معجم البلدان ٤٤١/٢ ومراصد الاطلاع ٤٦٦/١) .

٣ أبو الفضل محمد بن الحسين العميد بن محمد : من أئمة الكتاب ، متوسّع في الفلسفة والنجوم ،
لقب بالجاحظ الثاني في أدبه وترسله ، حسن السياسة ، خير بتدبير الملك ، به تخرّج عضد الدولة ،
أنشأ عليه الثعالب ، وابن الأثير ، ورز لركن الدولة ، ودامت وزارته ٢٤ سنة ومات بهمدان سنة ٣٦٠
(الأعلام ٣٢٨/٦) .

في وقعة كانت بينه وبينهم بنحو خمسين رجلاً ، فأراد قتلهم قتلةً يرهب بها من في القلعة .

قال : وهي على جبل عظيم ، حياله بالقرب منه جبل آخر أعظم منه ، وعليه نزل أبو الفضل .

فأمر بالأسارى ، فرمى بهم من رأس الجبل الذي عليه القلعة ، فيصل الواحد منهم إلى القرار قطعاً ، قد قطّعت الأضراس الخارجة في الجبل والحجارة .

ففعل ذلك [٢٢٣ غ] بجميعهم ، حتى بقي غلام حين بقل وجهه^٤ ، فلمّا طُرِحَ وصل إلى الأرض سالماً ، فما لحقه مكروه ، وقد تقطّع جبل كتافه ، فقام الغلام يمشي في قيده طالباً الخلاص .

فكَبُرَ الديلم ، وأهل عسكر أبي الفضل تعظماً للصورة ، وكَبُرَ أهل القلعة .

فاغتاط أبو الفضل ، وأمر بردّ الغلام ، فنزل من جاء به ، فأمر أن يكتف ويرمى ثانية .

فسأله من حضر أن يعفو عن الغلام ، فلم يفعل ، وألحوا عليه ، فحلف أنّه لا بدّ أن يطرحه ثانية ، فأمسكوا .

وطرح الغلام ، فلمّا بلغ القرار قام يمشي سالماً ، وارتفع من التكبير والتهليل أضعاف ما ارتفع أولاً .

فقال الحاضرون : هل بعد هذا شيء ؟ وسأله العفو عنه ، وبكى بعضهم .

فاستحى أبو الفضل وعجب ، وقال : ردّوه آمناً ، فردّوه .

فأمر بقيوده ففكّت ، وبشّاب فطرحته عليه ، وقال له : [٢١٤ ر] أصدقني عن سريرتك مع الله - عزّ وجلّ - التي نجاك بها هذه النجاة .

٤ بقل : ظهر وطلع ، وبقل وجه الغلام : نبت شعره .

فقال : ما أعلم لي حالاً توجب هذا ، إلاّ أنّي كنت غلاماً أمرداً ، مع
أستاذي فلان ، الذي هو أحد من قتل الساعة ، وكان يأتي منّي الفاحشة ،
ويخرجني معه ، فنقطع الطريق ، ونخيف السبيل ، ونقتل الأنفس ، ونهَب
الأموال ، ونهتِك الحرم ، ونفجر بهنّ ، ونأخذ كل ما نجد ، لا أعرف غير هذا .
فقال له أبو الفضل : كنت تصوم وتصلّي ؟

قال : ما كنت أعرف الصلاة ، ولا صمت قط ، ولا فينا من يصوم .
فقال له : ويلك ، فما هذا الأمر الذي نجاكَ الله به ، فهل كنت تتصدّق ؟
قال : ومن كان يحنّنا حتى نتصدّق عليه ؟

قال : ففكّر ، واذكر شيئاً ، إن كنت فعلته لله عزّ وجلّ ، وإن قلّ .
ففكّر الغلام ساعة ، ثم قال : نعم ، سلّم إليّ أستاذي منذ سنين ، رجلاً
كان أسره في بعض الطرقات ، بعد أن أخذ جميع ما معه ، وصعد به إلى القلعة .
وقال له : نفسك بمال تستدعيه من بلادك وأهلك ، وإلاّ قتلتك .
فقال الرجل : ما أملك من الدنيا كلّها غير ما أخذته منّي .
فعدّبه أياماً وهو لا يدعن بشيء .

ثم جدّ به يوماً في العذاب جدّاً شديداً ، فحلف الرجل بالله تعالى ، وبالطلاق ،
وبأيمان غليظة ، أنّه لا يملك من الدنيا إلّا ما أخذه منه ، وأنّه ليس له في بلده
إلّا نفقة جعلها لعياله ، قدرها نفقة شهر ، إلى أن يعود إليهم ، وأنّ الصدقة الآن
تحلّ له ولهم ، واستسلم الرجل للموت .
فلما وقع في نفس أستاذه أنّه صادق ، قال : إنزل به ، وأمض إلى الموقع
الفلاحي ، فاذبحه ، وجثني برأسه .

فأخذت الرجل ، وحدرته من القلعة ، فلما رأيّ أعسفه ، قال لي : إلى أين
تحضي بي ؟ وأي شيء تريد منّي ؟ فعرفته ما أمرني به أستاذي ، فجعل يبكي ،
ويلطم ، ويتضرّع ، ويسألني أن لا أفعل ، ويناشدني الله عزّ وجلّ ، وذكر لي

أَنَّ لَهُ بَنَاتٌ أَطْفَالًا ، لَا كَادَ لَهُمْ وَلَا كَاسِبَ سِوَاهُ ، وَخَوَّفَنِي بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
وَسَأَلَنِي أَنْ أَطْلُقَهُ .

فَأَوْقَعَ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لَهُ فِي قَلْبِي ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ لَمْ أَرْجِعْ إِلَيْهِ بِرَأْسِكَ قَتَلَنِي ،
وَلَحَقْتُكَ فَقَتَلْتُكَ .

فَقَالَ : يَا هَذَا أَطْلُقَنِي أَنْتَ ، وَلَا تَعُدْ [٢٢٤ غ] إِلَى صَاحِبِكَ إِلَّا بَعْدَ سَاعَةٍ ،
وَأَعِدُوا أَنَا فَلَا يَلْحَقَنِي ، وَإِنْ لَحَقَنِي ، كُنْتُ أَنْتَ قَدْ بَرَأْتَ مِنْ دَمِي ، وَصَاحِبِكَ
لَا يَقْتُلُكَ مَعَ مَحَبَّتِهِ لَكَ ، فَتَكُونُ قَدْ أَجَرْتَ فِي .

فَازْدَادَتْ رَحْمَتِي لَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : خَذْ حِجْرًا ، فَأَضْرِبْ بِهِ رَأْسِي ، حَتَّى يَسِيلَ
دَمِي ، وَأَجْلِسْ هَا هُنَا ، حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّكَ قَدْ صَرْتَ عَلَى فِرَاسِخٍ ، ثُمَّ أَعُودُ أَنَا إِلَى
الْقَلْعَةِ .

فَقَالَ : لَا أَسْتَحْسِنُ أَنْ أَكَاثُكَ عَلَى خِلَاصِي بِأَنْ أَشْجِكَ .

فَقُلْتُ : لَا طَرِيقَ إِلَى خِلَاصِكَ ، وَخِلَاصَ نَفْسِي ، إِلَّا هَكَذَا .

فَفَعَلَ ، وَتَرَكَنِي ، وَطَارَ عِدْوًا ، وَجَلَسْتُ فِي مَوْضِعِي ، حَتَّى وَقَعَ لِي أَنَّهُ صَارَ
عَلَى فِرَاسِخٍ كَثِيرَةٍ ، وَجِئْتُ إِلَى أَسْتَاذِي غَرِيقًا بِدِمَائِي .

فَقَالَ : مَا بِالْكَ ، وَأَيْنَ الرَّأْسُ ؟

فَقُلْتُ : سَلَّمْتُ إِلَيَّ شَيْطَانًا ، لَا رَجُلًا ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ حَصَلَ مَعِي فِي الصَّحْرَاءِ
حَتَّى صَارَعَنِي ، فَطَرَحَنِي إِلَى الْأَرْضِ ، وَشَدَخَنِي بِالْحِجَارَةِ ، كَمَا تَرَى ، وَطَارَ
يَعْدُو ، فَغَشِي عَلَيَّ ، فَكُثْتُ فِي مَوْضِعِي إِلَى الْآنَ ، فَلَمَّا رَقَا دَمِي ° ، وَرَجَعْتُ
قَوِّي ، جِئْتُكَ .

فَأَنْزَلَ خَلْقًا وَرَاءَهُ ، فَعَادُوا مِنْ غَدٍ ، وَفَتَّشُوا عَلَيْهِ ، فَمَا وَفَّقُوا لَهُ عَلَى أَثَرٍ ،
فَإِنْ يَكُنِ اللَّهُ تَعَالَى ، قَدْ خَلَّصَنِي لَشَيْءٍ فَعَلْتَهُ ، فَلِهَذَا .

° رَقَا الدَّمُ : جَفَّ وَانْقَطَعَ .

قال : فجعله أبو الفضل راجلاً^٦ على بابه برزق له قدر ، واصطنعه .
[قال لي الشريف : وحدّثني بهذا الخبر جماعة ممن كانوا في القلعة ، وغيرهم
ممن شاهدوا القصة ، ومنهم من أخبر عمّن شاهدها ، وجدت الخبر بعده شائعاً
بفارس]^٧ .

٦ الراجل : راجع حاشية القصة ٣٨٢ من هذا الكتاب .

٧ الزيادة من ن ، لم ترد هذه القصة في م .

سقط من علوّ ألف ذراع ونهض سالماً

وقريب من هذا ما حدّثني به الشريف أبو الحسن - أيّده الله - قال :
كان رجل بالكوفة ، سمّاه ، وأنسيت أنا اسمه ، مشهور بها ، يجيء إلى
إصبع خفّان^١ ، وهو بناء قديم مشهور بنواحي الكوفة ، كالقائم^٢ ، يقال إنّه
كان مرقباً للأكاسرة على العرب ، وهو مجوّف ، وفي داخله درجة ، فيصعد بها إلى
أن يسمو فيه على تسعين ذراعاً ، ثم لا يبقى موضع صعود لأحد ، وهناك سطيح
حرّاس المنارة ، ويقف الإنسان فيه ، وله منافذ يرى منها البرّ ، وتكون المنافذ إلى
أسفل صدر القائم فيه ، وعلى باقي البناء قبة كالبيضة ، لا يصل^٣ إليها من يكون
هناك ، كما تكون رؤوس المنائر .

١ إصبع خفّان : موضع بظهر الكوفة كالمستأنة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقاربرها (معجم البلدان ٧٦٠/٤) ، أقول : اسم النجف يطلق الآن على الغريّين ، وهي أرض صخرية لها حافة عالية مطلّة
على أرض منخفضة تسمى : بحر النجف ، سمّيت بحرّاً لأنّ الماء كان ينبثق إليها من أحد روافع الفرات
فيتبّطّح فيها بحرّاً ، ثمّ نظمت سبل الريّ ، فانقطعت البثوق وأصبحت أرض بحر النجف أرضاً زراعية ،
وكنّت ألي القضاء في هذه المنطقة في السنة ١٩٣٥ في أبي صخير والنجف ودرت في بحر النجف وفي
الموضع الذي يصفه المؤلّف ، فلم أجِد للبناء الذي وصفه عيناً ولا أثراً .

٢ القائم منارة عالية بالحيرة مقابل دير حنّة (معجم البلدان ٦٥٦/٢) والقائم مرقب على شاطئ الفرات
من الجانب الغربي في طريق الرقة من بغداد وكان بين الروم والفرس يرقب عليه على طرف الحدّ بين
الملكتين شبه تل عقرقوف ببغداد وإصبع خفّان بظهر الكوفة (معجم البلدان ٦٨٤/٢) ، وذكر ابن
الأثير في تاريخه الكامل ٥٩٩/٩ و ٦٠٠ ، في أخبار السنة ٤٤٦ أنّ قبيلة خفّاجة ، عاثت تلك السنة
في الجامعين ، وأعمال نور الدولة ديبس ، فقصدهم ، ولحقهم بخفّان ، وأوقع بهم ، وفتح حصن خفّان ،
وأراد تخريب القائم به ، وهو بناء من آجر وكلس ، قيل انه كان علماً تهدي به السفن ، لما كان البحر
يجيئ إلى النجف ، وأنّ صاحب القائم ، صانع ديبساً بمال ، فترك هدمه .

٣ في الأصل : ليصل .

وكان هذا الرجل يخرج نفسه [٤٥ ن] من بعض المنافذ ، ويقلب فيصير فوق البيضة بحذق ولطف قد تعودهما ، وكان قد جعل قديماً فوق البيضة حجر مدور كالرحى ، له سفود حديد ، لا يعرف الغرض من تصييره هناك لطول الزمان ، فيقلب الرجل نفسه من النافذة فيقع فوق تلك الرحى ، وكان القائم مبنياً على حرف النجف ، وطوله إلى بطن النجف أكثر من ألف ذراع أو نحوه ، فيصير الرجل عالياً علواً عظيماً ، ويعجب الناس من ذلك ، ويأخذ عليه منهم البر . وإن رجلاً أتاه وهو متنبذ ، فأعطاه شيئاً ليصعد للقائم ، ففعل ذلك جارياً على عادته ، فلغلبة النيذ عليه لم يتحرز التحرز التام لما أخرج نفسه من أحد المنافذ لينقلب على الرحى ، فاضطرب جسمه وعلق بالرحى ، وجاء ليركبه ، فانقلع الرحى معه ، وهويا جميعاً من ذلك العلو المفرط إلى بطن النجف ، ولثقل الحجر ، وأن الرجل لم يكن تحته ، ما سبق الحجر إلى الأرض ، فتقطع قطعاً ، ودخلت الريح في ثياب الرجل ، ورآه الناس فصاحوا ، وكبروا عجباً ، والريح تحمل الرجل على مهل ، حتى طرحته في قرار النجف ، فقام يمشي ، ما أصابه شيء البتة ، حتى صعد من موضع سهل أمكنه الصعود منه إلى إصبع خفان .

وحدثني أن هذا شائع ذائع بالكوفة ، لم يكن في عمره ، ولكن أخبر به جماعة كبيرة من شيوخ الكوفة^٦ .

٤ السفود : قضيب من الحديد له رأس مدبب يشك فيه اللحم ويوضع على النار ، والعامّة ببغداد يسمونه :

سيخ ، فارسيّة بمعنى السفود .

٥ التنبذ : شرب النيذ .

٦ انفردت بها ن .

بين المهدي ويعقوب بن داود

وقرىء على أبي بكر الصولي ، وأنا حاضر أسمع ، حدّثكم الحسن العنبري ،
قال :

أمر المهدي بيعقوب بن داود الكاتب ، بعد أن نكبه ، أن يؤتّى به إليه ،
فجاء ، وقد انتضى له السيف .
فقال : يا يعقوب .

قال : لبيك يا أمير المؤمنين ، تلبية مكروبٍ [٢١٥ ر] لموجدتك ، شرفٍ
بغضبك .

فقال : ألم أرفع قدرك وأنت خامل ، وأسّير ذكرك وأنت غافل ، وألبسك من
نعم الله ونعمي ، ما لم أجد عندك طاقة لحمله ، ولا قياماً بشكره ، فكيف رأيت
الله أظهر عليك ، وردّ كيدك إليك ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، إن كنتَ قلتَ هذا بعلم ويقين ، فأنا معترف ،
وإن كان بسعاية الساعين ، فأنت بما في أكثرها عالم ، وأنا عائد بكرمك ،
وعيم شرفك .

فقال : لولا ما سبق لك من رعايتي لاستحقاقتك ، لألبستك من الموت قميصاً ،
اذهبوا به إلى المطبق .

فذهبوا به وهو يقول : الاختلاط رحم ، والوفاء كرم ، وما على العفو يذمّ ،
وأنت بالمحاسن جدير ، وأنا بالعفو خليق .
فلم يزل محبوساً ، حتى أطلقه الرشيد^١ .

١ لم ترد هذه القصة في م .

قال الصولي : ولما أوقع المهدي يعقوب بن داود ، أحضر إسحاق بن الفضل ابن عبد الرحمن الربيعي الهاشمي .

فقال له : أتزعم أنكم الكبراء من ولد عبد المطلب ، لأنّ الحارث أباكم أكبر ولده ، ولذلك صرتَ أحقّ بالخلافة منّي ؟

فقال إسحاق : على من قال هذا ، أو نواه ، لعنة الله ، وإذا صح عليّ هذا ، فاقتلني .

فقال : يعقوب بن داود قال لي هذا عنك .

فقلت في نفسي : يعقوب قد قتل ، ولم أشكّ في ذلك ، فقد أمنت من أن

يبهتني .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن واجهني يعقوب بهذا فقد اعترفتُ به .

فأحضر يعقوب مقيّداً ، فقال له : أما أخبرتني عن [٢٢٥ غ] إسحاق بكذا ؟

قال إسحاق : فأحسست - والله - بالموت ، إلى أن قال يعقوب : والله ، ما

قلت لك هذا قط .

قال : بلى والله .

قال : لا والله ، فاغتاط المهدي .

فقال له يعقوب : إن أذكرتك القول في هذا ، تزيل التهمة عني ؟

قال : نعم .

قال : أتذكر يوم شاورتني في أمر مصر ، فأشرت عليك بإسحاق .

فقلت : ذاك يزعم أنّه أولى بالخلافة منّي ، وقد كان مبارك التركي حاضراً

ذلك ، فأسأله ، فذكر المهدي ذلك .

ثم أقبل المهدي يوبّخ يعقوب على أفعاله ، ويعقوب يقوم بالحجّة .

إلى أن قال له يعقوب : يا أمير المؤمنين ، أتذكر حيث أعطيتني عهد الله

وميثاقه ، وذمة رسوله ، وذمة آبائك ، أن لا تقتلني ، ولا تحبسني ، ولا تضربني

أبدًا ، ولو قتلتُ موسى وهارون^٢ .
قال : فوثب المهدي من مجلسه ، وردَّ يعقوب إلى حبسه ، وخرجت أنا^٣ .

٢ يريد ولدي المهدي : موسى الهادي وهارون الرشيد .

٣ انفردت بها غ .

جزاء الخيانة

وحكى أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق التنوخي :
أن رجلاً أمسى في بعض محالّ الجانب الغربي من مدينة السلام ، ومعه
دراهم لها قدر .

فخاف على نفسه من الطائف^١ ، أو من بليّة تقع عليه ، فصار إلى رجل من
أهل الموضع ، وسأله أن يبيّته عنده ، فأدخله .

فلما تيقّن أن معه مالا ، حدّث نفسه بقتله ، وأخذ المال .

وكان له ابن شاب ، فنوّمه بحذاء الرجل ، في بيت واحد ، ولم يعلم انه
ما في نفسه ، وخرج من عندهما ، وقد عرف مكانهما ، وطوّئ السراج .

فقدر أن الابن انتقل من موضعه إلى موضع الضيف ، وانتقل الضيف إلى
موضع الابن ، وجاء أبوه يطلب الضيف ، فصادف الابن فيه ، وهو لا يشكّ
أنه الضيف ، فخنقه ، فاضطرب ، ومات .

وانتبه الضيف باضطرابه ، وعرف ما أريد به ، فخرج هارباً ، وصاح في
الطريق ، ووقف الجيران على خبره ، وأغاثوه ، وخرجوا إليه .

وأخذ الرجل ، فقرّر ، فأقرّ بقتل ولده ، فحبس ، وأخذ المال من داره ،
فردّ على الضيف ، وسلم^٢ .

١ الطائف : راجع حاشية القصة ١٨٣ من هذا الكتاب .

٢ لم ترد هذه القصة في م ، ولا في غ ، وقد وردت في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي
التنوخي برقم القصة ٨٧/٤ .

الخائن لا يؤتمن

قال مؤلف هذا الكتاب : وقد جرى [٤٦ ن] في عصرنا مثل هذا ، فحدثني مبشر الرومي^١ ، قال :

لما خرج معز الدولة في سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وانهمز ناصر الدولة من بين يديه ، أنفذني مولاي ، لأكون بحضرته ، وحضرة أبي جعفر الصيمري كاتبه ، وأوصل كتبه إليهما .

فسمعت حاشية الصيمري ، يتحدثون : أنه جاء إليه ركايب من ركايبته ، وقال له : أيها الأمير ، إن قتلتُ لك ناصر الدولة ، أي شيء تعطيني ؟ قال له : ألف دينار .

قال : فأذن لي أن أمضي وأحتال في اغتياله ، فأذن له . ففضى إلى أن دخل عسكره ، وعرف موضع مبيته من خيمته ، فرصد الغفلة حتى دخلها ليلاً ، وناصر الدولة نائم ، وبالقرب من مرقده شمعة مشتعلة ، وفي الخيمة غلام نائم .

فعرف موضع رأسه من المرقد ، ثم أطفأ الشمعة ، واستل سكيناً طويلاً ماضياً كان في وسطه ، وأقبل يمشي في الخيمة ، ويتوقى أن يعثر بالغلام ، وهو يريد موضع ناصر الدولة .

فإلى أن وصل إليه انقلب ناصر الدولة من الجانب الذي كان نائماً عليه ، إلى الجانب الآخر ، وزحف في الفراش ، فصار رأسه على الجانب الآخر من

١ مبشر الرومي : مولى أبي القاسم على بن محمد التنوخي القاضي ، والد مؤلف هذا الكتاب ، نقل عنه المؤلف في كتابه نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة قصصاً ، راجع في كتاب نشوار المحاضرة القصص ١٠٠/١ و ١٠٢ و ١٨٠ و ١٨٠/٨ .

المخاد والفراش ، وبينه وبين الموضع الذي كان فيه مسافة يسيرة .
وبلغ الركابي إلى الفراش ، وهو لا يظن إلا أنه فيه وأنه في مكانه .
فوجأ الموضع بالسكين بجميع قوّته ، وعنده أنه قد أثبتّها في صدر ناصر
الدولة ، وتركها في موضعها ، وخرج من تحت أطناب الخيمة .
وصار في الوقت إلى عسكر معزّ الدولة ، فوصل إليه ، فأخبره أنه قتل ناصر
الدولة ، وطالب بالجماعة ، فاستشرحه كيف صنع ، فشرحه .
فقال له : اصبر حتى يرد جواسيسي بصحّة الخبر .
فلما كان بعد يومين ورد الجواسيس بأخبار عسكر [٢١٦ ر] ناصر الدولة ،
وما يدلّ على سلامته [وأنّ إنساناً أراد أن يغتاله ، فكان كيت وكيت] ^٢ ، وذكر
له خبر السكين .
فأحضر معزّ الدولة الركابي ، وسلّمه إلى أبي جعفر محمّد بن أحمد الصيمري
- الهلالي ، فيما سمعت إذ ذاك - وقال له : إكفني أمر هذا الركابي ، فإنّ من
تجاسر على الملوك لم يجز أن آمنه على نفسي .
فغرّقه الصيمري سرّاً ^٣ .

٢ الزيادة من غ .

٣ لم ترد هذه القصة في م ، وقد وردت في تجارب الأمم ٩٤/٢ في حوادث السنة ٣٣٤ وجاء فيها أنّ مضرب
ناصر الدولة كان بباب الشّماسيّة ، أقول إنّ الشّماسيّة ، اسمها الآن : الصليبخ ، وتقع شمالي بغداد .

أراد ابن المعتز قتل يحيى بن علي المنجم

فلم يمهل القدر

قال مؤلف هذا الكتاب : كان يحيى بن علي المنجم^١ قد ناقض أبا العباس عبد الله بن المعتز ، في أشعار جرت بينهما ، في تفضيل ما بين العرب والعجم ، والطالبين والعباسيين ، واشتدّت الحال بينهما ، إلى أن بادأه يحيى بالعداء والهجاء ، وذلك طويل مشهور ، وليس هذا موضع ذكره .

فلما بويع ابن المعتز ، وأطاعه الجيش ، وجلس للنظر في الأمور ، وأشار أهل يحيى عليه بالهرب ، وهمّ هو به خوفاً من القتل ، أتنه رسل ابن المعتز يطلبونه للبيعة ، فدخل إليه وهو آيس من الحياة ، فبايعه ، وثار الشرّ في وجهه حتى خاف أن يبادره ، ثم انصرف لاشتغال ابن المعتز عنه بإحكام البيعة ، وعمل يحيى على التواري وإسلام النعمة .

فلما كان من الغد ، انتقض أمر ابن المعتز ، وكفي يحيى أمره^٢ .
وحكى الصولي في كتابه «كتاب الوزراء»^٣ [قال : حدّثني الحسن بن إسماعيل الجليس]^٤ ، قال : دخل يحيى بن علي المنجم ، إلى عبد الله بن المعتز ،

١ أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور ، المعروف بابن المنجم (٢٤١-٣٠٠) : أديب ، شاعر مطبوع ، متكلم ، معتزلي ، عالم بعلوم الأوائل ، أشعر أهل زمانه وأحسنهم أدباً ، نادم الموفق والمعتضد ، وله مؤلفات عدّة (الأعلام ١٩٥/٩ وتاريخ الحكماء ٣٦٤ والفهرست ١٦٠ وتاريخ بغداد للخطيب ٢٣٠/١٤) .

٢ انفردت بها ن .

٣ في ن : كتاب الخلفاء .

٤ الزيادة من ن .

مَتَقَلِّدًا سَيْفًا ، ومعه ابناه ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ [٢٢٦ غ] بِالْخِلَافَةِ .
فَقَالَ لَهُ ، قَلِيلًا قَلِيلًا ، وَمِنْ حَوْلِهِ يَسْمَعُ : لَا سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، يَا كَلْبُ ،
أَلَسْتُ الْهَاجِي سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ وَالْفَاخِر [بِعَجْمِكَ] ٥ عَلَى أَهْلِهِ ؟ وَاللَّهِ ، لَا أَطْعَمَنَّ
الطَّيْرَ لِحِمِّكَ .

قَالَ : وَخَفْتُ أَنْ يَعْجَلَ فَيَأْمُرَ بِهِ ، فَجَعَلْتُ أَوْمِيءَ إِلَى الْإِنْتِظَارِ بِهِ ، فَسَلَّمَ ،
وَلَا أَحْسِبُ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ كَانَ يَعِدُّ لَهُ مَا الْقَتْلُ مَعَهُ رَاحَةً .
ثُمَّ قَالَ : كَلَابُ غَدَتِهِمْ نَعَمْتَنَا ، وَأَشَادَتْ بِذِكْرِهِمْ خِدْمَتَنَا ، سَعَوْا بِالْبَاطِلِ
عَلَيْنَا ، وَجَحَدُوا إِحْسَانَنَا ، وَهَجَوْا نَبِيَّنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَتَّى إِذَا أَظْلَمَ الْعَذَابُ ،
وَأَسْلَمَتْهُمْ الْحَرَابُ ٥ ، تَحَصَّنُوا بِالرَّفْضِ ، وَمَدَحُوا أَهْلَنَا ، وَأَخْصَصَ النَّاسُ بَنَانَا ،
لِتَنْصَرِّهَ عَلَيْنَا طَائِفَةٌ مِنَّا ، وَلِيَتَأَلَّفُوا قُلُوبًا نَفَرَتْ عَنْهُمْ وَلَمْ يَعْلَمْ الْجَاهِلُ الْكَافِرُ ،
أَنَّا وَبَنِي عَمِّينَا مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ ، لَوْ افْتَرَقْنَا فِي كُلِّ شَيْءٍ تَجْتَمِعُ النَّاسُ عَلَيْهِ ،
مَا افْتَرَقْنَا فِي أَنَّ الثَّالِبَ لَسَيِّدِنَا مُحَمَّدًا ﷺ كَافِرٌ ، وَالْفَاخِرُ عَلَيْهِ فَاجِرٌ ، وَأَنَا
جَمِيعًا نَرَى قَتْلَهُ ، وَنَسْتَحِلُّ دَمَهُ .

فَمَا زِلْنَا نَسْكُنُ مِنْهُ وَنَحْتَالُ لِلْعَذْرِ عَنْهُ وَجْهًا ، وَهُوَ لَا يَقْبَلُ ، وَيَعْتَفِنَا ، وَيَقُولُ :
لَيْسَ بِمُسْلِمٍ مَنْ خَالَفَ قَوْلِي هَذَا ٦ .

وَأَنْشَدَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ ، لِنَفْسِهِ ، بَعْدَ أَنْ قَتَلَ ابْنَ الْمُعْتَزِّ :

نَفَخْتُ فِي غَيْرِ فَحْمٍ	يَا قَاطِعًا كُلَّ رَحْمٍ
لَمَّا تَأَلَّيْتُ بَغِيًّا	أَنْ تَطْعَمَ الطَّيْرَ لَحْمِي
حَمِيَّتْ مِنْكَ فَصَارَ الـ	مَبَاحٌ مَا كُنْتُ تَحْمِي
فَازْهَبْ إِلَى النَّارِ فَارْحَمْ	سَكَانَهَا أَيُّ زَحْمٍ ٧

٥ في ن : وَأَسْكَنَهُمُ الْجَوَابَ .

٦ انفردت بها غ و ن .

٧ انفردت بها غ و ن ، وقد أورد ابن الأثير ١٧/٨ . أبياتاً لأبي أحمد يحيى بن علي بن المنجَم ، هجا =

قال الصولي : ولما ولي أبو الحسن بن الفرات الوزارة الأولى ، دخل عليه يحيى بن عليّ فأنشده قصيدة ، يهنّيه بها ، وذكرها الصولي ، فمنها مما يدخل في هذا المعنى ، قوله :

وليس وزارة الخلفاء نهياً	وليس خلافة الرحمن عاره
تجلّت غبرة كئنا أصبنا	بها والمسلمون على إيساره ^٨
فأعقبنا الزمان رضى بسخطٍ	وأبدلنا الحلاوة بالمراره ^٩

بها ابن المعتزّ ، قال :

بايعوه فلم يكن عنده الأنـ	سوك إلا التغبير والتخييط
رافضيّون بايعوا أنصب الأئمـ	ة هذا لعمرى التخليط
ثم ولي من زعقنة ومحامـ	سوه ومن خلفهم لهم تضريط

قوله : الأنوك : أي الأحق ، والتغبير : ترديد الصوت وإحداث الضجة بلا طائل ، والتخييط : السير على غير هدى ، وقوله : رافضيّون ، مفردة رافضيّ : لقب ينسب به شيعة الإمام عليّ بن أبي طالب والأئمة من أولاده ، وقوله : أنصب الأئمة ، أي أشدها نصباً ، والنواصب أو الناصبيّون ، مفردة ناصبيّ : لقب ينسب به المنحرفون عن الإمام عليّ بن أبي طالب والمبغضون له ، وقوله عن ابن المعتزّ : إنّه أنصب الأئمة ، لأنّه كان معروفاً بالانحراف عن العلويين (ابن الأثير ١٦/٨ ومعجم الأدباء ٣٤١/٥ و ٣٤٢) ، والتخليط والخلط : التصرف بدون تعقل ، والبغداديون الآن يلفظونها بالراء ، فيقولون عمّن يخلط : يخرط ، وعن التخليط : خريط .

٨ الإبارة : الإهلاك والاتلاف .

٩ انفردت بها غ و ن .

الحجاج بن خيثمة ينصح الحسن بن سهل

حدّثنا أبو محمّد عبد الرحمن الورّاق المعروف بالصيرفي^١ ، ابن أبي العباس محمّد بن أحمد الأثرم المقرئ البغدادي بالبصرة في المحرم سنة خمس وأربعين وثلثمائة بكتاب «المبيضة» لأبي العباس أحمد بن عبيد الله [٤٧ ن] بن عمّار^٢ ، في خبر أبي السرايا الخارج بالطالبيين بعد مقتل الأمين ، وشرح غلبة الطالبيين وأصحاب أبي السرايا على الكوفة ، والبصرة ، وأكثر السواد ، والحرمين ، واليمن ، والأهواز ، وغير ذلك ، قال : حدّثنا أبو الحسن عليّ بن محمّد بن سليمان النوفلي^٣ ، قال :

لما انصرف الطالبيون عن البصرة ، تفرّقوا ، فتوارى بعضهم ببغداد وبعضهم بالكوفة ، وكان فيمن توارى زيد بن موسى بن جعفر بن محمّد ، فطلبه الحسن^٤ طلباً شديداً حتى دلّ على موضعه ، فأرسل إليه من هجم عليه فأتى به ، ثم جلس مجلساً عاماً من أجله ، ودعا به ، فأنتبه ، ووبّخه ، وقال : قتلت الناس ، وسفكت دماء المسلمين ، وفعلت ، وفعلت .

ثم أقبل على من حضره من الناس والهاشميين وغيرهم ، وقال : ما ترون فيه ؟ فأمسكوا جميعاً .

١ أبو محمّد عبد الرحمن بن أبي العباس الأثرم محمّد بن أحمد بن حمّاد الورّاق : ترجمته في حاشية القصة ١٩٤ .

٢ أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، صاحب كتاب المبيضة : ترجمته في حاشية القصة ١٩٥ .

٣ أبو الحسن عليّ بن محمّد بن سليمان النوفلي : يروي عن أبيه ، ذكره أبو عبيد الله المرزباني في الموشح ٣٣٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٣ ، والنوفلي نسبة إلى نوفل بن عبد مناف أو نوفل بن الحارث بن عبد المطلب (اللباب ٢٤٤/٣) ، وقد أوصل المؤلف نسبه إلى نوفل في القصة التالية .

٤ يريد بالحسن ، الحسن بن سهل ، قائد جيش المأمون .

وانبرى له قثم بن جعفر بن سليمان ، فقال : أرى أيها الأمير أن تضرب عنقه ، ودمه في عني .

فأمر به الحسن ، فشد رأسه بالحبل ، وانتضي له السيف ، ولم يبق إلا أن يومئ بالضرب ، فيضرب .

إذ صاح الحجاج بن خيثمة - وهي أمه - وقد حضر المجلس ذلك اليوم ، قال : وهو رجل من أهل البصرة له قدر ، وأمّه أخت عبيد الله بن سالم مولى بلقين ، وكان الرشيد جعل إليه أمر الصواري والبارجات^{هـ} ، وكانت له في نفسه هياة وحال وسرو ، فاحتمل أن يولى هذا ، وكانت حاله ، بعد ، حالاً حسنة ، وقدره غير وضعيع .

فقال : أيها الأمير ، إن رأيت أن لا تعجل ، وأن تدعوني إليك ، فإن لك عندي نصيحة .

ف فعل الحسن ، وأمسك الذي بيده السيف ، واستدناه .
فلما دنا ، قال : أيها الأمير ، أتاك بما تريد فعله أمر أمير المؤمنين ؟
قال : لا .

قال : فكان قد عهد إليك ، إذا ظفرت بهذا الرجل أن تقتله ، واستأمرت به بعد ظفرك به ، فأمرك بذلك ؟
قال : لا ذا ولا ذا .

قال : أقتل ابن عمّ أمير المؤمنين عن غير أمره ، ولا استطلاع رأيه فيه ؟
قال : ثم حدثه بحديث عبد الله بن الأفظس ، وأن الرشيد حبسه عند جعفر بن يحيى ، فأقدم عليه ، فقتله من غير أمره ، وبعث برأسه إليه ، مع هدايا النيروز ، وأن الرشيد لما أمر مسروراً الكبير بقتل جعفر ، قال له : إذا سألك

هـ البارجات ، مفردا البارجة : السفينة من سفن البحر تتخذ للقتال (لسان العرب) والصواري ، مفردا الصاري : عمود يركّز في وسط السفينة يركّب فيه الشراع .

عن ذنبه الذي أقتله من أجله ، فقل له : إنما أقتلك بآبِ عَمِّي ابن الأَفْطَس الذي قتلته من غير أمري .

ثم قال الحجاج للحسن : أفتأمن أيها الأمير حادثة تحدث بينك وبين أمير المؤمنين فيحتج عليك بمثل ما احتج به الرشيد على جعفر ؟
فجزاه خيراً ، وأمر أن يرفع عن زيدٍ السيفُ ، وأن يردَّ إلى محبسه فلم يزل محبوساً حتى ظهر أمر إبراهيم بن المهدي ، فجدَّ أهل بغداد بالحسن بن سهل فأخرجوه منها .

قال : وكان حبسه عند الطيّب بن يحيى ، وكان صاحب حرسه ، قال : وحبس معه أحمد بن محمد بن عيسى الجعفري ، أخا العباس بن محمد صاحب البصرة ، فضيق عليهما محبسهما حتى جعلهما في سفينته ، وأطبق عليها ألواحاً ، وجعل لها فتحةً يدخل منه الطعام والشراب ، وعندهما دَنٌّ مقطوع الرأس يحدثان فيه ، فإذا كاد يمتلئ ، أخرج فرمي ما فيه ، ثم ردَّ .
فلم يزل ذلك حالهما ، حتى بايع المأمون لعلِّي بن موسى الرضا ، فكتب إلى الحسن في إطلاقهما ، ففعل الحسن ذلك^٦ .

٦ انفردت بها ن ، وأشار إليها صاحب مقاتل الطالبين ص ٥٤٨ و ٥٤٩ .

يحيى البرمكي يغري الرشيد بجعفر بن الأشعث

وحدّثنا أبو محمّد عبد الرحمن بن الأثرم ، في هذا الكتاب^١ ، في خبر موسى بن جعفر بن محمّد ، قال : حدّثنا أبو العبّاس بن عمّار ، قال : حدّثني أبو الحسن النوفلي ، وهو علي بن محمّد بن سليمان بن عبد الملك بن الحارث بن نوفل ، قال :

حدّثني أبي ، أنّ بدء سعي يحيى بن خالد البرمكي ، على موسى بن جعفر ، كان سببه وضع الرشيد ابنه محمّداً في حجر جعفر بن محمّد بن الأشعث^٢ ، فساء ذلك يحيى ، وقال : إذا مات الرشيد ، وأفضى الأمر إلى ولده محمّد^٣ انقضت دولتي ، ودولة ولدي ، وتحوّل الأمر إلى جعفر وولده ، وقد كان عرف مذهب جعفر في التشيع ، فأظهر له أنّه على مذهبه ، فلمّا أنس به جعفر ، أفضى إليه بجميع أمره ، وذكر له ما هو عليه في موسى بن جعفر .

وكان الرشيد يرعى له موضعه ، وموضع أبيه من الخلفاء^٤ ، فكان يقدّم في

١ يريد : كتاب المبيضة .

٢ أبو العبّاس جعفر بن محمّد بن الأشعث الخزاعي : كان أثيراً جداً عند الرشيد ، وكان قد أودع لديه خاتم الخلافة (الطبري ٢٣٥/٨) وولاه خراسان (الطبري ١٧٣/٨ و ٣٤٧ ، وابن الأثير ١١٤/٦ و ١٢٠ و ٢١٥) .

٣ في الأصل : وأفضى الأمر إلى جعفر بن محمّد بن الأشعث ، وهو خطأ من الناسخ .

٤ كان محمّد بن الأشعث الخزاعي من قدماء الساعين في إقامة دولة بني العبّاس ، ولّاه أبو مسلم الخراساني الطبرسين (الطبري ٣٨٩/٧ وابن الأثير ٣٨٦/٥) وولي للسفّاح فارس (الطبري ٤٥٨/٧ و ٤٦٠) وقاد جيشاً أحمد به فتنةً بالريّ فامت على المنصور في السنة ١٣٨ (الطبري ٤٩٧/٧) وولّاه المنصور مصر (ابن الأثير ٣١٧/٥ و ٣١٨ والطبري ٥١١/٧ ، ٥١٤ ، ٦٣٨) وكان فاتكاً (ابن الأثير ٣٧١/٥ والطبري ٣٧٢/٧) ، ومات في السنة ١٤٩ وهو يقود جيش الصائفة لغزو الروم (الطبري ٢٨/٨) .

أمره ويؤخّر ، ويحيى لا يألو أن يحطّب عليه ، إلى أن دخل يوماً على الرشيد ، وجرى بينهما حديث ، فمتّ جعفر بخدمته وخدمة أبيه ، فأمر له بعشرين ألف دينار ، فأمسك يحيى أياماً ، ثم قال للرشيد : قد كنت أخبرك عن جعفر ومذهبه ، فأكذب عنه ، وها هنا أمر فيه الفصل ، إنّه لا يصير إليه مال إلاّ أخرج خمسه فوجّه به إلى موسى بن جعفر ، ولست أشكّ أنّه فعل ذلك في العشرين ألف دينار التي أمرت له بها .

فأرسل الرشيد إلى جعفر ليلاً يستدعيه ، وقد كان جعفر عرف سعاية يحيى عليه ، مساساً^٥ للعداوة ، فلما طرق جعفر رسول الرشيد لم يشكّ أنّه سمع من يحيى فيه ، فأفاض عليه ماءً ، ودعا بمسك وكافور ، وتحنّط بهما^٦ ، ولبس بردة^٧ ، وأقبل إلى الرشيد ، فلما دنا منه ليخاطبه ، شمّ منه رائحة الكافور ، ورأى البردة ، فقال : ما هذا يا جعفر ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، قد علمت أنّه يسعى عليّ عندك ، فلما جاءني رسولك في هذه الساعة ، علمت أنّك أرسلت إليّ لتقتلني .
قال : كلاً ، ولكن أخبرت أنّك تبعث إلى موسى بن جعفر من كلّ ما يصير إليك بخمسه^٨ ، وأنّك قد فعلت ذلك في العشرين ألف دينار ، وأحببت أن أعلم ذلك .

٥ كذا في الأصل .

٦ الحنوط : أخلط ذات رائحة طيبة ، أحد أجزائها الكافور ، يطلى بها بدن الميت ، وقد يطلى بها من استعدّ للقاء الموت .

٧ البردة : كساء من الصوف ، وقد أصبح تقليداً أن تدخل البردة في جملة ما يكفن به الميت عند المسلمين .
وذكر دوزي في معجم الألبسة ٦٠ : أنّ أعرابياً طلب من النبي صلوات الله عليه بردة كانت عليه ، قال إنّه يريدّها كفناً له ، واليمن مشهورة ببردها (لطائف المعارف ١٦٦) وما يزال الحجاج يعودون من حجّهم ومعهم بردة يمانية يشترونها من مكّة ويغسلونها بماء بثر زمزم ، ويعبّونها ليكفّنون بها عند موتهم .

٨ تسليم الخمس للإمام ، يجري تطبيقاً لأحكام الآية : واعلموا أنّ ما غنمتم من شيء فإنّ الله خمسه =

فقال جعفر : الله أكبر ، يا أمير المؤمنين ، مُرْ بعض خدامك يذهب فيأتيك بها بخاتمها .

فقال الرشيد لبعض الخدم : خذ خاتم جعفر وانطلق حتى تأتي بهذا المال ، وأسمي له جاريته التي ماله عندها ، فدفعت إليه البدر بخواتمها ، فأتى بها إلى الرشيد . فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين ، هذا أول ما تعرف به كذب من سعى بي إليك .

فقال : صدقت ، انصرف آمناً ، فأني لا أقبل فيك ، بعد هذا قول أحد^٩ .

والرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل (٤١ م الأنفال ٨) فالغنيمة : ما أخذ من أموال أهل الحرب بقتال ، والىء ما أخذ بغير قتال ، ويقسم الخمس إلى ستة أقسام حسب ترتيب الآية ، أولها سهم الله ، وثانيها سهم الرسول ، وهذان السهمان ، مع سهم ذي القربى من حق الإمام القائم مقام الرسول صلوات الله عليه (مجمع البيان ٢ م ج ٤ ص ٥٤٣) وآتهم أحد بأنه يدفع الخمس لأحد الأشخاص يعني اعترافه بأنه الإمام القائم ، وهذا يعني أنه لا يقول بصحة خلافة الرشيد .
٩ - انفردت بها ن .

هب مجرم قوم لوافدهم

[حدَّثنا علي بن الحسن ، قال : حدَّثنا ابن الجراح ، قال : حدَّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : بلغني عن العريان بن الهيثم^١ ، عن أبيه^٢ .
أن عبيد الله بن زياد ، وجهه إلى يزيد بن معاوية ، رسولاً في حاجته ، فدخل ،
فاذا خارجي بين يدي يزيد يخاطبه .

فقال له الخارجي في بعض ما خاطبه : يا شقي .

فقال : والله لأقتلنك ، فرآه يحرك شفثيه .

فقال : ماذا الذي تقول ؟

قال : أقول : [٤٨ ن]

عسى فرج يأتي به الله إنه له كل يوم في خلقته أمر

إذا اشتد عسر فارحُ يسراً فإنه قضى الله أن العسر يتبعه اليسر

فقال : أخرجاه ، فاضربا عنقه .

ودخل الهيثم بن الأسود^٣ ، فقال : ما هذا ؟ فأخبر بالأمر .

فقال : كفّا عنه قليلاً ، حتى أدخل ، فدخل .

١ العريان بن الهيثم بن الأسود النخعي : قائد ، من أنصار الأمويين ، كان صاحب شرطتهم لما تحرّك عليهم يزيد بن المهلب بالبصرة سنة ١٠٢ ، وكان أثيراً عند خالد القسري أمير العراقيين ابن الأثير ٨٤/٥ ، ٢٢٠ والطبري (١٥٢/٧) .

٢ الزيادة من غ .

٣ أبو العريان الهيثم بن الأسود النخعي : قائد ، من أنصار الأمويين ، أحد الذين شهدوا على حجر بن عدي ، وكان زياد يبعث به في مهمّاته ، ولما أراد المختار أن يقتل عمر بن سعد ، بعث الهيثم إليه ولده العريان فأندره (الطبري ٢٧٠/٥ ، ٢٨٩ وابن الأثير ٢٤١/٤) .

فقال : يا أمير المؤمنين ، هب مجرم قومٍ لوافدهم [٢٢٧ غ] .

فقال : هو لك .

فأخذ الهيثم بيده ، فأخرجه ، والخارجي يقول : الحمد لله ، تعالى على الله ،
فأكذبه ، وغالب الله ، فغلبه ٤ .

٤ لم ترد هذه القصة في م ، ووردت في مخطوطة د ص ١٥٧ .

ضراوة الحجاج على القتل

١ - قتل الحجاج عامّة يومه الأسرى من أصحاب ابن الأشعث .

وذكر المدائني في كتابه ، قال : حدثنا رجل كان من أسارى الحجاج ، من أصحاب ابن الأشعث يوم الزاوية^١ ، قال :

جعل الحجاج ، يقتل عامّة الأسرى ، وبقيت منّا جماعة قليلة ، وأني برجل ليضرب عنقه ، فقال : يا حجاج ، والله لئن كنّا أسأنا في الفعل ، فما أحسنت في العقوبة ، وإن كنّا لؤمنا في الجناية^٢ ، فما كرمت في العفو . فقال : ردّوه ، فردّ .

فقال : أخبرني كيف قلت ؟ فأعاد الكلام .

فقال الحجاج : صدقت ، والله ، أفٍ لهذه الجيف ، أما كان فيها أحد ينبّنها كما نبّنها هذا ؟ أطلقوا عنه ، وعن باقي الأسرى . فأطلقوا^٣ .

ب - قتل جميع أسراه إلا واحداً

وذكر المدائني في كتابه ، قال : أتي الحجاج بقوم ممن خرجوا عليه ، فأمر بهم فقتلوا ، وأقيمت الصلاة ، وقد بقي منهم رجل واحد . فقال الحجاج لعنيسة : انصرف بهذا معك ، واغدّ به عليّ .

١ وقعة الزاوية بالبصرة ، حصلت في السنة ٨٢ بين جند أهل الشام بقيادة الحجاج وبين أهل العراق يقودهم عبد الرحمن بن الأشعث ، راجع الطبري ٣٤٢/٦ - ٣٤٥ .

٢ في غ : لؤمنا في الخيانة .

٣ هذه القصّة لم ترد في م .

قال عنبسة : فخرجت به ، فلمّا كان في بعض الطريق ، قال لي : هل فيك خير يا فتى ؟

قلت : وما ذاك ؟

قال : إني - والله العظيم - ما خرجت على المسلمين قط ولا استحللت قتالهم ، وعندى ودائع وأموال ، فتخلّى عني ، حتى آتي أهلي فأردّ على كلّ ذي حقّ حقّه ، وأجعل لك عهد الله عزّ وجلّ ، أنّي أرجع إليك من غدٍ .
فتمعّبت منه ، وتضاحكت به .

فمضينا ساعة ، فأعاد القول عليّ ، فقلت له : اذهب ، فذهب .
فلمّا توارى عنيّ شخصه ، أسقط في يدي ، فأتيت أهلي وأخبرتهم الخبر ، فقالوا : لقد اجترأت على الحجاج .

وبتّ بأطول ليلة ، فلمّا طلع الفجر ، إذا أنا به قد جاء .

فقلت : أرجعت ؟

فقال : سبحان الله ، جعلت الله عزّ وجلّ ، لك كفيلاً ، ثم لا أرجع ؟ قال : فانطلقت به إلى الحجاج .

فقال : أين أسيرك ؟

فقلت : بالباب ، أصلح الله الأمير ، وقد كانت لي وله قصّة .

قال : ما هي ؟ فأخبرته الخبر ، وأدخلته عليه .

فقال لي : أتحبّ أن أهبه لك ؟

قلت : نعم .

قال : هو لك .

فأخرجته معي ، وقلت له : خذ أيّ طريق شئت ، فرفع طرفه إلى السماء ،

وقال : الحمد لله ، وانصرف ، وما كلّمني بكلمة .

فقلت في نفسي : هذا مجنون .

فلَمَّا كان من غد ، أتاني ، فقال : يا هذا ، جزاك الله خيراً ، والله ما جهلتُ ما صنعتَ ، ولكنِّي كرهت أن أشرك في حمد الله تعالى أحداً^١ .

ج - احتجّ لقتله بأنفه حجّة ، فخلّصه الله منه بأهون سبيل

أخبرني محمّد بن الحسن بن المظفر ، قال : أخبرني أبو بكر أحمد بن محمّد السرخسي المؤدّب ، قال : أنبأنا أبو العباس ثعلب ، عن أبي نصر ابن أخت الأصمعي ، عن خاله الأصمعي ، قال :

جلس الحجاج يوماً يأكل ، ومعه على المائدة محمّد بن عمير بن عطارد ابن حاجب بن زرارّة التميمي^١ ، وحجّار بن أبجر العجلي^٢ ، فأقبل في وسط الطعام على محمّد بن عمير ، فقال : يا محمّد ، يدعوك قتيبة بن مسلم^٣ إلى نصرتي يوم رستبّاذ^٤ ، فتقول : هذا أمر لا ناقة لي فيه ولا جمل^٥ !! يا حرسى^٦

١ محمّد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارّة التميمي الدارمي : من أشرف أهل الكوفة وأجوادهم ، ولي للمختار الثقي أذربيجان ، وولي لعبد الملك همدان ، توفي نحو سنة ٨٥ (الطبري ٣٤/٦ ، ٧٠ ، ١٦٤ والأعلام ٢١١/٧) .

٢ حجّار بن أبجر العجلي : من سرة أهل الكوفة ، كان أبوه نصرانياً ، ومات سنة ٤٠ على نصرانيّته ، فشيعه النصاري إلى قبره ، وشيعة قوم من المسلمين مع حجّار لمنزله فيهم (الطبري ١٤٥/٥ ، ١٤٦) راجع أخباره في الطبري ٣٥٣/٥ و٣٦٩ و٤٢٥ و٢٢/٦ و٤٥ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ١٣٤ ، ١٥٨ .

٣ أبو حفص قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي (٤٩-٩٦) : أمير ، فاتح ، ولي لعبد الملك بن مروان الري ، وولي للوليد خراسان ، وغزا ما وراء النهر ، وأطراف الصين ، وفتح سمرقند وخوارزم ، واستمرت ولايته ١٣ سنة (الأعلام ٢٨/٦) وكان من جملة الأمراء الذين وافقوا الوليد على خلع أخيه سليمان من ولاية العهد ، وتولية ولده العباس ، ولم يتم ذلك ، فلما استخلف سليمان خافه ، فخلع ، فثار عليه الناس وقتلوه (العيون والحدائق ١٧/٣-١٩) .

٤ رستبّاذ : موضع من الأهواز من أرض دستوا (معجم البلدان ٥٧٤/٣ و٧٧٨) نزله الحجاج لما نهض لحرب الخوارج ، واختلف مع قسم من جيشه ، فثاروا عليه وحاربوه ، فقتلهم ، راجع التفصيل في الطبري ٢١٠/٦ و٢١١ .

٥ لا ناقة لي فيه ولا جمل : مثل سائر يقوله من لا يريد الدخول في أمر من الأمور ، للتفصيل راجع مجمع =

خذ بيده ، فاضرب عنقه .

فجذب سيفه ، وأخذ بيد محمد بن عمير فأقامه .

وحانت من الحجاج التفاتة ، فنظر إلى حجار بن أبجر يتبسّم ، فدخلته العصبية ، وكان مكان حجار من ربيعة ، كمكان محمد بن عمير من مضر .

فقال الحجاج : يا حرسى ، شم سيفك^٦ .

[وجيء بفرنية]^٨ ، فقال للخباز^٩ : إجعلها مما يلي محمدًا ، فإنّ اللبّ

يعجبه^{١٠} .

الأمثال للميداني ٢٢٠/٢ ، وقال الطغرائي في لامية العجم :

فم الإقامة في الزوراء لا سكي بها ولا ناقي فيها ولا جملي

٦ الحرسى : الجندي الذي يقوم بخدمة الأمير أو الملك وحراسته .

٧ شام السيف : أغمده .

٨ الفرنية ، والفرني ، والفراني : نسبة إلى الفرن ، خبز ثخين مستدير وصفها الخليل بأنّها خبزة غليظة مشكّلة مصعّبة تشوى ثم تروى لبنًا وسمناً وسكرًا (مفاتيح العلوم ٩٩) والصعينة ضم جوانب الخبزة ورفع رأسها (لسان العرب) ، قال العماني في وصف الفرني [الأغاني ٣١٧/١٨] :

جاءوا بفرني لهم ملبسون بات يسقى خالص السمون

مصومع أكوّم ذي غضون قد حشيت بالسكر المطحون

أقول : وجدت أهل النجف يسمون المهلبية : فرني ، أمّا البغداديون ومن جاوهم فيسمونها : محلبي .
٩ الخباز : الأصل فيه أن يطلق على من يصنع الخبز ، ثم أطلق على من يقوم بإعداد المائدة وتقديم الأطعمة وخدمة الطاعمين .

١٠ انفردت بها : ن ، وقد ذكرها الميداني في شرحه المثل : لا ناقة لي في هذا ولا جملي ، قال : ذكروا أنّ محمد بن عمير بن عطار بن حاجب بن زرارة لما خرج الناس على الحجاج ، قال : لا ناقي في ذا ولا جملي ، فلمّا دخل بعد ذلك على الحجاج ، قال : أنت القاتل لا ناقي في ذا ولا جملي ، لا جعل الله لك فيه ناقة ولا جملاً ولا رحلاً ، فشمت به حجار بن أبجر العجلي ، وهو عند الحجاج ، فلمّا دعا بغدائه ، جاءوا بفرنية ، قال : ضعوها بين يدي أبي عبد الله فإنّه لبني يحبّ اللبّ ، أراد أن يدفع عنه شماتة حجار (مجمع الأمثال للميداني ٢٢٠/٢) .

أمر الخليفة بضرب عنقه ثم لم يلبث أن عفا عنه

قال محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء : حدثني الباقراني ، قال :
انصرف إلينا يوماً أحمد بن إسرائيل ، وهو في نهاية القلق والاغتمام [٣٨ ن]
وكانه ميت .

فسألته عن خبره ، فذكر أن رجلاً يعرف بالقاسم بن شعبان الحائك صار
إلى باب المستعين ببغداد ، وعليه جبة صوف ، وعمامة صوف ، وخفان أحمران ،
وفي يده عكاز معقد ، فصاح : [معتز] يا منصور^١ ، وأن من على باب العامة
تعلقوا به ، وأدخل الدار ، فسئل عن خبره ، فادعى عليّ آي أمرته بهذا ، وأن
يدعو الناس إليه ، فأمر أمير المؤمنين بضرب عني ، فاستوهبت منه ، وعرف أمر
الحائك ، فعرف أنه عليم ، وحمل عليّ بما قاله ، فأمر أمير المؤمنين بإخراجه^٢ إلى
أنطاكية .

ثم عاد معنا ، واستقام أمره^٣ .

١ انحدر المستعين إلى بغداد ، إثر اختلافه مع الجند الأتراك بسر من رأى ، فطالبه الأتراك بالعودة ،
فأبى ، فبابعوا المعتز ، واستمرت الحرب بينهما طيلة السنة ٢٥١ حتى خلع المستعين في أول السنة
٢٥٢ ثم قتل (الطبري ٢٨٢/٩-٢٨٥) وكان أحمد بن إسرائيل رافق المستعين لما انحدر إلى بغداد
(الطبري ٣٢٤/٩) وتوسط في أمر الصلح ، حتى تم ، فصاعد أحمد إلى المعتز فاستوزره ووضع تاجاً
على رأسه (الطبري ٣٤٩/٩) .

٢ في الأصل : بإخراجي ، وهو سهو من الناسخ .

٣ انفردت بها : ن .

حسن ظنّه بالله

أنجاه من القتل ، وأطلقه من السجن

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه ، قال :
 حبس رجل قد وجب عليه حدّ^١ ، فلما رفع خبره ، أمر بضرب عنقه .
 قال المخبر : فدخلتُ إلى الحبس إلى رجل بيني وبينه صحبة ، لأعرف
 خبره ، فرأيت الذي أمر بضرب [٢١٧ ر] عنقه يلعب بالنرد^٢ .
 فقلت للذي دخلت عليه ، وأنا لا أعلم أنّ قد أمر بضرب عنق ذلك الرجل :
 ما أفرغ قلب هذا ، يلعب بالنرد وهو محبوس .
 فقال : إنّ أطرف من هذا أنّه قد أمر بضرب عنقه ، وقد عرف بذلك ،
 فهوذا ترى حاله .
 قال : فازددت تعجباً ، وفطن الرجل لما نحن فيه ، فأخذ بيده فصاً من
 فصوص [٢٢٨ غ] النرد فرفعه ، وقال : إلى أن يسقط هذا إلى الأرض ، مائة
 ألف فرج ، ورمى بالفصّ من يده .
 قال : فخرجت ، وأنا متعجب منه ، مفكّر في قوله .
 فإمسينا ذلك اليوم ، حتى شغب الجند ، وفتحت السجون ، وخرج من
 كان فيها ، والرجل فيهم ، وسلّمه الله تعالى من القتل^٣ .

١ الحدّ : راجع حاشية القصة ١٢٣ من هذا الكتاب .

٢ النرد : أنظر البحث في آخر القصة .

٣ هذه القصة لم ترد في م .

الزرد

الزرد : لعبة أصلها فارسيّ ، تعرف الآن في بغداد ، وما جاورها ، بلعبة الصّاوي ، وفي لبنان والشام ومصر ، بلعبة طاولة الزهر .

وتشتمل على رقعة ، وفصّين اثنين مكعبين ، لكلّ فصّ أوجه ستّة ، وعلى ثلاثين حجراً ، نصفها أبيض ، والنصف أسود . والرقعة مرتبة على اثني عشر بيتاً ، بعدد شهور السنة ، والأحجار ، وهي ثلاثون ، بعدد أيّام الشهر ، والفصوص مثل الأفلاك ، ورميها وتقلّبها ، مثل تقلّبها ودورانها ، والنقط في الفصوص ، بعدد أيّام الأسبوع ، كلّ وجهين سبعة ، فالشش (٦) ويقابله اليك (١) ، والبنج (٥) ، ويقابله اللو (٢) ، والجهار (٤) ، ويقابله السي (٣) وجعل ما يأتي به اللاعب من الأرقام ، كالقضاء والقدر ، وهو ينقل الأحجار على ما جاءت به النقوش ، لكنّه إذا كان عنده حسن نظر ، عرف كيف يتأتّى ، وكيف يتحيّل على الغلبة (مروج الذهب ٥٦٤/٢ و ٥٦٥ ، ومطالع البدور ٧٥/١ و ٧٦) .

والبغداديون يسمون الفصّ : زار ، وفي بقيّة الأقطار العربيّة ، يسمّى : زهر ، أمّا الحجر ، فيسمّيه البغداديون : پول ، بالباء المثلثة المضمومة .

ويلعب الزرد اثنان متقابلان ، يأخذ أحدهما الأحجار البيض وعددها ١٥ ، ويأخذ الآخر السود ، وهي بنفس العدد ، ثم يرميان الفصوص ، وينقلان الأحجار تبعاً للأرقام الناتجة عن رمي الفصّين ، ويحاول كلّ من اللاعبين أن يسبق رسيّله في نقل كافّة أحجاره إلى جهته ، فإذا جمعها ، أخذ يرفع منها وفقاً لما ينجي به رمي الفصّين ، وكلّ من سبق رفيقه في رفع أحجاره كان رابحاً ، وتسمّى اللعبة الواحدة : أويون ، تركيّة ، بمعنى : لعبة ، فإذا أتمّ اللاعب رفع جميع أحجاره ، ورسيّله بعد لم يجمع أحجاره في مكان واحد ، فإنّ غلبته تكون مضاعفة ، وتسمّى : مارس ، تركيّة ، بمعنى : مضاعف ، والبغداديون يلفظونها : ملص ، وإذا رمى اللاعب الفصّين ، فجاء رقم كان رسيّله قد سدّه بوضع أحجاره فيه ، قيل عنه : إنّه رمى (كلّه) بالكاف الفارسية فتضيع منه لعبة ، وعليه أن يترك الدور في رمي الفصّ لرفيقه .

والكلّه في لعب الزرد ، من أبغض الأمور ، والبغداديون يتندّرون كثيراً على من يصاب

بالكـله ، ومن جملة ذلك : أنَّ بغدادياً لازمه الكـله ملازمة عنيفة ، فاشتدَّ غيظه ، وعمد إلى فصوص الزرد فابتلعها ، وعندما ذهب إلى المستراح ، ونزلت الفصوص من بطنه ، وجد أنَّها نزلت (كـله) أيضاً.

وقال الشاعر البغدادي :

لنا صاحب مولع بالفخار كثير التظاهر بالمرجله
يحيد الحديث ولكنّه إذا لعب الزرد ما أجهله
فلا ينقل البول إلّا خطأ ولا يطرح الزار إلّا كـله

أقول : شعر بارد ، ولكنّي أوردته لأنّ فيه اصطلاحات بغدادية عن لعب الزرد ، وهي : بول ، زار ، كـله .

ومما يلفت النظر أنّ لعبة الزرد منتشرة في جميع البلدان العربيّة ، وما جاورها من البلدان ، وقد وجدت الأسماء التي تسمّى بها أرقام الفصوص ، واحدة في جميع البلدان ، وهي خليط من الفارسيّة والتركيّة ، مثلاً : إذا كانت أرقام الفصّين ١ و ١ ، قيل : هَيّيك ، فارسيّة ، وإذا كانت ١ و ٢ قيل : إيكي بير ، تركيّة ، وإذا كانت ٥ و ٦ قيل شيش ييش ، اللفظة الأولى فارسيّة ، والثانية تركيّة ، وأعجب من ذلك أنّ هذه التسميات ما زالت كما انتقلت إلينا منذ أكثر من ألف سنة ، ولم تتغيّر ، فقد قال أبو الحسن بن غسان الطيّب البصريّ ، من رجال القرن الرابع الهجري (تاريخ الحكماء ٤٠٢) .

فيا عضد الدولة أنهض لها فقد ضيّعت بين شيش وبك

وقال حفي ناصف ، من رجال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري (١٢٧٣-

١٣٣٨) : [تاريخ أدب الشعب ص ١٤٦]

مَنّي لسيّد الزجّاله ألفين سلام فوقهم بوسه
مالوش شبه في الرجّاله يخلق من الهبيك دوسه

راجع محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني ٧٢٧/٢ و ٧٢٨ .

البَابُ التَّاسِعُ

من شارف الموت بحيوان مهلك رآه فكفّ الله ذلك بلطفه ونجّاه

٤٠٩

آلى على نفسه أن لا يأكل لحم فيل أبداً

حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الشاهد المعروف بابن الطبري^١ ،
قال : حدّثنا جعفر بن محمد الخلدي الصوفي^٢ ، [قال حدّثنا إبراهيم الخوّاص
الصوفي^٣ ، رحمه الله تعالى] قال^٤ :
ركبت البحر مع جماعة من الصّوفيّة ، فكُسر بنا المركب ، فنجّا منّا قومٌ على
لوح من خشب المركب .
فوقفنا على ساحل لا ندري في أيّ مكان هو ، فأقمنا فيه أيّاماً لا نجد ما نقتاته ،

١ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن أحمد الطبري : أحد الشهود ببغداد ، أمّ الناس بالمسجد
الحرام ، أيام المואسم ، وكانت داره مجمع أهل القرآن والحديث ، ترجم له القاضي التنوخي في القصّة
٧/٦ من كتاب نشوار المحاضرة ، ونقل عنه كثيراً من القصص ، وترجم له الخطيب البغدادي ١٩/٦ .
٢ أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير بن القاسم الخوّاص الصوفي ، المعروف بالخلدي : ينسب إلى
محلة الخلد ببغداد ، سافر كثيراً ، وروى علماً جمّاً ، وحجّ ستين حجة ، ترجم له السمعاني في الأنساب
٢٠٥ ، والخطيب في تاريخه ٢٢٨/٧ والمتنظم ٣٩١/٦ ، وروى عنه القاضي التنوخي كثيراً من القصص
في نشواره .

٣ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخوّاص الصوفي : كان أواحد المشايخ في وقته ، من أقران
الخنيد ، ولد بسرّ من رأى ، وتوفي بالريّ سنة ٢٩١ (الأعلام ٢٢/١) .

٤ الزيادة من غ .

فأحسننا بالموت ، وأيقنّا بتلفنا من الجوع لا محالة .
فقال بعضنا لبعض : تعالوا نجعل لله تعالى على أنفسنا أن ندع له شيئاً ، فلعلّه
أن يرحمنا فيخلصنا من هذه الشدة .

فقال بعضنا : أصوم الدهر كله .
وقال الآخر : أصلي كل يوم كذا وكذا ركعة .
وقال بعضنا : أدع لذات الدنيا ، إلى أن قال كل واحد منهم شيئاً ، وأنا ساكت .
فقالوا : قل أنت الآخر شيئاً .
فلم يجر على لساني إلا أن قلت : أنا لا آكل لحم فيل أبداً .
فقالوا : ما هذا القول في مثل هذا الحال ؟

فقلت : والله ، لم أتعمد هذا ، [٤٩ ن] ولكني منذ بدأتكم فعاهدتم الله تعالى
عليه ، وأنا أعرض على نفسي أشياء كثيرة فلا تطاوعني بتركها ، ولا خطر ببالي شيء
أدعه لله تعالى ، ولا مرّ على قلبي غير الذي لفظت به ، وما أجري هذا على لساني
إلا لأمر .

فلما كان بعد ساعة ، قال أحدنا : لم لا تطوف هذه الأرض متفرّقين فنطلب
قوتاً ، فن وجد شيئاً أنذر به الباقين ، والموعد هذه الشجرة .
قال : فتفرّقنا في الطواف ، فوقع بعضنا على ولد فيل صغير ، فلوح بعضنا
لبعض فاجتمعنا ، فأخذة أصحابنا ، واحتالوا فيه حتى شوهه وقعدوا يأكلون .
فقالوا لي : تقدّم وكل معنا .

فقلت : أتم تعلمون أيّ منذ ساعة تركته لله عزّ وجلّ ، وما كنت لأرجع فيه ،
ولعلّ ذلك قد جرى على لساني من ذكري له ، هو سبب موتي من بينكم ، لأني
ما أكلت شيئاً منذ أيام ، ولا أطمع في شيء آخر ، ولا يراني الله عزّ وجلّ أنقض
عهده ، ولو متّ جوعاً ، فاعتزلتهم وأكل أصحابي .
وأقبل الليل ، فأويت إلى أصل شجرة كنت أبيت عندها ، وتفرّق أصحابي
للنوم .

فلم يكن إلا لحظة ، وإذا بفيل عظيم قد أقبل وهو ينعر ، والصحرَاء تتدكدك
بنعيره وشدة سعيه ، وهو يطلبنا .

فقال بعضنا لبعض : قد حضر الأجل ، فتشهدوا ، فأخذنا في الاستغفار
والتسبيح ، وطرح القوم نفوسهم على وجوههم .

فجعل الفيل يقصد واحداً واحداً منهم ، فيشتمه من أول جسده إلى آخره ،
فاذا لم يبق منه موضعاً إلا شتمه ، شال إحدى قوائمه فوضعها عليه ففسخه .

فاذا علم أنه قد تلف ، قصد إلى آخر [٢٢٩ غ] ففعل به مثل فعله بالأول .

إلى أن لم يبق غيري ، وأنا جالس منتصبٌ أشاهد ما جرى وأستغفر الله عز وجل

وأسبح .

فقصدني الفيل ، فحين قرب مني ، رميت بنفسي [٢١٨ ر] على ظهري ففعل
بي من الشتم كما فعل بأصحابي ، ثم عاد فشتمني دفعتين أو ثلاثاً ، ولم يكن فعل
ذلك بأحد منهم غيري ، وروحي في خلال ذلك تكاد تخرج فرعاً .

ثم لفَّ خرطومهُ عليّ ، وشالني في الهواء ، فظننته يريد قتلي ، فجهرت بالاستغفار .

ثم لفني بخرطومهُ فجعلني فوق ظهره ، فانتصبت جالساً ، واجتهدت في حفظ

نفسي بموضعي .

وانطلق الفيل ، يهول تارة ، ويسعى تارة ، وأنا تارة أحمد الله تعالى على تأخير

الأجل وأطمع في الحياة ، وتارة أتوقع أن يثور بي فيقتلني ، فأعاود الاستغفار ،

وأنا أقاسي في خلال ذلك من الألم والجزع لشدّة سرعة سعي الفيل أمراً عظيماً .

فلم أزل على ذلك ، إلى أن طلع الفجر وانتشر ضوءه^٥ ، فإذا به قد لفَّ

خرطومهُ عليّ .

فقلت : قد دنا الأجل وحضر الموت ، وأكثرت من الاستغفار .

فاذا به قد أنزلني عن ظهره برفق ، وتركني على الأرض ، ورجع إلى الطريق

٥ في غ : واشتدّ ضوءه .

التي جاء منها ، وأنا لا أصدّق .
 فلما غاب عني ، حتى لا أسمع له حسّاً ، خررت ساجداً لله تعالى ^٦ ، فما
 رفعت رأسي حتى أحسست بالشمس .
 فإذا أنا على محبّة عظيمة ، فشبّيت نحو فرسخين ، فأنتهيت إلى بلد كبير ،
 فدخلته .
 فعجب أهله مني ، وسألوني عن قصّتي ، فأخبرتهم بها ، فزعموا أنّ الفيل قد
 سار بي في تلك الليلة مسيرة أيّام ، واستطرفوا سلامتي .
 فأقمت عندهم حتى صلحت من تلك الشدّة التي قاسيتها ، وتندّى بدني ، ثم
 سرت عنهم مع التجار ، فركبت في مركب ، ورزقني الله السلامة ، إلى أن عدت إلى
 بلدي ^٧ .

٦ في غ : تحرّرت ساجداً أدعو الله عزّ وجلّ وأحمده .

٧ لا توجد هذه القصّة في م ، وقد أدرجها القاضي التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ،
 برقم القصّة ١٢٧/٣ .

لقمة بلقمة

حدّثني أبو بكر [محمد بن بكر الخزاعي]^١ البسطامي ، صاحب ابن دريد^٢ ،
 وكان زوج ابنته [الغرائقة]^٣ وكان شيخاً من أهل الأدب والحديث ، قد استوطن
 الأهواز سنين ، وكان ملازماً لأبي رحمه الله ، يتفقّده ويبرّه ، قال :
 كان لامرأة ابن ، فغاب عنها غيبة طويلة ، وأيست منه .
 فجلست يوماً تأكل ، فحين كسرت اللقمة وأهوت بها إلى فيها ، وقف بالباب
 سائل يستطعم ، فامتنعت من أكل اللقمة ، وحملتها مع تمام الرغبة فتصدّقت بها ،
 وبقيت جائعة يومها وليلتها .
 فامضت إلا أيام سيرة حتى قدم ابنها ، فأخبرها بشدائد عظيمة مرّت به .
 وقال : أعظم ما جرى عليّ أنّي كنت منذ أيام أسلك في أجمة في الموضع
 الفلاني ، إذ خرج عليّ أسدٌ ، فقبض عليّ من على ظهر حمار كنت راكبه ، وغار
 الحمار^٣ ، ونشبت مخالب الأسد في مرقعة كانت عليّ ، وثياب تحتها وجبة ، فما
 وصل إلى بدني كبير شيء من مخالفه ، إلا أنّي تحيرت ودهشت وذهب أكثر
 عقلي ، وهو يحملني حتى أدخلني أجمة كانت هناك ، وبرك عليّ يفترسني .
 فرأيت رجلاً عظيماً الخلق ، أبيض الوجه والثياب ، قد جاء حتى قبض على
 الأسد من غير سلاح ، وشاله ونخبط به الأرض .

١ الزيادة من غ .

٢ أبو بكر محمد بن بكر الخزاعي البسطامي : صاحب ابن دريد ، وزوج ابنته الغرائقة ، شيخ من أهل

الأدب والحديث ، استوطن الأهواز سنين ، ترجم له ياقوت في معجم الأدياء ٤١٨/٦ و ٤١٩ .

٣ غار : تعبير بغداديّ ، ما زال مستعملاً ، يعني أغار ، أي أسرع في عدوه .

وقال : قُمْ يا كلب ، لقمةً بلقمة ، فقام [٢٣٠ غ] الأسد يهرول ، وثاب إليّ عقلي .

فطلبت الرجل ، فلم أجده ، وجلست بمكاني ساعات ، إلى أن رجعت إليّ قوّتي ، ثم نظرت إلى نفسي ، فلم أجدها بأساً ، فشيت حتى لحقت بالقافلة التي كنت فيها ، فتعجبوا لما رأوني ، فحدثتهم حديثي ، ولم أدر ما معنى قول الرجل : لقمة بلقمة .

فنظرت المرأة ، فإذا هو وقت أخرجت اللقمة من فيها ، فتصدّقت بها^٤ .

٤ لا توجد هذه القصة في م ، وقد وردت في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، برقم القصة ١٦/٢ .

كفى بالأجل حارساً

[وجدت في دفتر عتيق ، أعطانيه أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق رحمه الله^١ ، وأخبرني أنه بخط عمّه أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول الأنباري رحمه الله ، أحاديث من النوادر عن ابن زنبور ، مما صار إلينا ، ولم أسمع منه ، وكان فيها حديث يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، قال : حدثنا الحارث بن مرة ، قال : حدثنا يزيد الرقاشي ، قال : حدثنا إبراهيم بن الخضر ، وكان أحد أمناء القاضي ببغداد ، ويخلف القضاة الغيب بحضرة قاضي القضاة وغيرهم ، قال :^٢ حدثني صديق لي أثق به ، قال :

خرجت إلى الحائر^٣ في أيام الحنبليّة ، أنا وجماعة متخفين ، فلما صرنا في أجمة بانقلا^٤ ، قال لي رفيق فيهم : يا فلان ، إن نفسي تحدثني أن السبع يخرج فيفترسني من دون الجماعة ، فإن كان ذلك فخذ حماري وما عليه فأدّه إلى عيالي . فقلت [٥٠ ن] : هذا استشعار رديء ، يجب أن تتعوّذ بالله منه ، وتضرب عن الفكر فيه .

فما مضى على هذا إلا شيء يسير حتى خرج [٢١٩ ر] الأسد ، فحين رآه الرجل سقط عن حماره ، فأخذه ودخل به الأجمة .

١ أثبت القاضي التنوخي هذه القصّة في كتابه نشوار المحاضرة ، برقم القصّة ١٧/٢ عن أبي الحسن بن الأزرق ، ولم يترجم عليه ، ولما أثبتنا في هذا الكتاب ، ترجم عليه ، وهذا يعني أن إثبات القصّة في هذا الكتاب ، تمّ بعد السنة ٣٧٧ سنة وفاة أبي الحسن .

٢ الزيادة من غ .

٣ الحائر : قبر الحسين عليه السلام بكر بلا .

٤ في غ : أجمة بزفقا ، وبانقيا من نواحي الكوفة (معجم البلدان ١/٤٨٣) .

وسقت أنا الحمار ، وأسرعت مع القافلة ، وبلغت الحائر ، وزرنا ، ورجعنا إلى بغداد .

فاسترحت في بيتي أياماً ، ثم أخذت الحمار وجئت به إلى منزله ، لأسلمه إلى عياله ، فدققت الباب ، فخرج إليّ الرجل بعينه .

فحين رأيته طار عقلي وشككت فيه ، فعانقني ، وبكى وبكى .

فقلت : حدثني حديثك .

فقال : إن السبع ساعة أخذني جرّني إلى الأجمة^٥ ، ثم سمعت صوت شيء ، ورأيت الأسد قد خلّاني ومضى ، ففتحت عيني ، فإذا الذي سمعت صوت خنزير ، وإذا السبع لما رآه عنّ له أن يتركني ، ومضى فصاده وبرك عليه يفرسه وأنا أشاهده ، إلى أن فرغ منه ، ثم خرج من الأجمة وغاب عني .

فسكنت ، وتأمّلت حالتي ، فوجدت مخالبي قد وصلت إلى فخذني وصولاً قليلاً ، وقوّتي قد عادت .

فقلت : لأي شيء جلوسني هاهنا ؟ فقامت أمشي في الأجمة ، أطلب الطريق ، فإذا بجيف ناس ، وبقر ، وغنم ، وعظام باليات ، وآثار من قد [فرسهم الأسد . فما زلت أنخطّاهم ، حتى انتهيت إلى رجل قد^٦ أكل الأسد بعض جسده ، وبقي أكثره ، وهو طريّ ، وفي وسطه هميان قد تحرق بعضه وظهرت منه دنانير . فتقدّمت ، فجمعتها ، وقطعت الهميان ، وأخذت جميع ما فيه ، وتبعتها ، حتى لم يبق منها شيء .

وقويت نفسي ، وأسرعت في المشي ، وطلبت الجادة فوقعت عليها ، واستأجرت حماراً ، وعدت إلى بغداد ، ولم أمض إلى الزيارة ، لأنني خشيت أن تسبقوني ، فذكروا خبري لأهلي ، فيصير [٢٣١ غ] عندهم مأتم ، فسبقتكم ، وأنا أعالج

٥ الأجمة : موضع الشجر الكثيف الملتف ، أو مأوى الأسد .

٦ الزيادة من غ .

فخذي ، وإذا من الله عليّ بالعافية عدت إلى الزيارة^٧ .
[وقد حدثني بهذا الحديث ، غير واحد من أهل بغداد ، بقريب من هذه
العبارة .

وبلغني عن أبي الحسن علي بن محمد بن مقله^٨ ، أنه كان قال : كنت
بالموصل مع المتّي لله^٩ وأنا وزيره إذ ذاك فأتاني سلامة^{١٠} ، أخو نجح الطولوني^{١١} ،
بفيج معه كُتب ، فقال : اسمع ما يقول هذا ، فإنّه طريف .
فدعوته ، وقلت : قل .
فقال : خرجت من بغداد أريدكم ، ومعني رفيق لي ، فيج من أهل بلد^{١٢} ،

٧ لم ترد هذه القصة في م ، ووردت في كتاب نشوار المحاضرة برقم القصة ١٧/٢ وفيها بعض الاختلاف
عمّا ورد في هذا الكتاب .

٨ أبو الحسين علي بن محمد بن علي بن مقله ، وزير المتّي : ترجمته في حاشية القصة ٢٧٤ من الكتاب .
٩ المتّي لله ، أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر (٢٩٧-٣٥٧) : دامت خلافته أربع سنين تقريباً ، وكانت
السيطرة للقواد ، ولم يكن له من الأمر شيء ، واختلف هو وأمير الأمراء توزون التركي ، فخلعه توزون
وسمّاه (الاعلام ٢٧/١) .

١٠ أبو القاسم سلامة الطولوني : أخو نجح الطولوني ، ولهما أخ ثالث اسمه درك (ابن الأثير ٧٩/٨) ،
كان سلامة من حجاب المقتدر وعينه القاهر حاجباً له عند استتار علي بن يلبق ، وهرب محمد بن ياقوت
(تجارب الأمم ٢٦٥/١) وأنيط به أمر إصلاح الرؤوس المقطوعة ، وحفظها في خزانة الرؤوس (تجارب
الأمم ٢٦٨/١) وأمر الخليفة بأن تجري في دار سلامة ، مناظرة أبي بكر بن مقسم الذي ابتدع قراءة لم
تعرف للقرآن (تجارب الأمم ٢٨٥/١) وأصبح سلامة ، وعيسى المتطبّب ، في عهد القاهر ، أهمّ رجلين
في المملكة ، ولتأ قبض على القاهر ، استتر سلامة (تجارب الأمم ٢٨٨/١) ، ثمّ ظهر ، وعاد للخدمة ،
وسافر مع المتّي إلى الموصل ، ورحل في أيام المستكني إلى الشام ، وتوفي سنة ٣٣٦ (ابن الأثير ٤٧٦/٨) .
١١ نجح الطولوني : أخو سلامة الحاجب ، وليّ شرطة بغداد في السنة ٣٠٧ على قول تجارب الأمم ٦٩/١
وفي السنة ٣٠٦ على قول ابن الأثير ١١٣/٨ ، ثمّ وليّ أعمال معاون بأصبهان ، وعزل عنها ، ثمّ أعيد
إليها في السنة ٣١٢ (تجارب الأمم ١٣٩/١ ، وابن الأثير ١٥٧/٨) .

١٢ بلد : قال ياقوت في معجم البلدان ٧١٥/١ ، إنّها مدينة قديمة ، على دجلة ، شمالي الموصل ، على
سبعة فراسخ منها .

فأعطاني لما صرنا بين تكريت ١٣ والسن ١٤ دراهم كانت معه ، وقال لي : إنَّ نفسه
تحدّثه أنَّ الأسد يخرج فيفترسه .
وذكر قريباً من هذا الحديث [١٥] .

-
- ١٣ تكريت : قال ياقوت في معجم البلدان ٨٦٢/١ ، إنَّها بفتح التاء ، والعامة يكسرونها ، (أقول : ما زال
العامة يكسرونها) ، بلدة مشهورة ، شمالي بغداد ، على بعد ٣٠ فرسخاً منها ، على الجانب الغربي من دجلة
فتحت سنة ١٦ على عهد الخليفة عمر ، ولها قلعة حصينة في طرفها الأعلى .
- ١٤ السن : قال ياقوت في معجم البلدان ١٦٩/٣ : إنَّها مدينة على دجلة ، فوق تكريت ، لها سور ،
وجامع كبير ، وعند السن مصب الزاب الأسفل .
- ١٥ الزيادة من غ .

أجلاته الضرورات إلى ركوب الأسد

حدثني أبو جعفر أصبغ بن أحمد^١ ، وكان يحجب أبا محمد المهلب رحمه الله ، قبل وزارته ، فلما ولي الوزارة كان يصرفه في الاستحثاث على العمال^٢ ، وفي الأعمال التي يتصرف فيها العمال الصغار ، قال : كنت بشيراز مع أبي الحسن علي بن خلف بن طناب^٣ ، وهو يتولى عمالها يومئذ^٤ .

فجاء مستحث من الوزير ، يطالبه بحمل الأموال ، وكان أحد العمال الأكابر ، وقد كوتب بإكرامه . فأحضره أول يوم طعامه وشرابه ، فامتنع من مؤاكلته ، وذكر أن له عذراً . فقال : لا بد أن تأكل .

١ أبو جعفر أصبغ بن أحمد الكاتب : كان يخدم أبا جعفر أحمد بن محمد الصيمري ، وزير معز الدولة ، وحجب أبا محمد المهلب ، قبل وزارته لمعز الدولة ، فلما وُزر ، صرفه عن حجته ، وصرفه فيما يتصرف فيه المستخرجون والمستحثون (القصة ٣٥/٢ نشوار المحاضرة) .

٢ الاستحثاث : الحضر .

٣ أبو الحسن علي بن هارون بن خلف بن طناب : كان في السنة ٣١٩ ضامناً أموال الضياع والبالأ على الخراج بشيراز ، وبارحها في السنة ٣٢٢ لما احتلها عماد الدولة بن بويه ، ثم تقلد في السنة ٣٢٣ أعمال الخراج والضياع بالموصل وديار ربيعة ثم تقلد أعمال الخراج والضياع بكنوز الأهواز في السنة ٣٢٦ ، وبعدها وُزر لبجكم ، واعتقله بجكم وصادره ، ثم ولي على ديار مضر في السنة ٣٣٠ (تجارب الأمم ٢١١/١ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٨٤ ، ٤٠٩ ، وابن الأثير ٢٢٥/٨ ، ٣١٠ ، ٣٤٣ ، ٣٤٣ ، ٣٥٥ ، ٣٨٤) .

٤ كان علي بن هارون بن خلف بن طناب يتولى ضمان أموال الضياع والخراج بشيراز في السنة ٣١٩ (تجارب الأمم ٢١١/١) .

فأكل بأطراف أصابعه ، ولم يخرج يده من كمّه .
فلما كان في غد ، قال عليّ بن خلف لحاشيته : [ليدعه كلّ يوم واحد منكم ، -
فكانوا يدعونه ، ويدعون بعضهم بعضاً ، فكانت صورته في الأكل واحدة .
فقالوا] ٥ : لعلّ به برصاً أوجدماً .

إلى أن بلغت النوبة إليّ ، فدعوته ، ودعوت الحاشية ، وجلسنا نأكل ، وهو
يأكل معنا على هذه الصورة ، فسألته إخراج يده والانبساط في الأكل ، فامتنع
عن إخراج يده .

فقلت له : يلحقك تنغيصٌ بالأكل هكذا ، فأخرجها على أيّ شيء كان
بها ، فإنّا نرضى به .

قال : فكشفها ، فإذا فيها وفي ذراعه أكثر من خمسين ضربة ، بعضها مندمل ،
وبعضها فيه بقية ، وعليها أدوية ، وهي على أقبح منظر .

فأكل معنا غير محتشم ، وقدم الشراب فشربنا ، فلما أخذ منه الشراب ،
سألناه عن سبب تلك الضربات .

فقال : هو أمر طريف أخاف أن لا أصدّق فيه .

فقلت : لا بدّ أن تتفضّل بذلك .

فقال : كنت عام أول قائماً بحضرة الوزير ، فسلم إليّ كتاباً إلى عامل دمشق ،
ومنشوراً ، وأمرني بالشخص إليه ، وإرهاقه بالمطالبة بحمل الأموال ، ورسم لي أن
أخرج على طريق السماوة^٦ لأنّ تعجّل ، وكتب إلى عامل هيت^٧ بإنفاذي مع خفارة .
فلما حصلت بهيت ، استدعى العامل جماعة من عدّة من أحياء العرب ،

٥ ساقطة من غ .

٦ السماوة : بادية بين الكوفة والشام (معجم البلدان ١٣١/٣) ، وكانت تسمّى أيضاً : بادية كلب ،
والعراقيون يسمونها الآن : بادية الشام .

٧ هيت : بلدة على الفرات ، مجاورة البرية ، ذات نخل كثير ، وخيرات واسعة (معجم البلدان ٩٩٧/٤) .

وسلّمني إليهم ، وأعطاهم مالا على ذلك ، وأشهد عليهم بتسليمي ، واحتاط في أمري .
وكانت هناك قافلة تريد الخروج منذ مدة ، وتتوقّى البريّة ، فأنسوا بي ، وسألوني
أن آخذ منهم لنفسي مالا ، وللخفراء الأعراب مالا ، وأدخلهم في الخفارة ، ويسيروا
معي ، ففعلت ذلك ، فصرنا قافلة عظيمة .

وكان معي من غلماني ممّن يحمل السلاح نحو عشرين غلاماً ، وفي حمالي
القافلة والتجار جماعة يحملون السلاح أيضاً .
فرحلنا عن هيت ، وسرنا في البريّة ثلاثة أيام بلياليها ، فبينما نحن نسير إذ لاحت
لنا خيل .

فقلت للأعراب : [٢٣٢ غ] [٢٢٠ ر] ما هذه الخيل ؟ فضى منهم قوم إليهم
ثم عادوا كالمهزمين .

فقالوا : هؤلاء قوم من بني فلان بيننا وبينهم شرّ وقاتل ، ونحن طلبتهم ، ولا
ثبات لنا معهم ، ولا يمكننا خفارتكم معهم ، وركضوا منصرفين ، وبقينا متحيرين ،
فلم أشكّ أنّهم كانوا من أهلهم ، وأنهم فعلوا ذلك بمواطأة علينا .
فجمعت القافلة ، وشجعت أهلها وغلماني ، وضممت بعضها إلى بعض ،
وأمرتهم بحمل السلاح ، ولأمة الحرب ، فصرنا حول القافلة من خارجها متساندين
إليها كاللدايرة .

وقلت لمن معي : لو كان هؤلاء يأخذون أموالنا ويدعون جمالنا لننجو عليها
كان هذا أسهل ، ولكنّ الجمال والدواب أوّل ما تؤخذ ، ونتلف نحن في البريّة
ضيعة وعطشاً ، فاعملوا على أن نقاتل ، فإن هزمناهم سلمنا ، وإن قتلنا كان أسهل
من الموت بالعطش .

فقالوا : نفعل .

وغشينا القوم ، فقاتلناهم من انتصاف النهار إلى أن حجز الليل بيننا ، ولم
يقدروا علينا ، وقتلنا عدّة خيل ، وجرحنا منهم جماعة ، وما ظفروا منّا ببعرة ،
وباتوا بالقرب منّا حنقين علينا .

وتفرّق الناس للأكل والصلاة ، واجتهدت بهم [٥١ ن] أن يجتمعوا ، ويبتوا
تحت السلاح ، فخالفوني ، وكانوا قد كلّوا وتعبوا ، ونام أكثرهم .
فغشيتنا الخيلُ ، فلم يكن عندنا امتناع ، فوضعوا فينا السيوف ، وكنت أنا
المطلوب خاصّة ، لما شاهدوه من تدبيري القوم برأيي ، وعلموا أنّي رئيس القافلة ،
فقطّعوني بالسيوف ، ولحقّني هذه الجراحات كلّها ، وفي بدني أضعافها .
قال : وقد كشف لنا عن أكثر جسده ، فإذا به أمرٌ عظيم هالنا ، ولم نره في
بشرٍ قط .

قال : وكان في أجلي تأخيرٌ ، فرميتُ نفسي بين القتلى ، لا أشكّ في تلّني ،
وساقوا الجمال والأمتعة والأسارى .

فلما كان بعد ساعة ، أفقتُ ، فوجدت في نفسي قوّة ، والعطش قد اشتدّ بي ،
فلم أزل أتحمّل ، حتى قمت أطلب في القافلة سطيحة^٨ قد أفلتت ، أشرب منها ،
فلم أجد شيئاً .

ورأيت القتلى والمجروحين الذين هم في آخر رمق ، وسمعت من أيّنهم ما أضعف
نفسي ، وأيقنت بالتلف .

وقلت : غاية ما أعيش إلى أن تطلع الشمس .
فتحاملت أطلب شجرة أو محملاً قد أفلت ، لأجعله ظلّاً لي من الشمس
إذا طلعت .

فإذا أنا قد عثرت بشيء لا أدري ما هو ، في الظلمة ، فإذا أنا منبطح عليه
بطولي وطوله .

فثار من تحتي ، وعانقته ، وقدرته رجلاً من الأعراب ، فإذا هو أسدٌ .
فحين علمت ذلك طار عقلي ، وقلت : إن استرخيت افترسني ، فعانقت

٨ السطيحة : المزادة ، أي الوعاء الذي يحفظ فيه المسافرين الماء ، والبغداديون يسمونها : المطّارة ، محرّفة عن :
المطّرة ، وهي القرية .

رقبته بيدي ، ونمت على ظهره ، وألصقت بطني بظهره ، وجعلت رجلي تحت مخصاه
وكانت دمائي تجري ، فحين داخلني ذلك الفرع العظيم رقاً الدم ، وعلق شعر
الأسد بأفواه أكثر الجراحات ، فصار سداً لها ، وعوناً على انقطاع الدم [٢٣٣ غ] ،
لأنني حصلت كالملتصق عليه .

وورد على الأسد مني ، أطرف ممّا ورد عليّ منه وأعظم ، وأقبل يجري تحتي كما
تجري الفرس تحت الراكب القويّ ، وأنا أحسُّ بروحي تخرج ، وأعضائي تنقصُف
من شدة جريه ، ولم أشكّ أنّه يقصد أجمة بالقرب فيلقيني إلى لبوته فتفترسني .
فجعلت أضبط نفسي مع ذلك وأؤمل الفرج ، وأدافع الموت عاجلاً ، وكلّما
همّ أن يربض ركضت خصاه برجلي فيطير ، وأنا أعجب من نفسي ومطيّي ،
وأدعو الله عزّ وجلّ ، وأرجو الحياة مرّة ، ومرّة آيس من نفسي .

إلى أن ضربني نسم السحر ، فقويت نفسي ، وأقبل الفجر يضيء ، فتذكّرت
طلوع الشمس فجزعت ، ودعوت الله تعالى ، وتضرعت إليه .

فما كان بأسرع من أن سمعت صوتاً ضعيفاً لا ادري ما هو ، ثم قوي ، فشبهته
بصوت ناعورة ، والأسد يجري ، وقوي الصوت ، فلم أشكّ في أنّه ناعورة .

ثم صعد الأسد إلى تلّ ، فرأيت منه بياض ماء الفرات [٢٢١ ر] وهو جارٍ ،
وناعورة تدور ، والأسد يمشي على شاطئ الفرات برفق ، إلى أن وجد مشرعة^٩ ،
فتزل منها إلى الماء ، وأقبل يسبح ليعبد .

٩ المشرعة : مورد الشاربة ، والبغداديون يسمونها الآن : الشريعة ، فصيحة ، ويجمعونها على : شرايع ،
ويروى عن الشيخ عبد السلام الشواف البغداديّ رحمه الله ، وكان من الفقهاء ، الفضلاء ، الزهاد
(١٢٣٦-١٣١٨) أنّه كان إذا ألقى على تلاميذه درساً في علم الكلام ، في تفضيل الإسلام على غيره
من الملل ، ختم درسه بهذين البيتين :

يألّي تريد العيرَ ومن الفرق تسيره
كلّ الشرايع زلق من يمتا العيرة

فقلت لنفسي : ما قعودي ، لئن لم أتخلص هنا ، لا تخلصت أبداً .
فما زلت أرفق به ، حتى تخلصت ، وسقطت عنه ، وسبحت منحدرًا ، وأقبل
هو يشقّ الماء عرضاً .

فما سبحت إلا قليلاً ، حتى وقعت عيني على جزيرة ، فقصدتها ، وحصلت
فيها ، وقد بطلت قوّتي ، وذهب عقلي ، فطرحت نفسي عليها كالثالف .
فلم أحسّ إلا بحرّ الشمس قد أنبهي ، فرجعت أطلب شجرة رأيّتها في الجزيرة ،
لأستظلّ بها من الشمس ، فرأيت الأسد مقعياً على شاطئ الفرات حيال الجزيرة ،
فقلّ فرجي منه .

وأقمت مستظلاً بالشجرة ، أشرب من ذلك الماء ، إلى العصر ، فإذا أنا بزورق
منحدر ، فصاحت بهم ، فوقفوا في وسط الماء .

فقلت : يا قوم ، احملوني معكم ، وارحموني .

فقالوا : أنت دسيس اللصوص .

فأرايتهم جراحاتي ، وحلفت لهم أنّه ما في الجزيرة بعلمي أحد سواي ، وأومات
لهم إلى الأسد ، وقلت لهم : قصّتي طريفة ، وإن تجاوزتموني كنتم أتمّ قد قتلتموني ،
فالله ، الله ، في أمري ، فوقفوا ، فأتوا ، فحملوني .

فلما حصلت في الزورق ، ذهب عقلي ، فما أقفت إلا في اليوم الثاني ، فإذا
عليّ ثياب نظاف ، وقد غُسلت جراحاتي ، وجُعِلَ فيها الزيت والأدوية ، وأنا بصورة
الأحياء .

فسألني أهل الزورق عن حالي ، فحدّثتهم .

وبلغنا إلى هيت ، فأنفذت إلى العامل من عرفه خبري ، فجاءني من حملي إليه .

وقال : ما ظننت أنّك أفلت ، فالحمد لله على السلامة .

وقال لي : كيف هذا الذي جرى لك ؟

فحدّثته الحديث من أوّله إلى آخره ، فتعجّب عجباً شديداً ، وقال : بين
الموضع الذي قطع عليكم فيه الطريق ، وبين الموضع الذي حملك أهل الزورق منه

مسافة أربعين فرسخاً على غير محجة .
فأقمتُ عنده أياماً ، ثم أعطاني نفقةً ، وثياباً ، وزورقاً ، فجئتُ إلى بغداد ،
فكثتُ أعالج جراحاتي عشرة أشهر حتى صرت هكذا .
ثم خرجتُ وقد افتقرت ، وأنفقتُ جميع ما كان في بيتي ، فلما قمت بين يدي
الوزير ، رق لي ، وأطلق [٢٣٤ غ] لي مالاً ، وأخرجني إليكم^{١٠} .

١٠ لا توجد هذه القصة في م .

القرد وامرأة القرد

[حدثني علي بن نظيف المتكلم ، المعروف بشهدانجة^١ وسعيد بن عبد الله السمرقندي الفقيه الحنفي ، عمّن حدثهما :
إنّه بات في سطح خان ، في بعض الأسفار ، ومعهم قرد ، ومعه قرد ، وامرأته ، فباتا في خان .
قال : فلما نام الناس ، رأيت القرد قد قلع المسمار الذي في السلسلة ، ومشى نحو المرأة ، فلم أعلم ما يريد .
فقمّت ، فرآني القرد ، فرجع إلى مكانه ، فجلستُ ، ففعل ذلك دفعات ، وفعلته .

فلما طال عليه الأمر ، جاء إلى خرج القرد ، ففتحه ، وأخرج منه صرة دراهم ، خمنت أن فيها أكثر من مائة درهم ، فرمى بها إليّ .
فعجبت من أمره ، وقلت : أمسك ، لأنظر ما يفعل ، فأمسكتُ .
فجاء إلى المرأة ، فكنته من نفسها ، فوطأها .
فاغتممتُ بتمكيني إياه من ذلك ، وحفظت الصرة .
فلما كان من غدٍ ، صاح القرد ، يطلب ما ذهب منه .
وقال لصاحب الخان : قردي يعرف من أخذ الصرة ، فاضبط باب الخان ، وأقعد أنا وأنت والقرد ، ويخرج الناس ، فمن علق به القرد فهو خصمي ، ففعل ذلك .

وأقبل الناس يخرجون والقرد ساكت لا يتكلم ، وخرجت فما عرض لي ، فوقفتُ

١ الزيادة من غ .

خارج الخان أنظر ما يجري ، فلما لم يبق إلا يهودي ، فخرج ، فعلق به القرد .
فقال القرد : هذا خصمي ، وجذبه ليحمله إلى صاحب الشرطة ، فلم أستحل
السكوت [٥٢ ن] .
فقلت : يا قوم ليس اليهوديُّ صاحبكم ، والصرة معي ، ولي قصةٌ عجيبةٌ في
أخذها ، وأخرجتها ، وقصصت عليهم القصة .
فحملنا إلى صاحب الشرطة ، وحضرت الرفقة ، فعرفوا صاحب الشرطة محلي .
ومنزلي ، ويساري ، وأقبل القردُ يجيد عن قرده .
فما برحت حتى أمر صاحب الشرطة [٢٢٢ ر] بقتل القرد ، وطلبت المرأة ،
فهربت ، وسلم اليهودي^٢ .

٢ لا توجد هذه القصة في م .

تمكّن منه السبع ثم تخلص منه بأهون سبيل

حدّثني الحسن بن صافي ، مولى محمد بن المتوكّل^١ القاضي ، قال : حدّثني غلام لي أثق به ، قال :

أصعدت من واسط - ماشياً - أريد بغداد ، فلما صرت بين دير العاقول^٢ والسب^٣ ، وأنا وحدي ، في يوم صائفٍ له ريح شديدة ، رأيت بالبعد منّي غيضة^٤ عظيمة ، قد خرج منها سبع .

فحين رأيّ وحدي أقبل يهول نحوي ، فذهب عليّ أمري وأيقنت بالهلاك ، وخدر بدني كلّهُ ، وربا لساني في في ، وتحيّرت .

إلا أنّي أخذت مندبلاً ، فجعلته في رأس قصبة كانت معي ، وظننت أنّي أفرعه بذلك .

فأنا في تلك الحالة من الإياس ، وقد بقي بيني وبينه مقدار مائة ذراع ، إذ قلعت الريح أصل حشيش يقال له : بارق عينه ، وصار يلتف بالشوك حتى بقي كالكاراة العظيمة ، والريح تدخرجه نحو السبع ، وقد تمكّنت منه ، وصار لها هفيف شديد^٥ .

فحين رأى السبع ذلك وسمع الصوت رجع منصرفاً وقد فرع فرعاً شديداً .

١ في ن : ابن المتكلم .

٢ دير العاقول : قال ياقوت في معجم البلدان ٦٧٦/٢ : بين المدائن (سلمان بالك) والنعمانية ، على بعد ١٥ فرسخاً من بغداد .

٣ السب : قال ياقوت في معجم البلدان ٢٠٨/٣ : من طسوج سورا ، عند قصر ابن هبيرة .

٤ الغيضة ، وجمعها غياض وأغياض وغيضات : مجتمع الشجر في مغيض الماء .

٥ الهفيف : صوت الريح عند هبوبها .

وبقي يحوّل وجهه في كلّ عشر خطوات أو أكثر ، فإذا رأى ذلك الأصل
في أثره يتدحرج زاد في الجري .
ولم يزل كذلك إلى أن بعد عني بعداً كثيراً ، ودخل الغيضة .
وعادت إليّ نفسي [٢٣٥ غ] ومضيت في طريقي ، وسلمت^٦ .

٦ هذه القصة لا توجد في م .

قتل فيلاً بالقبض على خرطوميه

حدّثني القاضي أبو بكر أحمد بن سيّار^١ ، قال : حدّثني شيخ من أهل التيز^٢ ومكران^٣ رأته بعمان ، ووجدتهم يذكرون ثقته ، ومعرفته بالبحر ، وأنه دخل الهند والصين ، قال :

كنت ببعض بلاد الهند ، وقد خرج على ملكها خارجي^٤ ، فأنفذ إليه الجيوش ، فطلب الأمان فأمنه .

فسار ليدخل إلى بلد الملك ، فلما قرب ، أخرج الملك جيشاً لتلقيه ، وخرجت العامة تنظر دخوله ، فخرجت معهم .

فلما بعدنا في الصحراء ، وقف الناس ينتظرون طلوع الرجل ، وهو راجل ، في عدّة من رجاله ، وعليه ثوب حرير ومثزر ، وفي وسطه مدينة معوجّة الرأس ، وهي من سلاح الهند ، وتسمى عندهم : حزي .

فتلقّوه بالإكرام ومشوا معه ، حتى انتهى إلى فيلة عظيمة قد اخرجت للزينة وعليها الفيّالون ، وفيها فيل عظيم يختصّه الملك لنفسه ، ويركبه في بعض الأوقات . فقال له الفيّال ، لما قرب منه : تنحّ عن طريق فيل الملك ، [فسكت عنه ، فأعاد الفيّال عليه القول ، فسكت .

فقال : يا هذا ، احذر على نفسك ، وتنحّ عن طريق فيل الملك^٤ .

١ أبو بكر أحمد بن سيّار القاضي : ولي قضاء الجانب الشرقي ببغداد سنة ٣٥٦ ، وفي السنة ٣٥٧ أضيف إليه قضاء دار السلطان ، وفي السنة ٣٥٩ صُرف عن قضاء دار السلطان ، واقتصر على الباقي من الجانب الشرقي ببغداد ، ثمّ صرف عن القضاء في السنة ٣٦٠ (المنتظم ٣٨/٧-٥٤) .

٢ تيز : بلدة على ساحل بحر مكران أو السند ، قبالتها من الغرب أرض عمان (معجم البلدان ٩٠٧/١) .

٣ مكران : ولاية واسعة ، على البحر ، بين سجستان والهند ، فرضتها الملتان (معجم البلدان ٦١٣/٤-٦١٤) .

٤ ساقطة من غ .

فقال له الخارجي : قلّ لفيل الملك يتنحّى عن طريقي .
فغضب الفيال ، وأغرى الفيل بكلام كلمه به ، فغضب الفيل ، وعمد إلى
الخارجي فلف خرطومه عليه ، فقبض الخارجي بيده على الخرطوم .
وشاله الفيل إشالة عظيمة والناس يرون ، وأنا فيهم ، وخبط به الأرض ،
فإذا به قد انتصب قائماً على قدميه فوق الأرض ولم ينحّ يده عن الخرطوم .
فزاد غضب الفيل ، فأشاله أعظم من تلك وعدا ثم رمى به الأرض ، فإذا
هو قد حصل عليها مستوياً على قدميه منتصباً قابضاً على الخرطوم .
وسقط الفيل كالجلبل العظيم ميتاً ، لأنّ قبضه على الخرطوم تلك المدة منعه من
التنفس فقتله .

قال : فوكلّ به ، وحمل إلى الملك ، وحُدّت بالصورة ، فأمر بقتله .
فاجتمع القحاب^٥ ، وهنّ النساء الفواجر ، يفعلن ذلك بالهند ظاهراً عند
البد^٦ ، تقرباً إلى الله بذلك عندهم .
قال : وهنّ العدول هناك ، يشهدن في الحقوق ، ويقمن الشهادة ، فيقطع
بها حاكمهم في سائر الأمور ، وعندهم إنهنّ لما كنّ يبذلن أنفسهنّ عند البدّ بغير
أجر ، صرن في حكم الزهّاد والعبّاد .
فقال القحاب للملك : يجب أن تستبقي مثل هذا الرجل فلا يقتل ، فإنّ فيه
جمالاً للملك ، ويقال : إنّ للملك خادماً قتل الفيل العظيم بقوّته وحيلته ، من
غير سلاح .

فعفا عنه الملك ، وخلع عليه ، واستخدمه^٧ .

٥ اسم هؤلاء الفتيات في الهند : فتيات المعبد .

٦ البد : معبد الهنود ، محرّقة عن : بوذا ، للتفصيل راجع دائرة المعارف الاسلاميّة ٤٣٦/٣-٤٣٨ .

٧ لم ترد هذه القصّة في م ، وقد وردت في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة برقم القصّة ٥٤/١ كما
أثبتها الدميري في كتابه حياة الحيوان ٢٥١/٢ طبعة مصر ١٢٩٢ .

قتلوا شبلاً فاجتمع عليهم بضعة عشر سبعاً

وحدث سعيد [بن يوسف]^١ بن عبد الله السمرقندي الحنفي ، [وعبد الرحمن ابن جعفر]^٢ الوكيل على أبواب القضاة بالأهواز ، قالوا : حدثنا أبو بكر محمد بن سهل الشاهد الواسطي القاضي ، قال :

اخبرني وكيلان كانا في ضيعتي بنواحي الجامدة^٣ ، ونهر جعفر^٤ ، قالوا : خرجنا مع صنّاع عندنا ، إلى أجمة نقطع قصباً ، فرأينا شبلاً كالسنور ، فقتله أحد قطّاع القصب .

فقال الباقر : قُتِلنا ، الساعة يجيء السبع واللّوبة ، فإذا لم يرياه طلبّانا ، ونحن نبيت في الصحراء بين القصب ، فيفرّسانا .

قال : فما كان بأسرع من أن سمعنا صوت السبع ، فطرنّا على وجوهنا ، واجتمعنا في دار خراب خارج [٢٢٣ ر] الأجمة ، وعلونا سطحها ، وكان فيها غرفة عليها باب كُنّا نأوي إليها ليلاً .

فلَمّا رأى السبع ولده قتيلاً قصدنا فصار في صحن الدار الخراب [٢٣٦ غ] ، وكان بين يدي الغرفة صحنين ، فأخذ السبع يطفّر ليصير معنا ، فما قدر على ذلك . فوَلّى ، وعلا أكمة^٥ في الصحراء ، وصاح ، فجاءته اللّوبة ، فطفرت تريدنا ، فما قدرت .

١ الزيادة من غ .

٢ الزيادة من ن .

٣ الجامدة : قال ياقوت في معجم البلدان ١٠/٢ : إنّها قرية كبيرة جامعة ، من أعمال واسط بينها وبين البصرة ، رأيته غير مرّة .

٤ نهر جعفر : نهر بين واسط ونهر دقلة ، عليه قرى ، وهو أحد ذنائب دجلة (معجم البلدان ٨٣٨/٤) .

٥ الأكمة : التلّ أو الموضع الذي يكون أكثر ارتفاعاً ممّا حوله .

فاجتمعا ، فصاحا ، فجاءهما عدّة من السباع ، وطفروا ، فما قدروا علينا ، فلم يزلوا كذلك حتى اجتمع بضعة عشر سبعاً ، وكلّما جاء واحد حاول أن يظفر إلينا فلا يبلغنا ، ونحن كالموتى خوفاً أن يصل إلينا واحدٌ منهم .
فإنما نحن كذلك إذ اجتمعت السباع كلّها كالحلقة ، وجعلت أفواهها في الأرض ، وصاحت صيحة واحدة ، فرأينا حفرة قد احتفرت في التراب من أنفاسها .
فما كان إلّا ساعة حتى جاء سبع أسود هزيل ، منجرد الشعر ، لطيف .
فلقيته السباع كلّها ، وبصبصت بين يديه ، وحوله ، وجاء يقدمها وهي خلفه حتى رأنا في الغرفة ، ورأى الموضع ، ثم جمع نفسه ، فإذا هو في الصحن ، بين يدي الغرفة .

وكنا قد أغلقنا الباب ، فاجتمعنا كلّنا خلفه لندافعه عن الدخول .
فلم يزل يدفع الباب بمؤخره حتى كسر بعض ألواح وأدخل عجزه إلينا .
فعمد أحدنا إلى ذنبه فقطعه بمنجل كان معنا [٥٣ ن] .
فصاح صيحة منكّرة وهرب ، ورمى بنفسه إلى الأرض ، فلم يزل يحمش السباع وينهشها ويقطعها بمخالبه ، حتى قتل منها غير واحد .
وتهاربت السباع الباقية من بين يديه ، وهام في الصحراء يتبع أثرها ، ونزلنا نحن لما لم يبق منها شيء ، فلحقنا بالقرية ، وخبرناهم خبرنا .
فقال لنا شيخ منهم : هذا السبع مثل الجرذ العتيق ، إذا قطع ذنبه أكل الفار .

افترس السبع صاحب الدين وسلم الغريم

وحدّث قاضي القضاة أبو السائب عتبة بن عبيد الله الهمداني^١ ، قال :
كان رجل من أهل أذربيجان له على رجل دين ، فهرب منه وطالت غيبته .
فلقي صاحب الدين المدين ، بعد مدّة في الصحراء منفرداً ، فقبض عليه
وطالبه .

فحلف له بالله تعالى أنّه معسر ، وسأله الانتظار ، وقال له : لو أنّي أيسرُ الناس
ما تمكّنت هنا من من دفع شيء إليك .

فأبى عليه ، وأخرج قيداً كان معه ليقبّده حتى لا يهرب .

فتضرّع إليه ، وسأله أن لا يفعل ، وبكى ، فلم ينفعه ذلك .

فقبّده بالقيّد ، ومشى إلى قرية بقرب الموضع الذي التقيا فيه ، فجاءها مساءً
وقد أغلق أهلها باب سورها ، واجتهدا في فتحه لهما ، فأبى أهل القرية ذلك عليهما .

فباتا في مسجد خراب على باب القرية ، وأدخل صاحب الدين رجله في حلقة
من حلقتي القيّد ، لينتبه إذا أراد الهرب .

فجاء السبع ، وهما نائمان ، فقبض على صاحب الدين فافترسه ، وجرّه فانجرح

١ أبو السائب عتبة بن عبيد الله بن موسى بن عبيد الله الهمداني ، قاضي القضاة (٢٦٤-٣٥٠) : كان أبوه
تاجراً ، مستوراً ، ديناً ، ونشأ أبو السائب فطلب العلم ، وتصرّف ، ثمّ تفقّه على مذهب الشافعي ،
واتّصل بالأمير أبي القاسم بن أبي الساج ، فقلّده قضاء مراغة ، ثمّ ولّاه قضاء أذربيجان جميعها ،
ثمّ قضاء همدان ، وصار إلى بغداد وتقلّد أعمالاً جليّة بالكوفة ، وديار مصر ، والأهواز ، وعامّة الجبل ،
وقطعة من السواد ، وتقدّم عند قاضي القضاة أبي عمر ، وسمع شهادته ، واستشاره في جميع أموره ،
وقلّده المستكني قضاء مدينة أبي جعفر ، أي مدينة المنصور ، ثمّ تقلّد قضاء القضاة سنة ٣٣٨ (المنتظم
٥/٧) .

الغريم معه ، لمكان الحلقة في إحدى رجليه .
فلم يزل ذلك حاله إلى أن فرغ السبع من أكل صاحب الدين ، وشبع ،
وانصرف ، وترك المدين وقد تجرّح بدنه ، وبقيت ركبة الغريم في القيد .
فحملها الرجل مع قيده إلى أهل القرية ، وأخبرهم الخبر ، فحلّوا قيده وسار
لحال سبيله^٢ .

٢ لم ترد هذه القصة في م ، ووردت في كتاب نشوار المحاضرة برقم القصة ١١٧/١ .

الأفعى التي أخربت الضيعة

وحدثني أبو جعفر مسعود بن عبد الله الضبيّ ، شيخ من التناء البصريين ،
كان قد انتقل عنها^١ إلى قرية له ، وضيعة ، بقرب نهر الدير^٢ ، فاستوطنها ، قال :
كان في هذا البستان ، [٢٣٧ غ] وأشار إلى بستان بجانب داره كثيرة الأشجار ،
أفعى تسمى الجراب ، لأنها كانت بقدر الجراب الكبير ، طولاً ، وسعة ، وانتفاخاً .
فكثرت جناياتها ، حتى أخربت عليّ الضيعة ، فانتقلت عنها إلى الجانب
الآخر من النهر ، وبطلت ضيعتي ، وصار هذا البستان كالأجمة ، لا يقدر أحد
على دخوله .

وطلبت حواء^٣ من البصرة ليصيده ، وبذلت على ذلك [٢٢٤ ر] مالاً جزيلاً .
فجاء الحواء فتبحّر بدخته^٤ معه ، فظهرت الأفعى ، فحين رآها هاله أمرها ، وقصدته
الأفعى فنهشته ، فتلّف في الحال .

فصار لي حديث بذلك ، وشاع الخبر ، فامتنع الحوّاؤون من المجيء ، وتغرّبتُ
أنا عن الضيعة والقرية ، وبطلت معيشتي منهما .

فكنت يوماً جالساً في الجانب الآخر من النهر ، إذ جاءني رجل فسلم عليّ .
وقال : بلغني خبر أفعى عندك ، قد قتل فلاناً الحواء ، وأخرب عليك ضيعتك ،
فجئتكَ لتدلّني عليه حتى آخذه .

١ عنها : أي عن البصرة .

٢ نهر الدير : قال ياقوت في معجم البلدان ٨٣٩/٤ إنه نهر كبير بين البصرة ومطارا ، بينه وبين البصرة
نحو عشرين فرسخاً ، سمي بذلك لدير كان على فوهته .

٣ الحواء : الذي يجمع الحيات .

٤ الدخنة : ذريرة يدخن بها .

فقلت : ما أحبّ تعريضك لهذا ، وقد صار لي بتلف ذلك الحوّاء حديث .
فقال : إنّ ذلك الحوّاء كان أخي ، وأنا أريد أن آخذ بثأره ، وأريح الناس من
هذا الملعون ، أو اللّحاق بأخي .

قلت : فتشهد على نفسك أهل الأنهار المجاورة ، أنّ هذا باختيارك ، لا
بمسألة منّي . ففعل ، وأريته البستان .

فقال : أريد شيئاً آكله ، فجثناه بطعام فأكل ، ثم أخرج دهناً كان معه ،
فطلى به جميع بدنه .

وقال للغلام كان معه : انظر هل بقي موضع من غير ما أطلّيه ؟

فقال له الغلام : لا .

فجلست أنا فوق السطح الذي في داريّ ، أنظر ما يفعل ، فأخرج دخنة فبخر
بها ، فما كان بأسرع من أن ظهر الأفعى كأنه دنّ أسود .

فحين قرب من الحوّاء هرب ، فتبعه الحوّاء ، فلاحقه وقبض عليه .
فالتفت الأفعى فعضّ يده ، فتركه الحوّاء فأفلت ، وذهب عليه أمره ، فجثناه
وحملناه ، فمات في الليل .

وانقلبت الناحية بحديث الأفعى .

ومضى على هذا مدّة ، فجاء رجل يشبه الرّجلين ، وسألني عمّا سألني عنه
الأخوان ، فأخبرته بالخبر .

فقال : الرّجلان أخواي ، ولا بدّ لي من الأخذ بثأرهما ، أو اللّحاق بهما .
قال : فأشهدت عليه ، وأريته الموضع ، وصعدت به السطح ، فأكل وشرب
أقداحاً كثيرة ، وأخرج دهناً كان معه ، وطلّى به دفعات كثيرة كلّ بدنه ، وكلّ
مرة يسأل غلامه .

فيقول : هل بقي موضع لا دهن فيه ؟

فيقول له الغلام : لا .

فيقول للغلام : أعد الطلاء عليّ ، فيعيده الغلام .
 حتى لم يبق في جسده موضع إلا وقد طلاه ، وأعاد الطلاء ثلاث مرات ،
 وصار الدهن ينقط من بدنه .
 وبحرّ بدخنة ، فخرج الأفعى ، فطلبه الحوّاء وأخذ يحاربه ، وتمكّنت يد الحوّاء
 من قفاه ، فأنشئ عليه فعضّ إبهامه .
 وبادر الحوّاء فخرم فاه ، وجعله في سلّة ، وأخرج سكيناً معه فقطع إبهام نفسه ،
 وأغلى زيتاً وكواه به ، وخرّ كالتالف .
 فحملناه إلى القرية ، فإذا بصبيّ من غلماني قد جاء ومعه ليمونة ، وكان الليمون
 إذ ذاك قليلاً بالبصرة جدّاً ، وعندي منه شجرة واحدة .
 فحين رأى الحوّاء الليمون [٢٣٨ غ] ، قال : هذا يا سيدي عندكم موجود ؟
 قلت : نعم .
 قال : أعطني بكلّ ما تقدّر عليه منه ، فإنّا نعرفه في بلدنا يقوم مقام الدرياق .
 فقلت : أين بلدك ؟
 قال : عُمان .
 فأتيته بكلّ ما كان عندي منه ، فأقبل يعضّه ويسرع في أكله ، وعمد إلى
 بعضه فاستخرج ماءه ، وأقبل يتحسّى منه ، ويطلّي به الموضع ، وأصبح من غدٍ وهو
 صالح .
 فسألته عن خبره ، فقال : ما خلّصني بعد الله عزّ وجلّ ، إلاّ ماء الليمون ،
 وأظنّ أنّ أخويّ لو اتّفقا لهما تناوله ما تلفا .
 قلت : فذلك الدهن الذي انطليت منه ، ما هو ؟
 قال : الطلق ، الذي إذا طرح معه النار على الجسم حين لا يكون فيه خلل ،
 ما ضرّت النار الجسم ، وأمّا تلف إخواني ، فلأنّ بعض أبدانهم خلا من الطلاء ،
 أو جفّ عنه .

فقلت : وكيف تمكّن الأفعى منك ؟
 قال : لطول الوقت ، وإلى أن قيّده ، جفّ بعض الدهن ، فتمكّن مني ،
 ولولا الليمون لتلفتُ .
 فقال : فتعلّمت منه استخراج ماء الليمون ، وكنت أول من استخرجه بالبصرة ،
 ونبّه الناس على منافعه ، وجربته في الطبخ [٢٢٥ ر] فوجدته طيباً ، وتداوله الناس .
 قال : ثم أخرج الأفعى ، وقطع رأسه ، وذنبه ، وأغلاه في طنجير^٥ ، واستخرج
 [٥٤ ن] دهنه في قوارير ، وانصرف^٦ .

٥ الطنجير : وعاء يعمل فيه الخبيص ونحوه ، ويسمى في لبنان : طنجرة .

٦ هذه القصة لا توجد في م .

مفلوج لسعته عقرب جرّارة فعوفي

حدّثني عبد الوهاب بن محمد بن مهدي ، المعروف بأبي أحمد بن أبي سلمة ،
الشاهد ، الفقيه ، المتكلّم [العسكري] ، في سنة خمس وخمسين وثلثمائة بعسكر
مكرم^١ : إنّه شاهد رجلاً مفلوجاً ، حُمِلَ من أصبهان^٢ ، إلى عسكر مكرم^٣
ليعالج ، فطرح على باب خان في جواره ، في الجانب الشرقي منها ، وقد هجر ،
وفَرَّغ ، لكثرة العقارب الجرّارات^٤ فيه .

وطلب له موضع آخر يسكنه ، فلم يوجد إلّا في هذا الخان ، فأنزله غلمانَه

١ لا توجد هذه الفقرة في غ .

٢ أصبهان : قال ياقوت في معجم البلدان ٢٩٢/١ إنّها مدينة عظيمة ، من أعلام المدن وأعيانها ، صحيحة
الهواء ، نفيسة الجو ، أقول : نهياً لي أن أزور أصبهان مرتين ، الأولى في السنة ١٩٥٥ ، والثانية في
السنة ١٩٦٨ ، وقد أعجبت بهوائها ومائها ، وأهمّ ما أعجيني فيها في زيارتي الأولى : مسجد يسمّى مسجد
الجمعة ، واسع المساحة ، يحوي كثيراً من المباني ، وجدت فيه حائطاً من بقايا معبد النوبهار ، وبقايا
جامع من طراز جامع القسطنطين في أساطينه وأقواسه ، أحسبه بني في صدر الإسلام ، ووجدت فيه مدرسة
من بناء نظام الملك ما تزال بحالة صالحة ، ورواقاً من بناء المتعلّبة الأفغان ، وجدت في حيطانه المغشاة
بالقيشاني ذكر الخلفاء الأربعة ، وفيه محاريب من الرخام قد نقش عليها أسماء الأئمة الاثني عشر ،
قبل لي إنّها من صنع بعض أحفاد تيمورلنك . وأعجيني في زيارتي الثانية في السنة ١٩٦٨ : فندقاً اسمه
فندق شاه عباس ، أصله خان مسافرين بني في عهد الشاه عباس ، في القرن الحادي عشر الهجري
فحوّله المهندسون ، فندقاً من الدرجة الممتازة ، بحيث أنّي لم أشاهد فندقاً أجمل منه في جميع الأماكن
التي سافرت إليها في آسيا وأفريقيا وأوروبا .

٣ عسكر مكرم : بلد مشهور من نواحي خوزستان (معجم البلدان ٦٧٦/٣) .

٤ الجرّارة : نوع من العقارب ، موجودة في الأهواز (لطائف المعارف ٢١٢ ، ٢٣٤) ويوجد منه في
البنديجين ، المعروفة الآن باسم : مندلي ، وهو أصفر اللون ، سمي بذلك لأنّه يجرّ ذنبه وراءه ، ويقال أنّ
لسعته قاتلة ، راجع وصفه في حاشية القصّة ١٩٦ من الكتاب .

فيه ، وهم لا يعلمون حاله ، وأنه أخلي لكثرة الجَرَّارات فيه .
وصعد أصحاب الرجل إلى السطح ليلاً ، وتركوه ، لما وصف لهم أنَّ المفلوج
لا يجوز أن يبيت في السطح .
فلما كان من الغد وجدوه جالساً ، وكان طريحاً ملقى لا يمكنه أن يتقلب
من جنب إلى جنب ، ووجدوا لسانه فصيحاً وكان متكسراً بالعلّة ، حتى إنَّ الرجل
مشى في يومه ذلك .
فأحضر بعض أهل الطبّ وسأله عن خبره ، ففتّشه ، فوجد أثر لسع الجرّارة
في إبهام رجله اليسرى .
فقال له : انتقل الساعة من هذا الخان ، فإنه مشهور بكثرة الجرّارات ، وقد
لسعتك واحدة منهن فأبرأتك ، وعشت بشيء ما عاش أحدٌ به قطّ ، وقامت حرارتها
ببرد الفالج فأزالته ، ولم تتجاوزهُ فتقتلك ، وسيعقب ذلك حدّة شديدة وحرارة ،
فاصبر لها حتى أعالجك باليسير من الرطوبة فلا ترجع إليك برودة الفالج ، وانتقل
لئلاّ تلسعك أخرى فتتلف .
وانتقل الرجل ، وتعهده الطبيب ، فحَمَّ المفلوج من غد ، وتلطّف في علاجه
حتى برأه .

قضى ليلة في الجبّ بجوار أفعى

وحدثني عبيد الله بن محمد الصّرويّ ، قال :
كنت أتصرّف مع المختار بن الغيث بن حمدان أحد قوّاد بني عُقيل ، فسار
وأنا في جملته ، مع تكين [٢٣٩ غ] الشيرزادي ^١ ، لما تغلّب على الموصل ، يطلب
ناصر الدولة ، وسار العسكر سيراً عاجلاً ، فتقطّع الناس .
وكانت تحتي حجرة ^٢ ، فصرت في أخريات الناس ، ثم انقطعت عن العسكر
حتى صرت وحدي .
ثم أوردت الدّابة ماءً كان في الطريق ، فحمّ ، ولم يمكنه أن يسير خطوة
واحدة .

فخفت أن يدركني من يسلمني نعمتي ويأسرني ، فتزلت عن الدّابة أمشي ،
وفي عني سيف بحمائل ، والمقرعة في يدي .
فسرت عدّة فراسخ ، حتى صعدت جبل سنّجار ، وكنت أحتاج أن أمشي
فيه نحو الفرسخ ، ثم أنزل إلى سنّجار ^٣ ،

١ تكين الشيرزادي : النسبة إلى أبي جعفر محمّد بن يحيى بن شيرزاد ، قائد تركي ، كان من قوّاد
توزون (تجارب الأمم ٥٠/٢) ثم قلّده أبو جعفر بن شيرزاد ، الجبل (٨٤/٢) ثم انحاز إلى ناصر الدولة
في حربه مع معزّ الدولة (٩٠/٢) ولما اصطالحا ، ثار الأتراك على ناصر الدولة ، وأمروا تكين ، فاستولى
على الموصل ، وسنّجار ، والحديثة ، وحارب ناصر الدولة ، فأسره ناصر الدولة ، وسمله ، واعتقله
في قلعة من قلاع (تجارب الأمم ١٠٩/٢ ، ١١٠ والكامل لابن الأثير ٤٦٦/٨ و٤٦٧) ثم أرسل به إلى
معزّ الدولة الذي أحسن إليه ، وأطلقه ، وأقطعه إقطاعاً (تجارب الأمم ١١١/٢) .

٢ الحجرة : الأنتى من الخيل .

٣ سنّجار : مدينة مشهورة في نواحي الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيّام وهي في لحف جبل سنّجار
(معجم البلدان ١٥٨/٣) أقول : وقد زرت سنّجار في السنة ١٩٣٦ لما كنت قاضياً في الموصل ، =

فجَنّني الليل ، واستنفذ المشي جَلدي ، واستوحشتُ ، وخفت الوحوش في
الجبل ، فطلبت موضعاً أسكن فيه ليلتي ، فلم أجد .
ورأيت جباباً كثيرة منقورة في أرض الجبل ، فطلبت أقربها قعرأ ، ورميت
فيه حجراً ، فظننت أن قعره قامه أو نحوها ، فرميت بنفسي فيه .

وكان البرد شديداً ، فنمت ليلتي وأنا لا أعقل من التعب والجوع .
فلما كان من الغد ، انتهت ، وعندي أن الحب محفور كالآبار ، وأني أضع
رجلي في جوانبه ، فأتسلق وأطلع ، فتأملته ، فإذا [هو محفور كالثَّور ، رأسه
ضيق ، وأسفله واسع شديد السعة ، وجوانبه منقوشة ، فقامت في الحب] ، فإذا
هو أعلى من قامتي .

فتحيرت في أمري ، فلم أدِر كيف أعمل ، وكيف السبيل إلى الصعود .
وظلعت الشمس ، وأضاء الحب ، فإذا فيه أفعى مدور كالطبق وقد سدر من
البرد ، فليس ينتشر ، ولم يتحرك من مكانه ، فتجنبت مكانه .

وهمت أن أجرد السيف وأقطع الأفعى ، ثم قلت : أتعجل شراً لا أدري
عاقبته ، ولا منفعة لي في قتله ، لأنّي سأتلّف في هذه البئر ، وهي قبري ، فما معنى
قتل الأفعى ؟ أدعُه ، فلعلّه أن يتدّى بالنهش ، فأتعجل التلّف ، ولا أرى نفسي
تخرج بالجوع والعطش .

فأقمت يومي كلّ على ذلك ، والأفعى لم تتحرك [٢٢٦ ر] وأنا أبكي وأنوح
على نفسي ، وقد ينست من الحياة .

فلما كان من الغد ، أصبحت ، وقد ضعفتُ ، فحملني حبّ الحياة على الفكر
في الخلاص ، فقامت ، وجمعت من حجارة رقيقة كانت في الحب شيئاً كثيراً ،

وبتَ فيها ليلة ، فأعجبنِي هواؤها ، وماؤها ، وأهلها يزيدية .

٤ الزيادة من غ .

٥ سدر : تحير .

وعيّتها في وسط الجبّ ، وعلوتها لتنال يدي طرف الجبّ وأحمل نفسي إلى رأسه .
فحين جعلت رجلي على الحجارة ، تدكدكت وانهارت ، لرقّتها وملاستها .
فلم أزل أعيد تعييتها وركوبها ، وتترلق من تحت رجلي ، وأنا متشاغل بذلك
يومي كلّه ، وجاء الليل فلم يمكنني أن أقوم من الجوع والضعف ، وانكسرت نفسي ،
ثم حملني النوم .

فلما كان من الغد فكّرت في حيلة أخرى ، ووقع لي أن شددت المقرعة بعلائقها
في حمائل السيف^٦ ، ودلّيت المقرعة إلى داخل الجبّ ، ورميت السيف إلى رأس
الجبّ ، وأمسكت المقرعة بإحدى يديّ ، فحصل جفن السيف فوق الجبّ معترضاً
لرأسه ، وحمائله في المقرعة ، وهي مدلاة اليّ .

ثم أمسكت السيف ، وسللته ، ولم أزل أقلع من أرض الجبّ ما يمكن قلعه
ونحته من تراب قليل ، ثم عيّيت ذلك بالرضراض^٧ [والحجارة الرقاق وجعلت بين
كلّ سافين منها تراباً ، ثم رددت السيف إلى جفنه ، وعلوت الرضراض^٨ ، وتعلّقت
[٢٤٠ غ] على السيف المعترض ، وظفرت ، فصار السيف معترضاً تحت صدري ،
وظهرت يداي من الجبّ ، فحصلت جوانبه تحت إبطي ، وأشلت نفسي ، فإذا
أنا قد خرجت من الجبّ ، بعد أن اعوجّ السيف ، وكاد يندقّ ويدخل في بطني
لثقلتي عليه .

فوقعت خارج الجبّ ، مغشياً عليّ من هول ما نالني ، ووجدت أسناني قد

٦ حمالة السيف ، وجمعها حمائل : علاقة السيّف ، وجمعها علائق ، الحبل الذي يعلّق العربي به سيفه ،
لأنّ العربي يعلّق سيفه إلى عنقه ، بخلاف الروميّ فإنّه يشدّ سيفه إلى وسطه ، فلا يحتاج إلى علاقة ،
وقد وجدت في أسبانيا لما زرتها في السنتين ١٩٦٠ و ١٩٦١ ، أنّ مصارعى الثيران ، يعلّقون في صدورهم
قطعة من الحرير أو القصب تتدلّى أطرافها ، قيل لي أنّ اسمها عندهم : الإلكة ، وأحسب أنّها بقية
العقدة التي تشدّها بها علاقة السيف ، حرّف اسمها من العلاقة ، إلى الإلكة .

٧ الرضراض : ما صغر ودقّ من الحصى .

٨ الزيادة من غ .

اصطكّت ، وقوّتي قد بطلت عن المشي ، فما زلت أحبو وأطلب المحبّة حتى وقفتُ عليها .

ورآني قوم مجتازون ، فأخذوا بيدي ، وقوي قلبي فشيت حتى دخلت سنجار آخر النهار ، وقد بلغت روجي إلى حدّ التلف .

فدخلت مسجداً فطرحت نفسي فيه وأنا لا أشكّ في الموت ، وحضرت صلاة المغرب ، واجتمع أهل المسجد فيه ، وسألوني عن خبري ، فلم يكن فيّ فضل للكلام . فحملوني إلى بيت أحدهم ، ولم يزالوا يصبّون في حلتي الماء ، ثم المرق والثريد ، إلى أن فتحت عيني بعد العتمة ، فتكلّمت ، وبتّ ليلتي وأنا بحال عظيمة من الألم . فلما كان من الغد دخلت الحمام ، وأقمت عندهم أياماً حتى قويت .

ثم أخرجت نفقة كانت معي ، فاستأجرت منها مركوباً ، ولحقت بصاحبي ، وسلّم الله عزّ وجلّ^٩ .

٩ لم ترد هذه القصة في م .

سقط طفل من القنطرة

فالتقطه العقاب ثم نجا سالماً

وحكى أبو محمد يحيى بن فهد الأزدي [الموصلي ٥٥ ن] رحمه الله ، قال :
حدثني أبي ، قال : حدثني^١ ديسم بن إبراهيم بن شاذلويه^٢ ، المتغلب - كان -
بأذربيجان ، لما ورد حضرة سيف الدولة يستنجد على المرزبان بن محمد بن
مسافر^٣ السلار لما هزمه عنها ، قال :

رأيت بناحية أذربيجان نهراً يقال له : الرس^٤ ، شديد جرية الماء جداً ، وفي
أرضه حجارة كثيرة ، بعضها ظاهر على الماء ، وبعضها يغطيه الماء ، وليس للسفن
فيه مسلك ، وله أجراف هائلة^٥ لا مشاريع فيها ، وعليه قنطرة يجتاز عليها السابلة .

١ الزيادة من ن .

٢ أبو سالم ديسم بن إبراهيم : من قواد ابن أبي الساج (تجارب الأمم ١/٤٠٤) ، استولى على أذربيجان
في السنة ٣٢٦ وقضى أياماً صعبة ، حارب فيها حروباً عنيفة ثم التجأ إلى معز الدولة ببغداد مستنجداً
فأكرمه وألطفه ، ولكنه لم ينجده ، فانصرف عنه إلى ناصر الدولة بالموصل ، وأقام عنده مدة ، فلم ينجده
فصار إلى الأمير سيف الدولة فأعانه سيف الدولة ، فوق أولاً ، وفشل أخيراً فانتقل إلى أرمينية ، حيث
قبض عليه خصمه المرزبان بن محمد ، فاعتقله ، وسمله ، ثم قتل عند وفاة المرزبان سنة ٣٤٦ (تجارب
الأمم ١/٣٩٨-٤٠٤ ، ٣١-٣٦ و ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٦١) .

٣ المرزبان بن محمد بن مسافر : كان أبوه محمد سي السيرة ، فاتفق مع أخيه وهسودان ، وأمهما ،
واستوليا على قلعتيه وثورته ، ثم استولى على أذربيجان في السنة ٣٣٠ وطرده ديسم عنها ، ثم هاجم الري
في السنة ٣٣٧ فأسره عماد الدولة بن بويه واعتقله في قلعة سميرم ، فاحتال حتى هرب ، وعاد إلى أذربيجان ،
وتوفي بها (تجارب الأمم ٢/٣١ ، ٣٢ ، ١١٥ ، ١٤٨ ، ١٥١) .

٤ قال ياقوت في معجم البلدان (٢/٧٧٩) : الرس ، وادي أذربيجان ، ويصب في بحر جرجان ، وفيه
أصناف كثيرة من السمك .

٥ الجرف : الجانب الذي أكله الماء من النهر ، أقول : إن البغداديين يسمون كل شاطئ : جرفاً ، أما =

قال : وكنت مجتازاً عليها بعسكري ، فلمّا صرت في وسط القنطرة ، رأيت امرأة تمشي وقد حملت ولداً طفلاً في القمّاط ، فزحمها بغلّ فطرحت نفسها على القنطرة ، وسقط الطفل من يدها إلى النهر ، فوصل إلى الماء بعد ساعة ، لبعد ما بين القنطرة وصفحة الماء ، ثم غاص ، وارتفعت الضجة في العسكر ، ثم رأينا الصبيّ قد طفا على وجه الماء ، وسلم من تلك الحجارة .

وكان الموضع كثير العقبان^٦ ، ولها أوكار في أجراف ذلك النهر ، ومنه يصاد فراخها .

فحين ظهر الطفل في قمّاطه ، صادف ذلك عقاباً طائراً ، فراه ، فظنّه طعمة^٧ ، فانقضّ عليه ، وشبك مخالبه في القمّاط ، وطار به ، وخرج إلى الصحراء . فطمعت في تخليص الطفل ، فأمرت جماعة أن يركضوا وراء العقاب ، فركضوا ، وتبّعت نفسي مشاهدة الحال ، فركضت .

وإذا العقاب قد نزل إلى الأرض ، وابتدأ يمزّق قمّاط الصبيّ ليفترسه ، فحين رآه ، صاحوا بأجمعهم ، وقصدوه ، فأدهشوه عن استلاب الصبيّ ، فطار وتركه على الأرض .

فلحقنا الصبيّ ، وإذا [٢٢٧ ر] هو سالمٌ ، ما وصل إليه جرح ، وهو يبكي . فكبيناه ، حتى خرج الماء من جوفه ، وحملناه إلى أمّه حيّاً ، سالمًا^٨ .

الجانب الذي أكله الماء ، فيسمّونه : جالي ، تلفظ بالجمع الفارسيّة المثلثة ، وأحسبها من جال ، فارسيّة ، أي المكان العميق .

٦ العقاب ، بضم العين : طائر من الكواسر ، لا تقع على الجيف ، إلّا إذا عضّها الجوع ، قويّة المخالب ، مسرّولة في ساقها ، ولها منسر ، والعقاب مؤنثة ، تقع على الأثني والذكر ، جمعها : أعقب ، وعقبان ، وجمع عقبان عقابين (معجم الحيوان ٩٢) .

٧ في غ : فظنّه طعاماً ، والطعمة ، وجمعها طعم ، بضم الطاء وفتح العين : المأكلة .

٨ هذه القصة لم ترد في م .

قصة ابن التماسح

وحكى أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب [٢٤١ غ] المعروف بالحاتمي ، قال :

رأيت بمصر رجلاً يعرف بابن التماسح ، فسألت جماعة من أهل مصر ، من العامة ، عن ذلك .

فقالوا : هذا وطىء التماسح أمه ، فولدته .

فكذبت ذلك ، وبحثت عن الخبر ، فأخبرني جماعة من عقلاء مصر ، أن التماسح بها يأخذ الناس من الماء فيفترسهم .

وربما أخذهم وهو شبعان ، فيحمل المأخوذ بيده على صدره ، حتى يجيء به إلى أجراف أسفل مصر بمسافة ، وهي جبال حجارة فيها مغارات إلى النيل ، لا يصل إليها الماشي ولا سالك الماء لبعدها عن الجهتين .

فيتسلق التماسح إلى بعض المغارات ، فيودع بها الإنسان الذي أخذه ، حياً أو ميتاً بحسب الاتفاق ويعضي .

فإذا جاع ولم يظفر بشيء ، عاد إلى الموضع فيفترس الإنسان الذي جباه هناك .

قال : فكان قد قبض على امرأة في بعض الأوقات ، فجعلها في المغارة ،

فذكرت المرأة : أنها حينما استقرت في المغارة ، وانصرف التماسح ، رأت هناك رجلاً حياً ، وآثار جماعة قد افترسهم التماسح .

وأنها سألت الرجل عن أمره ، فذكر أن التماسح تركه هناك منذ يومين .

قالت : وأخذ الرجل يؤانسني بالحديث ، إلى أن طالبني بنفسي .

فقلت : يا هذا اتق الله .

فقال : التماسح قد مضى ، ومن ساعة إلى ساعة فرج ، ولعل أن تجتاز بنا

سفينة قبل عودته فنطرح أنفسنا إليها .

فوعظته ، فلم يلتفت إلى كلامي ، واغتصبي نفسي ، فواقعي .
وما نزل حتى جاء التمساح ، فأخذه من فوق ، ومضى ، فبقيت كالميتة فرعاً .
فأنا كذلك ، إذ سمعت وقع حوافر الخيل ، وصوت أقدام كثيرين ، فأخرجت
رأسي من الغار ، وصنحت واستغثت ، فاطلع أحدهم .

وقال : ما أنت ؟

فقلت : حديثي طريف ^١ ، أرموا لي حبلاً أتخلص به إليكم .
فرموا لي حبلاً ، فشددت نفسي ، واستظهرت جهدي ، وأطراف الجبل في
أيديهم .

فقلت : اجذبوني .

فاجذبوني ، فصرت معهم على ظهر المغارة ، بعد أن توهّنت ، وتسلّخت يدي .
فسألوني عن خبري ، فأخبرتهم ، فأركبوني شيئاً ، وأدخلوني البلد ، فلما كان
وقت عادة حيضي ، تأخّرت عني ، ثم ظهر الحمل ، فولدت ابني هذا بعد تسعة
أشهر .

وكرهت أن أخبر كلّ أحد بهذا الحديث ، فنسبت ذلك إلى التمساح ، وأستر
أمري بذلك ^٢ .

١ طريف : غريب .

٢ هذه القصة لم ترد في م .

أبو القاسم العلوي يواجه الأسد

وحدثني أبو القاسم بن الأعمى العلوي الكوفي ، الفيلسوف^١ ، قال :
خرجت من بغداد ، أريد الكوفة ، فلما صرت فيما بينها وبين حمام أعين^٢
قرية قريبة من الكوفة أفضيت إلى أجمة هناك .
وكنت قد تقدّمت الرفقة ، وأنا راكبٌ حماراً ، وورائي بمسافة قريبة غلام لي
مملوك راكب بغلاً ، فسرنا حتى أبعدنا عن الرفقة .
فلما دخلت الأجمة ، رأيت مسنّة^٣ دقيقة في وسط الأجمة ، وعليها المسلك ،
يوصل إليها من هبوط .
فرمت النزول إليها ، فوقف الحمار تحتي ، فضربته ضرباً شديداً ، فلم أجده
[٢٤٢ غ] يبرح .
فالتفت إلى كفله^٤ ، لأتأمل قوائمه ، فرأيت أسداً قائماً ، وبينه وبين قوائم
الحمار نحو ذراع أو أقلّ ، وإذا الحمار قد شَم رائحته فأصابته رعدة شديدة ،
ورسخت قوائمه في الأرض ، ولم يتحرك .

-
- ١ أبو القاسم بن الأعمى العلوي الكوفي الفيلسوف : ذكره صاحب تاريخ الحكماء ص ٢٢٦ وقال :
كان عضد الدولة يقول إذا افتخر بمعلمي ، إن معلمه في حلّ الزيج ، الشريف ابن الأعمى .
 - ٢ حمام أعين : بالكوفة ، موضع منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص (معجم البلدان ٢/٣٢٩) .
 - ٣ المسنّة ، وجمعها مسنّيات : ما يبني في وجه السيل ، أقول : التعبير عند البغداديين اليوم ، فيه بعض
الاختلاف عما كان قبلاً ، فالمسنّة عندهم ، البناء من الحجارة ، يغطّى به وجه شاطئ النهر ، ليصدّ
عنه الماء ويمنع تأكله ، ويسمّونه الآن : مسنّابة ، ويجمع على مسنّابات ، أمّا البناء من التراب الذي
يقام ليصدّ الماء عند ارتفاعه في وقت الفيضان فيسمّونه : السدّة (فصيحته السدّ) ، وكانت بغداد محاطة
بسداد تحميها من مياه الفيضان في دجلة والفرات .
 - ٤ الكفل من الدابة : العجز .

فلم أشك في التلف ، وأنّ الأسد سيمدّ يده ، فيجذبني من على الحمار ، فغمّضت عيني لئلا أرى كيف أحصل في مخالفه ، وأقبلت أتشهد ، وأقرأ ، وأنا مع ذلك أجد عقلي ثابتاً ، ومتّصّوراً لهيأة الأسد ، ولم يفدني التغميض شيئاً . ثم ذكرت في الحال حكاية كنت أسمعها ، أنّ الأسد لا يفترس الإنسان وهو مواجه له ، فاستدردت وفتحت عيني في عينيه ، وأقبلت أتشهد خفياً ، والأسد فاتح فاه ، وأنا أتأمل أسنانه ، وتصل إلى أنفي من فمه روائح منتنة .

فإني [٢٢٨ ر] لذلك إذ لحقني الصبي المملوك على البغلة ، ومعه رجل راكب دابة ، ووراءهما قوم مشاة .

فحين رأى المملوك تلك الحالة ، جزع جزعاً شديداً ، وصاح بأعلى صوته : يا معاشر المسلمين أدركونا ، فقد افترس الأسد مولاي العلوي .

فحين سمع الأسد الصياح من ورائه [٥٦ ن] انزعج ، والتفت ، فرأى الصبي قريباً إليه ، فتناوله من أعلى السرج ، وعارَ البغل^٥ وحصل الصبي في فم الأسد ، كالقارة في فم السنور ، وأنا كالميت إلا أنّي أحصل ما أرى من ذلك .

وأقبل الأسد يحمل على راكب الدابة ، والمشاة ، والصبي في فمه ، فهربوا منه ، ودخل الأجمة .

فقلت في نفسي : قد فداني الله عزّ وجلّ بمملوكي ، وخلّص نفسي بيسير من مالي ، فما وقوفي ؟

فرميت بنفسي عن الحمار ، وفررت أعدو على المسناة ، فتلقاني قوم قد جاءوا من الكوفة ، ورأوا حيرتي ، وفزعي ، فسألوني عن أمرّي ، فأخبرتهم . فتقدّموا يطلبون الأسد ، وقويت نفسي ، فزدت في العدو ، إلى أن خرجت من الأجمة ، ولحقني الرفقة التي كنت فيها ، وقد عقدوا البغلة التي كانت تحت مملوكي ، وساقوا الحمار ، فركبته ، ودخلت الكوفة .

٥ عار البغل : ذهب على وجهه لا يشبه شي .

وكان هذا الخبر يوم الثلاثاء غرة شهر المحرم سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة ، فصمت يومي ، واعتقدت أن أصوم كل ثلاثاء ، أبداً ، وأنا أصومه إلى الآن .
وجاءني أبو علي عمر بن يحيى العلوي ، مهنتاً بالسلامة ، وبقدومي ، وكان خبري شاع .

وقال لي في جملة كلامه : كيف خفت الأسد ؟ أو ما علمت أن لحومنا معاشر بني فاطمة محرمة على السباع ؟

فقلت له : مثل سيدنا - أطال الله بقاءه - لا يقول مثل هذا ، وما الذي كان يؤمنني أن يكون هذا الحديث باطلاً فأتلف ، وكيف كانت نفسي - مع طبع البشرية - تطمئن في مثل ذلك الوقت ، إلى هذا الحديث ؟

قال : كيف يكون هذا الحديث باطلاً ، مع ما رويناه من خبر زينب الكذابة مع علي بن موسى الرضا عليهما السلام ؟

قال : فقلت له : بلى ، قد رويت ذلك ، ولكن لم يخطر في فكري من هذا شيء في تلك الحال .

قال مؤلف الكتاب : فقلت أنا لأبي القاسم بن الأعلم ، وما خبر زينب الكذابة ؟ فأني لم أسمعه .

قال : هذا خبر مشهور عند الشيعة ، بإسناد [٢٤٣ غ] لهم لا أحفظه ، وذلك : أن امرأة يقال لها زينب ادّعت أنها علوية ، فجيء بها إلى علي بن موسى الرضا عليهما السلام ، فدفع نسبها .

فخاطبته بكلام دفعت فيه نسبه ، ونسبته إلى مثل ما نسبها إليه من الادّعاء ، وكان ذلك بحضور السلطان .

فقال الرضا : أخرج أنا وهذه المرأة إلى بركة السباع ، فأني رويت عن آبائي عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن لحوم ولد فاطمة صلوات الله عليها محرمة على السباع ، فمن أكلته السباع فهو دعي .

فقال المرأة : لا أرضى بهذا ، ودفعت الخبر ، فأجبرها السلطان على ذلك .
فقال : فليترل قبلي .

فتزل الرضا بمحضر من خلق عظيم ، فلما رآته السباع ، أقعت على أذناها ،
فدنا منها ، ولم يزل يمسح رأس كل واحد منها ويمرّ بيده إلى ذنبه ، والسبع يبصص
له ، حتى أتى على آخرها ، ثم ولى ، فصعد من البركة .
وكرهت المرأة النزول ، وأبته ، فأجبرت على ذلك ، فحين نزلت وثب عليها
السباع فأفترسوها ومزقوها ، فعرفت بزنب الكذابة^٦ .

٦ لم ترد هذه القصة في م .

أعان الفيلة على قتل ثعبان فكافأوه بما أغناه

وحدّث عبد الله بن محمد بن خرسان السيرافي^١ ، المقيم - كان - بالبصرة ، قال : حدّثني [أبي ، عن جدّي ، قال]^٢ ذكر جماعة من شيوخ البحريين الذين تردّدوا إلى بلاد الهند ، أنّهم سمعوا هناك حكاية مستفيضة ، أنّ رجلاً كان معاشه صيد الفيلة قال :

استخفيت مرّة في شجرة كبيرة عالية كثيرة الورق في غيضة كانت تجتاز بها الفيلة ، من شرائع الماء التي تردها إلى مراتعها .

فاجتاز بي قطع منها ، وكانت عادتي أن أدع القطعان تجوز حتى تبلغ آخر فيل منها ، فأرميه بسهم مسموم في بعض مقاتله ، فتجفل الفيلة ، فإذا مات الفيل المجروح ، نزلت فاقتلعت أنيابه وسلخت جلده ، وأخذت ذلك فبعته في البلاد . فلما اجتاز بي هذا [٢٢٩ ر] القطيع ، رميت آخر فيل كان فيه ، فخرّ ، فاضطربت الفيلة ، وأسرعت عنه .

فإذا أعظمها قد عاد فوقف عليه ، وتأمّل السهم والجرح ، ورجعت معه الفيلة ، ووقفت بوقوفه ، فما زال قائماً والفيل المجروح يضطرب إلى أن مات . فضجّ ذلك الفيل ضجيجاً عظيماً ، وضجّت الفيلة معه وانتشرت في الغيضة ، ففتشتها شجرة شجرة ، فأيقنت بالهلاك . وانتهى الفيل الأعظم إلى الشجرة التي أنا فيها ، فلما رأيّ أحتك بالشجرة ،

١ كذا نصّ على اسم الراوي في ن ، وفي بقيّة النسخ : عبد الله بن محمد السيرافي ، نسبته إلى سيراف ، قال ياقوت في معجم البلدان ٢١١/٣ : إنّها مدينة على ساحل بحر فارس ، كانت قديماً فرضة الهند ، فلما عمرت جزيرة قيس ، وأصبحت فرضة الهند ، خربت سيراف ، وبينها وبين البصرة سبعة أيام .
٢ الزيادة من ن .

فإذا هي قد انكسرت ، على عِظَمها وضخامتها ، وسقطتُ أنا والشجرة إلى الأرض ، فلم أشكّ في أنّ الفيل يدوسني .

وإذا به قد جاء حتى وقف يتأملني ، وأحجبت القبلة عني . فلما رأى الفيل العظيم قوسي وسهامي ، لفّ خرطومَه عليّ برفق ، وشالني من غير أذى ، حتى وضعني على ظهره ، ورجع يريد الطريق التي كان أقبل منها ، وهرولاً ، وهرولت القبلة خلفه ، حتى بلغ الماء ، والقبلة معه .

فإذا قد خرج عليها ثعبان عظيم ينفخ ، فتأخّرت القبلة ، وأشال الفيل الأعظم خرطومَه ، فلفّه عليّ ، وأنزلي ، وتركني على الأرض ، وأخذ [٢٤٤ غ] يومئذ بخرطومَه إلى الثعبان برفق وتملّق .

فسدّدت سهماً إلى الثعبان ، ورميته ، فأصبته ، وتابعت رميه ، فانصرف مشخناً . فتقدّم إليه الفيل فداسه ، ثم عاد إليّ ، فأخذني بخرطومَه ، وجعلني على ظهره وأقبل يهرول ، والقبلة خلفه .

فجاء بي إلى غيضة لم أكن أعرفها ، أعظم من التي أخذني منها ، وأبعد بعدة فراسخ ، وفيها فيلة ميتة ، لا يحصيها إلاّ الله تعالى ، وأكثرها قد بلي جسده وبقيت عظامه^٣ .

٣ ناقش الصياد جاد الله طانيوس ، موضوع مقبرة الأفيال في كتابه : الصيد في غابات السودان ، فقال في الصحيفة ١٢٠ و ١٢١ من كتابه : من الفريد أنّ الفكرة القائلة بأنّ للأفيال مقبرة فيها موتاها ، وأنّ من يعثر عليها يسعد ويغنى ، تسلّطت على عقول الكثيرين من عشاق الصيد ، خصوصاً الأوروبيين ، وقد قال لي كثير من الرياضيين إنّها صحيحة ، والحقيقة أنّه كثيراً ما تموت جماعة من الأفيال في بقعة واحدة بسبب مرض وبائي أو ضربة صاعقة ، وقد يصل عدد الضحايا من الأفيال إلى اثني عشر فيلاً أو أكثر ، فإذا جاء أحد الصيادين ، ورأى مجموعة كهذه من الأفيال الميتة ، وجد ثروة عظيمة ، وظن أنّه عثر على الكنز المسمّى «مقبرة الأفيال» وكلّ صياد يعرف عن طبيعة الفيل أنّه عندما يحسّ بدنوّ أجله ، يحاول أن يستقرّ نهائياً في مكان فيه أشلاء الأفيال الميتة ، ولكن ليس من المستطاع أن يصل كلّ فيل مجروح أو مريض أو في حالة خطرة إلى النقطة التي يريدّها ، أي المكان الذي فيه أشلاء من مات =

فما زال يتتبع الأنيا ب ويجمعها ، ويومئ إلى فيل فيل ، حتى لم يدع هناك ناباً إلا جمعه ، وأوفر تلك الفيلة ، ثم أركبني على ظهره ، وأخذ بي في طريق العمارة ، واتبعت الفيلة .

فلما شارف القرى وقف ، وأوماً إلى الفيلة فطرحت أحمالها ، حتى لم يبق منها شيء ، ثم أنزلني بخرطوم برفق ، وتركني عند الأنيا ب ، وقد صارت تلاً عظيماً هائلاً . فجلست عندها متعجباً من سلامتي ، ورجع الفيل يريد الصحراء ، ورجعت الفيلة برجوعه ، وأنا لا أصدق بسلامتي ، ولا بما شاهدت من عظم فطنة الفيل . فلما غابت الفيلة عني ، مشيت ، إلى أقرب القرى إلي ، واستأجرت خلقاً كثيراً ، حتى خرجوا معي ، وحملوا تلك الأنيا ب ، في أيام ، إلى القرية . وما زلت أبيعها في تلك المدن ، حتى حصل لي مال عظيم ، كان سبب يساري [٥٧ ن] وغناي عن صيد الفيلة ٤ .

قبله ، وقد يموت في أية بقعة ، فيكون هو بذلك مقبرة ثانية للأفيا ل التي يدا بها الموت ، وبهذه الطريقة تتعدّد مقابر الأفيا ل .

٤ لم ترد هذه القصة في م .

حلف بالطلاق أن لا يبيت بمنادر

فكان ذلك سبباً لإنقاذ شخص من براثن الأسد

وحكى سعد بن محمد [بن علي] ^١ الأزدي ، الشاعر ^٢ ، [المعروف بالوحيد] ^٣ قال : حدثني [مروان بن شعيب العدوي] ، من عدي ربيعة ^٤ ، قال : [وهو بنهر تلّ هوارا ، وكان من أهلها ، قال] ^٥ : كنت في حدثي شديد القوة والأيد ^٦ - وكانت بنته لما حدثني ، تدلّ على ذلك منه - وكنت عند زوجة لي من عبد القيس في منادر ^٧ ، وهي قريبة من تلّ هوارا ^٨ ، على أربعة فراسخ ، وعندي قوم من أهل هواره ، ونحن نشرب . فتفاخرنا إلى أن اتهمنا إلى تجريد السيوف ، فحجز بيننا مشايخ القرية ، وبدر لساني ، فحلفت بالطلاق أن لا أبيت بمنادر .

١ الزيادة من ن ص ٥٨ من المخطوط .

٢ أبو طالب سعد بن محمد بن علي بن الحسن بن سعيد بن مطر بن مالك بن الحارث بن سنان الأزدي ، المعروف بالوحيد : شاعر ، نحوي ، لغوي ، أديب ، ذكره صاحب اليتيمة ١٣٥/٣ وأورد له مدحاً في الوزير أبي نصر سابور بن أردشير ، ووصفه ياقوت في معجم الأدباء ٢٣٣/٤ بالبغدادي ، ووصفه التنوخي ، بالبصري ، وأحسب أنه بغدادي أقام بالبصرة ، وتوفي سنة ٣٨٥ .

٣ كذا ورد في ن وه ، وفي غ ور : حدثني رجل من أهل البصرة .

٤ الأيد : الشدة والقوة .

٥ في الأصل : منارة ، ولم أجد ذكراً لموضع ينفرد باسم منارة ، في جنوبي العراق ، وأحسب أن ما أثبتته هو الصحيح ، ومنادر : اسم لثلاثة مواضع ، منادر من قرى البطيحة ، ومنادر الصغرى ، ومنادر الكبرى ، بلدتان من نواحي الأهواز (المفترق صقماً لياقوت ٤٠٤) .

٦ كذا ورد في غ ون ، وتلّ هوارا : وقد ذكرها صاحب معجم البلدان ٨٧٢/١ وصاحب مراصد الاطلاع ٢٧٣/١ باسم تلّ هواره ، قرية من قرى العراق .

فخرجت منها أريد منزلي بتلّ هوارا ، ومعني سيني وجحفتي^٧ ، وكان ذلك في الليل .

فسرت في الطريق وحدي ، وبلغت أجمة^٨ لا بدّ من سلوكها ، فلمّا سرت فيها قليلاً ، سمعت صياحاً شديداً من ورائي ، فجردت سيني ، ورجعت^٩ أطلب الصوت . فوجدت الأسد قد افترس رجلاً ، وهو الذي صاح ، ورأيت في فم الأسد عرضاً بشيابه .

فصحت بالأسد ، فرمى بالرجل ، ورجع إليّ ، فقالت ساعة ، ثم وثب عليّ وثبة شديدة ، فلطنت^{١٠} بالأرض ، وجمعت نفسي في جحفتي ، فلشدة وثبته [٢٣٠ ر] جاوزني ، فصار ورائي ، فأسرعت الوثوب نحوه ، وبعجته بالسيف في فمه ، وكان سيفاً ماضياً ، فدخل في فمه وخرج من لثته^{١١} ، فخرّ صريعاً يضطرب ، فتداركته بضربات كثيرة حتى تلف .

وعدت إلى الرجل ، فوجدته يتنفس ولا يعقل ، فحملته إلى الجادة ، وكانت ليلة مقمرة .

وتأملت الرجل ، فإذا هو تاجر من تلّ هوارا^{١٢} ، أعرفه ، فلم تطب نفسي بتركه أصلاً ، فجعلته عند الجادة ، وعدت فأخذت رأس السبع ، وحملته والرجل ،

٧ الجحفة : الدرفة ، والترس ، راجع حاشية القصة ٣٦٢ .

٨ الأجمة : الشجر الكثير المتلف ، وموطن الأسد يسمّى الأجمة ، لأنّ الأسود تألف مواضع الشجر المتلف ، راجع حاشية القصة ٤١١ .

٩ كذا في غ ، وفي ر : وزدّدت أطلب الصوت .

١٠ لطاً بالأرض : لصق بها ، ومنه سميت القلنسوة اللينة التي تتثنى حافتها على الرأس : لاطنة ، لأنّها تلصق بجلد الرأس ، والبغداديون يلقظونها لاطية ، بالياء ، جرياً منهم على إبدال الهمزة إذا كانت في وسط الكلمة بالواو أو الياء تبعاً لأصلها ، راجع حاشية القصة ٢٢١ وحاشية القصة ١٦٧ .

١١ اللبّة : موضع القلادة من الصدر .

١٢ في ر : تل الأهواز ، وفي ن : من أهل أهوارا .

وحصّلتها في صبيغة كانت عليّ .

والصبيغة إزار أحمر يتشع به [٢٤٥ غ] عرب تلك الناحية .

وكان الأسد في خلال قتالي إياه قد ضرب فخذي بكفه ، فأحسست به في الحال

كفرزة الإبرة ، لما كنت فيه من الهول .

فلما حصلت أمشي حاملاً رأس الأسد والرجل ، أحسست بالألم ، ورأيت الدم

يجري ، وقوّتي تضعف ، فصبرت نفسي حتى بلغت تل هوارا^{١٢} وقد أصبحت .

فأنكر أهل القرية حالي ، وحال الجرح ، فسألوني عن خبري ، فالتقيت الصبيغة

التي فيها الرجل والرأس ، فاستهلوا الحال لما حدثهم بها .

وفتشوا الرجل ، فوجدوا في بدنه خدوشاً يسيرة ، فأخذوه ، ورمت أن أمشي

إلى بيتي ، فلم أقدر ، حتى حُملت ، ومكثت في بيتي زماناً ، وكنت أعالج نفسي

من تلك الجراح مدة .

وعولج الرجل فبراً قبلي بأيام ، وهو حيّ إلى الآن ، يسميني مولاي ، ومعتي ،

وجراحي - أنا - لصعوبتها تنتقض عليّ في أغلب الأوقات .

قال سعد بن محمد : وأراني الجرح ، فكان عظيم الفتح ، قال : فلم أعلم

سبباً لسكرنا وعربدتنا ، إلا أنه سبب النجاة لذلك الرجل^{١٣} .

١٣ لم ترد هذه القصة في م .

حيلة ابن عرس في قتل الأفعى

وحكى سعد بن محمد الأزدي ، قال : حدّثني رجل [يعرف بعبد العزيز بن الحسن الأزدي] ^١ من تجار القصباء بالبصرة ، قال :

كنت يوماً في القصباء ^٢ ، وقد أخرج من النهر قصب رطب ، فعمل كالقبا ، على العادة فيما يراد تجفيفه من القصب ، وكان يوماً صائفاً .

وكدّني الحرّ ، فدخلت إحدى تلك القبا القصب ، وهي تكون باردة جداً ، وعادة التجار أن يستكنّوا بها ، فتمت في القبة ، فلبردها استثقلت في النوم .

فانتبّهت بعد العصر ، وقد انصرف الناس من القصباء ، وهي في موضع بالبصرة ، في أعلاها ، معروف ، به صحراء وبساتين .

فاستوحشت للوحدة ، وعملت على القيام ، فإذا بأفعى في غلظ الساق أو الساعد ، طويل ، متدور على باب القبة كالطبق .

فلم أجد سبيلاً إلى الخروج ، ويشت من نفسي ، وتحيرت ، وجزعت جزعاً شديداً ، وأخذت في التشهد ، والتسبيح ، والفرع إلى الله تعالى .

فإنّي لكذلك ، إذ جاء ابن عرس من بعيد ، فلمّا رأى الأفعى ، وقف يتأمّله ثم رجع من حيث جاء ، وغاب قليلاً ، ثم جاء ومعه ابن عرس آخر ، فوقفا جميعاً ، الواحد عن يمين القبة ، والآخر عن يسارها ، وصار الواحد عند رأس الأفعى ، والآخر عند ذنبها ، والأفعى غافل عنهما ، ثم وثبا في حال واحدة ، وإذا رأسه وذنبه في فم كلّ واحد منهما .

فاضطرب ، فلم يقلت منهما ، وجراه حتى بعدا عن عيني ، فخرجت من القبة سالماً ^٣ .

١ الزيادة من ن .

٢ القصباء : منبت القصب .

٣ لا توجد هذه القصة في م .

ألقى نفسه على نبات البرديّ فوق علي أسد

وحدّث سعد بن محمد ، الوحيد [أيضاً] ، قال : حدّثنا الحسن بن عليّ الأنصاريّ المقرئ بالرملة^١ ، وكان فارساً [فاتكاً]^٢ شجاعاً جلدأً ، قال : خرجت في قافلة من الرملة ، صاحبها ابن الحدّاد ، وأنا على مهرٍ لي ، وعليّ سلاحٍ .

فبلغنا في ليلة مظلمة إلى وادي غارا^٣ ، وهو وادٍ عميق جدّاً ، عمقه نحو فرسخ ، في بطنه ماء يجري ، وعليه شجر كثير ، وهو مشهور بالسّباع ، والطريق على جنبه من جنباته في مضيق .

فازدحمّت القافلة ، فسقط جمل عليه حمل بزّ ، فرأيت صاحبه يلطم ويكي ، وكان موسراً .

فدعاه ابن الحدّاد ، وقال له : أنت رجل موسر ، فإذا هذا الجزع ؟ فقال له : في الحمل البزّ الذي سقط ، عشرة آلاف دينار [٢٤٦ غ] عيناً . فحطّ ابن الحدّاد القافلة ، ونادى : من ينزل الوادي ، ويتخلّص لنا الحمل أو المال الذي فيه ، وله ألف دينار ، فلم يجسر أحد على [٢٣١ ر] ذلك . فلما كرّر النداء جثته ، وقلت : تعجّل ليّ الدنانير .

فقال : لا ، ولكن أكتب لك بها الساعة كتاباً ، وأشهد من في القافلة ،

١ الزيادة من ن .

٢ كذا وردت في غ : غارا (بالغين) ، ووردت في الأغاني ٢٦٠/٢٠ : قارا (بالقاف) ، وفي كتاب نخبة الدهر ، في عجائب البر والبحر : قارى (بالمقصورة) ، وفي تقويم البلدان لأبي الفداء ٢٢٩ ومعجم البلدان ١٢/٤ و ١٣ ومراسد الاطلاع ١٠٥٦/٣ وردت بلفظة : قارة (بالتاء القصيرة) . وهي قرية كبيرة ، في منتصف الطريق بين دمشق وحمص ، وهي منزلة للقوافل ، وهي على رأس قارة وبها عيون جاربة .

فإذا صار الجمل وحمله مع ما فيه من المال عندي ، فالمال لك .
فكتبنا كتاباً بذلك ، وأشهدنا عليه ، وأعطينهم دأبتي ورحلي ، ثم أخذت سيفاً ،
وجحفةً ، وشمعةً مشتعلة ، ورمت النزول إلى الوادي .

فرأيت منزلاً غربي ، فاستعجلت سلوكه ، فترلت ساعة ، حتى صرت على جانب
من الوادي مشجراً ، فإذا فيه أثر الرعاة والغنم ، ثم لم أجد طريقاً إلى أسفل ، وكان
سبيلي أن أرجع ، وأرتاد النزول من جهة أخرى .

فحملني ضيق الوقت ، والحرص على الدنانير ، أن جعلت أتوغل ، وأنتقل
من شجرة إلى شجرة ، ومن حجر إلى حجر ، حتى حصلت في جنب الوادي على
صخرة ملساء بارزة كالرف ، ليس لها إلى أسفل طريق البتة .

فأطلعت بالشمعة ، فإذا بيني وبين القرار عشرون ذراعاً ، وفي أسفل الوادي
بردي^٣ كثيف يجري بينه الماء ، وله خرير شديد .

فأجمعت على أن ألقى نفسي ، فأطفأت الشمعة ، وشدتها بحمائل السيف مع
الجحفة ، وألقيت ذلك في موضع علمته عن يميني ، ثم جمعت نفسي فوثبت
[٥٨ ن] في وسط البردي .

فوقعت على شيء ثار من تحتي ونفضي ، وصاح صيحة عظيمة ملأ بها الوادي ،
واذا هو أسد ، فشق البردي وسعى هارباً ، فوقف بإزائي من جانب الوادي الآخر .
فطلبت سيني وجحفتي حتى أخذتهما ، ووقفت أنتظر أن يمضي الأسد فأطلب
الجمل ، فأقبل يريدني .

فمشيت بين يديه في البردي ، وهو في أثري يخوض الماء ، ويشق البردي ، وأنا
أخاتله من موضع إلى موضع .

٣ البردي : نبات مائي كالقصب ، كان القدماء يكتبون على قشره ، وقد أبقى لنا التاريخ عدداً من هذه
الأوراق ، بعد آلاف السنين ، مما يدل على متانتها ، وفي العراق يستخرج من البردي مادة صفراء ،
فيها حلاوة ، يسمونها : الخريط ، يأكلها الأطفال .

وطلع القمر ، فأبصرتُ بناءً خفياً ، فقصدته ، فإذا هو بيت رحي يديرها الماء ، فدخلت فيه .

ثم فكرت ، فقلت : هنا مآلف الأسد ، والساعة يجيئني ، فجئت إلى شجرة كبيرة ، فقطعتها بالسيف من نصف ساقها ، وجرتها من ورأي ، وجذبتُ ساقها ، ودخلت إلى بيت الرّحي فامتلاً الباب بها ، وفضلت عنه بشيء كثير ، وجلستُ ، وساق الشجرة في يدي .

فما كان إلّا مقدار جلوسي ، حتى أحسست بالأسد يزحم الشجرة يريد الدخول إلي .

قال : فاستندت إلى الحائط ، وأمسكت ساق الشجرة أدافعه بها ، حتى ملّني ومللته ، ثم ربض بأزاء الباب إلي أن أسفر الصبح ، فلما كادت أن تطلع الشمس مضى .

فأقمت إلى أن انبسطت الشمس ، حتى أمنت ، ثم خرجتُ ، فما زلت أطلب أثر الجمل حتى انتهيت إليه ، فإذا هو قد تقطّع من أثر السقطة ، والعدلان مطروحان ، وكانوا أمروني بفتقهما ، واستخراج المال ، وحمله ، إن لم أقدر على تخليص الجمل وحمل العدلين ، ففعلت ذلك .

وحملت المال على ظهري ، وطلبت المصعد ، وقد علا الضحى ، فصعدت فيه . فلما حصلتُ برأس الوادي ، إذا ببادية مجتازين ، فقصدوني ، فنانعتهم بالسيف عن نفسي ، فلم [٢٤٧ غ] أطقهم ، وضربوني بالسيف . فقلت لشيخ رأيته كالرئيس لهم : لي الذمام ، على ما معي حتى أصدقك ، وأنفعك نفعاً كثيراً .

فقال : أصدقني ، ولك الذمام .

فحدّثته بالحديث ، فأخذوا المال ، وساروا بي معهم ، حتى وقفوا على العدلين ، فاحتملوهما .

وضرب الشيخ بيده في المال ، فحثا منه ثلاث حثيات ° فقلت : هذا لا ينفعني إن لم تبلغني مأمني .

فأناخ جملاً فحملني عليه ، وسار بي سيراً حثيثاً ، حتى أراني القافلة على بعدٍ ، ثم أنزلني ، وقال : إلحق برقتك ، فما عليك من أحد بأس .

فشيت حتى لحقت القافلة ، وقد خبأت تلك الدنانير في سراويلي ، ففرقتهم أنّ المال أخذته البادية ، وكتمت ما أعطوني ، وأريتهم آثار الضرب ، فصدّقوني ، ولم يفتشوني .

فركبت دابّتي وسرت معهم ، فدخلنا طبريّة ٦ ، فشكوا إلى أميرها أبي عثمان بن عقيل ، فأسرى إلى الأعراب ، فارتجع منهم أكثر المال ، وردّه إلى صاحبه .

وكنّت أنا ، لما دخلنا طبريّة ، فارقتهم ، ودخلت إلى دمشق ، ثم لحقوني بها . وبلغني ما ردّ عليهم ، فقلت لصاحب المال : قد بذلتُ مُهجتي ، وأفلتُ من الأسد ، والموت ، مراراً ، ومن الأعراب ، حتى وصل إليك بعض مالك ، فلا أقلّ من أن توصل إليّ بعض ما وعدتني ، فأعطاني مائتي دينار .

فأضفتها إلى ما أعطانيه الأعراب ، فإذا الجميع ستمائة دينار ، مع السلامة من تلك الشدائد والأهوال ٧ .

٥ الحثوة ، والحثية ، جمعها حثوات ، وحثيات : الفرقة ملأ الكف .

٦ طبريّة : بلدة مطلة على بحيرة طبريّة من أعمال الأردن ، فتحها المسلمون سنة ١٣ (معجم البلدان ٥٠٩/٣)

٧ هذه القصة لم ترد في م .

كيف نجا من الأسد والثعبان

وحكي أن رجلاً وفدَ على هشام بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد رأيتُ في طريقي عجباً .

قال : وما هو ؟

قال : بينما أنا أسير [٢٣٢ ر] بين جبلي طي^١ ، إذ نظرتُ فإذا عن يميني أسد كالبعغل ، وعن يساري ثعبان كالجراب ، وهما مقبلان عليّ . قاصدان نحوي . فرفعت رأسي إلى السماء ، وقلت :

يا دافع المكروه قد تراهما فنجّني يا ربّ من أذاهما
ومن أذى من كادني سواهما لا تجعلن شلوي من قراهما

قال : فقربا منّي ، حتى وصلا إليّ ، فتشمتاني ، حتى لم أشكّ في الموت ، ثم صدرا عني ، ونجوت^٢ .

١ جبلا طي : هما أجا ، وسلمى ، ومنازل طي فيهما ، راجع معجم البلدان ١/١٢٢ و ٢/٢٠ و ٣/١٢٠ .

٢ هذه القصة لم ترد في م .

قضى ليلة مع الأسد في حجرة مغلقة الباب

بلغني عن قاضي القضاة المعروف بأبي السائب ، ولم أسمع ذلك منه ، قال :
 وافيت من همدان أريد العراق ، وأنا فقير ، وزرت قبر الحسين رضي الله عنه .
 فلما انصرفت أريد قصر ابن هبيرة ، قيل لي إن الأرض مسبعة ، وأشير عليّ
 أن ألحق بقرية فيها حصن سميت لي ، فأوى إليها قبل المساء .
 وكنت ماشياً ، فأسرعت في المشي ، إلى أن وافيت القرية ، فوجدت باب
 الحصن مغلقاً .

فدققت الباب ، فلم يُفتح لي ، وتوسّلت للقائمين بحراسته ، بمن انصرفت من
 زيارته .

فقالوا : قد أتاننا منذ أيام من ذكر مثل ما ذكرت ، فأدخلناه ، وآوينا ،
 فدلّ علينا اللصوص ، وفتح لهم باب الحصن ليلاً ، وأدخلهم ، فسلمونا ، ولكن
 الحقّ بذلك المسجد ، وكنّ فيه ، لثلاً تسمي فيأتيك السبع .
 فصرّت إلى المسجد ، فدخلت بيتاً كان فيه ، وجلست .

فلم يكن بأسرع من أن جاء رجلٌ على حمار ، منصرفاً [٢٤٨ غ] من الحائر ،
 فدخل المسجد ، وشدّ حماره في غلق الباب ، ودخل إليّ .

وكان معه كرازا^١ فيه ماء ، وخرج ، فأخرج منه سراجاً فأصلحه ، ثم أخرج
 قداحة ، فقدح ، وأوقد ، وأخرج خبزه ، وأخرجت خبزي ، واجتمعنا على الأكل .
 فاشعرنا إلّا والسبع قد حصل في المسجد فلما رآه الحمار ، دخل إلى البيت
 الذي كنّا فيه ، فدخل السبع وراءه ، فخرج الحمار وجذب باب البيت بالرسن ،

١ الكرازا : كوز ضيق الرأس .

فأغلقه علينا وعلى السَّبْع ، وصرنا محبوسين فيه ، [فحصلنا في أخْبث محصَّل] ^٢ .
وقدّرنا أنّ السَّبْع ليس يعرض لنا ، بسبب السراج ، وأنّه إذا طفىء ، أكلنا ،
أو أخذنا .

وما طال الأمر أن فني ما كان في السراج من الدهن ، وطفىء ، وحصلنا في
الظلمة ، والسَّبْع معنا ، فما كان عندنا من حاله شيء إلاّ إذا تنفس ، فإنّا [٥٩ ن]
كنا نسمع نفسه .

وراث الحمار من فرعه ، فملأ المسجد روثاً ، ومضى الليل ونحن على حالنا ،
وقد كدنا نتلفُ فرعاً .

ثم سمعنا صوت الأذان من داخل الحصن ، وبدا ضوء الصبح ، فرأيناه من
شقوق الباب .

وجاء المؤذن من الحصن ، فدخل المسجد ، فلمّا رأى روث الحمار ، لعن
وشتّم ، وحلّ رسن الحمار من الغلق ، فرّ يطير - من الفزع - في الصحراء ،
لعلمه بما قد أفلت منه .

وفتح المؤذن باب البيت ينظر من فيه ، فوثب السَّبْع إليه ، فدقّه ، وحمله إلى
الأجمة ، وقمنا نحن ، وانصرفنا سالمين ^٣ .

٢ الزيادة من غ .

٣ هذه القصة لم ترد في م .

أخذه الأسد في المكان

الذي أخذ فيه أباه

بلغني عن أبي عليّ محمد بن عليّ بن مقلة الكاتب ، قال :
كنت عند أبي عليّ العلويّ بالكوفة ، إذ دخل عليه غلام له ، فقال : يا مولاي ،
أخذ الأسد فلاناً وكيلاً .

فانزعج ، وقال : أين أخذه ؟

فقال : في موضع كذا وكذا ، وأدخله الأجمة الفلائية .
فقال أبو عليّ : لا إله إلا الله ، في هذا اليوم بعينه ، أخذ الأسد أباه ، وأدخله
هذه الأجمة بعينها ، منذ كذا وكذا سنة ، واغتم ، فسليناه ، فعاد إلى شأنه في
المحادثة ..

فأنا قاعد عنده أحدثه ، إذ دخل عليه غلمان مبادرين ، فقالوا : قد وافى
فلان - يعنون ذلك الوكيل - فأذن له ، فدخل .

فرحب به أبو عليّ ، وسأله عن خبره ، فقال :

نعم ، أخذني الأسد ، كما شاهدوني ، وكنت راكباً ، فحملني بفيه ، كما
تحمل السنور بعض أولادها ، إلا أنه ما كلمني ، وأدخلني الأجمة ، وقد زال
عقلي .

ولم أعلم من أمري شيئاً ، إلا أنني أفقت فلم أره ، ووجدت أعضائي سالمة ،
ووجدت حولي من الجماجم والعظام أمراً عظيماً ، فلم يزل عقلي وقوتي يشوبان إليّ
إلى أن قمت ، ومشيت .

١ الكلم : بفتح الكاف وسكون اللام : الجرح .

فعثرت بشيء تأملته ، فإذا هو هميان ، فأخذته ، وشددت به وسطي [٣٣٣ ر] ،
ومشيت إلى أن بعدت عن الموضع ، فوصلت إلى شبيه بوهدة ، فجلست فيها ،
وغطيت نفسي بما أمكنني من القصب بقيّة ليلتي .
فلما طلعت الشمس أحسست بكلام المجتازين ، وحوافر بغالهم ، فخرجت
وعرقهم قصّتي ، وركبت بغل أحدهم .

فلما بعدت عن الأجمة ، وأمنت على نفسي ، فتحت الهميان ، فإذا فيه
رقعة بخطّ أبي ، بأصل ما كان في الهميان من الدنانير ، وبما أنفقته ، فإذا هو هميان
أبي الذي كان في وسطه لما اقترسه السبع .

فحسبت المصروف ، ووزنت [٢٤٩ غ] الباقي ، فإذا هي بأزاء ما بقي من
الأصل ، ما نقصت شيئاً .

قال : وأخرج الهميان ، وفتحته ، وأخرج الرقعة ، فقال أبو عليّ : نعم ، هذا
خطّ أبيك .

وعجبت الجماعة من ذلك ^٢ .

٢ لم ترد هذه القصة في م .

نجا من الأسد وافترس مملوكه

وبلغني عن رجل من أهل الأنبار ، قال :
خرجت إلى ضيعة لي في ظاهر الأنبار^١ ، راكباً دابة لي ، ومعني مملوك لي أسود
في نهاية الشجاعة .

فلما صرنا في بعض الطريق ، بالقرب من الموضع الذي أنا طالبه ، إذ نشأت
سحابة ، فأمطرت ، وكان المساء قد أدركنا ، فلنا إلى قباب كانت في الطريق
للسابلة ، فلجأنا إليها ، فقوي المطر حتى منعنا من الحركة ، فأشار الغلام عليّ بالمبيت .
فقلت له : نخاف اللصوص ويلك .

فقال لي : تخاف وأنا معك ؟

قلت : فالسَّبع ؟

قال : نصير الدابة داخل القبة ، وأنت تليها ، وأنا عند الباب ، وأشدّ وسطي
بالحبل الذي معنا ، وأشدّ طرفه برجلك ، حتى لا يأخذني النوم ، فإن جاء الأسد ،
أخذني دونك .

وما زال يحسن لي ذلك الرأي حتى أطعته ، وملنا إلى إحدى القباب ، ودخلناها ،
وفعل ما قال .

فوالله ما مضت قطعة من الليل ، حتى جاء الأسد ، فأخذ الأسود فدقه ،
واحتمله ، وجر رجلي المشدودة معه في الحبل .

١ الأنبار : مدينة على الفرات ، غربي بغداد ، بينهما عشرة فراسخ ، عمرها الفرس ، وجددها السفّاح ،
وأقام بها إلى أن مات ، سميت الأنبار لأنه كان يجمع فيها أنابير الحنطة والشعير والقتّ والتين ، فتحها
خالد بن الوليد في السنة ١٢ في عهد الصديق أبي بكر (معجم البلدان ١/٣٦٧) أقول : جلّت محلّها
الآن البلدة المسماة الفلوجة .

فلم يزل يجزني على الشوك والحجارة ، إلى أن صار بي إلى أجمته ، وأنا لا أعقل شيئاً من أمري ، ولا أحسّ بأكثر ما يجري ، ولا تمييز لي يؤدّي بي إلى الاجتهاد في حلّ الحبل من رجلي .

ثم رمى بالأسود ، وربض عليه ، وما زال يأكل منه ، حتى شبع ، وترك ما فضل منه ، وليس فيّ من حسّ الحياة غير النظر فقط ، ثم مضى ، فنام بالقرب من مكاننا .

وبقيت زماناً على تلك الحال ، ثم سكن روعي ، ورجعت إليّ نفسي ، لطول مكث الأسد في نومه ، فحللت رجلي من الحبل ، وقمت أدبّ ، فعثرت بشيء لا أدري ما هو ، فأخذته ، فإذا هميان ثقيل ، فشددته على وسطي ، وخرجت من الأجمة . وقد قارب الصبح أن يسفر .

وصرت إلى القبة التي فيها دأبتي ، فإذا هي واقفة بحالها ، فأخرجتها ، وركبتها ، وانصرفت إلى منزلي ، وفتحت الهميان ، فوجدت فيه جملة دنانير . فحمدت الله تعالى على السلامة وبني الرعب في قلبي ، والتألم في بدني ، مدة^٢ .

٢ لم ترد هذه القصة في م .

البَابُ الْمَكْشَرُ

فِيمَنْ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ بِمَرَضٍ نَالَ فَعَاذَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِأَيْسَرِ سَبَبٍ وَأَقَالَهُ

٤٣٢

دعاء يشفي من الوجع

[حدثني علي بن عمر بن أحمد الحافظ ، من حفظه ، قال : حدثنا أبو بكر النيسابوري^١ ، قال : حدثنا أبو بشر بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا عبد الله بن وهب^٢ أن مالكا ، أخبره عن يزيد بن خصيفة^٣ ، عن عمرو بن عبد الله بن كعب السلمي^٤ عن نافع بن جبير بن مطعم^٥ ، [عن عثمان بن أبي العاص الثقفي^٦ ، قال : شكوت إلى رسول الله ﷺ ، وجعاً بي ، قد كاد يبطلني ، فقال لي : يا

١ أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري الفقيه الشافعي (٢٣٨-٣٢٤) : ترجم له صاحب اللباب ٢٥٢/٣ .

٢ أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ، ص ١٨٥ وقال : إنه توفي سنة ١٩٩ عن ٧٤ سنة ، ومما صاحب ميزان الاعتدال ٥٢١/٢ : المصري .

٣ يزيد بن خصيفة : ذكره صاحب الخلاصة ٣٧٠ .

٤ عمرو بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري السلمي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٤٧ .

٥ نافع بن جبير بن مطعم المدني : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٤٣ .

٦ الزيادة من غ .

٧ أبو عبد الله عثمان بن أبي العاص الثقفي ، نزيل البصرة : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٢٠ ، وقال : إنه توفي سنة ٥١ .

عثمان ، ضع يدك عليه ، وقل : بسم الله ، أعوذ بعزة الله وقدرته ، من شرّ هذا
الوجع ، ومن شرّ ما أجْدُ وأحاذر ، سبع مرّات .
قال : فقلّها ، فشفاني الله ^٨ . [٢٥٠ غ]

٨ لم ترد هذه القصة في م .

وجأ نفسه بسكين فعوفي من مرضه

[حدَّثنا أحمد بن عبد الله بن أحمد الورَّاق^١ ، قال : حدَّثنا أحمد بن سليمان الطَّوسِيّ ه قال : حدَّثنا الزَّبير بن بَكَار ، قال : حدَّثني محمد بن الضَّحَّاك ، عن أبيه ، ومحمد بن سلام^٢ عن أبي جعدة ، قال : برص^٣ أبو عزة الجمحيّ الشاعر^٤ ، فكانت قريش لا تؤاكله ، ولا تجالسه ، فقال : الموت خيرٌ من هذه الحياة . فأخذ حديدة ، ودخل بعض شعاب مكة ، فطعن بها في معدِّهِ . والمعدُّ : موضع عقبي الرَّاكب من الدابة .

١ كذا ورد في جميع النسخ ، ولعله أحمد بن عبد الله بن خلف الورَّاق : ترجمته في حاشية القصة ٢٦ من هذا الكتاب .

٢ الزيادة من غ .

٣ البرص : مرض يصيب الجلد ، فيحدث فيه بقعاً بيضاء ، وقد يسمّى : الوَضَح ، والبرش ، واللباض الذي فيه ، ولذلك لقّب جذيمة ثالث ملوك الدولة التنوخية في العراق ، بالأبرش ، والوضَّاح ، لبرصه (الأعلام ١٠٥/٢) ، وكان العرب يحتنبون مؤاكلة الأبرص ومعاشرته ، وقد رفض النعمان بن المنذر منادمة الربيع بن زياد ومؤاكلته ، لمجرد أنّهما بالبرص (خزانة الأدب للبغدادى ١٧١/٤-١٧٦) وجعل العرب للبرص ترتيباً ، حسب استفحاله ، فإن كان لمعاً في الجسد ، فهو مولّع ، فإن زادت ، فهو ملّمع ، فإن زادت ، فهو أبقع ، فإن زادت فهو أقشر (فقه اللغة ١٤٢) ، وقد أورد ابن قتيبة في كتابه المعارف (ص ٥٨٠-٥٨٢) ثبوتاً بأسماء البرص المشهورين ، وأفرد الشيخ الرئيس ابن سينا في الكتاب الرابع من كتابه القانون في الطب ج ٣ ص ٢٨١-٢٨٧ فصلاً في البهق والوضح والبرص الأبيض والأسود ، وعلاجها .

٤ أبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان الجمحي : شاعر جاهلي ، من أهل مكة ، أدرك الإسلام ، وأمر يوم بدر وهو مشرك فنّ عليه رسول الله صلوات الله عليه ، وأطلقه بعد أن تعهّد له أن لا يظهر عليه ، ثم أسره ثانياً في وقعة أحد ، فقتله (الأعلام ٢٥١/٥) .

قال أبو جعدة : فَرَّتْ الحديدة بين الجلد والصفاق ° ، فسال منه ماء أصفر ،
وبريء لوقته ، فقال :

اللَّهُمَّ رَبَّ وائِلٍ ونَهْدٍ والمهمَّات والجبال الجرد
[قال مؤلف هذا الكتاب : والذي في كتاب الطوسي : لا همَّ ٦ ، وهو
الصواب عندي .] ٧

وربَّ من يرعى بياض نجد أصبحَ في جلدي
أصبحتُ عبداً لك وابن عبد من بعد ما طعنت في معدِّي ٨

٥ الصفاق : الجلد الأسفل الذي يمسك البطن ، وهو إذا انشقَّ كان منه الفتق .

٦ لا همَّ : مخفَّف اللّهم ، للدعاء .

٧ الزيادة من ن .

٨ لا توجد هذه القصّة في م .

يا قديم الإحسان لك الحمد

حدّثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخي ، قال :
كان يتنزل بباب الشام^١ من الجانب الغربي من بغداد رجل^[٢٣٤ ر]
مشهور بالزهد والعبادة ، يقال له : لبيب العابد ، لا يُعرف إلا بهذا .
وكان الناس يتتابونه ، وكان صديقاً لأبي ، فحدّثني لبيب ، قال :
كنت مملوكاً رومياً لبعض الجند ، فربّاني ، وعلمني العمل بالسلاح ، حتى
صرت رجلاً ، ومات مولاي بعد أن اعتقني .
فتوصّلت إلى أن حصلتُ رزقه لي ، وتزوّجت بامرأته ، وقد علم الله أنّي لم
أرد بذلك إلا صيانتها ، فأقمت معها مدّة .
ثم اتّفقت أنّي رأيت يوماً حبة داخلّة في جحرها ، فأمسكت ذنبها ، فانثنت
عليّ ، فنهشت يدي ، فشلت .
ومضى على ذلك زمان طويل ، فشلت يدي الأخرى ، لغير سبب أعرفه ،
ثم جفّت رجلاي ، ثم عميتُ ، ثم خرس .
وكنّت على ذلك الحال - ملقى - سنة كاملة ، لم تبق لي جارحة صحيحة ،
إلا سمعي ، أسمع به ما أكره ، وأنا طريح على ظهري ، لا أقدر على الكلام ،
ولا على الحركة ، وكنّت أسقى وأنا ريان ، وأترك وأنا عطشان ، وأهل وأنا
جائع ، وأطعم وأنا شبعان .
فلما كان بعد سنة ، دخلت امرأة إلى زوجتي ، فقالت : كيف أبو علي ،
ليبيب ؟

١ باب الشام : محلّة كانت بالجانب الغربي من بغداد (معجم البلدان ١/٤٤٥) .

فقال لها زوجتي : لا حيّ فيرجى ، ولا ميت فيسلى .
فأقلقني ذلك ، وآلني ألماً شديداً ، وبكيتُ ، ورغبتُ إلى الله عزّ وجلّ في
سرّي بالدعاء .

وكنّ في جميع تلك العلل لا أجد ألماً في جسمي ، فلمّا كان في بقيّة
ذلك اليوم ، ضرب عليّ جسمي ضرباً عظيماً كاد يتلفني ، ولم أزل على ذلك
الحال ، إلى أن دخل الليل وانصف ، فسكن الألم قليلاً ، فمّنت .

فما أحسست إلّا وقد انتهت وقت السحر ، وإحدى يديّ على صدري ،
وقد كانت طول هذه السنة مطروحة على الفراش لا تشال أو تشال .

ثم وقع في قلبي أن أتعاطى تحريكها ، فحرّكت ، ففرحت بذلك
فرحاً شديداً ، وقوي طمعي في تفضّل الله عزّ وجلّ عليّ بالعافية .

فحرّكت [٢٥١ غ] الأخرى فحرّكت ، فقبضت إحدى رجليّ فانقبضت ،
فرددتها فرجعت ، ففعلت مثل ذلك مراراً .

ثم رمت الانقلاب من غير أن يقلبني أحد ، كما كان يفعل بي أولاً ،
فانقلبت بنفسي ، وجلست .

ورمتُ القيام فأمكنني ، فقممت ونزلت عن السرير الذي كنت مطروحاً
عليه ، وكان في بيت من الدار .

فشيت ألتمس الحائط في الظلمة ، لأنّه لم يكن هناك سراج ، إلى أن
وقعت على الباب ، وأنا لا أطمع في بصري .

فخرجت من البيت إلى صحن الدار ، فرأيت السماء والكواكب تزهر ،
فكدت أموت فرحاً .

وانطلق لساني بأن قلت : يا قديم الإحسان ، لك الحمد .

ثم صحت بزوجتي ، فقالت : أبو عليّ ؟

فقلت : الساعة صرتُ أبو عليّ ؟ أسرجي ، فأسرجت .

فقلت : جيئني بمقراض ، فجاءت به ، فقصصتُ شارباً لي كان بزيّ الجند .

فقلت زوجتي : ما تصنع ؟ الساعة يعيبك رفاؤك .

فقلت : بعد هذا لا أخدم أحداً غير ربّي .

فانقطعت إلى الله عزّ وجلّ ، وخرجت من الدار ، وطلّقت الزوجة ، ولزمت عبادة ربّي .

وقال أبو الحسن : وخبر هذا الرجل معروف مشهور ، وكانت هذه الكلمة :

يا قديم الإحسان لك الحمد ، صارت عادته ، يقوها في حشو كلامه .

وكان يقال إنّه مجابُ الدّعوة ، فقلت له يوماً : إنّ الناس يقولون إنّك رأيت

النبيّ ﷺ في منامك ، فسمح يده عليك ، فبرئت .

فقال : ما كان لعافيتي سببٌ غير ما عرفتك^٢ .

٢ لم ترد هذه القصّة في م ، ووردت القصّة في نشوار المحاضرة ج ٢ ص ٢٨٧ رقم القصّة ١٤٩/٢ ، وفيها الزيادة التالية : قال : وقال لي : كان لي قراح على شاطئ دجلة ، بالمداين ، وكان فيه تلال ، وأشياء ينبغي أن تستخرج ، ويطمّ بها مواضع فيه ، فتحتاج إلى رجال كثيرة ، فكنت ليلة فيه ، وكانت قمراء ، فاجتاز بي خلق كثير من الفعلة ، قد انصرفوا من عملٍ بئس ، فأرأيت ، فعرفوني ، فقلت لهم : هل لكم أن تكسحوا هذا القراح الليلة ، وتسوّوا تلولة بالأرض ، وتأخذوا مِنّي كذا وكذا ، فقالوا : نعم ، أتحننا بالأجرة ، فعملوا ذلك ، فأصبحنا ، وقد صار أرضاً مستوية ، فقالت العامّة : الملائكة أصلحوه ، وكذبوا ، ما كان غير هذا .

أبرأ أبو بكر الرازي

غلاماً ينفث الدم بإطعامه الطحلب

حدّثني أبو الحسن محمد بن علي الخلال البصريّ ، أحد أبناء القضاة ،
قال : حدّثني بعض أهل الطبّ الثقات :
أنّ غلاماً من بغداد قدم الرّيّ وهو ينفث الدم ، وكان لحقه ذلك في طريقه .
فاستدعى أبا بكر الرازيّ^١ الطبيب المشهور بالحدق ، صاحب الكتب
المصنّفة ، فوصف له ما يجد .
فأخذ الرازي مجسّه^٢ ، ورأى قارورته^٣ ، واستوصف حاله ، منذ ابتداء ذلك
به ، فلم يقم له دليل على سلّ ولا قرحة ، ولم [٢٣٥ ر] يعرف العلّة ، فاستنظر
الرجل ليفكّر في الأمر .
فقامت على العليل قيامته ، وقال : هذا إيّاس^٤ لي من الحياة ، لحدق
الطبيب ، وجهله بالعلّة ، فازداد ما به .
ووُلد الفكر للرازيّ أن عاد إليه وسأله عن المياه التي شربها في طريقه ،
فأخبره أنّه شرب من مستنقعات وصهاريج .
فقام في نفس الرازيّ ، لحدّة الخاطر وجودة الذكاء ، أن علّقَ كانت في
الماء وقد حصلت في معدته ، وأنّ ذلك النفث من فعلها .

١ أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (٢٥١-٣١١) : فيلسوف ، إمام في الطبّ ، تولى تدبير مارستان
الرّيّ ، ثمّ مارستان بغداد ، وفي تاريخ وفاته اختلاف (تاريخ الحكماء ٢٧١-٢٧٧ ، الأعلام ٦/٣٦٤) .

٢ المجسّ : النبض .

٣ القارورة : هنا ، كناية عن البول ، لأنّ الطبيب العربي كان إذا فحص المريض ، عرض عليه بوله

في قارورة .

فقال له : إذا كان غداً جئتكَ بعلاجك ، ولا أنصرف من عندك حتى تبرأ
بإذن الله تعالى ، ولكن بشرط أن تأمر غلمانك يطيعونني فيما أمرهم به .

قال : نعم .

وانصرف الرازي ، وجمع مِئْةَ مركنين^٤ كبيرين من طُحلب ، وأحضرهما من
غدي^٥ معه ، وأراه إياهما .

وقال له : أَبْلَعْ جميع ما في هذين المركنين ، فبلع الرجل شيئاً يسيراً ، ثم
وقف .

فقال له : أَبْلَعْ .

فقال : لا أستطيع .

فقال [٢٥٢ غ] للغلمان : خذوه ، فَيَمَوْه^٦ ، ففعلوا به ذلك ، وفتحوا فاه ،
وأقبل الرازي يدير^٦ الطحلب في حلقة ، ويكبسه كبساً شديداً ويطلبه ببلعه ،
شاء أو أبى ، ويتهدده بالضرب ، إلى أن بلغ كارهاً أحد المركنين ، وهو يستغيث
فلا ينفعه مع الرازي شيء .

إلى أن قال له العليل : الساعة أقذف ما في بطني ، فزاد الرازي فيما يكبسه
في حلقة .

فذرعه القيء ، فقذف ، فتأمل الرازي قذفه ، فإذا فيه عَلَقَةٌ ، وإذا بها
لما وصل إليها الطحلب ، دبّت إليه بالطبع ، وتركت موضعها ، فلما قذف العليل^٧ ،
خرجت مع الطحلب ، ونهض العليل معافى^٧ .

٤ المركن : وجمعها مراكن ، الأجانة .

٥ تيموه : لغة بغدادية في : تيموه ، مستعملة إلى الآن ببغداد .

٦ يدير : لغة بغدادية بمعنى : يصب ، مستعملة إلى الآن ببغداد .

٧ لا توجد في هذه القصة في م .

أصيب بوجع في المعدة

وشفاه لحم جرو سمين

وحكى الحسن بن محمد السطوي^١ ، غلام كان يخدم أبي رحمه الله [٦١ ن] ، قال : حدثني أبو الحسن علي بن الحسن الصيدلاني [البناتاذري^٢ ، خليفة القاضي أبي القاسم علي بن محمد التنوخي على القضاء بيناتاذر^٣] ، قال : كان عندنا بسوق الأربعاء^٤ ، من بناتاذر ، غلام حدث من أولاد التناء^٥ ، لحقه وجع في معدته شديد ، بلا سبب يعرفه ، وكانت تضرب عليه في أكثر الأوقات ضرباً عظيماً ، حتى كاد يتلف ، وقلّ أكله ، ونحل جسمه . فحمل إلى الأهواز ، فعولج بكلّ شيء ، فما نجع فيه دواء ، فردّ إلى بيته وقد ينس منه .

فاستدعى والده طبيباً حاذقاً ، وأراه ولده ، فقال له الطبيب : أقعد وأشرح لي حالك ، منذ حال الصّحة ، فشرحها . وطاوله في الحديث ، إلى أن قال له العليل : إنّي دخلت بستاناً لنا ، وكان

١ في ن : الشطوي ، راجع الباب ١٩/٢ .

٢ في الأصل : الساراداري ، والصحيح ما أثبتناه .

٣ في الأصل : سارادر ، محرقة عن : بناتاذر ، وهي مدينة في أسافل الأهواز ، انتقل إليها أبو عبد الله البريدي من باسيان في السنة ٣٢٦ ، راجع تجارب الأمم ٣٨١/١ و ٣٨٢ .

٤ الزيادة من غ .

٥ سوق الأربعاء : بليد في نواحي الأهواز ، على نهر ، ذات جانين ، وبها سوق ، بينها وبين عسكر مكرم ستة فراسخ (معجم البلدان ١٨٤/١ و ١٩٣/٣) .

٦ في هـ : من أولاد آذر .

في بيت البقر منه ، رمان كثير ، قد جمع للبيع ، فأكلت منه رمانات عدة .

فقال له الطبيب : كيف كنت تأكل ؟

قال : كنت أعضّ رأس الرمانة بضمي ، وأرمي به ، وأكسرهما ، وأكلها ، قطعاً قطعاً .

فقال له الطبيب : في غدٍ أعالجك ، وتبرأ بإذن الله تعالى ، وخرج .

فلما كان من الغد ، جاءه بقدرٍ إسفيدباج^٧ ، قد طبخها بلحم جرو سمين ، وقال للعليل : كُلْ هذا .

فقال : ما هو ؟

قال : إذا أكلتَ عَرَفْتَك .

قال : فأكل العليل .

فقال له الطبيب : أمتلِ من الطعام ، ففعل ، ثم أطعمه بطيخاً كثيراً ، ثم تركه ساعة ، وسقاه فقاعاً قد خلط بماء حار وشبث^٨ .

ثم قال : أتدري أيّ شيء أكلت ؟

قال : لا أدري .

قال : أكلتَ لحم كلب ، فحين سمع الغلام ذلك ، اندفع فقذف جميع ما في بطنه .

فأمر الطبيب بعينه ورأسه فأمسكا ، وأقبل يتأمل القذف ، إلى أن طرح

٧ الاسفيدباج : طعام من اللحم ودهن الألية والكسفرة (يسمّيها البغداديون كزبرة) والكمون والحمص والبصل وعيون البيض ، راجع التفصيل في كتاب الطبخ للبغداديّ ٣١ و٣٢ .

٨ الشبث : بقلة معروفة ، ذات رائحة نقّادة ، ذكرها ابن سينا في القانون ٣٧/١ وابن البيطار في الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٥٠/٣ ونقل عن المنصوري : أن كامخ هذه البقلة جيّد لمن أراد أن يتقيّاً . أقول : والبغداديون يسمّون هذه البقلة : الشبث ، وربما أبدلوا التاء بالدال ، ويكثر استعمالهم لهذه البقلة ، في فصل الربيع ، عند طبخ «تمن الباقلي» حيث يطبخ الأرز بالباقلي ولحم الحمل (ويسمّونه القوزي) ، ويضاف إليه الشبث .

الغلامُ شيئاً أسود ، كالنواة الكبيرة^٩ ، يتحرّك .
فأخذه الطبيب ، وقال له : ارفع رأسك ، فقد برئت ، وفرّج الله تعالى عنك .
فرفع الغلام رأسه ، وانقطع القذف ، وسقاه الطبيب شيئاً يقطع الغثيان ،
وصبّ على رأسه ماء ورد ، وسكن نفسه ، ثم أخذ ذلك الشيء الذي يشبه النواة ،
فأراه إياه ، فإذا هو قراد^{١٠} .
وقال له : إني قد زكّنت أنّ الموضع الذي كان فيه الرمان ، كان فيه قردان
من البقر ، وأنّه قد دخلت واحدة منهنّ في رأس إحدى الرمانات التي اقتلعت
رؤوسها بفيك ، فنزل القراد [٢٥٣ غ] إلى حلقك ، وعلق بمعدتك يمتصّها .
وعلمت أنّ القراد يهشّ إلى لحم الكلب ، فأطعمتك إياه ، وقلت : إن صحّ
[٢٣٧ ر] ظني ، فسيعلّق القراد بلحم الكلب ، تعلقاً يخرج معه إن قذفت ،
فتبرأ ، وإن لم يكن ما ظننت صحيحاً ، فإيضرّك من أكل لحم الكلب .
فلما أحبّ الله تعالى من عافيتك صحّ حدسي ، فلا تعاوّد بعد هذا إدخال
شيء في فيك لا ترى ما فيه .
وبريء الغلام ، وصحّ جسمه^{١١} .

٩ النواة : عجمة التمر ونحوه ، أي حبّه وبذره ، جمعها نوى ونويات ، وجمع الجمع : أنواء ونوى .

وهي تذكر وتؤثت ، والبغداديون يلفظونها : نواة .

١٠ القراد : راجع حاشية القصة ٤٤٢ من هذا الكتاب .

١١ لا توجد هذه القصة في م .

ذكاء طيب أهوازي

وحدثنا الحسن [غلامنا]^١ ، عن ابن الصّيدلاني [هذا]^٢ ، قال :
كان لي أكارٌ حَدَثٌ ، فانتفخ ذكره انتفاخاً عظيماً واحمرّ ، وضرب عليه
ضرباً شديداً ، فلم يكن ينام الليل ، ولا يهدأ النهار ، وعُولج فلم يكن إلى برئه
سبيل .

قال : فجاء مطبّب من الأهواز ، يريد البصرة ، فسألته أن ينظر إليه .
فقال لي : قلْ له يصدقني عن خبره في أيام صحته ، وإلى الآن ، قال :
فحدّثه .

فقال له : ما صدقتني ، ومالي إلى علاجك سبيل ، إلا أن تصدقني .
فقال لي الغلام : إن صدقتك يا أستاذ ، فأنا آمن من جهتك على نفسي ؟
قلت : نعم .

فقال : أنا غلام حدث ، وعزب ، فوطئت حماراً لي في الصحراء ذكراً .
فقال له الطبيب : الآن علمتُ أنّك قد صدقت ، والساعة تبرأ .
ثم أمر به فأمسك إمساكاً شديداً ، وأخذ ذكره بيده ، فجسّه جساً شديداً ،
والغلام ساكت .

إلى أن جسّ منه موضعاً ، فصاح الغلام ، فأخذ الطبيب خيط إبريسم ،
فشدّ الموضع شداً شديداً ، ولم يزل يمرخ إحليل الغلام بيده ، ويسلته^٣ ، إلى أن

١ الزيادة من غ ون .

٢ أبو الحسن علي بن الحسن الصّيدلاني ، الوارد ذكره في القصّة السالفة .

٣ السلت : ورد هنا بمعنى المسح ، يقال : سلّنت المرأة الخضاب بمعنى مسحته وألقته .

ندّت منه حبة شعير من نقب ذكر الغلام ، وقد كبرت وجرحّت الموضع ،
فسال منه شيء يسير كماء اللحم .

فأعطاه مرهماً ، وقال له : استعمل هذا أياماً فإنّك تبرأ ، وتب إلى الله تعالى
من مثل هذا الفعل .

فاستعمل الغلام ذلك المرهم ، فبريء .

٤ في غ : انقطعت القصّة ، وما بعدها فراغ .

٥ لم ترد هذه القصّة في م .

شجّ رأسه ففرض

ثم شجّ بعدها فصلح

وحدّثني أبو عبد الله الحسين بن محمّد بن عبيد الله الدقاق ، المعروف بابن العسكري^١ ، [شيخ مجرب ثقة ، كان ينزل في درب الشاكرية من نهر المعلّى ، في الجانب الشرقي]^٢ من بغداد ، في المذاكرة ، قال :

كان أبي^٣ إذا جلس يفتّش في دفاتره ، وأنا صبيّ ، أجيء فأخذ منها الشيء بعد الشيء ، استحسنه ، فألعب به .

وكنّت أرى في دفاتره دفترًا فيه خطوط حمرة ، فأستحسنه وأطلبه فيمنعني منه ، حتى بلغت مبلغ الرجال .

فجلس يوماً يفتّش كتبه ، فرأيت الدفتر ، فأغفلت أبي وأخذته ، ففتحتة أقرؤه ، فإذا هو مولدي ، وقد عمله بعض المنجمين .

فوجدت فيه ، أنّي إذا بلغت أربعاً وثلاثين سنة ، كان عليّ فيها قطع .

فالتفت أبي فرأى الدفتر معي ، فصاح وأخذه منّي ، ونظر إلى أيّ موضع

١ أبو عبد الله الحسين بن محمّد بن عبيد بن أحمد بن مخلد بن أبان الدقاق ، المعروف بابن العسكري (٢٨٦-٣٧٥) : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٠٠/٨ .

٢ الزيادة من ن .

٣ أبو الحسين محمّد بن عبيد بن أحمد بن مخلد بن أبان الدقاق ، المعروف بابن العسكري ، والد أبي عبد الله العسكري : ترجم له الخطيب في تاريخه ٣٧٠/٢ .

٤ دار الضرب : الموضع الذي تسكّ فيه النقود المعدنية ، وكان المكلف بسكّها يثبت في أحد وجهيها ، أنّه ضرب بمدينة كذا ، في سنة ، كذا ، قال الشاعر :

لا يألف الدرهم المضروب صرّتنا لكن يمرّ عليها وهو منطلق

بلغتُ ، فتوقّف وأخذ يضعف ذلك في نفسي لثلاً أغمّ .
ومضت السنون ، فلماً بلغت السنة التي ذكرها المنجم ، ركبت مهراً لي ،
وخرجت من دار الضرب^٤ ، وأبي فيها ، وكان إليه العيار^٥ ، فبلغت إلى ساباط^٦
بدرج سيما ، بدرج الديزج .
فنفر المهر من كلبٍ كان في الطريق رابضاً ، فضرب رأسي حائطاً كان في
الساباط ، ف وقعت عن المهر مغشياً عليّ .
ثم حملت إلى دار الضرب ، وأحضر طبيب ، وقد انتفخ موضع الضربة من
رأسي إنتفاخاً عظيماً ، فأشار بفصدي ، ففصدت فلم يخرج لي دم .
فحملت إلى بيتنا ، ولم أشكّ في أنّي ميّت لشدة ما لحقني ، فاعتلت ،
وضعت نفسي خوفاً مما ذكرته من حكم المنجم .
فكنت يوماً جالساً مستنداً إلى سرير ، وقد أيست من الحياة ، إذ حملتني
عيناى ، فحقق رأسي^٧ ، فضرب درابزين^٨ السرير ، فشجّ الموضع المنتفخ ،
فخرج منه أرتال دم ، فخفّ ما بي في الحال ، فصلحت ، وبرئت ، وعشت إلى
الآن .

وكان له يوم حدثني بهذا الحديث أربعاً وثمانين سنة وشهور^٩ ، على ما
أخبرني^{١٠} .

-
- ٥ العيار : النظام ، والمقياس ، وعيار المسكوكات النقدية ، ما فيها من الفضة والذهب ، وكان هذا
العمل يناط بالثقة الأمين ، وأغلب ما يودع لأحد القضاة ، كي لا يتلاعب عمال دار الضرب بالعيار .
٦ الساباط : السقيفة بين دارين ، بينهما طريق .
٧ خقق برأسه : حرّكه وهو ناعس .
٨ الدرابزين : الحاجز المتكوّن من قوائم من الخشب أو الحديد يعلوها متكأ ، قال صاحب المنجد :
إنّها يونانية ، وقال صاحب الألفاظ الفارسية المعربة ٦٠ إنّها فارسية ، والبغداديون يسمّون الدرابزين :
المحجّر ، فصيحة من الحجر ، وهو المنع ، لأنّ المحجّر ، يحفظ من السقوط .
٩ يعني أنّه حدّث بهذا الحديث في السنة ٣٧٠ .
١٠ لم ترد هذه القصة في م ولا في غ .

القطيعي الطيب وذكأؤه ومكارم أخلاقه

وحدّثني أبو الحسن علي بن أبي محمّد الحسن بن محمّد الصلحيّ الكاتب ، قال :

رأيت بمصر طبيباً [٦٢ ن] مشهوراً يعرف بالقطيعي ، وكان يقال : إنّه يكسب في كلّ يوم ألف درهم^١ ، من جرايات يجريها عليه قوم من رؤساء العسكر ، ومن السلطان ، وما يأخذه من العامّة .

قال : وكان له دار قد جعلها شبه البيمارستان^٢ ، من جملة داره ، يأوي إليها ضعفاء الأعلّة ، يعالجهم ، ويقوم بأودهم [٢٣٧ ر] وأدويتهم ، وأغذيتهم ، وخدمتهم ، وينفق أكثر كسبه في ذلك .

قال أبو الحسن : فأسكت^٣ بعض فتيان الرؤساء بمصر - وأسماء لي ، فذهب عني اسمه - وكنت هناك ، فحمل إليه أهل الطبّ ، وفيهم القطيعي ، فأجمعوا على موته ، إلّا القطيعي ، وعمل أهله على غسله ودفنه .

فقال القطيعي : دعوني أعالجه ، فإن برىء ، وإلّا فليس يلحقه أكثر من الموت الذي أجمع هؤلاء عليه .

فخلّاه أهله معه ، فقال : هاتم غلاماً جلدّاً ومقارع ، فأني بذلك .

١ في نشوار المحاضرة ج ٣ ص ١٥٢ رقم القصة ١٠٦/٣ : إنّه كان يكسب في كلّ شهر ألف دينار .

٢ البيمارستان : محلّ معدّ لمعالجة المرضى وإقامتهم ، والكلمة فارسيّة : بيمار : مريض ، وستان :

محلّ ، (الألفاظ الفارسيّة المعربة ٣٣) ويسمّى بالتركية : خسته خانه ، خسته : مريض ، وخانه :

محلّ ، والبغداديون يسمّونه الآن : مستشفى ، وكان عامّتهم في العهد العثماني ، يسمّونه : قصبطخانه ،

تحرّيف : خسته خانه .

٣ أسكت : انقطع كلامه .

٤ الجلد : الشديد ، القويّ .

فأمر به فُلد ، وضُرب عشر مقارع من أشدّ الضرب ، ثم جَسَّ مجسّه ،
وضربه عشرًا أخرى شديدة أيضاً ، ثم جَسَّ مجسّه ، وضربه عشرًا أخرى .
ثم جَسَّ مجسّه ، وقال للطبّ : أَيْكون للميت نبض يضرب ؟
فقالوا : لا .

قال : فَجُسُّوا نبض هذا .
فجسّوه ، فإذا به يتحرّك ، فضُرب عشر مقارع أخرى ، فصاح .
فقطع الضرب عنه ، فجلس العليل يجسّ بدنه ، ويتأوّه ، وقد ثابت إليه
قوّته .

فقال له الطبيب : ما تجد ؟
قال : أنا جائع .
قال : أطعموه الساعة ، فجاءوه بما أكله ، وقمنا وقد رجعت قوّته ، وبريء .
فقال له الطبّ : من أين لك هذا ؟
قال : كنت مسافراً في قافلة فيهم أعراب يخفروننا ، فسقط منهم فارس عن
فرسه ، فأسكت ، فعمد شيخ منهم إليه ، فضربه ضرباً عظيماً ، فما رفع عنه
الضرب حتى أفاق ، فعلمت أنّ ذلك الضرب جلب عليه حرارة أزالته سكته .
فقست عليه أمر هذا العليل ° .

هـ لم ترد هذه القصّة في م ، ولا في غ ، ووردت في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ،
برقم القصّة ١٠٦/٣ .

مريض بالاستسقاء تشفيه أكلة جراد

حدّثني بعض المتطبّين بالبصرة ، قال : [حدّثنا أبو منصور بن مارية^١ ، كاتب أبي مقاتل صالح بن مرداس^٢ الكلّابي ، أمير حلب^٣ ، وكان أبو منصور من رؤساء أهل الصّراة الذين يضربون المثل بنعمتهم وترقيهم ، وكان ثقة أديباً ، وقد شاهدته أنا ، ولم أسمع منه هذه الحكاية ، قال : أخبرني أحد شيوخنا ، قال :^٤ .

كان بعض أهلنا قد استسقى ، فأيس من حياته ، وحمل إلى بغداد ، فشوّروا أهل الطبّ فيه ، فوصفوا له أدوية كثاراً ، فعرفوا أنّه قد تناولها بأسرها ،

١ بنو مارية : أناس من أهل الصراة (القصة ١٤٦/١ من نشوار المحاضرة) يضرب بهم أهل السواد الأمثال ، لكبرهم في نفوسهم (مروج الذهب ٣٦٤/٢) وأحسب أنّهم من أبناء مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندي ، أم الحارث الأعرج الذي قال فيه النابغة :

والحارث الأعرج خير الأنعام

ويأياها عنى حسان بن ثابت بقوله :

أبناء جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأوّل

ومارية هذه ، جدّة جيلة بن الأيهم ، آخر ملوك العرب في الشام ، ولما قدم جيلة على الخليفة عمر ، كان معه خمسمائة فارس ألبسهم الوشي المنسوج بالذهب والفضّة ، وليس جيلة تاجه ، وفيه قرط مارية جدّته ، وكان يضرب بقرطها المثل (العقد الفريد ٥٦/٢ و ٥٩ و ٦٠ و ٧٤/٣) .

٢ في الأصل : ابن مدرك .

٣ في الأصل : أمير دجلة .

٤ الزيادة من ن .

فلم تنجع ، فأيسوا منه ، وقالوا : لا حيلة لنا في برئه .
فلما سمع العليل ذلك ، قال لمن معه : دعوني الآن أتروّد من الدنيا ، وآكل
ما أشتي ، ولا تقتلونني قبل أجلي بالحمية .
فقالوا : كل ما تريد .
فكان يجلس على دكان بباب الدار ، ومهما رأى ما يجتاز به على الطريق ،
شراه ، وأكله .
فمرّ به رجل يبيع جراداً مطبوخاً ، فاشتري منه عشرة أرطال ، وأكلها
بأسرها .
فلما كان بعد ساعة ، أنحلّ طبعه^٥ ، وتواتر قيامه^٦ ، حتى قام في ثلاثة أيام
أكثر من ثلثائة مجلس^٧ ، وضعف ، وكاد يتلف .
ثم انقطع القيام ، وقد زال كلّ ما في جوفه ، وعادت بطنه إلى حالها في
الصحة ، وثابت إليه قوّته ، وبريء .
فخرج برجليه في اليوم الخامس ، يتصرّف في حوائجه ، فرآه أحد الطبّ ،
فعجب من أمره ، وسأله عن الخبر ، فعرفه .
فقال : ليس من شأن الجرّاد أن يفعل هذا ، ولا بدّ أن يكون في الجرّاد
الذي فعل هذا خاصيّة ، فأحبّ أن تدلّني على الذي باعك الجرّاد ، فلم يزالوا
في طلبه حتى وجدوه .
فقال له الطبيب : من أين لك هذا الجرّاد ؟
فقال : أنا أصيده ، وأجمع منه شيئاً كثيراً ، وأطبخه ، وأبيعه .
فقال : من أين تصيده ؟ فذكر قرية بالقرب من بغداد .

٥ انحلال الطبع : كناية عن الإسهال .

٦ القيام : كناية عن مراجعة بيت الخلاء .

٧ المجلس : كناية عن خروج ما في البطن .

فقال له الطبيب : أعطيك ديناراً ، وتدع شغلك ، وتجيء معي إلى الموضع .
قال : نعم ، فخرجوا وعاد الطبيب من غدٍ ، فذكر أنّه رأى الجراد يرمى
في صحراء أكثر نباتها حشيشة يقال لها : مازريون^٨ ، وهي دواء الاستسقاء^٩ .
وإذا دفع إلى العليل منها وزن درهم ، أسهله إسهالاً يزيل الإستسقاء ، ولكن
لا يؤمن أن لا ينضب ، ولا يقف ، فيقتله الدَّربُ^{١٠} ، والعلاج بها خطر جداً ،
وهي مذكورة في الكتب الطبيّة ، ولكنّها لفرط خطرها لا يصفها الأطباء ، فلما
وقع الجراد على هذه الحشيشة ، وانطبخت في معدته ، ثم طبخ الجراد ، ضعف
فعلها بطبخين اجتماعاً عليها ، وقضى أن تناولها هذا بالاتفاق ، وقد تعدّلت بمقدار
ما يدفع طبعه دفعاً لا ينقطع ، فبرأ^{١١} .

٨ مازريون : فارسيّة ، شجر ورقه كورق الزيتون ، وزهره إلى البياض ، له ثمر كالكر (الألفاظ الفارسيّة

المعرّبة ١٤٤ ، ابن البيطار ١٢٣/٤) .

٩ الاستسقاء : داءٌ يصيب الإنسان من جرّاء تجمع سوائل مصلية في تجويف ، أو أكثر ، من تجاويف
جسده ، أو خلاياه .

١٠ الدَّربُ : الإسهال الشديد .

١١ لم ترد هذه القصة في م ، ولا في غ ، ووردت في نشوار المحاضرة ١١٢/٣

مريض بالاستسقاء يبرأ بعد أن طعم لحم أفعى

[وحدثنا أبو الحسن محمد بن طرطى الواسطي ، قال : سمعت^١ أبا علي عمر بن يحيى العلوي الكوفي ، قال : كنت في بعض حججي في طريق مكة ، فاستسقى رجل كان معنا من أهل الكوفة ، وثقل في علته .
وسل^٢ الأعراب قطاراً^٣ من القافلة كان هذا العليل على جمل منه ، ففقد ، وجزعنا عليه ، وعلى القطار ، وكنا راجعين إلى [٢٣٨ ر] الكوفة .
فلما كان بعد مدة ، جاء العليل إلى داري معافى ، فسألته عن قصته وسبب عافيته .

فقال : إن الأعراب لما سلوا القطار ، ساقوه إلى محلهم ، وكان على فراسخ يسيرة من المحجة^٤ ، فأنزلوني ، ورأوا صورتي ، فطرحوني في أواخر بيوتهم .
وتقاسموا ما كان في القطار ، فكنت أزحف وأتصدق من البيوت ما آكله ، وتمنيت الموت ، وكنت أدعو الله تعالى به أو بالعافية .
فرايتهم يوماً وقد عادوا من ركوبهم ، وأخرجوا أفاغي قد اصطادوها ، فقطعوا رؤوسها وأذناها ، واشتووها ، وأكلوها .
فقلت : هؤلاء يأكلون هذه فلا تضرهم بالعادة التي قد مرنوا عليها ، ولعلي

١ الزيادة من ن ، وقد ورد الاسم في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، في القصة

رقم ١١٣/٣ : أبو الحسن محمد بن أحمد بن طوطو .

٢ سل : سرق .

٣ القطار من الإبل : المجموعة منها متقاطرة أحدها وراء الآخر .

٤ المحجة : جادة الطريق .

إذا أكلت منها شيئاً أن أثلف فأستريح مما أنا فيه .
فقلت لبعضهم : أطعمني من هذه الحيات ، فرمى إليّ واحدة منها مشوية ،
فيها أرتال ، فأكلتها بأسرها ، وأمعتُ ، طلباً للموت ، فأخذني نوم عظيم ،
فانتبهت وقد عرقتُ عرقاً عظيماً ، فاندفعتُ طبيعتي ، فقممت في بقية يومي وليلتي
أكثر من مائة مجلس^٥ ، إلى أن سقطت طريحاً وجوفي يجري .
فقلت : هذا طريق الموت ، فأقبلت أتشهد ، وأدعو الله تعالى [٦٣ ن]
بالرحمة والمغفرة .

فلما أضاء الصبح ، تأملت بطني ، فإذا هي قد ضمرت جداً ، وزال عنها ما
كان بها ، فقلت : أي شيء ينفعني هذا ، وأنا ميت ؟
فلما أضحى النهار ، انقطع القيام ، ووجبت صلاة الظهر ، فلم أحسّ
بقيام ، وجعت ، فجئت لأزحف على العادة ، فوجدتُ بدني خفيفاً ، وقوتي
صالحة ، فتحاملت ومشيت ، وطلبت منهم مأكولاً فأطعموني ، وقويتُ ، وبت
في الليلة الثانية معافى لا أنكر شيئاً من أمري .
فأقمت أياماً ، إلى أن وثقتُ من نفسي بآتي إن مشيتُ نجوتُ ، فأخذت
الطريق مع بعضهم ، إلى أن صرت على المحجة ، ثم سلكتها ، منزلاً ، منزلاً ،
إلى الكوفة مشياً^٦ .

٥ في ن : أكثر من مائتي مجلس .

٦ هذه القصة لم ترد في م ، ولا في غ ، ووردت في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ،
برقم القصة ١١٣/٣ .

القاضي أبو الحسين بن أبي عمر

يحزن لموت يزيد المائي

حدّثني أبو الفضل محمّد بن عبد الله بن المرزبان الشيرازي الكاتب : [قال :

حدّثني أبو بكر الجعابي الحافظ ^١ ، قال : ^٢

دخلت يوماً على القاضي أبي الحسين بن أبي عمر ، وهو مغموّم ، فقلت :

لا يغمّ الله قاضي القضاة ، ما هذا الحزن الذي أراه به ؟

قال : مات يزيد المائي ^٣ .

فقلت : يُبني الله قاضي القضاة ، ومنّ يزيد المائي ، حتى إذا مات اغتمّ عليه

قاضي القضاة ، هذا الغمّ كلّهُ ؟

فقال : ويحك ، مثلك يقول هذا في رجل كان أوحد زمانه في صناعته ،

وقد مات وما ترك أحداً يقاربه في حذقه ، وهل فخر البلدان إلّا بكثرة رؤساء

الصنائع ، وحذاق أهل العلوم فيها ؟ فإذا مضى رجل لا مثيل له في صناعة لا

١ أبو بكر محمّد بن عمر بن مسلم بن البراء الجعابي الحافظ (٢٨٤-٣٥٥) : قاضي الموصل ، لم ير في البغداديين أحفظ منه ، كان يحفظ أربعمئة ألف حديث ، ويذكر بستائة ألف حديث (المنتظم ٣٧/٧) .

٢ الزيادة من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التّونخي مؤلّف هذا الكتاب ، راجع كتاب نشوار المحاضرة ج ٣ ص ٢٣٣ ، رقم القصة ١٥١/٣ .

٣ المائي : من الأطباء ، نسب إلى الماء ، لأنّه يعرض عليه ماء المريض (أي بوله) ، فيشخص المرض ، ويصف الدواء ، وقد جاء في عيون الأنباء ٣٣/٢ أن منكه الطبيب الهندي ، كان ماراً بالخلد ، فإذا برجل من المائيين قد بسط كساءه ، وألقى عليه عقاقير كثيرة ، وقام يصف دواء عنده معجوناً ، راجع في كتاب القانون في الطب ج ١ ص ١٣٥-١٤٦ بحثاً مفصلاً عن دلائل بول المريض ، وألوانه ، وقوامه ، وصفاته ، ورائحته ، ورسوبه ، وكميته ، وزبده .

بدّ للناس منها ، فهل يدلّ هذا إلّا على نقصان العالم وانحطاط البلدان .
ثم أقبل يعدّد فضائله ، والأشياء الطريفة التي عالج بها ، والعلل الصعبة
التي زالت بتدبيره ، فذكر من ذلك أشياء كثيرة ، منها :
قال : أخبرني منذ مدّة رجل من جلة أهل البلد ، أنّه كان حدث بابنة له
علّة طريفة ، فكتمت أمرها ، ثم أطلع عليها أبوها ، فكتمها هو مُديدة ، ثم انتهى
أمر البنت إلى حدّ الموت .

قال : وكانت العلّة ، أنّ فرج الصبيّة كان يضرب عليها ضرباناً عظيماً
لا تنام معه الليل ولا النهار ، وتصرخ أعظم صراخ ، ويجري في خلال ذلك منه
دمٌ يسيرٌ كماء اللحم ، وليس هناك جرح يظهر ، ولا ورم .
قال : فلمّا خفتُ المأثم ، أحضرت يزيد ، فشاورته .
فقال : أتأذن لي في الكلام ، وتبسط عذري فيه .
فقلت له : نعم .

قال : لا يمكنني أن أصف لك شيئاً ، دون أن أشاهد الموضع بعيني ، وأفتشه
بيدي ، وأسائل المرأة عن أسباب لعلّها كانت الجالبة للعلّة .
قال : فلعظم الصورة ، وبلوغها حدّ التلف ، أمكنته من ذلك .
فأطال المسائلة ، وحدّثها بما ليس من جنس العلّة ، بعد أن جسّ الموضع
من ظاهره ، وعرف بقعة الألم ، حتى كدتُ [٢٣٩ ر] أن أثب به ، ثم صبرتُ ،
ورجعتُ إلى ما أعرفه عن سيرته ، فصبرت على مضض .
إلى أن قال : تأمر من يمسكها ، ففعلتُ .

فأدخل يده في الموضع دخولاً شديداً ، فصاحت الجارية ، وأغمي عليها ،
وانبعث الدم ، وأخرج يده وفيها حيوان أقلّ من الخنفساء ، فرمى به .
فجلست الجارية في الحال ، وقالت : يا أبة ، استرني ، فقد عوفيت .
فأخذ يزيد الحيوان بيده ، وخرج من الموضع ، فلحقته ، فأجلسته .

وقلت : أخبرني ما هذا ؟

فقال : إن تلك المسائلة التي لم أشكّ من أنك أنكرتها ، إنما كانت لأطلب دليلاً أستدلّ به على سبب العلة .

إلى أن قالت لي الصبيّة : إنّها في يوم من الأيام ، جلست في بيت دولاب البقر ، في بستان لكم ، ثم حدثت العلة بها ، من غير سبب تعرفه ، في غد ذلك اليوم .

فتخيّلت أنّه قد دبّ في فرجها من القراد^٤ الذي يكون على البقر - وفي بيوت البقر قراد - قد تمكّن من أول داخل الفرج ، فكلمّا امتصّ الدم من موضعه ولّد الضربان ، وأنّه إذا شبع ، خفّ الضربان ، لانقطاع مصّه ، ونقط من الجرح الذي يمتصّ منه إلى خارج الفرج .
فقلت : أدخل يدي ، وأفتش .

فأدخلت يدي ، فوجدت القراد كما حدست ، فأخرجته ، وهذا هو الحيوان ، وقد تغيّرت صورته لكثرة ما امتصّ من الدم ، مع طول الأيام .

قال : فتأمّلنا الحيوان ، فإذا هو قراد ، وبرئت المرأة .

قال مؤلف هذا الكتاب : ولم يذكر القاضي أبو الحسين في كتابه هذا الخبر ، ولعلّه اعتقد أنّه مما لا يجب إدخاله فيه^٥ .

٤ القراد : دويبة تتعلّق بالحيوان ، وتمتصّ دمه ، وقد تتعلّق بالإنسان ، وإذا تعلّقت صعب رفعها إلاّ بجذعها واقتلاعها ، والبهناديون يسمّونها : قراة ، ويلفظون القاف كافاً فارسيّة ، وفي بغداد مثل سائر لمن اشتدّ تمسكه بشيء ، يقال : لرق مثل القراة .

٥ لم ترد هذه القصّة في م ، ولا في غ ، ووردت في نشوار المحاضرة ١٥١/٣ .

زمنة مقعدة يشفيها الحنظل

[حدثني المؤمل بن يحيى بن هارون ، شيخ نصراني يكنى بأبي نصر ، كان يتزل بياب الشام ، رأيته في سنة خمسين وثلثمائة ، قال : حدثني قرّة بن السراج العُقَيْلِيّ ،^١] وكان يتزل ، إذا جاء من البادية ، بشارع دار الرقيق^٢ بالقرب من درب سليمان^٣ ، قال :

كان عندنا بالبادية ، جارية بالغ ، زَمِنَةٌ ، مقعدة سنين ، ومن عادتنا أن نأخذ الحنظل^٤ فنقوم رؤوسه ، ونعلاه باللبن الحليب ، ونردّ على كلّ واحدة رأسها ، وندفنها في الرماد الحارّ ، حتى تغلي ، فإذا غلت ، حسا كلّ واحدٍ منّا من الحنظلة ما في رأسها من اللبن ، فتسهله ، وتصلح بدنه .

قال : وقد كنّا أخذنا في سنة من السنين ، ثلاث حناظل ، لثلاثة أنفس ، يشربونها ، وجعلنا اللبن فيها على الصفة المارّة ، فرأيتها الجارية الزمينة .
فلتبرّمها من الحياة ، وضجرها من الزمانة ، خالفتنا إلى الحناظل الثلاث ، فحسبنا كلّها ، وعلمنا بذلك بعد أن رأينا من قيامها ما جزعنا منه ، وأيسنا من حياتها ، وخشينا أن تعدينا ، فأبعدناها عن البيوت .

فلما كان الليل ، انقطع قيامها ، فحسّت برجلها إلى أن عادت إلى البيوت لا قلبه بها ، وعاشت بعد ذلك سنين ، وتزوّجت ، وولدت^٥ .

١ الزيادة من ن ، وفي بقيّة النسخ : وحكى المؤمل بن يحيى المتطبّب .

٢ شارع دار الرقيق : راجع حاشية القصة ٢٩٣ من هذا الكتاب .

٣ درب سليمان : راجع حاشية القصة ٢١٦ من هذا الكتاب .

٤ الحنظل : نبات يمتدّ على الأرض كالبطيخ ، وهو شديد المرارة جداً ، ويضرب بمرارته المثل ، فيقال : أمر من الحنظل .

٥ هذه القصة لم ترد في م ولا في غ .

اشترى الرشيد لطيبه ضياعاً غلّتها ألف ألف درهم

وحدّث جبريل بن بختيشوع ، قال :
كنت مع الرشيد ، بالرقّة ، ومعه المأمون ومحمّد^١ ، وكان الرشيد رجلاً كثير
الأكل والشرب ، فأكل في بعض الأيام أشياء خلط فيها ، ودخل المستراح ،
فغشي عليه فيه .
فأخرج وقد قوي عليه الغشي ، حتى لم يشكّ [٦٤ ن] غلماناً في موته ،
وحضر ابنه ، وشاع عند الخاصّة والعامة خبره .
وأرسل إليّ ، فجئت ، فجسست عرقه ، فوجدت نبضاً خفيفاً ، وأخذت
عرقاً في رجليه فكان كذلك ، وقد كان قبل ذلك بأيّام يشكو امتلاءً وحركة
الدم .

فقلت لهم : إنّه لم يمت ، والصّواب أن يحجم^٢ الساعة .
فقال كوثر الخادم^٣ ، لما يعرف من أمر الخلافة وإفضائها إلى صاحبه
محمّد : يا ابن الفاعلة ، تقول أحجموا رجلاً ميتاً ؟ لا يقبل قولك ولا كرامة .
فقال المأمون : الأمر قد وقع ، وليس يضّرّ أن نحجمه .
وأحضر الحجام ، فتقدّمت ، وقلت له : ضع محاجمك ، ففعل ، فلمّا
مصّها رأيت الموضع قد احمرّ ، فطابت نفسي بذلك ، وعلمت أنّه حيّ .
فقلت للحجام : أشرط ، فشرط ، فخرج الدم ، فسجدت شكراً لله تعالى ،
وجعل كلّما خرج الدم ، تحرّك رأسه ، وأسفر لونه ، إلى أن تكلم .

١ أبو عبد الله محمد الأمين بن أبي جعفر هارون الرشيد : ترجمته في حاشية القصة ١٣١ من الكتاب .

٢ الحجامة : راجع الشرح في آخر القصة .

٣ كوثر خادم الأمين : ترجمته في حاشية القصة ١٨٥ من الكتاب .

فقال : أين أنا ؟

فطَيبَتْ نفسه ، وغَدَّيْنَاهُ بِصَدْرِ دَرَّاج ، وسَقَيْنَاهُ نَبِيذاً ، وما زلت أسعطه بالطيب في أنفه ، حتى تراجعت إليه قُوَّتُهُ ، وأدخل الخاصَّة والقوَاد إليه ، فسَلَمُوا عليه من بعد ، لما كان قد شاع من خبره ، ثم تكاملت قُوَّتُهُ ، ووهب الله له العافية .

فلَمَّا برأ من عِلَّتِهِ ، دعا صاحب حرسه ، وحاجبه ، وصاحب شرطته ، فسأل [٢٤٠ ر] صاحب الحرس عن غَلَّتِهِ في كلِّ سنة ، فعَرَفَهُ أَنَّهَا أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وسأل صاحب شرطته عن غَلَّتِهِ ، فعَرَفَهُ أَنَّهَا خَمْسِمِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

ثم قال : يا جبريل : كم غَلَّتْكَ ؟

فقلت : خمسون ألف درهم .

فقال : ما أنصفناك ، حيث غَلَّتْ هؤُلاءِ وهم يحرسوني ، ويحجبوني عن الناس ، على ما هي عليه ، وتكون غَلَّتْكَ ما ذكرت ، وأمر بإقطاعي ما قيمته ألف ألف درهم .

فقلت : يا سيدي مالي حاجة إلى الإقطاع ، ولكن تهب لي ما أشتري به ضياعاً غَلَّتْهَا أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، ففعل ، وتقدَّم بمعاونتي على أبتباعها . فابتعت بهباته ، وجعلاته ، ضياعاً غَلَّتْهَا أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فجميع ما أملكه ضياع لا إقطاع فيها .

٤ هذه القصة لم ترد في م ، ولا في غ .

الحجامة

الحجامة ، استخراج الدم من قفا العنق ، أسفل القذال ، بالمحجم ، بأن يشرط الحجام القفا بموساه ، ثم يضع المحجم ، وهو أداة كال كأس ، فيمتصّ الدم ، ويحتذبه ، والحجامة من الطبّ القديم ، وهي أحد ثلاثة أشياء كان الأطباء القدماء يوصون بها في كلّ سنة ، وهي : الحجامة ، والفصد ، وتناول المسهل ، وكان الناس يعتبرون القيام بهذه الثلاثة من الواجبات ، ويكون تحت إشراف الطبيب ، ويحتفلون بذلك ، وإذا احتجم الإنسان ، أو اقتصد ، أو تناول مسهلاً ، جاءت الهدايا من أصحابه ومعارفه ، وقد أفرد الشيخ الرئيس ، ابن سينا ، في كتابه القانون ، فصلاً للحجامة ، أثبت فيه شروطها ، وكيفية إجرائها ح ٢١٢/١-٢١٣ وفصلاً للفصد ح ٢٠٤/١-٢١٢ ، وفصلاً في المسهلات ح ١٩٦/١-٢٠٠ ، ومن الطريف أن نذكر أن جهل الأطباء في الماضي بأصول التعقيم ، كان يؤدّي ، في بعض الأحيان إلى إصابة من يفصدونه ، إصابة قد تؤدّي إلى وفاته ، فيتعرّض الطبيب للتهمة بأنّه قد سمّ الموضع الذي أجرى به الفصد ، ويكون ذلك سبباً لقتله ، وللتخلّص من هذه التهمة ، أصبح الطبيب ملزماً بأن يضع الموضع في فمه ، ويمتصّه ، قبل إجراء الفصد ، ثم يمسه بلحيته ، ويقوم بالفصد ، فكانت النتيجة ، أن زادت نسبة الإصابات ، وتعرّض الطبيب للاتّهام بأنّه قد وضع السمّ في لحيته ، وقد أودت هذه التهم بحياة كثير من الأطباء الأبرياء .

لسعته عقرب فعوفي

وحدثني أبو جعفر طلحة بن عبيد الله بن قناش الطائي ، الجوهري ، البغدادي ،
قال :

كان في درب مهرويه ، بالجانب الشرقي ببغداد ، قديماً ، رجل من كبراء
الحُجْرِيَّة^١ ، وكان متشبيهاً بغلام من غلمانِه ، رباه صغيراً .

فاعتَلَّ الغلام علةً من بلسام ، وهو الذي تسميه العامة : البرسام^٢ ، فبلغ
إلى درجة قبيحة ، وزال عقله .

فتفرَّقوا عنه يوماً ، وهو في موضع فيه خيش ، ووكلوا صبيّاً بمراعاته ، فسمعوا
صياح الفتى الموكل به ، فبادروا إليه .

فقال : أنظروا إلى ما قد أصابه .

فإذا عقرب قد نزل من المسند على رأس العليل ، فلسعته في عدّة مواضع ،
فإذا به قد فتح عينيه وهو لا يشكو ألماً .

فسألوه عن حاله ، فطلب ما يأكل ، فأطعموه ، وبرأ .

فلاموا طبيبه ، فقال : علامَ تلوموني ، لو أمرتكم أن تلسعوه بعقرب ،
أكنتم تفعلون^٣ ؟

١ الحُجْرِيَّة ، والساجيّة : صنفان من غلمان الخلافة ، فالحُجْرِيَّة : ينسبون إلى حُجْرٍ كانت لهم ملحقة
ببلاط الخليفة ، والساجيّة : نسبتهم إلى ابن أبي الساج ، راجع أخبارهم في تجارب الأمم ١١٦/١ و ١١٧ ،
١٢٥ ، ١٣٧ ، ١٦٧ ، ١٩٤ ، ٢٢٢ ، ٢٦١-٢٦٤ ، ٢٨٦ ، ٣٠٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٥ ، ٣٣٤ ،
٣٥١ ، ٣٥٧ .

٢ الاسم الصحيح للمرض : السراسم ، راجع حاشية القصة ١٨٠ من الكتاب .

٣ نقلت القصة عن ن ا و ه ، ولم ترد في ر ولا في م ولا في غ .

أبرأته مَـضِيرَةٌ لعقت فيها أفعى

[حدثني أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الرازي ، المعروف بابن حمدون ، قال : حدثني أبو بكر أحمد بن علي الرّازيّ الفقيه رحمه الله ، قال : سمعت أبا بكر بن قارون الرّازيّ ، وكان تلميذاً لأبي بكر محمد بن زكريا الرّازيّ الطيب ، قال أبو بكر بن حمدون : وقد رأيت هذا الرجل بالريّ ، وكان يحسن علوماً كثيرة ، منها الحديث ، ويزويه ، ويكتبه الناس عنه ، ويوثقونه ، ولم أسمع هذا منه ، قال المؤلف رحمه الله : ولم يتهياً لي مع كثرة ملاقاتي أبا بكر الرّازيّ الفقيه رحمه الله ، أن أسمع هذا الخبر منه ، قال ابن قارون^١ : حدثنا أبو بكر محمد بن زكريا الرّازيّ الطيب ، بعد رجوعه من عند أمير خراسان ، لما استدعاه ليعالجه من علة صعبة ، قال : اجتزت في طريقي إلى نيسابور ، ببسطام^٢ ، وهي النصف من طريق نيسابور إلى الريّ .

قال : فاستقبلني رئيسها ، فأنزلي داره ، وخدمني أتمّ خدمة وسألني أن أقف على ابن له به استسقاء . فادخلني إلى دار قد أفرد لها ، فشاهدت العليل ، ولم أطمع في برئه ، فسألني

١ كذا ورد في ن ، وفي بقيّة النسخ : وعن أبي بكر بن قارون الرازي ، أقول : ترجمه على الفقيه أبي بكر الرازي ، يعني أنّه دون هذه القصّة بعد السنة ٣٧٠ التي توفّي فيها الرازي .

٢ بسطام : قال ياقوت في معجم البلدان ١/٦٢٣ : إنّ رآها ، وهي مدينة كبيرة ، ذات أسواق ، تشرف عليها جبال عالية ، ولها نهر كبير جار ، وروي عن مسعر بن مهلهل : أنّ بسطام نمتاز بخاصّتين عجيبتين الأولى : أنّه لم ير بها رمداً قط ، والثانية : أنّه لم ير بها عاشقاً قط من أهلها ، ومتى دخل إنسان في قلبه هوى ، وشرب من مائها ، زال العشق عنه .

أبوه عن السرّ في حاله ، فصدقته ، وآيسته من حياة أبنه .

وقلت له : مكّنه من شهواته ، فإنّه لا يعيش .

ثم خرجت إلى خراسان ، فأقمت بها سنة كاملة ، وعدت ، فاستقبلني الرجل أبو الصبي فلم أشكّ في وفاته ، وتركت مسأله عن ابنه ، فأبني كنت نعيته إليه ، وخشيت من تثقيب عليه ، فأنزلني داره ، ولم أجد عنده ما يدلّ على ذلك ، وكرهت مسأله عن أبنه لئلا أجدّد عليه حزناً .

فقال لي بعد أيام : تعرف هذا الفتى ؟ وأوماً إلى شاب حسن الوجه والسحنة ، صحيح البدن ، كثير الدم والقوّة ، قائم مع الغلمان يخدمنا .
فقلت : لا .

فقال : هذا ابني الذي آيسني منه عند مضيك إلى خراسان .

فتحيّرت ، وقلت له : عرّفني سبب برئه .

فقال : إنّه كان بعد قيامك من عندي ، فظن أنك آيسني منه .

فقال لي : لست أشكّ أنّ هذا الرّجل - وهو أوحّد زمانه في الطبّ - قد آيسك منّي ، والذي أسألك ، أن تمنع هؤلاء ، يعني غلماني الذين كنت قد أخدمته إياهم ، فإنهم أترابي ، وإذا رأيتهم معافين ، وقد علمت أنّي ميّت ، تجدد على قلبي الهمّ والمرض ، حتى يعجلّ لي الموت ، فأرحني من هذا بأن لا أراهم ، وأفرد لخدمتي دابتي .

ففعلت ما سأل ، وكان يحمل إلى الداية في كلّ يوم ما تأكله ، وكانت الداية تأتيه بما يطلب من غير حمية .

فلما كان بعد أيام سيرة ، حمل إلى الداية مَضِيرَةً^٣ لتأكل منها ، فتركها بحيث يقع عليها نظر ابني ، ومضت في شغلها .

٣ المَضِيرَةُ : طعام يتخذ من اللحم الأحمر أو الأبيض ، يطبخ بالبصل والكراث والكسفرة والكمّون والمصطكي والدارصيني ، ويصبّ عليه اللبن ، للتفصيل راجع كتاب الطبخ للبغداديّ ٢٤ .

فذكرت بعد أن عادت ، أن ابني قد نهاها عن أكل ما في الغضارة* ،
ووجدتها قد ذهب كثير مما كان فيها ، وبقي بعضه متغير اللون .

قالت : فقلت له : ما السبب ؟

فقال : رأيت أفعى عظيمة قد خرجت من موضع رددت إليها وأكلت منها
ثم قذفت فيها ، فصار لونها كما ترين ، فقلت : أنا ميت ، وهذا يلحقني ألم
شديد ، ومتى أظفر بمثل هذا ؟ وجئت ، فأكلت من الغضارة ما استطعت ،
لأموت عاجلاً وأستريح ، فلما لم أستطع زيادة أكل رجعت حتى جئت إلى
فراشي ، وجئت أنت .

قالت : ورأيت أنا المضيرة على يده وفيه [٦٥ ن] فصحت .

فقال : لا تعلمي أبي شيئاً ، وأدفعي الغضارة بما فيها ، لئلا يأكلها إنسان
فيموت ، أو حيوان فيلسع إنساناً فيقتله ، ففعلت ما قال ، وخرجت إليك .
قال : فلما عرفتني ذلك ، ذهب عليّ أمري ، ودخلت إلى ابني ، فوجدته
نائماً .

فقلت : لا توقظيه ، حتى ننظر ما يكون من أمره .

فأتته آخر النهار ، وقد عرق عرقاً شديداً ، وهو يطلب المستحم* ، فأنهضناه
إليه ، فاندفع بطنه ، فقام من ليلته ، ومن غده ، أكثر من مائة مجلس ، فازداد
يأسنا منه ، وقلّ القيام ، إلا أنه استمرّ أياماً ، ثم انقطع القيام ، وقد صار بطنه
مثل بطون الأصحاء ، فطلب فراريج ، فأكل ، إلى أن صار كما ترى .
فعجبت من ذلك ، وذكرت أنّ الحكماء الأوائل قالت : إنّ المستسقي إذا
أكل من لحم حية عتيقة مزمنة لها مئون سنين ، برأ ، ولو قلت لك ، إنّ هذا

٤ الغضارة : راجع حاشية القصة ٢٤٩ من هذا الكتاب

٥ المستحم : كناية عن بيت الخلاء .

علاجه ، لظننت آني أدافعك ، ومن أين يعلم كم عمر الحية إذا وجدت ،
فسكت عنها^٦ . [٢٤١ ر]

٦ هذه القصة لم ترد في م ، ولا في غ .

البَابُ الحَادِي عَشَرَ

من امتحن من اللصوص بسرقة أو قطع ، فعوض من الاتجاع
والخلف بأجمل صنع

٤٤٧

قاطع طريق يردّ على القافلة ما أخذ منها

[حدّثني علي بن شيراز بن سهل القاضي بعسكر مكرم رحمه الله ، قال :
حدّثني أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الخصبي ابن بنت ابن المدبّر ، ببغداد ،
قال : حدّثني محمد بن عليّ ، قال : حدّثني الحسن بن دعبل بن عليّ الشاعر
الخزاعي ، قال : حدّثني أبي] ^١ قال : لما قلت :

مدارس آيات خلّت من تلاوة

قصدت بها أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا ، وهو بخراسان ، وليّ عهد المأمون ^٢ ،
فوصلت إليه ، وأنشدته إياها ، فاستحسنها ، وقال : لا تنشدها أحداً حتى آمرك .
واتّصل خبري بالمأمون ، فأحضرنني ، وسألني عن خبري ، ثم قال لي : يا
دعبل ، أنشدني : مدارس آيات خلّت من تلاوة .
فقلت : لا أعرفها يا أمير المؤمنين .
فقال : يا غلام ، أحضر أبا الحسن عليّ بن موسى ، فلم يكن بأسرع من أن
حضر .

١ كذا ورد في ن ، وفي بقية النسخ : حدّث أبو الحسن دعبل بن عليّ الخزاعي الشاعر .

٢ عهد المأمون للإمام الرضا بالخلافة من بعده في السنة ٢٠١ (خلاصة الذهب المسبوك ١٩٩) .

فقال له : يا أبا الحسن ، سألت دعبلاً عن «مدارس آيات» فذكر أنه لا يعرفها .

فالتفت إليّ أبو الحسن ، وقال : أنشده يا دعبل .
فأنشدت القصيدة ، ولم ينكر المأمون ذلك ، إلى أن بلغت إلى بيت فيها ، وهو :
وآل رسول الله هلبٌ رقابهم وآل زياد غلظ القصرات

فقال : والله لأهلبنّها^٣ .

ثم تمتمها إلى آخرها ، فاستحسنها ، وأمر لي بخمسين ألف درهم ، وأمر لي عليّ بن موسى بقریب منها .

فقلت : يا سيدي ، أريد أن تهب لي ثوباً يلي بدنك ، أتبرّك به ، وأجعله كفناً .
فوهب لي قميصاً قد أبتذله ، ومنشفة ، وأظنه قال : وسراويل .

قال : ووصلني ذو الرئاستين ، وحملني على برذون أصفر ، وكنت أسايره في يوم مطير ، وعليه ممطر خزّ ، فأمر لي به ، ودعا بغيره فلبسه ، وقال : إني آتراك به ، لأنّه خير المطربين ، قال : فأعطيت به ثمانين ديناراً ، فلم تطب نفسي ببيعه .
وقضيت حاجتي ، وكررت راجعاً إلى العراق .

فلما صرت ببعض الطريق ، خرج علينا أكراد يعرفون بالماريخان^٤ ، فسلبوني ، وسلبوا القافلة ، وكان ذلك في يوم مطير .

فاعتزلت في قميصٍ خلقي قد بقي عليّ ، وأنا متأسّف - من جميع ما كان عليّ -
على القميص والمنشفة اللذين وهبهما لي عليّ بن موسى الرضا ، إذ مرّ بي واحد من

٣ هلب الشّعْر : نشفه وجّزه .

٤ المطر : ما يلبس في المطر ، يتوقّى به ، والخزّ : نسج من الصوف والحرير ، أو من الحرير وحده .

٥ سّام ابن الأثير في تاريخه : الماريانيّة ، وذكر أنّ عامل الموصل في السنة ٣٠٩ أوقع بهم قتل وأسّر منهم جماعة بعثهم إلى بغداد فشهروا (ابن الأثير ١٢٩/٨) .

الأكراد ، وتحت البرذون الأصفر الذي حملني عليه ذو الرياستين ، وعليه الممطر الخز ، ثم وقف بالقرب مني ، وابتدأ ينشد : مدارس آيات ، وبيكي . فلما رأيت ذلك ، عجبت من لص كردي يتشيع ، ثم طمعت في القميص والمنشفة .

فقلت : يا سيدي لمن هذه القصيدة ؟

فقال : ما أنت وذاك ، ويليكَ .

فقلت له : فيه سبب أخبرك به .

فقال : هي أشهر من أن يحجل صاحبها .

قلت : فمن هو ؟

قال : دعبل بن علي الخزاعي ، شاعر آل محمد ، جزاه الله خيراً .

فقلت له : يا سيدي ، أنا - والله - دعبل ، وهذه قصيدتي .

فقال : ويليكَ ، ما تقول ؟

فقلت : الأمر أشهر من ذلك ، فسل أهل القافلة ، [٢٥٥ غ] تخبر بصحة

ما أخبرتك به .

فقال : لا جرم - والله - لا يذهب لأحد من أهل القافلة خلالة^٧ فما فوقها .

ثم نادى في الناس : من أخذ شيئاً فليردّه على صاحبه ، فردّ على الناس أمتعتهم ،

وعليّ جميع ما كان معي ، ما فقد أحد عقلاً^٨ .

٦ إلى هنا انتهى الخرم في مخطوطة غ وبدأت من جديد .

٧ الخلالة : الثمرة قبل أن تنضج .

٨ العقل ، في اللغة : المنع ، والحبس ، ومنه سمي العقل ، لأنه يمنع العاقل من الدنيا ، والعقال : الخيل الذي يشدّ به البعير ، فيعقله ، أي يحبسّه عن الحركة ، وكذلك العقال الذي يوضع على الرأس ، فيعقل الكوفية التي يغطّي بها الرأس ، أي يحبسّها ، ويمنعها من مزيلة موضعها ، ولما أردت قوم من العرب عن الإسلام في زمن الصديق أبي بكر ، ومنعوا الزكاة ، حاربهم ، وقال : لو منعوني عقلاً ، لجاهدتهم عليه (الطبري ٢٤٤/٣) ، وقال ابن عمّار الأندلسي ، يهجو الرميكية زوجة المعتمد =

ثم رحلنا إلى مأمنا سالمين .

قال راوي هذا الخبر عن دعبل : فحدثت بهذا الحديث علي بن بهزاد الكردي^٩

فقال لي : ذاك - والله - أبي الذي فعل هذا^{١٠} .

بن عبّاد ، صاحب أشبيلية ، فأدى ذلك إلى قتله :

تَحَيَّرَها مِنْ بَناتِ الْهَجَّانِ رَمِيكِةٌ ما تَساوى عِقْلالا
فَجاءَتْ بِكُلِّ قَصِيرِ الذَّرْعِ لَيْتِمِ الْمُناسِبِ عَمّاً وَخالاً

٩ في غ وفي ن : علي بن بهرام الكردي .

١٠ هذه القصة لم ترد في م ، وقد أورد ياقوت في معجم الأدباء ١٩٤/٤-١٩٧ خمسة وأربعين بيتاً من قصيدة دعبل الثانية ، مدارس آيات خلّت من تلاوة ، وذكر أنّه قصد بها الإمام الرضا بخراسان ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وخلع عليه بردة من ثيابه ، فأعطاه بها أهل قم ثلاثين ألف درهم ، فلم يبيعها ، فقطعوا عليه الطريق ليأخذوها ، فقال لهم : إنّها تراد لله عزّ وجلّ ، وهي محرّمة عليكم ، وحلف أنّه لا يبيعها ، أو يعطوه بعضها ليكون في كفته ، فدفعوا إليه ثلاثين ألف درهم ، وأعطوه كمّاً واحداً منها ، فكان في أكفانه .

قاطع طريق يتفلسف

وحدثني عبد الله بن عمر بن الحارث الواسطي السراج ، المعروف بأبي أحمد الحارثي ، قال :

كنت مسافراً في بعض الجبال ، فخرج علينا ابن سباب^١ الكردي ، فقطع علينا ، وكان بزيّ الامراء ، لا بزيّ القَطَاع .
فقربت منه لأنظر إليه وأسمع كلامه ، فوجدته يدلّ على فهم وأدب ، فداخلته فإذا برجل فاضل ، يروي الشعر ، ويفهم النحو ، فطمعت فيه ، وعملت في الحال أبيتاً مدحته بها .

فقال لي : لست أعلم إن كان هذا من شعرك ، ولكن اعمل لي على قافية هذا البيت ووزنه شعراً الساعة ، لأعلم أنّك قلتَه ، وأنشدني بيتاً .

قال : فعملت في الحال اجازة له ثلاثة أبيات .

فقال لي : أيّ شيء أخذ منك ؟ لأردّه إليك .

قال : فذكرت له ما أخذ منّي ، وأضفت إليه قماش رفيقين كانا لي .
فردّ جميع ذلك ، ثم أخذ من أكياس التجار التي نهبها ، كيساً فيه ألف درهم ، فوهبه لي .

قال : فجزيته خيراً ، ورددته عليه .

فقال لي : لم لا تأخذه ؟ فورّيت^٢ عن ذلك .

١ كذا وردت في غ : ابن سباب ، وفي ن ، وردت : ابن شباب ، وفي ر ، وردت : ابن ساب ، بلا نقط ، وفي هـ : ابن سيار ، وسقطت القصّة من م .

٢ التورية : إرادة شيء وإظهار غيره ، ومنه التورية في علم البديع ، بذكر كلمة يدلّ ظاهرها على شيء ، وباطنها على شيء غيره .

فقال : أحب أن تصدقي .

فقلت : وأنا آمن ؟

فقال : أنت آمن .

فقلت : لأنك لا تملكه ، وهو من أموال [٢٤٢ ر] الناس الذين أخذتها منهم الساعة ظلماً ، فكيف يحل لي أن أخذه ؟

فقال لي : أما قرأت ما ذكره الجاحظ في كتاب اللصوص ، عن بعضهم ، قال : إن هؤلاء التجار خانوا أماناتهم [٦٦ ن] ، ومنعوا زكاة أموالهم ، فصارت أموالهم مستهلكة بها ، واللصوص فقراء إليها ، فإذا أخذوا أموالهم - وإن كرهوا أخذها - كان ذلك مباحاً لهم ، لأن عين المال مستهلكة بالزكاة ، وهؤلاء يستحقون أخذ الزكاة ، بالفقر ، شاء أرباب الأموال أم كرهوا .

قلت : بلى ، قد ذكر الجاحظ هذا ، ولكن من أين يعلم إن هؤلاء ممن استهلك أموالهم الزكاة ؟

فقال : لا عليك ، أنا أحضر هؤلاء التجار الساعة ، وأريك بالدليل الصحيح أن أموالهم لنا حلال .

ثم قال لأصحابه : هاتوا التجار ، فجاءوا .

فقال لأحدهم : منذ كم أنت تتجر في هذا المال الذي قطعنا عليه ؟

قال : منذ كذا وكذا سنة .

قال : فكيف كنت تخرج زكاته ؟ فتلجلج ، وتكلم بكلام من لا يعرف الزكاة على حقيقتها فضلاً عن أن يخرجها .

ثم دعا آخر ، فقال [٢٥٦ غ] له : إذا كان معك ثلثة درهم ، وعشرة

دنانير ، وحالت عليك السنة ، فكم تخرج منها للزكاة ؟ فما أحسن أن يجيب .

ثم قال لآخر : إذا كان معك متاع للتجارة ، ولك دين على نفسين ، أحدهما مليء ، والآخر معسر ، ومعك دراهم ، وقد حال الحول على الجميع ، كيف تخرج زكاة ذلك ؟

قال : فما فَهَمَ السَّوَال ، فضلاً عن أن يتعاطى الجواب .
فصرفهم ، ثم قال لي : بان لك صدق حكاية أبي عثمان الجاحظ ؟ وأنَّ
هؤلاء التجار ما زكَّوا قط ؟ خذ الآن الكيس .
قال : فأخذته ، وساق القافلة لينصرف بها .
فقلت : إن رأيت أيها الأمير أن تنفذ معنا من يبلغنا المأمن ، كان لك الفضل .
ففعل ذلك ٣ .

القاضي التنوخي والد المؤلف

والكرخي قاطع الطريق

وحدثني أبي رضي الله عنه ، قال :

لما كنت مقيماً بالكرخ ، أنقلد القضاء بها ، [وبالمرج وأعمالها] ^١ ، كان
بوالي رجل من أهل الكرخ ، له ابن ، هو ابن عشر سنين أو نحوها ، وكان يدخل
داري بلا إذن ، ويمرح مع غلماني ، وأهب له في الأوقات دراهم وثياباً ، وأحمله ،
وأرقصه ، كما يفعل الناس بأولاد غلمانهم .

ثم صرفت عن الكرخ ، ورحلت ، ولم أعرف للرجل ولا لولده خبراً .
ومضت السنون ، فأنفذني أبو عبد الله البريدي ^٢ من واسط ، برسالة إلى أبي

١ الزيادة من هـ .

أبو عبد الله محمد بن أحمد البريدي : أحد دجالي الدنيا وشياطينها (تجارب الأمم ١/١٥٨) وصفه
ال خليفة الراضي بأنه كان كاتباً صغيراً ، فرفع بعد خمول ، وعاملاً من أواسط العمال ، فاصطنع ،
وأهل لجليل الأعمال ، فطفى ، وكفر النعمة ، وجازى على الإحسان بالسوء ، وخلع الطاعة (تجارب
الأمم ١/٣٥٨ ، ١٥٩) وكان أبو عبد الله في السنة ٣١٥ يضمن الضياع الخاصة بالأهواز ، ولما وزر
ابن مقلة رشاه أبو عبد الله بعشرين ألف دينار ، فقلده الأهواز (تجارب الأمم ١/١٥٢ ، ١٥٨) ثم تنقل
بين حالات عمل واعتقال ومصادرة ، حتى استولى في السنة ٣٢٣ على جميع الأهواز تغلباً (تجارب الأمم
١/٣٢٠) وحارب الجيش العباسي ، فكسره ، وقتل قائده ياقوت (تجارب الأمم ١/٣٣٩) ثم ضمن
الأهواز والبصرة وواسط (تجارب الأمم ١/٣٥٨ و ٣٦٤) ولم يحمل مالا للحضرة ، فحاربه الجيش العباسي
فقر البريدي من الأهواز في طيار ، وغرق الطيار ، وسلم هو ، وقال : والله ، ما نجونا من الفرق بصلاح
أعمالنا ، ولكن لصاعقة يريدنا الله بهذه الدنيا (تجارب الأمم ١/٣٧١) ولما قتل بجكم ، جاء إلى بغداد
متغلباً ، فاضطر المتقي إلى أستيزاره ، فصادر المتقي على خمسمائة ألف دينار ، فانصرفت إليه أطماع
الجند ، وثاروا به فقر ، ثم استوزر مجدداً ، وأرسل جيشاً إلى الحضرة ، صحبة أخيه أبي الحسين ،

بكر بن رائق ، فلقيته بحدود العاقول ، وانحدرت أريد واسطاً^٣ .
وقد كان قبل لي قبل إصعادي ، أن في الطريق لصاً يعرف بالكرخي ، مستفحل
الأمر .

وكننت خرجت من واسط ، بطالع اخترته ، على موجب تحويل مولدي لتلك
السنة ، وقد استظهرت عند نفسي ، وكفاني الله تعالى - في إصعادي - أمر اللص ،
فلم أر له أثراً .

فلما انحدرت إلى واسط ، وكنا في بعض الطريق ، خرج علينا اللصوص في
سفن عدة ، بقسي ، ونشاب ، وسلاح شاك^٤ ، وهم نحو مائة نفس ، كالعسكر
العظيم .

وكان معي غلمان يرمون ، فحلفت أن من رمى منهم بسهم ، ضربته إذا
صرت في البلد مائة مقرعة ، وذلك أتي خفت أن يقصدنا اللصوص ، ثم لا يرضون
إلا بقتلي .

قال : وبادرت فأخذت ذلك السلاح الذي كان معهم ، فرميت جميعه في
الماء ، واستسلمت للأمر طلباً للسلامة .

ففسد أهلها ، وظلم الناس الظلم المعروف للبريديين ، فاستغاثوا بناصر الدولة الذي انحدر من الموصل ،
وطرده (تجارب الأمم ١٥/٢ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦) وكان أبو عبد الله مديراً ، أما أبو يوسف أخوه ،
فكان مديراً (القصة ١١/٣ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتونخي) ، وكان أبو عبد الله
يلج على أخيه أبي يوسف في طلب القروض ، فكان يعطيه اليسير ، بعد اللوم والتأنيب ، ثم بلغه أن
أبا يوسف يريد القبض عليه فجاءه ، بأن أقام غلمان بهاب داره بالأبلة ، فلما بلغ إليهم وثبوا عليه ،
فقتلوه ، وأراد الأخ الثالث أبو الحسين ، أن يتدخل ، فهذهه ، فكف ، ومات أبو عبد الله بعد أخيه
أبي يوسف بثمانية أشهر وثلاثة أيام (تجارب الأمم ٥١/٢ و ٥٨) ، راجع حاشية القصة ٢٥٩ من الكتاب .
٣ كان القاضي التونخي ، والد المؤلف ، يعمل عند أبي عبد الله البريدي ، وكان البريدي قد استخلفه
بواسطة على بعض أمور النظر (معجم الأدباء ٣٣٢/٥) .

٤ السلاح الشاك : هو السلاح التام المعد للقتال .

وجلسْتُ أفكّر في الطالع الذي خرجت به ، فإذا ليس ما يوجب - عندهم -
القطع عليّ^٥ ، والناس قد أديروا إلى الشاطئ ، وأنا في جملتهم ، حيث تفرغ سفنهم ،
وينقل ما فيها إلى الشطّ ، وهم يخطون بالسيف ، وكنت في وسط الكار^٦ ، وما
انتهى الأمر إليّ .

فجعلت أعجب من حصول القطع ، وأنّ الطالع لا يوجب ، وليست آتهم علمي
مع هذا .

فأنا كذلك ، وإذا بسفينة فيها رئيسهم قد طرح على زبري^٧ كما يطرح على
سفن التجار^٨ ، ليشرف على ما يؤخذ منها .

فحين رأيي ، منع أصحابه من انتهاب شيء من زبري ، وصعد إليّ وحده ،
فتأمّلني طويلاً ، ثم انكبّ وقبل يدي ، وكان متلثماً^٩ ، فلم أعرفه .

قال : فارتعت ، وقلت : يا هذا مالك ؟

فسفر [٢٥٧ غ] ، وقال : أما تعرفني [٢٤٣ ر] يا سيّدي ؟ فتأمّلته ، وأنا
جزع ، فلم أعرفه .

فقلت : لا والله .

فقال : بلى ، أنا عبدك ، ابن فلان الكرخيّ حاجبك ، وأنا الصبيّ الذي
رَبَّيتي في دارك ، وكنت تحملني على عنقك ، وتطعمني بيدك .

٥ كان القاضي أبو القاسم التنوخي ، والد المؤلّف ، من المولعين بعلم التنجيم ، ولعلّ ولعه هذا ، كان من
أسباب التعجيل بوفاته ، راجع القصة ١٧٢/٢ من نشوار المحاضرة .

٦ الكار : مجموعة السفن المنحدرة من موضع واحد .

٧ الزبرب : ضرب من السفن ، للتفصيل راجع معجم المراكب والسفن في الإسلام لحبيب زيات ص
٣٣٥ و٣٣٦ في مجلّة المشرق سنة ٤٣ آب - كانون الأوّل ١٩٤٩ .

٨ طرح عليه : يعني طرح على سفينته ما يمسكها عن الحركة ، ثمّ يمدّ إليها لوحة تسمّى ببغداد : الدّوسة ،
وهي التي يدوس عليها من أراد الوصول إلى السفينة ، وما زال التعبيران مستعملين ببغداد .

٩ اللثام : حجاب يغطي به الأنف والقم ، ومنه سميّ الثقيل في الفم : لثماً ، لأنّ القلبة تغطّي الشفتين .

فتأملته ، فإذا الخلقة خلقتها ، إلا أن اللحية غيرته في عيني ، فسكن خاطري ^{١٠} .

وقلت : يا هذا ، كيف بلغت إلى هذا الحال ؟

قال : يا سيدي ، نشأت ، فلم أتعلّم غير معالجة السلاح ، وجئت إلى بغداد أطلب الديوان ^{١١} ، فما قبلني أحد ، فانضاف إليّ هؤلاء الرجال ، وطلبت قطع الطريق ولو كان السلطان أنصفني ، ونزلني بحيث أستحق من الشجاعة ، وانتفع بخدمتي ، ما كنت أفعل هذا بنفسي .

قال : فأقبلت عليه أعظه ، وأخوفه الله ، ثم خشيت أن يشقّ ذلك عليه ، فيفسد رعايته لي ، فأقصرت .

ثم قال : يا سيدي ، لا يكون بعض هؤلاء قد أخذ منك شيئاً ؟

قلت : ما ذهب منّا إلا سلاح رميته أنا إلى الماء ، وشرحت له الصورة .

فضحك ، وقال : قد والله أصاب القاضي ، فن في الكار ممّن تعني به حتى

أطلقه ؟

قلت : كلّهم عندي بمنزلة واحدة ، فلو أفرجت عن الجميع كان أحسن بك .

فقال : والله ، لولا أن أصحابي قد تفرّقوا بما أخذوا ، لفعلت ، ولكنهم لا

يطيعوني في ردّه ، ولكنّي لا أدع ما بقي من السفن في الكار أن يؤخذ منها شيء ،

فجزيته خيراً .

فصعد إلى الشطّ ، وأصعد جميع أصحابه ، ومنع أن يؤخذ شيء من باقي السفن ،

فما تعرّض لها أحد ، وردّ على قوم ضعفاء أشياء كثيرة كانت أخذت منهم ، وأطلق

الكار .

وسار معي في أصحابه ، إلى أن صار بيني وبين المأمّن شيء يسير ثم

ودّعني ، وانصرف في أصحابه ^{١٢} .

١٠ في غ : فسكن روعي .

١١ يعني أراد أن تستخدمه الحكومة في عمل من أعمالها .

١٢ لم ترد القصة في م ، وجاء في كتاب الأوراق - أخبار الرازي والمتّقي - للصولي ، ص ٢٢٦ ما يلي :

في السنة ٣٣٠ أخذ رجل يعرف بالكرخي ، يقطع في طريق واسط ، حتّى انقطع الطريق من أجله ، فقتل .

ابن حمدي اللصّ البغدادي وفتوته وظرفه

وحدثني عبد الله بن عمر الحارثي ، قال : حدثني بعض التجار البغداديين ،
قال :

خرجتُ سِلْعٍ لي ، ومتاع من بغداد أريد واسطاً ، وكان البريديّ بها ، والدنيا
مفتتنة [جداً]^١ .

فقطع عليّ ، وعلى الكار الذي كنت فيه ، لصّ كان في الطريق ، يقال له :
ابن حمدي^٢ ، يقطع قريباً من بغداد ، فأفقرني ، وكان معظم ما أملكه معي ،
فسهل عليّ الموت ، وطرحته نفسي له .

وكنت أسمع ببغداد ، أنّ ابن حمدي هذا ، فيه فتوة ، وظرف ، وأنه إذا قطع ،
لم يعرض لأرباب البضائع اليسيرة ، التي تكون دون الألف درهم ، وإذا أخذ ممن
حاله ضعيفة شيئاً ، قاسمه عليه ، وترك شطر ماله في يديه ، وأنه لا يفتش امرأة ،

١ الزيادة من غ .

٢ ابن حمدي ، اللصّ البغدادي : اشتهر بفتوته وظرفه ، وكان لا يعرض لأصحاب البضائع اليسيرة ،
التي تكون دون الألف درهم ، وإذا أخذ ممن حاله ضعيفة شيئاً ، قاسمه عليه ، وترك له شطر المال ،
واشتهر عنه أنّه لا يفتش امرأة ، ولا يسلبها ، ولما أعياى السلطان أمره ، خلع عليه ابن شيرزاد في السنة ٣٣٢
وأثبتته برسم الجند ، ووافقه على أن يؤدّي للسلطان في كلّ شهر خمسة عشر ألف دينار ، فما يسرقه
وأصحابه ، وأخذ خطه بذلك ، وكان يستوفيها منه ، ويأخذ البراءات ، وروزات الجهد ، أي الوصولات
الرسميّة (تجارب الأمم ٥١/٢) ثم إنّ توزون قلّد أبا العباس اشكورج الديلمي الشرطة ببغداد ، فقبض
في نفس السنة ، أي ٣٣٢ ، على ابن حمدي ، وقتل توسيطاً ، أي قطع بدنه من منتصفه بالسيف ،
فخفّ مكروهه للصّوص عن الناس ، وانقطع شرهم ، بعد أن تحارس الناس بالبقوات ، وامتنع عنهم
النوم ، خوفاً من كبساته (تجارب الأمم ٥٥/٢ والأوراق للصولي ص ٢٥٩) .

ولا يسلبها ، وحكايات كثيرة مثل ذلك .

فأطمعني ذلك في أن يرق لي ، فصعدت إلى الموضع الذي هو جالس فيه ،
وخاطبته في أمري ، وبكيت ، ورققته ، [٦٧ ن] ووعظته ، وحلفت له أن جميع
ما أملكه قد أخذه ، وأني أحتاج إلى أن أتصدق^٣ من بعده .

فقال لي : يا هذا ، الله بيننا وبين هذا السلطان الذي أحوجنا إلى هذا ، فإنه
قد أسقط أرزاقنا ، وأحوجنا إلى هذا الفعل ، ولسنا [٢٥٨ غ] فيما نفعله نرتكب
أمراً أعظم مما يرتكبه السلطان .

وأنت تعلم أن ابن شيرزاد ببغداد يصادر الناس ويفقرهم ، حتى أنه يأخذ
الموسر المكثّر ، فلا يخرج من حبسه ، إلا وهو لا يهتدي إلى شيء غير الصدقة ،
وكذلك يفعل البريديّ بواسطة والبصرة ، والديلم بالأهواز .

وقد علمت أنهم يأخذون أصول الضياع ، والدور ، والعقار ، ويتجاوزون
ذلك إلى الحرم والأولاد ، فاحسب أننا نحن مثل هؤلاء ، وأن واحداً منهم صادرك .
فقلت : أعزك الله ، ظلّم الظلمة ، لا يكون حجة ، والقيح لا يكون سنة ،
وإذا وقفت أنا وأنت ، بين يدي الله عز وجل ، أترضى أن يكون هذا جوابك له ؟
فأطرق ملياً ، ولم أشك في أنه يقتلني ، ثم رفع رأسه ، فقال : كم أخذ منك ؟
فصدقته .

فقال : أحضروه ، فأحضر ، فكان كما ذكرت ، فأعطاني نصفه .

فقلت له : الآن ، قد وجب حقّي عليك ، وصار لي بإحسانك إليّ حرمة .

فقال : أجل .

فقلت : إن الطريق فاسد ، وما هو إلا أن أتجاوزك حتى يؤخذ هذا منّي أيضاً ،
فأنفذ معي من يوصلني إلى المأمن .

٣ التصدّق : طلب الصدقة ، تعبیر بغدادی ، والصدقة : عطية يراد بها طلب الثوبة ، لا المكرمة .

قال : ففعل ذلك ، وسلمت [٢٤٤ ر] بما أفلت معي ، فجعل الله فيه البركة ،
وأخلف ؛ .

٤ لم ترد هذه القصة في م .

قطع عليه الطريق فتخلص بخاتم عقيق

حدّثني الحسن بن صافي ، مولى أبي المتوكل القاضي ^١ ، وكان أبوه يعرف بغلام ابن مقلّة قال :

لما حصل المتّي لله بالرقّة ^٢ ، ومعه أبو الحسين علي بن محمد بن عليّ ، ابن مقلّة ، وزيره ، كاتبني بأن أخرج إليه ، فخرجت ، ومعني جماعة من أسبابه ، وأسباب الخليفة إلى هيت .

وضمّ إلينا ابن فتيان خفراء ، يؤدّونا إلى الرقّة ، ورحلت من هيت ، ومعنا الخفراء والغلمان ، ومن انحدر معنا من هيت ، فصرنا نحواً من ماتي مقاتل .

فلما كان في اليوم الرابع من مسيرنا ، ونحن في البرّ الأقفر ، وقد نزلنا نستريح ، إذا بسواد عظيم من بعيد ، لا نعلم ما هو ، فلم نزل نرقبه إلى أن بان لنا ، وإذا هو نحواً من مائة مطيّة ، [على كلّ مطيّة رجلان] ^٣ .

فجمعنا أصحابنا ورجالنا ، وقرب القوم منّا وأناخوا جماهم وعقلوها ^٤ ، وأخذوا جحفهم ، وسلّوا سيوفهم ، وتقدّمهم رئيس لهم ، فقال لنا : يا معشر المسافرين ، لا يسلّن أحد منكم سيفاً ، ولا يرمي بسهم ، فن فعل ذلك فهو مقتول .

ففشل كلّ من كان معنا ، وقاتل قوم منّا قتالاً ضعيفاً ، وخالطنا الاعراب ، وأخذوا جماعة منّا ، وأخذونا ، وجميع ما كان معنا ، فأقتسموه ، وتركونا مطرّحين في الشمس .

١ في ن : مولى أبي المتوكل .

٢ كان ذلك في السنة ٣٣٣ (تجارب الأمم ٢/٦٧) .

٣ الزيادة من هـ .

٤ عقلوها : شدّها بالعقال ، وجمعه عقل ، بضم العين والقاف ، راجع حاشية القصة ٤٤٧ من هذا الكتاب .

فإذا بي قد عريت ، وبقي عليّ خَلَقٌ لا أنوارى منه بشيء ، وليس معي ماء
أشربه ، ولا ظهر أركبه ، وليس بيني وبين الموت إلا ساعات يسيرة ، فقامت عليّ
القيامة ، واشتدّ جزعي ، ولم يكن لي حيلة ، فأيست من الحياة .

فأنا كذلك ، إذ وجدت شستجة^٥ ، كان لي فيها خاتم عقيق ، كبير الفصّ ،
كثير الماء ، فأخذته ، ووقع لي في الحال وجه الحيلة ، فجعلته في قطن ، وخبأته
معي [٢٥٩ غ] وقصدت رئيس القوم ، وهو الذي تولّى أخذ مالي ، وعرف موضعي
وقدري .

فقلت له : قد رأيت عظيم ما أخذته مني ، وأنا خادم الخليفة أطل الله بقاءه ،
وقد خرجت لأمر كبير من خدمته ، وقد فزت بما أخذته مني ، فاقولك في أمر
آخر أعظم مما أخذته ، أعاملك به ، وأسديه إليك حلالاً لا يجري مجرى الغصوب ،
على أن تؤمّني على نفسي ، وترد عليّ من ثيابي ما يسترني ، وتردّ عليّ من دوائيّ دابةً ،
وتسقيني ماء ، وتسيرني حتى أحصل في مأمني ؟
فقال : ما هو ؟

قلت : تعطيني أمانك ، وعهودك ، وذمامك ، على الوفاء ، ففعل .
فانفردت به ، وجعلت يدي مقابلة للشمس ، وأريته الخاتم ، وأقمتُ فصّه
في شعاع الشمس ، فكاد يخطف بصره ، ورأى ما لم ير مثله .
وقال : استره ، وقل لي خبره .

فقلت : هذا خاتم الخلافة ، وفصّه هذا ياقوت أحمر ، وهو الذي يتداوله
الخلفاء منذ العهد الطويل ، ويعرف بالجليل ، ولا يقوم أمر الخلفاء إلاّ به ، وقد كان
مخبوءاً ببغداد ، فأمرني الخليفة أن أحمله إليه في جملة ما حملته ، وحيث حصل

٥ الشستجة : المنديل ، أو القطعة من القماش تستعمل للمسح ، ويسمّيها البغداديون اليوم : الكفّية ،
قاله ميخائيل عوّاد في رسوم دار الخلافة ٧٥ .

هذا الخاتم من بلاد الله ، تشبّث الخلفاء إلى أخذه بكلّ ثمن ، وإن حصل عندك حتى تمنع من بيعه إلا بمائة ألف دينار - ولم يقدروا عليك - لأعطوك إياها ، والرأي أن تأخذه ، وتنفذه إلى ناحية الشام ، وتخفي حصول الخاتم في يدك ، فأني إذا حضرت بحضرة الخليفة ، وعرفته خبره ، جاءتك رسله بالרגائب ، حتى يرتجع منك بأيّ ثمن احتكمت .

فقال : إذا أخذ من ثيابك ما تريد .

فأخذت من ثيابي ما احتجت إليه ، وأخذ الخاتم فخبأه في جيبه ، وأركبني راحلة موطأة ، وأعطاني إداوتين^٦ كبيرتين ماءً ، وسار معي ، والناس قد هلكوا من العطش .

ولم يزل يسير معي ، إلى أن بلغنا إلى حصن في البريّة ، يعرف بالزيتونة^٧ ، من بناء هشام بن عبد الملك ، وفيه رجل من بني أميّة ، يكنى بأبي مروان ، معه في الحصن نحواً من مائتي رجل .

فلما حصلت عنده ، انصرف الأعرابي^٨ ، وعرفت أبا مروان خبري في القطع [٢٤٥ ر] ومن أنا ، فأعظم أمري ، وأكرمني ، وأنفذ معي من أصحابه من بلغني الرقة سالماً^٨

٦ الادواة ، جمعها أداوي : إناء من الجلد .

٧ الزيتونة : موضع في بادية الشام ، كان ينزله هشام بن عبد الملك ، فلما عمّر الرصافة ، انتقل إليها (مراسد الاطلاع ٦٧٩/٢) .

٨ هذه القصّة لم ترد في م .

سرق ماله بالبصرة واستعادته بواسطة

حدّثني محمد بن عمر بن شجاع [المتكلم ، ويلقب بجنيد ، قال : حدّثني] ^١
رجل من الدقّاقين ^٢ ، في دار الزبير ^٣ بالبصرة ، قال :
أورد عليّ رجل غريب ، سفتجة بأجل ^٤ ، فكان يتردّد عليّ ، إلى أن حلّ ميعاد
السفتجة .

ثم قال لي : دعها عندك حتى آخذها متفرقة ، فكان يجيء في كلّ يوم فيأخذ
بقدر نفقته إلى أن نفدت ، وصار بيننا معرفة ، وألف الجلوس عندي ، وكان يراني
أخرج من كيسي من صندوق لي ، فأعطيه منه .
فقال لي يوماً : إنّ قفل الرجل ، صاحبه في سفره ، وأمينه في حضره ، وخليفته
على حفظ ماله ، والذي يني الظنّة عن [٢٦٠ غ] أهله وعياله ، فإن لم يكن وثيقاً
تطرقت الحيل عليه ، وأرى قفلك هذا وثيقاً ، فقل لي ممن ابتعته [٦٨ ن] ، لأبتاع
مثله .

فقلت : من فلان بن فلان الأقفاليّ ، في جوار باب الصفّارين ^٥ .

-
- ١ الزيادة من غ .
 - ٢ الدقّاق : بائع الدقيق .
 - ٣ دار الزبير : الموضع الذي فيه قبر الزبير بن العوام بالبصرة ، وكان اسم الموضع ، وادي السباع ،
فلما دفن فيه أصبح اسمه دار الزبير ، واسمه الآن : الزبير ، وهو ناحية ، تابعة لمحافظة البصرة .
 - ٤ السفتجة : أن تعطي مالاً لرجل ، فيعطيك خطأ يمكنك من استرداد هذا المال من عميل له في مكان
آخر ، وإذا كان الخطّ يشترط أداء المال في وقت مؤجّل ، فهي سفتجة بأجل .
 - ٥ كذا وردت في ر و غ والصحيح : جوبات الصفّارين ، والجوبة : الساحة الخالية بين الأماكن
المعمورة ، وتتخذ عادة مواضع لإقامة الأسواق الأسبوعية ، واجتماع الناس ، والجوبة : محلة من محلات
بغداد في زماننا هذا .

قال : فما شعرت يوماً ، وقد جئت إلى دكانى ، فطلبت صندوقى لأخرج منه شيئاً من الدراهم ، فحمله الغلام إليّ ، ففتحته ، فإذا ليس فيه شيء من الدراهم . فقلت للغلامى ، وكان غير متهم عندي : هل أنكرت من الدرايات شيئاً ؟ قال : لا .

فقلت : فتش ، هل ترى في الدكان نقباً ؟

قال : لا .

فقلت : فمن السقف حيلة ؟

قال : لا .

قلت : فاعلم أن الدراهم قد ذهبت .

فقلق الغلام ، فسكته ، وقمت لا أدري ما أصنع ، وتأخر الرجل عني ، فلمّا غاب اتهمته ، وذكرت مسألته عن القفل .

فقلت للغلام : أخبرني كيف تفتح دكانى وتلقه ؟

قال : رسمي أن ادرب درابتين درابتين ، والدرايات^٦ في المسجد ، فأحملها في دفعات ، اثنتين أو ثلاثاً ، فأشرحها ، ثم أقفل ، وكذلك عندما أفتحها .

فقلت : البارحة ، واليوم ، فعلت ذلك ؟

قال : نعم .

فقلت : فإذا مضيت لترد الدرايات ، أو تحضرها ، على من تدع الدكان ؟

قال : خالياً .

قلت : فمن هنا ذهبت^٧ .

٦ الدرايات : أبواب من الخشب ، تصف الواحدة فوق الأخرى ، ويمدّ عليها حديد ، يربط بقفل ، أو أقفال ، وبذلك يتم إغلاق الدكان ، والكلمة فارسية الأصل ، إما دربان : ومعناها حافظ الباب ، وإما درباي : ومعناها أسفل الباب .

٧ في هـ : فمن هنا وقع الشرّ .

ومضيت إلى الصانع الذي ابتعت منه القفل . فقلت : جاءك إنسان منذ أيام .
واشترى منك مثل هذا القفل ؟

قال : نعم ، رجل من صفته كيت وكيت ، فأعطاني صفة صاحبي .
فعلمت أنه احتال على الغلام وقت المساء ، لما انصرفت أنا ، ومضى الغلام
يحمل الدرايات ، فدخل هو إلى الدكان فاختبأ فيه ، ومعه مفتاح القفل الذي اشتراه ،
والذي يقع على قفلي ، وأنه أخذ الدراهم ، وجلس طول ليلته خلف الدرايات . فلما
جاء الغلام ، وفتح درابتين ، وحملها ليرفعها ، خرج ، وأنه ما فعل ذلك ، إلا وقد
خرج إلى بغداد .

فسلمت دكاني إلى الغلام ، وقلت له : من سأل عني فعرّفه أنني خرجت إلى
ضيعتي .

قال : فخرجت ، ومعني قفلي ومفتاحه ، وقلت : أبتدئ بطلب الرجل بواسطة .
فلما صعدت من السميرية ، طلبت خاناً في الكتبيين^٨ بواسطة ، لأنزله ،
فأرشدت إليه ، فصعدت ، فإذا بقفل مثل قفلي سواء على بيت .

فقلت لقيم الخان : هذا البيت من ينزله ؟

فقال : رجل قدم من البصرة أمس .

فقلت : أي شيء صفته ؟

فوصف لي صفة صاحبي ، فلم أشك أنه هو ، وأن الدراهم في بيته .

فاكتريت بيتاً إلى جانبه ، ورصدت البيت ، حتى انصرف قيم الخان ، وقمت
ففتحت القفل بمفتاحي ، فحين دخلت البيت ، وجدت كيسي بعينه ، فأخذته ،

٨ بشأن سوق الكتبيين في واسط وبغداد ، راجع التعليق في حاشية القصة ٤٦٩ من هذا الكتاب .

وخرجت وأقفلت الباب ، ونزلت في الوقت إلى السفينة التي جئت فيها ، وأرغبت
الملاح ، وأنحدرت إلى البصرة .
فما أقمت بواسط إلا ساعتين من نهار ، ورجعت إلى منزلي بمالي بعينه^٩ .

٩ هذه القصة لم ترد في م ، ووردت في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، مؤلف
هذا الكتاب ، برقم القصة ٩٧/٨ .

وضع السيف على عنقه ثم نجا سالماً

وحدثني عبيد الله بن محمد الصروي^١ ، قال [٢٦١ غ] : حدثني أكار بنهر سابس [يقال له : سارخ]^٢ ، قال :
خرجت من نهر سابس^٣ ، إلى موضع في طرف البرية ، يقال له : كرخ راذويه^٤ ، أريد أعمال سقي الفرات .
فبلغني أن رجلاً يقطع الطريق وحده ، وحذرت منه .
فلما خرجت من القرية ، رأيت رجلاً تدلّ فراسته على شدته ونجدته ، وفي يده زقاية^٥ ، فجسرتني على الطريق .
قال : قترافقنا ، حتى انتهينا إلى سقاية في البرية ، فخرج علينا اللصّ متحزماً ، متسلحاً ، فصاح بنا .
فطرح رفيقي كارة كانت على ظهره ، وأخذ زقايته ، وبادر إلى اللصّ .
فلما داخله اللصّ ليضربه ، ضرب بعصاه يد اللصّ ، فعطل اللصّ الضربة ، وضرب الزقاية فقطعها ، ثم ضرب بسيفه رجل الرجل فأقعده ، ثم وشّحه بالسيف^٦

١ أبو القاسم عبيد الله بن محمد الصروي : ترجمته في حاشية القصة ٢٤٦ من هذا الكتاب .

٢ الزيادة من غ .

٣ نهر سابس : فوق واسط بيوم ، وعليه قرى (معجم البلدان ٨٤٠/٤) .

٤ كرخ راذويه : موضع بقرب واسط ، عمل فيه شباشي الحاجب ، الملقّب بالسعيد ، المتوفى سنة ٤٠٨ ، مشهداً ، وحفر المصانع عنده ، وفي طريقه ، راجع المنتظم ٢٨٨/٧ .

٥ الزقاية : العصا الغليظة ، وقد فسرها التنوخي في القصة ، حيث قال : وضرب بعصاه يد اللصّ ، فحضر اللصّ الزقاية بسيفه ، فقطعها بالسيف ، والبغداديون يسمّون العصا الغليظة توثية ، فصيحة ، نسبتها للتوت ، لغة في التوت ، وفي ن : في يده عصا .

٦ الوشاح : شبه الفلادة من نسيج عريض ، يشدّ بين العاتقين والكشجين ، والتوشيح بالسيف : يعني

حتى قتله . وحمل عليّ ليقتلني .

فقلت له : ما حاربتك ، ولا امتنعت عليك من أخذك ثيابي ، فلأي شيء

تقتلني ؟

فقال : استكتف^٧ فاستكتفت ، فكتفتي بتكتي^٨ ثم حمل الثياب وانصرف .

فبقيت متحيراً ، مشفياً على التلف ، بالعطش ، والشمس ، والوحوش . فما زلت أعمطى في التكة حتى قطعها ، وقمت أمشي إلى أن جني الليل .

فرايت في الصحراء - على بعد - ضوء نار خفياً ، فقدّرت في قرية ، فقصدته ، فإذا هو يخرج من قبة في الصحراء ، فقربت منها ، واطلعت ، فإذا اللصّ جالس في القبة ، يشرب نبذاً ، ومعه امرأة .

فلما بصر بي صاح ، وتناول سيفه وخرج إليّ ، فما زلت أناشده الله ، وأحلف له أنني ما علمت أنه هو ، ولا قصدته عمداً ، وإنما رأيت النار فقصدتها ، فلم يعبا بقولي .

وحلفته المرأة أن لا يقتلني بحضرتها ، فجذبني إلى نهر جاف قريب من القبة ، وطرحني تحته ، وجرد سيفه ليقتلني .

فسمع صوت الأسد قريباً منه ، فارتعدت يده ، وسكت ، وأخذ يسكنني ، فأنست بالسبع^٩ وزدت في الصباح .

فما شعرت إلا والسبع قد تناوله من على صدري وهروا في الصحراء .

أنه ضربه به في موضع الوشاح . وهذا مثل قولهم : قنعه بالسيف : أي ضربه به في موضع القناع ، وهو الرأس .

٧ استكتف : ضمّ يديه إلى صدره . ووقف منتظراً أن يكتف .

٨ التكة : ما تربط به السراويل ، معرب : جمعه : تكك (شفاء الغليل ٥٢) وفي تفسير الألفاظ الدخيلة

١٩ : إن أصلها آرامي : تكتا ، معناه : رباط ، وشد .

٩ السبع : المفترس من الحيوان مطلقاً ، والسبع من الطير : ما أكل اللحم خالصاً ، والبغداديون يسمون الأسد : السبع ، ويكنونه : أبا خميس ، ويكنون عن الشجاع ، بقولهم : سبع .

فقمّت ، وأخذت السيف ، وجئت إلى القبّة ، فلم تشكّ المرأة أنّي هو ، فقالت :
قتلته ؟

فقلت : الله عزّ وجلّ قتله ، لا أنا ، وقصصت عليها القصّة ، وسألتها عن
شأنها .

فقالت : أنا امرأة من أهل القرية الفلانيّة ، أسرني هذا الرجل ، وخبّأني في
هذا الموضع ، وهو يتردّد إليّ في كل ليلة .

فأرهبته ، فدكّنتني على دفائن له في الصحراء ، فأخذتها ، وحملت المرأة ، وبلغت
القرية ، وسلمتها إلى أهلها .

وفزت بمال عظيم أغثاني عن مقصدي ، وعدت إلى بلدي^{١٠} .

١٠ لم ترد هذه القصّة في م .

كيف استعاد التاجر البصري ماله

وحدثني أيضاً ، قال : حدثني ابن الدنانيري التمار الواسطي^١ ، قال : حدثني غلام لي قال :

كنت ناكداً^٢ بالأبلّة^٣ ، لرجل تاجر ، فاقتضيت^٤ له في البصرة نحو خمسمائة دينار عينا^٥ وورقا^٦ ، ولففتها في فوطة ، وأشفيت على المصير إلى الأبلّة .

فما زلت أطلب ملاحاً ، حتى رأيت ملاحاً مجتازاً في خيطية^٧ خفيفة فارغة ، فسألته أن يحملني ، فسهّل عليّ الأجرة ، وقال : أنا راجع إلى منزلي بالأبلّة ، فانزل [٢٦٢ غ] معي ، فنزلت ، وجعلت الفوطة بين يدي .

وسرنا إلى أن تجاوزنا مسماران^٨ ، فإذا رجل ضرير^٩ على الشط^{١٠} ، يقرأ أحسن قراءة تكون .

١ في ن : ابن أبي الدنانير التمار الواسطي .

٢ الناقد : الجايي .

٣ الأبلّة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى ، في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة (معجم البلدان ٩٦/١) .

٤ الاقتضاء : المطالبة والقبض .

٥ العين : الذهب ، ويريد به الدنانير .

٦ الورق : بفتح الواو ، وكسر الراء : الفضة ، ويريد به الدراهم .

٧ الخيطية : قال صاحب معجم المراكب والسفن في الإسلام : المراكب الخيطية ، تعمل بالأبلّة ، أقول : والظاهر من تسميتها ، أنّها دقيقة الشكل ، سريعة الحركة .

٨ مسماران : من ضواحي البصرة ، وكانت مقراً للبريديين ، وكان الوزير المهلب يترها (تجارب الأمم ٥٣/٢ ، ٦٠ ، ١١٢ ، والقصة رقم ٢٧/١ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي) .

٩ الضرير : الزاهب البصر ، ويقال له : البصير أيضاً .

١٠ الشط : شاطئ النهر .

فلما رآه الملاح كبر ، فصاح هو بالملاح : احملني ، فقد جئني الليل ، وأخاف على نفسي ، فشمته الملاح .

فقلت له : احمله ، فدخل إلى الشطّ فحمله ، فلما حصل معنا رجع إلى قراءته ، فخلب عقلي بطيها .

فلما قربنا من الأبلّة ، قطع القراءة ، وقام ليخرج في بعض المزارع [٦٩ ن] في الأبلّة ، فلم أر الفوطه ، فقممت واقفاً ، واضطربت ، وصحت . فاستغاث الملاح ، وقال : الساعة تقلب الخيطيّة ، وخاطبني خطاب من لا يعلم حالي .

فقلت له : يا هذا ، كانت بين يديّ فوطه [٢٤٧ ر] فيها خمسمائة دينار . فلما سمع الملاح ذلك ، بكى ، ولطم ، وتعرّى من ثيابه ، وقال : أدخل الشطّ ففتّش ، ولا لي موضع أخبئ فيه شيئاً فتّهنني بسرّفته ، ولي أطفال ، وأنا ضعيف ، فالله ، الله في أمري ، وفعل الضرير مثل ذلك .

وفتّشت الخيطيّة فلم أجد شيئاً ، فرحمتها ، وقلت : هذه محنة لا أدري كيف التخلّص منها ، وخرجنا ، فعملت على الهرب ، وأخذ كلّ واحد منا طريقاً ، وبت في بيتي ، ولم أمض إلى صاحبي ، وأنا بليلة عظيمة . فلما أصبحت ، عملت على الهرب إلى البصرة ، لأستخفي فيها أياماً ، ثم أخرج إلى بلد شاسع^{١١} .

فانحدرت ، فخرجت في مشرعة بالبصرة ، وأنا أمشي وأتعرّ وأبكي قلقاً على فراق أهلي وولدي ، وذهاب معيشتي وجاهي ، إذ أعرضني رجل . فقال : يا هذا ، ما بك ؟

فقلت : أنا في شغل عنك^{١٢} ، فاستحلفني ، فأخبرته .

١١ الشاسع : البعيد .

١٢ في غ : أنا في شغل عن طنزك بي ، والطنز : السخرية .

فقال : امض إلى السجن بني نمر^{١٣} ، واشتر معك خبزاً كثيراً ، وشواءً جيداً ، وحلوى ، وسل السجن أن يوصلك إلى رجل مجبوس ، يقال له : أبو بكر النقاش ، وقل له : أنا زائره ، فإنك لا تمنع ، وإن منعت ، فهب للسجن شيئاً يسيراً فإنه يدخلك إليه ، فإذا رأيته فسلم عليه ولا تخاطبه حتى تجعل بين يديه^{١٤} ما معك ، فإن أكل وغسل يديه ، فإنه يسألك عن حاجتك ، فأخبره خبرك ، فإنه سيدلك على من أخذ مالك ، ويرتجعه لك .

ف فعلت ذلك ، ووصلت إلى الرجل ، فإذا هو شيخ مثقل بالحديد . فسلمت عليه ، وطرحت ما معي بين يديه ، فدعا رفقاء كانوا معه فأقبلوا يأكلون معه ، فلما استوفى وغسل يديه .

قال : من أنت ، وما جاء بك ؟ فشرحت له قصتي .

فقال : امض الساعة لوقتك - ولا تتأخر - إلى بني هلال^{١٥} ، فاقصد الدرب الفلاني حتى تنتهي إلى آخره ، فإنك تشاهد باباً شعثاً ، فافتحه وادخل بلا استئذان ، فستجد دهليزاً طويلاً يؤدي إلى باين ، فادخل الأيمن منهما ، فسيدخلك إلى دار فيها بيت فيه أوتاد وبواري ، وعلى كل وتد إزار ومثزر ، فانزع ثيابك ، وعلقها على الوتد ، واتزر بالمثزر [واتشح بالإزار]^{١٦} ، واجلس ، فسيجيء قوم يفعلون كما فعلت ، إلى أن يتكاملوا ، ثم يؤتون بطعام فكل معهم ، وتعمد أن تفعل كما يفعلون في كل شيء .

فإذا أتوا بالنبيذ فاشرب معهم أقداحاً يسيرة ، ثم خذ قدحاً كبيراً ، فاملأه ،

١٣ كان بيت العامل ، والسجن ، ومقر صاحب الشرطة ، بني نمر ، راجع القصة ١٢٤/١ والقصة ١٢٨/٢ من كتاب نوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي .

١٤ ساقطة من غ .

١٥ في غ : إلى بني فلان .

١٦ الزيادة من غ .

وقم ، وقل : هذا ساري^{١٧} لخالي أبي بكر النقّاش ، فسيضحكون [٢٦٣ غ]
ويُقرحون ، ويقولون : هو خالك ؟ فقل : نعم ، فسيقومون ويشربون لي ، فإذا
تكامل شربهم لي ، وجلسوا ، فقل لهم : خالي يقرأ عليكم السلام ، ويقول لكم :
بحياتي يا فتيان ، ردّوا على ابن أختي المثر الذي أخذتموه أمس من السفينة بنهر
الأبلة ، فإنهم يردّونه عليك .

فخرجت من عنده ، ففعلت ما قال لي ، وجرت الصورة ، على ما ذكر ،
سواء بسواء ، وردّت الفوطة عليّ بعينها ، وما حلّ شدّها .
فلما حصلتُ لي ، قلت لهم : يا فتيان ، هذا الذي فعلتموه هو قضاء لحقّ
خالي ، وأنا لي حاجة تخصّتي .
فقالوا : مقضية .

فقلت : عرّفوني كيف أخذتم الفوطة ؟ فامتنعوا ، فأقسمت عليهم بحياة أبي
بكر النقّاش .

فقال لي واحد منهم : تعرفي ؟ فتأمّلته ، فإذا هو الضرير الذي كان يقرأ .
وإنما كان يتعمى حيلة ومكرًا .

وأومأ إلى آخر ، وقال : أتعرف هذا ؟ فتأمّلته ، فإذا هو الملاح بعينه .

فقلت : أخبراني كيف فعلكما ؟

فقال الملاح : أنا أدور في المزارع في أوّل أوقات المساء ، وقد سبقت المتعمي
فأجلسته حيث رأيت ، فإذا رأيت من معه شيء له قدر ، ناديته وأرخصت عليه
الأجرة وحملته ، فإذا بلغ إلى القاريّ ، وصاح بي ، شتمته ، حتى لا يشكّ الراكب
في براءة الساحة ، فإن حمّله الراكب فذاك ، وإن لم يحمله رقّفته حتى يحمله ،
فإذا حمّله ، وجلس هذا يقرأ [٢٤٨ ر] قراءته الطيبة ، ذهل الرجل كما ذهلت
أنت ، فإذا بلغنا إلى موضع نكون قد خلّينا فيه رجلاً متوقعاً لنا ، يسبح حتى يلاصق

١٧ ساري : تعبير قام مقامه الآن كلمة : نجب ، وقوله : هذا ساري لخالي فلان ، يعني أنّه يشرب نجبه .

السفينة ، وعلى رأسه قوصرة^{١٨} ، فلا يفطن الراكب ، فيستلب هذا الرجل المتعامى - بخفّة - الشيء الذي قد عيّنا عليه ، فيلقيه إلى الرجل الذي عليه القوصرة ، فيأخذها ويسبح إلى الشطّ ، فإذا أراد الراكب النزول^{١٩} ، وافتقد ما معه ، عملنا كما رأيت ، فلا يتّهمنا ، وننفّر^{٢٠} ، فإذا كان الغد ، اجتمعنا واقتسمنا ما أخذناه ، [واليوم كان يوم القسمة]^{٢١} ، فلما جئت برسالة خالك أستاذنا ، سلّمنا إليك الفوطة ، قال : فأخذتها ، وانصرفت^{٢١}

١٨ القوصرة : وعاء ، مثل الكيس ، يتخذ من القصب ، ليوضع فيه التمر المكبوس ، فإن كان من خوص النخيل ، فهو كيشه (بالكاف الفارسية) ، وإن كان من الجلد على هيئة الزقّ ، فهو حلّانة ، والحلّان : صغار الغنم .

١٩ في غ : فإذا أراد الراكب الصعود .

٢٠ الزيادة من غ .

٢١ هذه القصّة لم ترد في م ، وقد وردت في نشوار المحاضرة برقم القصّة ٥٣/٧ .

صادف درء السيل درءاً يصدعه

حدّثني عبيد الله بن محمد الصروي ، قال : حدّثني بعض إخواني :
 أنّه كان ببغداد رجل يطلب التلصّص في حدّاته ، ثم تاب وصار بزّازاً .
 قال : فانصرف ليلة من دكانه ، وقد أغلقه ، فجاء لصّ متزيّ بزيّ صاحب
 الدّكان ، في كمّه شمعة صغيرة ، ومفتاح ، فصاح بالحارس ، وأعطاه الشمعة
 في الظلمة ، وقال : أشعلها وجئني بها ، فإنّ لي في هذه الليلة في دكاني شغلاً .
 فحضر الحارس وأشعل الشمعة ، وربّب اللصّ المفاتيح على الأقفال ففتحتها ،
 ودخل الدّكان .

فجاء الحارس بالشمعة مشعلة ، فأخذها منه وهو لا يتبيّن وجهه ، وجعلها بين
 يديه ، وفتح سبط الحساب ، وأخرج ما فيه ، وجعل ينظر في الدفاتر ، ويوري^١
 يده أنّه يحسب ، والحارس يطالعه في تردّده ، ولا يشكّ في أنّه صاحب الدّكان .
 إلى أن [٢٦٤ غ] قارب السّحر ، فاستدعى اللصّ الحارس ، وكلمه من بعيد ،
 وقال له : أطلب لي حمّالاً .

فجاء بحمّال ، فحمل عليه من متاع الدّكان أربع زرم مئمة^٢ ، وأقفل الدّكان ،
 وانصرف ومعه الحمّال ، وأعطى الحارس درهمين ، فلمّا أصبح الناس ، جاء صاحب
 الدّكان ليفتحه ، فقام إليه الحارس يدعو له ، ويقول : فعل الله بك وصنع كما
 أعطيتني البارحة الدرهمين .

فأنكر الرجل ما سمعه ، ولم يردّ جواباً ، وفتح دكانه ، فوجد سيلان الشمعة ،

١ يوري : بمعنى يُري ، تعبير استعمله التنوخي في أكثر من موضع ، ولم أجد له أصلاً في اللّغة ، والبغداديون
 الآن يقولون : يراوي .

٢ المئمة : غالبية الثمن ، تعبير بغداديّ ، ما يزال مستعملاً إلى الآن .

وحسابه مطروحاً ، وفقد الرزم الأربع ، فاستدعى الحارس ، وقال له : من كان [٧٠ ن] الذي حمل معي الرزم الباردة من دكاني ؟

فقال له الحارس : أليس استدعيت مني حملاً ، فجتت بك به ، فحملها معك ؟ قال : بلى ، ولكنني كنت ناعساً متنبذاً^٣ ، وأريد الحمّال ، فجنني به ، ففضى الحارس فجاءه بالحمّال ، فأغلق الرجل الدكان ، وأخذ الحمّال معه ، ومشى ، وقال : إلى أين حملت الرزم الباردة ، فإني كنت متنبذاً .

قال : إلى المشرعة الفلانية ، واستدعيت فلاناً الملاح ، فركبت معه . فصعد الرجل المشرعة ، فسأل عن الملاح فدلّ عليه وركب معه . وقال : أين أوصلت اليوم أخي الذي كان معه الأربع رزم ؟

قال : إلى المشرعة الفلانية .

قال : أطرحني إليها ، فطرحه .

قال : ومن حملها معه ؟

قال : فلان الحمّال .

فدعا به ، ولطفه ، وقال : أين حملت الرزم الأربع الباردة ؟ واستدلّه برفق وأعطاه شيئاً ، فجاء به إلى باب غرفة ، في موضع بعيد عن البلد ، قريب من الصحراء ، فوجد الباب مقفلاً .

واستوقف الحمّال إلى أن فشرّ القفل^٤ وفتح الباب ، ودخل ، فوجد الأربع رزم بحالها ، وإذا في البيت بركان^٥ معلق على جبل ، فلفّ الرزم فيه ، ودعا الحمّال فحملها .

٣ تنبذ : شرب النبيذ .

٤ فشرّ القفل : فتحه من دون مفتاح .

٥ البركان : اسم صنف من أصناف القماش كان يلفّ حول البدن ، فتكون القطعة الواحدة منه مثراً ودرءاً ، ثم أطلق على المعاطف التي تصنع من ذلك القماش ، للتفصيل راجع معجم دوزي في أسماء الألبسة عند العرب ٦٨ .

[فحين خرج من الغرفة ، استقبله اللصّ ، وفهم الأمر ، فاتّبعه إلى الشطّ ،
فجاء إلى المشرعة ، ودعا الملاح ليعبر]^٦ .
فدعا الحمّال من يحطّ عنه ، فجاء اللصّ ، فحطّ عنه ، كأنّه مجتاز متطوّع ،
فأدخل الرّزم إلى السفينة مع صاحبها ، ثم جعل البركان على كتفه ، وقال للتاجر :
يا أخي أستودعك الله ، فقد استرجعت رزمك ، فدع كسائي .
فضحك منه وقال : أنزل ولا خوف عليك .
فنزل معه ، فاستتابه ، ووهب له شيئاً ، وصرفه^٧ .

٦ ساقطة من غ .

٧ لم ترد هذه القصّة في م ، ووردت في نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي برقم القصّة ٥٥/٧ .

قصة الأخوين عاد وشدّاد

وحكى عبيد الله بن محمد بن الحسن العباسي الشاعر ، قال : حدّثني شاعر
كان يعرف بغلام أبي الغوث ، قال :
كنت من أهل قرية من نواحي الشام ، أسكنها أنا وأسلافي ، فكنا نطحن
أقواتنا في رحى ماءٍ على فراسخ من البلد ، يخرج إليها أهل البلد وأهل القرى المجاورة
بغلاتهم ، فتكثر ، فلا يتمكن من الطحن إلّا الأقوى فالأقوى .
فضيّبت مرّة ومعى غلّة ، وحملت معي خبزاً ولحمًا مطبوخاً يكفيني لأيام ، وكان
الزمان شاتياً ، لأقيم على الرحى ، حتى يخفّ الناس فأطحن فيها ، على عادتي تلك .
فلما صرت عند الرحى ، حطّطت أعدالي^١ ، وجلست في موضع نزه ، وفرشت
سفرتي لآكل .

واجتاز بي رجل عظيم الخلقة ، فدعوته ليأكل ، فجلس فأكل كلّما كان
في سفرتي ، حتى لم يدع فيها شيئاً ، ولا أوقية واحدة .
فعجبت من ذلك عجباً شديداً بأن [٢٦٥ غ] له فيّ ، فأمسك ، وغسلنا
أيدينا .

فقال لي : على أي شيء مقامك هنا ؟

فقلت : لأطحن هذه الغلّة .

فقال لي : فلم لا تطحنها اليوم ، فأخبرته بسبب تعذّر ذلك عليّ .

قال : فثار كالجمل ، حتى شقّ الناس وهم مزدحمون على الرحى ، وهي

١ العِدْل ، بكسر العين : الفراة ، تحمّل بها الدابة على أحد جانبي ظهرها ، وتعْدَلُ بأخرى تعادها على
الجانب الثاني ، جمعه أعدال ، وعدول .

تدور ، فجعل رجله عليها فوقفت ولم تدّر .
فعجب الناس ، وقال : من فيكم يتقدّم ؟
فجاء رجل أيّد شديد ، فأخذ بيده ، ورمى به كالكرة ، وجعله تحت رجله
الأخرى ، فاقدر أن يتحرّك .
وقال : قدّموا غلّي إلى الطحن وإلاّ كسرت الرحى ، وكسرت عظام هذا .
فقالوا : يا هذا هات الغلّة ، فجئت بها ، فطحنت ، وفرغت منها ، وجعلتها
في الأعدال .

وقال لي : قم .
قلت : إلى أين ؟
قال : إلى منزلك .
قلت : لا أسلك الطريق وحدي ، فإنّه مخوف ، ولكن أصبر حتى يفرغ
أهل قريتي ، وأرجع معهم .
فقال : قم وأنا معك ، ولسنا نخاف - بإذن الله عزّ وجلّ - شيئاً .
فقلت في نفسي : من كانت تلك القوّة قوّته يجب أن آنس به ، فقمت ،
وحملت الغلّة على الحمير ، وسرنا إلى أن جئنا إلى قريتي ، ولم نلق في طريقنا بأساً .
فلما دخلت إلى بيتي ، خرج والدي وإخوتي ، وعجبوا من سرعة ورودي بالغلّة ،
ورأوا الرجل ، فسألوني عن القصّة ، فأخبرتهم .
وسألنا الرجل أن يقيم في ضيافتنا ، ففعل ، فذبحنا له بقرة ، وأصلحنا له
سكباجاً ، وقدم إليه ، فأكل الجميع بنحو المائة رطل خبزاً .
فقال له أبي : يا هذا ، ما رأيت مثلك قطّ ، فأيّ شيء أنت ؟ ومن أين معاشك ؟
قال : أنا رجل من الناحية الفلائيّة ، وأسمي شدّاد ، وكان لي أخ أشدّ بدناً وقلباً
منيّ ، وأسمه عاد ، وكنا نبذرق^٢ القوافل من قريتنا إلى مواضع كثيرة ، ولا نستعين

٢ البذرقه : حماية المسافر وخفارته ، راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق

بأحد ، وتخرج علينا الرجال الكثيرة ، فألقاهم أنا وأخي فقط فنهزمهم ، فأشتهر أمرنا ، حتى كان إذا قيل قافلة عاد وشدّاد ، لم يعرض لها أحد ، فكُنّا كذلك سنين كثيرة .

فخرجنا مرة أنا وأخي ، نسير قافلة قد خفرناها ، فلمّا صرنا بالفلاة ، رأينا سواداً مقبلاً نحونا ، فأستطرفنا أن يقدم علينا أحد ، ثم بان لنا شخص رجل أسود ، على ناقة حمراء ، ثم خالطنا .

وقال : هذه قافلة عاد وشدّاد ؟

قلنا : نعم .

فترجّل ودعانا للبراز ، فانتضينا سيوفنا وانقضضنا عليه ، فضرب ساق أخي بالسيف ضربة أقعدته ، وعدا عليّ ، فقبض على كتفي ، فما أطقّ الحركة . فكتنّفي ، ثم كتّف أخي ، وطرحنا على الناقة كالزاملتين^٣ ، ثم ركبها وسار بعد أن أخذ من القافلة ما كان فيها من عَيْنٍ ، وَوَرِقٍ ، وحليّ ، وشيئاً من الزاد ، وأوقر الراحلة بذلك .

وسار بنا على غير محبّة ، في طريق لا نعرفه ، بقيّة يومنا وليلتنا وبعض الثاني ، حتى أتى جبلاً لا نعرفه ، فأوغل فيه ، وبلغ إلى وجه منه فدخله ، فانتهى إلى مغارات ، فأناخ الراحلة ، ثم رمى بنا عنها ، وتركنا في الكثاف .

وجاء إلى مغارة على بابها صخرة عظيمة لا يقلعها إلاّ الجماعة ، فنحّاها عن الباب [٢٦٦ غ] واستخرج منها جارية حسناء ، فسألها عن [٢٥٠ ر] خبرها ، وجلسا يأكلان ممّا جاء به من الزاد ، ثم شربا ، فقال لها : قومي ، فقامت ، ودخلت الغار .

ثم جاء إلى أخي ، فذبّحه وأنا أراه ، وسلّخه ، وأكله وحده ، حتى لم يدع منه إلاّ عظامه .

٣ الزاملة : الدابة التي يحتمل عليها المتاع .

ثم استدعى الجارية ، فخرجت ، وجعلوا يشربان ، فلما توسّط شربه ، جرّني ، فلم أشكّ أنّه يريد ذبحي ، فإذا هو قد طرحني في غار من تلك المغارات ، وحلّ كتافي ، وأطبق الباب بصخرة عظيمة ، فأبست من الحياة ، وعلمت أنّه قد أدّخرني لغدٍ .

فلما كان في الليل ، لم أحسّ إلاّ بامرأة تكلمني ، فقلت لها : ما بالك ؟
فقلت : إنّ هذا العبد قد سكر ونام ، وهو يذبحك في غد كما ذبح [٧١ ن] صاحبك ، فإن كانت لك قوّة فاجهد في دفع الصخرة واخرج فاقتله ، وأنج بي وبنفسك .

فقلت : ومن أنت ؟
قالت : أنا امرأة من البلد الفلانيّ ، ذات نعمة ، خرجت أريد أهلاً لي في البلد الفلانيّ ، فخرج علينا هذا العدوّ لله ، فأهلك القافلة التي كنت فيها ، ورآني فأخذني غصباً ، وأنا منذ كذا وكذا شهراً ، على هذه الصورة ، يرتكب منّي الحرام ، وأشاهد ذبحه للناس وأكله لهم ، ولا يوصف له إنسان بشدّة بدن إلاّ قصده ، حتى يقهره ، ثم يجيء به فيأكله ، ويعتقد أنّ شدّته تنتقل إليه ، وإذا خرج حبسني في الغار ، وخلف عندي مأكولاً وماءً لأيّام ، ولو اتّفق أنّه يحتبس عنيّ - فضل يوم - متّ جوعاً وعطشاً .

فقلت : إنّي ما أطيق قلع الصخرة .

قالت : ويلك ، فجرّب نفسك .

قال : فجئت إلى الصخرة فاعتمدت عليها بقوّتي ، فتحرّكت ، فإذا قد وقع تحت الصخرة حصاة صغيرة ، وقد صارت الصخرة مركّبة تركيباً صحيحاً ، وذلك لما أَراده الله تعالى من خلاصي .

فقلت : أبشري ، ولم أزل أجتهد ، حتى زحزحت الصخرة شيئاً أمكنني الخروج منه ، فخرجتُ .

فأخذت سيف الأسود ، واعتمدت بكليتي يديّ فضربت ساقيه ، فإذا قد أبنت^٤؛
أحدهما وكسرت الأخرى ، فانتبه ، ورام الوثوب فلم يقدر ، فضربته الأخرى على
حبل عاتقه^٥ فسقط ، وضربته أخرى فأبنت رأسه .
وعمدت إلى المغارات فأخذت كلما وجدت فيها من عَيْنٍ ، وَوَرِقٍ ، وجوهر ،
وثوب فاخر خفيف الحمل ، وأخذت زاداً لأَيَّامٍ ، وركبت راحلته^٦ ، وأردفت
المرأة ، ولم أزل أسلك في طرق لا أعرفها ، حتى وقعتُ على محجةٍ ، فسلكتها ،
فأفضت بي إلى بعض القرى ، فسَلِمْتُ الراحلة إلى المرأة ، وأعطيتها نفقة تكفيها إلى
بلدها ، وسيرتها مع خفاء ، وعدتُ إلى بلدي بتلك الفوائد الجليلة .
وعاهدت الله تعالى ، أن لا أتعرض للطريق ، ولا للخفارة أبداً .
وأنا الآن آكل من ضياع اشتريتها من ذلك المال ، وأقوم بعمارتها ، وأعيش
من غلتها ، إلى الآن^٧ .

٤ أبان : فصل وقطع .

٥ العاتق : ما بين المنكب والعنق .

٦ الراحلة من الإبل : القوي منها على الأحمال والأسفار .

٧ لم ترد هذه القصة في م .

قارع سبعين من قَطّاع الطريق وانتصف منهم

وحكى سعد بن محمد بن عليّ الأزدي ، الشاعر البصريّ المعروف بالوحيد ، قال : حدّثني أبو عليّ الكرديّ ، رجل رأيته بعسكر [٢٦٧ غ] عمران بن شاهين^١ قصده من عند حسنويه بن الحسين الكرديّ^٢ ، فقبله ، وأجرى عليه ، وكان شجاعاً نجداً ، فحدّثني ، قال :

خرجنا مرّة بالجلال^٣ ، في أيام موسم الحجّ ، عددنا سبعون رجلاً ، من فارس وراجل ، فاعترضنا الحاجّ الخراسانيّ ، وكمنّا لهم .

وكان لنا عين^٤ في القافلة ، فعاد وعرفنا أنّ في القافلة رجلاً من أهل شاش^٥ وفرغانة^٦ معه اثني عشر حملاً بَرّاً ، وجارية في قبة^٧ عليها حلي ثقیل ، فجعلنا أعيننا عليه ، حتى وثبنا عليه ، وهو وجاريته في عمّارية .

١ أبو الحسين عمران بن شاهين السلمي ، أمير البطائح : ترجمته في حاشية القصّة ٥٩ من الكتاب .

٢ حسنويه بن الحسين الكردي البرزيكاني : أمير جيش البرزينة من الأكراد البرزيكان ، تغلب على منطقة واسعة ما بين أذربيجان إلى شهرزور ، ودام حكمه خمسين سنة ، وكان حسن السيرة ، ضابطاً لأمره ، منع أصحابه من التلصّص ، وكان كثير الصدقة بالحرّمين ، توفي بسمرج سنة ٣٦٩ (ابن الأثير ٧٠٥/٨ و٧٠٦) .

٣ الجبال ، أو الجبل : اسم شامل للإقليم المعروف بعراق العجم ، ومن جملة مدنه همدان ، وأصهبان ، والريّ ، وقزوين (المفترق صفحاً ٩٤) .

٤ العين : الجاسوس ، وعين اللصوص ، هو الذي يدلّهم على مواطن السرقات ، ويسهل لهم ارتكابها ، والبغداديون يسمّونه : وتي ، بكسر الواو .

٥ شاش : بلدة بما وراء النهر ، وراء سيحون ، متاخمة لبلاد الترك (مراصد الاطلاع ٧٧٤/٢) .

٦ فرغانة : كورة واسعة ببلاد ما وراء النهر ، متاخمة لبلاد تركستان (مراصد الاطلاع ١٠٢٩/٣) .

٧ في غ : في عمّارية .

قال : فقطعنا قطاره وكَتَفناه ، وأدخلناه وما معه بين الجبال ، ووقعنا على ما معه ، وفرحنا بالغنيمة .

وكان للرجل برذون أصفر يساوي مائتي درهم ، فلما رآنا نريد القفول ، قال : يا فتيان ، هناكم الله بما أخذتم ، ولكني رجل حاج ، بعيد الدار ، فلا تتعرضوا لسخط الله بمنعي من الحج ، وأما المال فيذهب ويبيء ، وتعلمون [٢٥١ ر] ، أنه لا نجاة لي إلا على هذا البرذون ، فاتركوه لي ، فليس بين ثمنه في الغنيمة التي أخذتموها ، فتشاورنا على ذلك .

فقال شيخ فينا مجرب : لا تردوه عليه ، واتركوه مكتوفاً هنا ، فإن كان في أجله تأخير ، فسقيض الله له من يحلّ كتافه ، وكنت فيمن عزم على هذا . وقال بعضنا : ما مقدار دابة بمائتي درهم حتى نمنعها رجلاً حاجاً ، فلا حاجة لنا فيها ، وجعلوا يرققون قلوب الباقيين حتى سمحنا بذلك ، فأطلقناه ، ولم ندع عليه إلا ثوباً يستر عورته .

فقال : يا فتيان ، قد مننتم عليّ ، وأحسنتم إليّ ، ورددتُم دابتي ، وأخشى إذا أنا سرت أن يأخذها غيركم ، فأعطوني قوس ونشائي ، أذب بها عن نفسي وعن فرسي .

فقلنا : إنا لا نردّ سلاحاً على أحد .

فقال بعضنا : وما مقدار قوس قيمته درهمان ، وما نخشى من مثل هذا ؟ فأعطيناه قوسه ونشابه ، وقلنا له : انصرف ، فشكرنا ، ودعانا ، ومضى حتى غاب عن أعيننا .

فما كدنا نسير ، والجارية تبكي ، وتقول : أنا حرة ، ولا يحلّ لكم أن تأخذوني . فنحن في هذا ، وإذا بالرجل قد كرّ راجعاً ، وقال : يا فتيان ، أنا لكم ناصح ، فإنكم قد أحسنتم إليّ ، ولا بدّ لي من مكافأتكم على إحسانكم ، بنصيحتي لكم . فقلنا : وما نصيحتك ؟

فقال : دعوا ما في أيديكم ، وانصرفوا سالمين بأنفسكم ، ولكم الفضل ، فإنكم منتم على رجل واحد ، وأنا آمن على سبعين رجلاً ، وإذا هو قد انقلبت عيناه في وجهه ، وخرج الزبد من أشداه ، وصار كالجمل الهائج .
فهزأنا به ، وضحكنا عليه ، ولم نلتفت إلى كلامه ، فأعاد علينا النصيحة ، وقال : يا قوم قد مننت عليكم ، فلا تجعلوا لي إلى أرواحكم سبيلاً .
فزاد غيظنا عليه ، فقصدناه ، وحملنا عليه ، فانهاز منا ، ورمى بخمس نشابات ، كانت بيده ، فقتل بها منا خمسة ، واحداً ، واحداً .
وقال : إن جماعتكم تموت على هذا ، إن لم تخلّوا عما في أيديكم .
فلم نزل ندافعه ، ويقتل منا ، حتى قتل ثلاثين رجلاً ، وبقي معه نشاب في جعبته .

فقلنا : أما ترون ويحكم أنه لم يخط له سهم واحد ؟ وأحجمت الجماعة عنه ، وأفرجنا عن [٢٦٨ غ] الجمال والقبّة ، فصار القطار في حوزته .
فتنكّس^٨ ونحن نراه ، ففتق عدلاً بسيف أخرجه من رحله ، وأخرج منه جعبة نشاب ، وأراناها ، فلما رأينا ما صار إليه من النشاب يشنا منه وولينا عنه .
فقال : يا فتيان ، سألتكم هذا فلم تجيبوني إليه فنزل عن دابته فهو آمن ، ومن أحب أن يكون فارساً ، فهو بشأنه أبصر .
فشددنا عليه ، فقتل منا جماعة ، فاضطررنا إلى أن نرجلنا ، فحاز دوابنا وحده ، وساقها قليلاً .

ثم رجع ، وقال : أطلبكم بحكمكم ، من رمى سلاحه فهو آمن ، ومن تمسك به فهو أبصر ، فرمينا سلاحنا .

فقال : امضوا سالمين آمنين ، فأخذ جميع السلاح والدواب ، وإنا لندعوها

٨ يريد : ترجل .

بأسماؤها ، فتشذّ عنه ، فيرميها فيصرعها ، حتى قتل منها جماعة ، وفاتتنا الغنيمة ،
والسّلاح .

وكان ذلك سبب توبتي ، أنفّةً لما لحقنا منه ، وأنا على ذلك الحال إلى اليوم^٩ .

٩ لم ترد هذه القصّة في م .

البَابُ الثَّانِي عَشَرَ

فيمين أَلْجَأَهُ الْخَوْفُ إِلَى هَرَبٍ وَاسْتَتَارَ ، فَأَبْدَلَ بِأَمْنٍ وَمُسْتَجِدَّةٍ نَعَمٍ وَمَسَارٍّ

٤٥٨

يَحْيَى بْنُ طَالِبِ الْحَنْفِيِّ

يُبَارِحُ وَطَنَهُ مَدِينَةً ، وَيَعُودُ إِلَيْهِ مُوسِرًا

[أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، فيما أجاز لي روايته عنه ، بعدما سمعته منه ، قال : حدثنا^١ محمد بن زكريا الغلابي ، قال : غني الرشيد يوماً بهذا الشعر :

أَلا هِلَ إِلَى شَمِّ الْخُزَامِيِّ^٢ وَنَظَرَةٍ إِلَى قَرْقَرَى^٣ قَبْلَ الْمَمَاتِ سَبِيلِ
فِيَا أَثْلَاثِ الْقَاعِ مِنْ بَطْنِ تَوْضِيعٍ^٤ حَنِينِي إِلَى أَظْلَالِكُنَّ طَوِيلِ
أُرِيدُ نَهْوضًا نَحْوَكُمْ فَيَصْدَتِي إِذَا رَمَتْهُ دِينٌ عَلَيَّ ثَقِيلُ

قال مؤلف الكتاب : ووجدت الشعر في غير هذه الرواية :

١ الزيادة من ن .

٢ الخزامي : زهر من فصيلة الزنبقيات ، له بصلة ، وأزهاره متعددة الألوان ، اشتهرت هولنده الآن بزراعتها (المنجد) .

٣ قَرْقَرَى : أرض باليمامة فيها قرى وزروع ونخيل ، وعليها بئر قاصد اليمامة من البصرة (معجم البلدان ٦٢/٤) .

٤ توضع : من قرى قرقرى باليمامة (معجم البلدان ٨٩٤/١) .

ويا أثلاث القاع قد ملّ صحبتي صحابي فهل في ظلكنّ مقيبل
أحدت نفسي عنك أن لست راجعاً إليك فحزني في الفؤاد دخيل^٥
(رجع للحديث).

فاستحسن الرشيد الشعر ، وسأل عن قائله ، فعرف أنه ليحيى بن طالب
الحنيني اليمامي^٦.

فقال : حيّ هو أم ميت ؟
فقال بعض الحاضرين : هو حيّ كميت .
قال : ولم ؟

قال : هرب من اليمامة ، لدين عليه ثقل ، فصار إلى الريّ .
فأمر الرشيد أن يكتب إلى عامله بالريّ ، يعرفه ذلك ، وأن يدفع إليه عشرة
آلاف درهم ، وأن يحمل إلى اليمامة^٧ على دوابّ البريد ، وكتب إلى عامله
باليمامة بقضاء دينه .

فلما كان بعد أيام ، قال الرشيد لمن حضره : إنّ الكتب وردت بامثال ما
أمرتُ به .

وعاد يحيى إلى وطنه موسراً ، وقد قضى دينه عنه ، من غير سعي منه في
ذلك^٨.

٥ في معجم البلدان ٦٤/٤ بيتان آخران ، وهما :

ويا أثلاث القاع قلبي موّكل بكنّ وجدوى خيركنّ قليل
فأشرب من ماء الحجّلاء شربة يداوى بها قبل الممات عليل

٦ يحيى بن طالب الحنيني : كان شيخاً ديناً ، سخياً ، عظيم التجارة ، وكان يشتري غلات السلطان
بقرقرى ، فأصاب الناس جذب ، وجاء أهل البادية فنزلوا قرقرى ، ففرّق يحيى الغلات فيهم ، فباع
عامل السلطان أملاكه ، وعزّه الدين ، فهرب إلى العراق ، ثم إلى خراسان (معجم البلدان ٦٢/٤-٦٤).

٧ اليمامة : منطقة في أواسط الجزيرة العربية ، معدودة من نجد ، تبعد عن البحرين مسيرة عشرة أيام ،
كانت في الجاهليّة مقر طسم وجديس (معجم البلدان ١٠٢٦/٤ والمنجد).

٨ لم ترد القصّة في ر ولا في م ، ولا في غ ، وقد اثبتناها من هـ .

العتابي يؤدّب الأمين والمأمون

ذكر محمد بن عبدوس في كتابه «كتاب الوزراء»^١ ، قال : حدثني عبد الواحد بن محمد ، يعني الخصيبي ، قال : حدثني يموت بن المزرع ، قال : كان العتابي^٢ ، يقول بالاعتزال^٣ ، فاتصل ذلك بالرشيد ، وكثر عليه في أمره ، فأمر فيه بأمر غليظ^٤ ، فهرب إلى اليمن ، وكان مقيماً فيها على خوف وتوقّ.

فاحتال يحيى بن خالد ، إلى أن أسمع الرشيد شيئاً من خطبه ورسائله ، فاستحسنها الرشيد ، وسأل عن الكلام لمن هو ؟ فقال يحيى : هو كلام العتابي ، وإن رأيت يا أمير المؤمنين ، أن يحضر حتى يسمع الأمين والمأمون ، ويضع لهما خطباً ، لكان في ذلك صلاحاً لهما .

- ١ لم ترد هذه القصة في ر ولا في م ولا في غ ، واثبتناها من ه .
- ٢ العتابي ، أبو عمرو كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي : ترجمته في حاشية القصة ١٣٧ من الكتاب .
- ٣ القول بالاعتزال : مذهب المعتزلة ، وقد أسلفنا في حاشية القصة ١٥٩ من هذا الكتاب ، إيراد معلومات عامة ، عن عقيدتهم ، وأنهم يسمّون أنفسهم أهل العدل والتوحيد ، واعتقادهم أنّ العبد قادر ، خالق لأفعاله ، خيرها وشرّها ، بخلاف الجبريّة الذين كانوا ينفون حقيقة الفعل عن العبد ، ويضيفونه إلى الله تعالى ، وكان الحكّام المتسلطون ، يدعون أنّهم إنّما جاءوا بتقدير من الله ، فليس لأحد أن يعترض على تسلّطهم ، لأنّه إنّما يعارض بذلك ربّ العالمين ، فلمّا ظهر المعتزلة ، وناقشوا هذه الجهة ، خشي الحكّام مقبّة ذلك ، فحاولوا استئصالهم ، وأنهمومهم بالزندقة ، وهي تهمة عامّة ، أنّهم بها كلّ من عارض سلطة الحاكم ، راجع بشأنها حاشية القصة ١٢٣ من هذا الكتاب ، وقد ذكر الخوارزمي في مفاتيح العلوم ص ١٨ أنّ المعتزلة ينقسمون إلى ستّ فرق ، ولكن الشهرستاني في الملل والنحل ١/٥٣-١٠٨ أورد أسماء ثلاث عشرة فرقة منهم .
- ٤ ذكر بعض المؤرّخين سبباً غير هذا لفضب الرشيد على العتابي ، راجع حاشية القصة ١٣٧ من هذا الكتاب .

فأمنه الرشيد ، وأمر بإحضاره .

ولما اتصل خبر ذلك بالعتابي ، قال يمدح يحيى بن خالد :

ما زلتُ في سكرات الموت مطرَحاً قد غاب عني وجه الأرض من خبلي
فلم تزل دائباً تسعى لتتقذني حتى اختلست حياتي من يد الأجل °

٥ . الذي أرويه :

ما زلت في سكرات الموت مطرَحاً قد غاب عني وجه الرأي من حيلي
فلم تزل دائباً تسعى بلطفك لي حتى استللت حياتي من يدي أجلي

لماذا قتل أبو سلمة الخلال

وذكر في بعض كتب الدولة :

أنّ أبا سلمة الخلال^١ ، لما قوي الدعاة ، وشأرفوا العراق ، وقد ملكوا خراسان وما بينها وبين العراق ، استدعى بني العبّاس ، فصيّرهم في منزله بالكوفة ، وكان له سرداب ، فجعل فيه جميع من كان حياً في ذلك الوقت من ولد عبد الله ابن العبّاس ، وفيهم السفّاح ، والمنصور ، وعيسى بن موسى ، وهو يراعي الأخبار . وكان الدعاة يؤمرون بقصده إذا ظهروا وغلبوا على الكوفة ، ليعرفهم الإمام ، فيسلّمون الأمر إليه .

فلما أوقع قحطبة^٢ بابن هيرة الواقعة العظيمة على الفرات^٣ ، وغرق قحطبة ، وانهزم ابن هيرة ، ولحق بواسط ، وتحصّن بها ، ودخل ابنا قحطبة^٤ الكوفة

١ أبو سلمة حفص بن سليمان الحمداني الخلال : أول وزير في الإسلام ، وكان يدعى وزير آل محمّد ، أنفق كثيراً من ماله في سبيل الدعوة العبّاسيّة ، وكان واسطة الصلة بين إبراهيم الإمام ونباء الدعوة العبّاسيّة بخراسان ، ولما استقام الأمر للسفّاح استوزره في السنة ١٣٢ ، وأغتيل بعد أربعة أشهر من وزارته ، فقال الشاعر : (الأعلام ٢/٢٩١)

إنّ الوزير وزير آل محمّد أودى ، فن يشاك كان وزيراً

٢ قحطبة بن شبيب الطائي : قائد عبّاسي ، كان أحد النقباء الاثني عشر الذين اختارهم محمّد بن علي العبّاسي ، ممن استجاب له بخراسان في السنة ١٠٣ ، قاد الجيوش العبّاسيّة ، وظفر في جميع وقائعه ، وفي آخر معركة له ، انتصر على يزيد بن هيرة أمير العراق ، ولكنّه غرق في الفرات سنة ١٣٢ (الأعلام ٣٠/٦) .

٣ راجع تفصيل غرق قحطبة في العيون والحدائق ٣/١٩٤ و ١٩٥ .

٤ كان مع قحطبة في حملته العسكريّة ، اثنان من أولاده : الحسن وحמיד ، والحسن (٩٧-١٨١) :

أحد القادة الشجعان المقدّمين ، قاد الجيش بعد غرق أبيه في السنة ١٣٢ (العيون والحدائق ٣/١٩٥) =

بالعسكر كله ، قالوا لأبي سلمة : أخرج إلينا الإمام ، فدافعهم ، وقال : لم يحضر الوقت الذي يجوز فيه ظهور الإمام ، وأخفى الخبر عن بني العباس ، وعمل على نقل الأمر عنهم ، إلى ولد فاطمة رضي الله عنهم ، وكتب جماعة منهم ، فتأخروا عنه .

وساء ظنّ بني العباس به ، فاحتالوا حتى أخرجوا مولد لهم أسود كان معهم في السرداب ، وقالوا له : اعرف لنا الأخبار ، فعاد إليهم ، وعرفهم أنّ قحطبة غرق ، وأنّ ابن هبيرة انهزم ، وأنّ ابني قحطبة قد دخلا الكوفة بالعسكر منذ كذا وكذا .

فقالوا : أخرج وتعرّض لابني قحطبة ، وأعلمهما بمكاننا ، ومرهما بأن يكبسا الدار علينا ويخرجانا .

فخرج المولى ، وكان حميد بن قحطبة عارفاً به ، فتعرّض له ، فلما رآه أعظم رؤيته ، وقال : ويلك ما فعل سادتنا ، وأين هم ؟ فخبّره بخبرهم ، وأدّى إليه رسالتهم .

فركب في قطعة من الجيش ، وأبو سلمة غافل ، فجاء حتى ولج الدار ، وأراه الأسود السرداب ، فدخل ومعه نفر من الجيش ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقالوا : وعليكم السلام .

فقال : أيكم ابن الحارثية ؟ وكانت أمّ أبي العباس عبد الله بن محمد بن

واستخلفه المنصور على أرمينية ، ثمّ ساهم في حرب عبد الله بن علي لما خرج على المنصور ، وغزا غزوات كان في جميعها مظفراً ، توفي ببغداد (الأعلام ٢/٢٢٩) .

هـ حميد بن قحطبة بن شبيب الطائي : أحد القادة العباسيين ، كان في الجيش الذي قاده أبوه قحطبة لحرب الأمويين ، ووقف موقفاً شديداً من أجل مبايعة أبي العباس السفاح ، وشتم أبا سلمة الخلال (العيون والحدائق ٣/١٩٩) ووُكي مصر في السنة ١٤٣ ، ثمّ الجزيرة ، ثمّ وكي خراسان ، وفيها مات (الأعلام ٢/٣١٨) .

علي بن عبد الله ، وكان إبراهيم بن محمد - الذي يقال له الإمام^٦ - لما بثّ الدّعاة ، قال لهم : إن حَدَثَ بعدي حَدَثٌ ، فالإمام ابن الحارثية الذي معه العلامة ، وهي : (ونريدُ أن نَمْنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ، ونجعلهم أئمةً ، ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ، ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون^٧) .

قال : فلما قال ابن قحطبة : أيكم ابن الحارثية ؟ ابتدره أبو العباس ، وأبو جعفر ، كلاهما يقول : أنا ابن الحارثية^٨ .

فقال ابن قحطبة : فأَيكما معه العلامة ؟ فقال أبو جعفر : فعلت آتي قد أخرجت من الأمر ، لأنه لم يكن معي علامة .

فقال أبو العباس : ونريد أن نَمْنَّ ... وتلا الآية .

فقال له حميد بن قحطبة : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، مدّ يدك أبايعك ، فبايعه .

ثم انتضى سيفه ، وقال : بايعوا أمير المؤمنين ، فبايعه أخوته ، وبنوا عمّه ، وعمومته ، والجماعة الذين كانوا معه في السرداب .

وأخرجه إلى المنبر بالكوفة ، وأجلسه عليه ، فحصر^٩ أبو العباس عن الكلام ، فتكلّم عنه عمّه داود بن علي^{١٠} ، فقام دونه على المنبر بمرقاة ، وجاء أبو سلمة

٦. إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (٨٢-١٣١) : زعيم الدّعوة العباسية ، وهو الذي بثّ الدّعاة في خراسان ، حبسه مروان بن محمد ، ومات في حبسه (الأعلام ٥٤/١) .

٧. ٤٥٥ هـ ، القصص ٢٨ .

٨. ابن الحارثية ، هو أبو العباس السفّاح ، أمّا المنصور ، فأمه بربرية اسمها سلامة ، وأحسب أنّ هذا هو الذي أخره عن الخلافة ، وقدم أخاه أبا العباس ، مع أنّ المنصور أسنّ من السفّاح تسع سنوات (ولد المنصور سنة ٩٥ ، وولد السفّاح سنة ١٠٤) ، راجع حاشية القصة ٨١ من هذا الكتاب .

٩. حصر : عي في النطق .

١٠. أبو سليمان داود بن علي بن عبد الله بن العباس (٨١-١٣٣) : عمّ السفّاح والمنصور ، من الخطباء ، =

[٧٣ ن] ، وقد استوحش وخاف .

فقال حميد : يا أبا سلمة ، زعمت أن الإمام لم يقدم بعد ؟ فقال أبو سلمة :
إنما أردت أن أدافع بخروجهم إلى أن يهلك مروان ، فإن كانت له كربة لم يكونوا
قد عرفوا فيهلكوا ، وإن هلك مروان أظهرت أمرهم على ثقة .
فأظهر أبو العباس قبول هذا العذر منه ، وأقعده إلى جانبه ، ثم دبر عليه
بعد مدة حتى قتله ^{١١} .

وقد روي هذا الخبر على غير هذا السياق ، فقالوا :
قدم أبو العباس السفاح وأهله على أبي سلمة سرّاً ، فستر أمرهم ، وعزم على
أن يجعلها شوري بين ولد عليّ والعبّاس ، حتى يختاروا منهم من أرادوا .
ثم خاف أن لا يتفق على الأمر فعزم على أن يعدل بالأمر إلى ولد الحسن
والحسين رضي الله عنهم ، وهم ثلاثة : جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ،
وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، وعمر بن علي بن الحسين .
ووجه بكتب إليهم مع رجل من مواليهم من ساكني الكوفة .
فبدأ بجعفر بن محمد ، فلقيه ليلاً ، فأعلمه أنه رسول أبي سلمة ، وأنّ
معه كتاباً إليه .

فقال : ما أنا وأبو سلمة ، وهو شيعة لغيري ؟
فقال له الرسول : تقرأ الكتاب ، وتجب عنه بما رأيت .
فقال جعفر لخدمه ، قرب منّي السراج ، فقرّبه ، فوضع عليه كتاب
أبي سلمة ، فأحرقه .
فقال : ألا تجيب عنه ؟

وَيَ لِلْسَفَّاحِ الْكُوفَةُ ، ثُمَّ وَيَ إِمَارَةَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، وَالْيَمِينَ ، وَالْيَمَامَةَ ، وَالطَّائِفَ ، تَوَفَّى بِالْمَدِينَةِ (الأعلام
٨/٣) .

١١ لم ترد هذه القصة في ر ولا في م ولا في غ ، وأثبتناها من هـ .

فقال : الجوابُ ما رأيت .

ثم أتى عبد الله بن الحسن ، فقبل كتابه ، وركب إلى جعفر .

فقال جعفر : مرحباً بك أبا محمّد ، لو أعلمتني لجئتك .

فقال : إنّه أمرٌ يجلّ عن الوصف .

فقال : وما هو ؟

قال : هذا كتاب أبي سلمة يدعوني فيه إلى الأمر ، ويراني أحقّ الناس به ، وقد جاء به شيعتنا من خراسان .

فقال له جعفر : ومتى صاروا شيعتك ؟ أنت وجهت أبا مسلم إلى خراسان ، وأمرته بلبس السواد ؟ أتعرف أحداً منهم باسمه ونسبه ؟
قال : لا .

قال : كيف يكونون شيعتك ، وأنت لا تعرف أحداً منهم ، ولا يعرفونك ؟
فقال عبد الله : هذا الكلام كان منك لشيء .

فقال جعفر : قد علم الله تعالى أنّي أوجب النصح على نفسي لكلّ مسلم ، فكيف أدخره عنك ، فلا تمنّين نفسك الأباطيل ، فإنّ هذه الدولة ستتمّ هؤلاء القوم ، وما هي لأحد من ولد أبي طالب ، وقد جاءني مثل ما جاءك .
فانصرف غير راض بما قاله له .

وأما عمر بن علي بن الحسين ، فردّ عليه الكتاب ، وقال : لا أعرف من كتبه^{١٢} .

قال : وأبطأ أبو سلمة على أبي العباس ومن معه ، فخرج أصحابه يطوفون بالكوفة ، فلقي حميد بن قحطبة ، ومحمّد بن صول^{١٣} أحد موالهم ، فعرفاه ،

١٢ راجع كتاب العيون والحدائق ١٩٦/٣-١٩٨ .

١٣ محمّد بن صول : من رجال الدولة العباسية ودعاتها ، وهو جدّ إبراهيم بن العباس الصولي (الأعلام

٣٨/١) .

لأنّه كان يحمل إليهم كتب محمد بن علي^{١٤} وإبراهيم بن محمد ، فسألاه عن الخبر ، فأعلمهما أنّ القوم قد قدموا ، وأنّهم في سرداب يعرف ببني أود ، فصارا إلى الموضع ، فسلمّا عليهم .

وقالا : أيكما عبد الله ؟

فقال المنصور وأبو العباس : كلانا عبد الله .

فقال : أيكما ابن الحارثية ؟

فقال أبو العباس : أنا .

فقالا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، ودنوا فبايعوه .

وأحضروه إلى المسجد الجامع ، فصعد على المنبر ، فحُصِرَ ، وتكلّم عنه عمّه داود بن علي ، وقام دونه بمِرْقاة^{١٥} .

١٤ محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (٦٢-١٢٥) : والد السفّاح والمنصور ، أول من قام بالدعوة

العبّاسيّة ، وبثّ الرجال إلى الجهات (الأعلام ١٥٣/٧) .

١٥ لم ترد هذه القصّة في ر ولا في م ولا في غ ، وأثبتناها من هـ .

أمير البصرة العباسي يحيى أمويًا

[أخبرنا أبو الفرج علي بن الحسين ، المعروف بالأصبهاني ، قال : أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثني محمد بن عبد الله بن عمرو ، قال : أخبرني ،^١ طارق بن المبارك عن أبيه ، قال : جاءني رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة^٢ ، فقال لي : يقول لك عمرو : قد جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن ، كثير العيال ، منتشر الأموال ، فما أكون في قبيلة إلا وشهر أمري ، وقد عزمت على أن أفدي حرمي بنفسي ، وأنا صائر إلى باب الأمير سليمان بن علي^٣ ، فصر إليّ . فوافيته ، فإذا عليه طيلسان مطبق أبيض^٤ ، وسراويل وشي مشدود^٥ .

١ الزيادة من ن .

٢ هو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ، جد أبي عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن معاوية الذي ترجمه صاحب اللباب ١١٨/٢ و ١١٩ وقال عنه إنه صاحب أخبار وآداب ، وقد ورد خطأ في الترجمة اسم جدّيه بلفظ عمر ، وهما : عمرو ، فليلاحظ ذلك .

٣ سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس (٨٢-١٤٢) : أمير عباسي ، من الأجواد المدوحين ، ولأه السفاح أمانة البصرة وأعمالها ، وكور دجلة ، والبحرين ، وعمان ، سنة ١٣٣ ، وعزله المنصور سنة ١٣٩ فأقام بالبصرة ، وتوفي فيها (الأعلام ١٩٣/٣) .

٤ الطيلسان : قطعة من القماش ، توضع فوق الثياب على الكتفين ، وقد يغطى بها الرأس ، راجع التفصيل في حاشية القصة ١٦٣ من هذا الكتاب ، وقوله : مطبق ، ان كانت الكلمة بدون تشديد فإن الطيلسان إذا كان طاقين ، سمي مُطَبَّقاً (كتاب التلخيص للعسكري ٢٠٤/١) وإن كانت الكلمة بتشديد ، فإن الثوب أو الطيلسان ، يسمّى : مُطَبَّقاً ، إذا كسي بعضه أو كلّه بقشر اللؤلؤ (لسان العرب ، مادة طبق) .

٥ السراويل : لباس يستر النصف الأسفل من الجسم (المنجد) ، فارسيّة : سربال (أي فوق القامة) ، راجع تفسير الألفاظ الدخيلة ٣٥ والألفاظ الفارسيّة المعربة ٨٨ ، والوشى : ضرب من الثياب المنسوجة

فقلت : سبحان الله ، ما تصنع الحادثة بأهلها ، أيها الإنسان تلقى هؤلاء القوم الذين تريد لقاءهم وعليك مثل هذا ؟
قال : والله ، ما ذهب عليّ ذلك ، ولكن ليس عندي ثوب ، إلا وهو أشهر من هذا .

فأعطيته طيلسانا ، وأخذت طيلسانه ، ولويت سراويله إلى ركبته ، فدخل ، ثم خرج مسروراً .

فقلت : حدثني بما جرى بينك وبين الأمير .
قال : دخلت إليه ، ولم يرني قط ، فقلت : أيها الأمير ، لفظتني البلاد إليك ، ودلّني فضلك عليك ، فإمّا قبلتني غانماً ، وإمّا ردّدتني سالماً .
فقال : من أنت ؟ فانتسبت إليه .

فقال : مرحباً ، أقعد فتكلّم ، غانماً مسروراً ، ثم اقبل عليّ ، وقال : ما حاجتك يا ابن أخي ؟

فقلت : إنّ الحرم اللواتي أنت أقرب الناس إليهنّ ، قد خفن بخوفنا ، ومن خاف خيف عليه .

فوالله ما أجابني إلاّ بدموعه تسيل على خديّ ، وقال : يا ابن أخي ، يحقن الله دمك ، ويحفظك في حرمك ، ويوفّر عليك مالك ، والله ، لو أمكنني ذلك في جميع أهلك لفعلت ، ولكن كن متوارياً كظاهر ، وآمناً كخائف ، ولتأنّني رقاك .

قال : وكان - والله - يكتب إليه كما كان يكتب الرجل إلى ابن عمّه^٦ .

من الإبريسم (رسوم دار الخلافة ٩٣) ، قال أبو العتاهية ، يصف جوارى المهدي ، وقد بلغهنّ خبر موته :

رحن في السوشي وأقـ سبن عليهنّ المسوح

والمسوح ، مفرداً مسح ، وهو الكساء من الشعر .

٦ أورد ابن الأثير ٤٣١/٥-٤٣٢ هذه القصّة ، وذكر إنّها كانت السبب في أمان البقيّة الباقية من بني أميّة ، =

قال : فلما فرغ من كلامه ، رددت عليه طيلسانه ، فقال : مهلاً ، إن ثيابنا إذا خرجت عنا ، لم تعد إلينا^٧ .

ووجدتُ هذا الخبر ، بإسناد ليس هو لي ، برواية عن العتي^٨ ، قال :

حدثنا طارق بن المبارك الذراع البصري - ولم يتجاوز^٩ - قال :

قدم جدك عمرو بن معاوية البصرة ، حين نكب بنو أمية ، قال : فجعل لا يتزل بحيي ، إلا أجهروه واشتهر .

فقال لي : أذهب بنا أضع يدي في يد هذا الرجل ، يعني سليمان بن علي ، وذكر نحوه .

وقال في آخره : فلما صار عمرو إلى منزله ، دفعتُ إليه ثوبه ، وطلبت ثوبي ، فردّهما عليّ جميعاً ، وقال : إنّا لم نأخذ ثوبك لنحبسه ، ولم نعطك ثوبنا لترده^{١٠} .

فإن سليمان بن علي بعد أن أَمَن عمرو بن معاوية ، كتب إلى السفاح : يا أمير المؤمنين ، إنّا قد وفد علينا وافد من بني أمية ، وإنّا إنّما قتلناهم على عقوقهم ، لا على أرحامهم ، فإنّا يجمعنا وإياهم عبد مناف ، وأكرم تبتل ولا تقتل ، وترفع ولا تضع ، فإن رأى أمير المؤمنين ، أن يهبهم لي ، فليفعل ، وإن فعل ، فليفعل كتاباً عاماً إلى البلدان ، بشكر الله تعالى على نعمه عندنا ، وإحسانه إلينا ، فأجابه إلى ما سأل .
٧ لم ترد هذه القصة في ر ولا في م ولا في غ ، وأثبتناها من ه ، وقد وردت في كتاب الكامل لابن الأثير ٤٣١/٥ و ٤٣٢ .

٨ العتي : نسبة إلى عتبة بن أبي سفيان (اللباب ١١٨/٢ و ١١٩) .

٩ يريد أنه لم يذكر تسلسل الذين استمع منهم الخبر ، وإنّا اكتفى بذكر طارق الذراع وحده .

١٠ لم ترد هذه القصة في ر ولا في م ولا في غ وأثبتناها من ه ، وقد وردت في الكامل لابن الأثير ٤٣١/٥ و ٤٣٢ ووردت في الأغاني ٣٤٩/٤ و ٣٥٠) .

عبد الملك بن مروان

يؤمن ابن قيس الرقيات ويحرمه العطاء

[أخبرني أبو الفرج علي بن الحسين ، المعروف بالأصبهاني ، إجازة في كتابه : الأغاني الكبير ، قال : أخبرني أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي ، وأبو عبد الله [٧٤ ن] الحرمي بن أبي العلاء وغيرهما ، قالوا : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثنا عبد الله بن البصير البربري ، مولى قيس بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال :^١ قال عبيد الله بن قيس الرقيات^٢ :

خرجت مع مصعب بن الزبير ، حين بلغه خروج عبد الملك بن مروان ، فلما نزل مصعب مسكن^٣ ، وتبين الغدر ممن معه ، دعاني ، ودعا بمال ، فلأ المناطق منه ، وأبسنها .

وقال : أمض حيث شئت ، فأني مقتول .

فقلت : لا والله ، لا أروح حتى آتي سبيلك ، فأقمت معه حتى قتل^٤ . ومضيت إلى الكوفة ، فأول بيت دخلته إذا فيه امرأة معها بنتان كأنهما

١ الزيادة من ن .

٢ عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك ، المعروف بابن قيس الرقيات : شاعر غزل ، مدح مصعب ابن الزبير ، وحارب معه ، ولما قتل مصعب ، التجأ إلى عبد الله بن جعفر ، فسأل فيه عبد الملك ابن مروان ، فأمنه . ولقب بابن قيس الرقيات ، لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة ، كل واحدة منهن اسمها رقية (الأعلام ٣٥٢/٤) .

٣ قتل مصعب بمسكن ، وما تزال آثارها ماثلة ، ويسمى أهل المنطقة : خرائب مسكين .

٤ دفن مصعب حيث قتل ، وبنيت عليه قبة ، ويسمى أهل المنطقة الآن : شيخ منصور ، راجع حاشية القصة ٣٧٣ من الكتاب .

طبيبتان ، فرقيت في درجة لها إلى مستشرف ، فقعدتُ فيه .
قال : فأصعدتُ لي ما أحتاج إليه من الطعام ، والشراب ، والفرش ، والماء ،
والوضوء .

فأقمت كذلك عندها أكثر من حول ، تقوم بكلّ ما يصلحني ، وتغدو
عليّ في كلّ صباح ، فتسألني عن حوائجي ، فما سألتني من أنا ، ولا أنا سألتها
من هي ؟ وأنا في أثناء ذلك أسمع الصباح فيّ ، والجعل^٥ .
فلما طال بي المقام ، وفقدتُ الصباح والجعل ، وغرِضتُ^٦ بمكاني ، جاءت
إليّ في الصباح تسألني الحاجة ، فأعلمتها أنّي قد غرِضتُ بموضعي ، وأحببت
الشخص إلى أهلي .

فقلت لي : يأتيك ما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى .
قال : فلما أنسيت ، وضرب الليل برواقه ، رقت إليّ ، وقالت : إن شئت
فنزلت ، وقد أعدت راحلتين ، عليهما جميع ما أحتاج إليه ، ومعهما عبد ،
وأعطت العبد نفقة الطريق ، وقالت : العبد والراحتان لك .
فركبت ، وركب معي العبد ، حتى أتيت مكّة ، فدققت باب منزلي ، فقالوا :
من أنت يا هذا ؟

فقلت : عبيد الله بن قيس الرقيّات ، فولولوا ، وبكوا ، وقالوا : لم يرتفع
طلبك إلّا في هذا الوقت .

فتوقفت عندهم حتى أسحرت ، ونهضت ، فقدمت المدينة ، ومعني العبد ،
فجئت إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^٧ رضي الله عنهم ، وهو يعشّي

٥ الجعل ، يضم الجيم وسكون الغين : العطية أو المنحة .

٦ غرِضَ ، بكسر الراء : ضجر وملّ .

٧ عبد الله بن جعفر الطيّار بن أبي طالب (١-٨٠) : صحابيّ ، ولد بأرض الحبشة ، لما هاجر أبواه إليها ،
وهو أوّل مولود ولد بها من المسلمين ، وكان كريماً ، يقال له : بحر الجود ، وكان أحد الأمراء في جيش
الإمام عليّ في حرب صفّين ، توفّي بالمدينة (الأعلام ٢٠٤/٤) .

أصحابه ، فجلست معهم ، وجعلت أتعاجم ، وأقول : بناريناواي طيار^٨ .
فلما خرج أصحابه ، كشفت له عن وجهي ، فقال : ابن قيس ؟
فقلت : عائداً بك .
فقال : ويحك ، ما أجدهم في طلبك ، وأحرصهم على الظفر بك ،
ولكنّي أكتب إلى أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان - وهي زوجة الوليد بن
عبد الملك - وعبد الملك أرقّ شيء عليها .
فكتب إليها يسألها التشفع إلى عمّها عبد الملك .
فلما وصلها الكتاب ، دخلت على عمّها ، فسألها : هل من حاجة ؟
قالت : نعم ، لي حاجة .
فقال : قد قضيت كلّ حاجة لك ، إلّا ابن قيس الرقيّات .
فقالت : لا تستنّين عليّ .
ففتح بيده ، فأصاب حرّ وجهها^٩ ، فوضعت يدها على خدّها .
فقال لها : أرفعي يدك ، فقد قضيت كلّ حاجة لك وإن كانت ابن قيس
الرقيّات .
فقالت : حاجتي أن تؤمّنه ، فقد كتب إليّ يسألني أن أسألك ذلك .
قال : هو آمن ، فريه يحضر المجلس العشيّة .
فحضر ، وحضر الناس - حين بلغهم - مجلس عبد الملك .
قال : فأخّر الإذن لابن قيس ، وأذن للناس ، فدخلوا ، وأخذوا مجالسهم ،
ثم أذن له .
فلما دخل عليه ، قال عبد الملك : يا أهل الشام أتعرفون من هذا ؟
قالوا : لا .

٨ في الأغاني ٥/٧٧ : ياريار ابن طيار .

٩ حرّ الوجه : ما بدا من الوجنة .

قال : هذا ابن قيس الرقيات ، الذي يقول :

كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام^{١٠} العقيلة العذراء

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إسقنا دم هذا المنافق .

قال : الآن ، وقد أمنت ، وصار في منزلي وعلى بساطي ؟ قد أخرت الإذن له
لقتلوه ، فلم تفعلوا .

فاستأذنه ابن قيس ، أن ينشده مديحه ، فأذن له ، فأنشده قصيدته التي
يقول فيها :

عَادَ له من كثرة الطربُ فعينه بالدموع تنسكب
[كوفية نازح محلتهـا لا أم دارها ولا صعب]^{١١}
والله ما إن صبت إليّ ولا يعرف بيني وبينها نسب
إلا الذي أورث كثيرة في القلـب وللحب سورة عجب

حتى قال فيها :

إنّ الأغرّ الذي أبوه أبو الـ عاص عليه الوقار والحجب
يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

فقال له عبد الملك : يا ابن قيس ، تمدحني بالتاج ، كأنّي من العجم ،
وتقول في مصعب ابن الزبير :

إنما مصعبُ شهابٌ من اللـ ه تجلّت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك راقفٍ ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

١٠ الخدام ، مفردة خدّمة (بالتحريك) : الخللخال .

١١ الزيادة من الأغاني ٧٩/٥ .

أَمَّا الأمان فقد سبق لك ، ولكن - والله - لا تأخذ مع المسلمين عطاءً أبداً^{١٢} .
وأخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه :
أنّ عبيد الله بن قيس الرقيّات ، منعه عبد الملك بن مروان عطاءه من بيت
المال ، وطلبه ليقتله ، فاستجار بعبد الله بن جعفر ، وقصده ، فالتقاه نائماً .
وكان ابن قيس صديقاً لسائب خاثر^{١٣} ، فطلب الإذن على ابن جعفر ،
فتعذّر ، فجاء بسائب خاثر ليستأذنه له .

قال سائب خاثر : فجئت من قبل رجلي عبد الله بن جعفر ، ونبحت نباح
الجرو الصغير ، فانتبه ولم يفتح عينيه ، ورفسني برجله .
قال : فدرت إلى عند رأسه ، ونبحت نباح الكلب الهرم ، فانتبه وفتح
عينيه .

فقال : مالك ، ويليّك ؟

فقلت : عبيد الله بن قيس الرقيّات بالباب .

فقال : ائذن له ، فأذنت له ، ودخل ، فرحّب به عبد الله وقرّبه ، فعرفه
ابن قيس خبره .

فدعا بظبية^{١٤} فيها دنانير ، وقال لي : عدّ له ما فيها .

فجعلت أعدّ له ، وأطربّ ، وأحسنّ صوتي بجهدي ، حتى عددت له
ثلثمائة دينار ، وسكتُ .

فقال عبد الله : لماذا سكتَ ، ويليّك ؟ ما هذا وقت قطع الصوت الحسن .

١٢ لم ترد هذه القصّة في م ، ولا في ر ، ولا في غ ، وقد أثبتناها من ه ، وقد وردت في الأغاني ٧٦/٥ - ٧٩ .

١٣ أبو جعفر سائب بن يسار ، المعروف بسائب خاثر : أحد أئمة الغناء والتلحين عند العرب ، نشأ بالمدينة ،
واحترف التجارة ، فأثرى ، وهو أوّل من عمل العود بالمدينة ، وغنّى به ، وهو أستاذ معبد المشهور ،
قتله جيش يزيد بن معاوية في وقعة الحرّة ، لما استباح يزيد مدينة الرسول صلوات الله عليه في السنة ٦٣
(الأعلام ١١١/٣) .

١٤ الظبية : جراب من جلد الظبي عليه شعره .

فجعلت أعداء ما في الطيبة ، وفيها ثمانمائة دينار ، فدفعها إليه .
فلما قبضها التفت إلى ابن جعفر ، وقال له : تسأل أمير المؤمنين في أمري ؟
قال : نعم ، إذا دخلت عليه ، ثم إنّه دعا له بطعام ، فأكل أكلاً فاحشاً ،
وركب ابن جعفر ، فدخل معه إلى عبد الملك ، فلما قدّم الطعام جعل يسيء
الأكل .

فقال عبد الملك ، لابن جعفر : من هذا ؟
قال هذا رجل لا يجوز أن يكون كاذباً إن استبقي ، وإن قتل كان أكذب
الناس .

قال : كيف ؟ قال : لأنّه يقول :
ما نقموا سن بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا
فإن قتلته بغضبك عليه أكذبكم فيما مدحكم به .
قال : فهو آمن ، ولكن لا أعطيه عطاء من بيت المال .
قال : أحب أن تهب لي عطاءه ، كما وهبت لي دمه .
قال : قد فعلت ، وأمر له بذلك^{١٥} .

١٥ لم ترد القصة في م ولا في ر ولا في غ ، وقد أثبتناها من هـ ، وقد أوردتها صاحب الأغاني ٨١/٥-٨٢ ،
أقول : في هذه القضية نظر ، فإن سائب خاثر قتل في السنة ٦٣ في وقعة الحرّة ، في أيام يزيد بن
معاوية ، أي قبل تولية عبد الملك بن مروان في السنة ٦٥ .

هشام بن عبد الملك وحمّاد الراوية

عن حمّاد الراوية^١ ، قال :

كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك^٢ ، جعل هشام^٣ يحفوني دون سائر أهله من بني أميّة ، في أيام يزيد .

فلما مات يزيد ، وأفضت الخلافة إلى هشام خفته ، ومكثت في بيتي سنة ، لا أخرج إلّا إلى من أثق به من إخواني سرّاً .

فلما لم أسمع أحداً يذكرني ، أمنتُ ، فخرجت فصليت الجمعة عند باب الفيل^٤ ، فإذا بشرطيين قد وقفا عليّ .

وقالا : يا حمّاد أجب الأمير يوسف بن عمر^٥ .

فقلتُ في نفسي : من هذا كنتُ أحذر ، ثم قلت للشرطيين : هل لكما أن تدعاني آتي بيتي ، فأودّع أهلي ، وداع من لا يرجع إليهم أبداً ، ثم أصير معكما ؟

فقالا : ما إلى ذلك سبيل .

فاستسلمت في أيديهما ، وصرت إلى الأمير وهو في الإيوان الأحمر ، فسلمت عليه ، فرد عليّ السلام ، ورمى إليّ كتاباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ،

١ أبو القاسم حمّاد بن سabor بن المبارك ، المعروف بحمّاد الراوية : ترجمته في حاشية القصة ١٧٥ من الكتاب .

٢ أبو خالد يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم : ترجمته في حاشية القصة ١٠٥ من الكتاب .

٣ هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم : ترجمته في حاشية القصة ١٢٦ من الكتاب .

٤ في وفيات الأعيان ٢٠٧/٢ : صليت الجمعة في جامع الرصافة .

٥ أبو يعقوب يوسف بن عمر بن محمّد بن الحكم الثقي : ترجمته في حاشية القصة ٢٤٠ من الكتاب .

من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر ، أمّا بعد ، فإذا قرأت كتابي هذا ، فابعث إلى حمّاد الراوية من يأتيك به من غير أن يروّع ولا يتعصّب^٦ ، وأدفع إليه خمسمائة دينار ، وجملًا مهريًا^٧ ، يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق ، فأخذت الخمسمائة دينار ، وإذا جملٌ مرحول^٨ ، فجعلت رجلي في الغرز^٩ ، وسرت اثنتي عشرة ليلة ، حتى دانيت دمشق .

ونزلت على باب هشام ، واستأذنت عليه ، فأذن لي ، فدخلت عليه في دار قوراء ، مفروشة بالرخام ، وبين كلّ رخامتين قضيب ذهب ، وحيطانه كذلك ، وهشام جالس على طنفسة حمراء ، وعليه ثياب خزّ حمر ، وقد تضمّخ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب ، يقلّبه بيده ، فتفوح رائحته .

فسلّمت عليه ، فردّ عليّ ، واستدناني ، فدنوت منه ، حتى قبلت رجله . وإذا جاريتان لم أر مثلهما ، في أذن كلّ واحدة منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتوقدان .

قال : أتدري فيم بعثت إليك ؟

قلت : لا .

قال : بعثت إليك بسبب بيت خطر في بالي ، لم أدر من قائله .

قلت : وما هو ؟

قال :

ودعوا بالصبح يوماً فجاءت قينةٌ في يمينها إبريق

٦ التمتع : القلقلة ، أي التحريك بغنف .

٧ الإبل المهرية : المنسوبة إلى مهرة بن عيدان من عرب اليمن ، لا يعدلها شيء في سرعتها .

٨ الجمل المرحول ، والمرحّل : الذي شدّ عليه الرحل ، وهو ما يجعل على ظهره كالسرج .

٩ الغرز : ركاب الرحل ويكون من الجلد .

فقلت : هذا يقوله عدّي بن زيد العبادي^{١٠} ، في قصيدة له .
قال : أنشدنيها ، فأنشدته :

بكر العاذلون في وضح الصب ح يقولون لي أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد آل له والقلب عندكم موثوق
لست أدري إذ أكثروا العذل فيها أعدو يلومني أم صديق
ودعوا بالصباح يوماً فجاءت قينة في يمينها إبريق
قدّمته على عقار كعين الـ مديك صفى خلالها الراووق^{١١}

قال : فطرب ، ثم قال : أحسنت يا حمّاد ، والله ، يا جارية : اسقيه ،
فسقتني شربة ذهب بثلاث عقلي .
وقال : أعد .

فأعدته ، فاستخفه الطرب حتى نزل عن فراشه ، ثم قال للجارية الأخرى :
اسقيه ، فسقتني شربة ذهب بثلاث عقلي .
فقلت : إن سقيت الثالثة افترضحت .
ثم قال : سل حوائجك .
قلت : كائنة ما كانت ؟

١٠ عدّي بن زيد بن حمّاد بن زيد العبادي التميمي : شاعر من أهل الحيرة ، أول كاتب بالعربية في
ديوان كسرى ، اتخذ كسرى أنوشروان ترجماناً بينه وبين العرب ، وأقام بالمداين ، ولما مات أنوشروان ،
وخلفه ابنه هرمز ، رفع منزلته ، وبعثه رسولاً إلى قيصر ، ثم تزوّج هند بنت النعمان ، سجنه النعمان
بالحيرة ، وقتله في سجنه سنة ٣٥ ق.هـ . (الأعلام ٩/٥ و ١٠) .
١١ في وفيات الأعيان ٢٠٩/٢ أضيفت أبيات ثلاثة وهي :

مزة قبل مزجها فإذا ما مَرَجَتْ لَدَى طَعْمِهَا مِنْ يَذُوقِ
وظفا فوقها فقايع كالبا قَوْتُ حَمْرٍ يَزِينُهَا التَّصْفِيقُ
ثم كان المزاج ماء سحاب لَأَصْرِي آجِنٌ وَلَا مَطْرُوقِ

قال : نعم .

قلت : إحدى الجاريتين .

قال : هما لك بما عليهما وما لهما .

ثم قال للأولى : اسقيه ، فسقتني شربة سقطت منها ولم أعقل حتى أصبحت ^{١٢} ،

فإذا بالجاريتين عند رأسي ، وإذا عشرة من الخدم مع كل واحد منهم بدرة .

وقال لي أحدهم : إنّ أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : خذ

هذا فانتفع به في سفرك .

فأخذتها ، والجاريتين ، وانصرفت ^{١٣} .

١٢ كان هشام بن عبد الملك لا يشرب ، ولا يستقي أحداً بحضرته مسكراً ، وكان ينكر ذلك ، ويعاقب عليه

(الأعاني ٧٧/٦) ، وجيء إلى هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط ، فقال هشام : اكسروا الطنبور على

رأسه ، فبكى الشيخ لما ضرب ، فقالوا له : عليك بالصبر ، فقال : أتراني أبكي للضرب ؟ ، إنما

أبكي لاحتقاره الربط ، إذ سمّاه طنبوراً (العقد الفريد ٢٦٢/٥) .

١٣ لم ترد هذه القصة في م ، ولا في ر ، ولا في غ ، وأثبتناها من ه ، وقد أورد القاضي ابن خلكان هذه

القصة في وفيات الأعيان ٢٠٧/٢-٢٠٩ وفيها زيادات ، ثم أثبت عليها ملاحظات ، أولها : أنّ هشام

لم يكن يشرب ، وثانيها : أنّ والي العراق في أيام هشام لم يكن يوسف بن عمر ، وإنما كان خالد بن

عبد الله القسري .

أكل على مائدته فأمضى له الأمان

عن عبد الله بن عمران أبي فروة ، قال : كان عبد الله بن الحجاج الثعلبي^١ من أشرف قيس ، وكان مع ابن الزبير ، فلما قتل ، دخل عبد الله بصفة أعرابي على عبد الملك بن مروان ليلاً وهو يتعشى مع الناس^٢ ، فجلس وأكل معهم ، ثم وثب فقال :

منع القرار^٣ فجئتُ نحوك هارباً جيشٌ يحرقُ ومقنبٌ يتلَمَّعُ
فقال : أيّ الأخايث أنت ؟ ، فقال :

إرحم أصيبية - هديت - كآتهم حجلٌ تدرجُ بالسرية جوع
فقال : أجاج الله بطونهم ، فأنت أجعتهم ، فقال :

١ عبد الله بن الحجاج : شاعر ، من أشرف قيس ، كان يحارب مع ابن الزبير بسيفه ، ويقارع عنه بلسانه ، ومن جملة ما قال يخاطب عبد الملك بن مروان [أنساب الأشراف ١٩٨/٥] :

أتطلب شأو ابن الزبير ولم تكن	لتدركه ما حجَّ لله راكب
تكلفتُ أمراً لم تكن لتنالنه	طوال الليالي أو تنال الكواكب
فهلاً بني مروان لستم بزيادة	إذا ما التقت يوم اللقاء الكائب
إذا التقت الأبطال كنتم ثعالباً	وأسد الشرى في السلم عند الكواعب

٢ راجع بحث المائدة في حاشية القصة ١٢٥/٣ من كتاب نشوار المحاضرة للتونحي ، وراجع كتاب المائدة في الإسلام ، تأليف محقق هذا الكتاب .

٣ القرار : الهدوء ، والسكون ، والاطمئنان ، قال النابغة :

نبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زار من الأسد

مالٌ لهم مما يضمنُ جمعته يوم القليب فحيزَ عنهم أجمع
فقال : كسب سوء خبيث ، فقال :

ولقد وطئتُ بني سعيد وطأة وابن الزبير فعرشه متضعع
وأرى الذين رجوا تراث محمد أفلتَ نجومهم ونجمك يسطع
فقال : الحمد لله على ذلك ، فقال :

أدنو لترحمني وتقبل تويتي وأراك تدفعني فأين المدفع ؟
فقال : إلى النار ، فقال :

ضاعت ثياب الملبسين فأولني عرفاً وألبسني فتوبك أوسع
قال : فرمى إليه بمطرف خزرٍ كان عليه .
فقال عبد الله : أمنتُ والله .

فقال له عبد الملك : كن من شئت إلا عبد الله بن الحجاج .
فقال : أنا - والله - هو ، وقد أمنتني ، أكلت طعامك ، وليست ثيابك ،
فأي خوف عليّ .
فقال : ما هداك إلا جدك ، وأمضى له الأمان^٤ .

٤ لم ترد هذه القصة في ر ، ولا في م ، ولا في غ ، وقد أثبتناها من ه .

الفضل بن الربيع

يتحدث عمّا لاقى أيام استتاره من المأمون

[حدثني علي بن هشام أبي قيراط الكاتب ، بواسط ، في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، من لفظه ، قال : حدثني أبو علي بن مقلة ، قبل وزارته الأولى ، قال : حدثني أبو عيسى محمد بن سعيد الديناري ، عن أبي أيوب سليمان بن وهب^١ عن أبي طالوت كاتب ابن طاهر^٢ ، قال : سمعت الفضل بن الربيع ، يقول : لما استترت من المأمون ، أخفيت نفسي حتى عن عيالي وولدي ، وكنت أنتقل وحدي .

فلما اقترب المأمون من بغداد ، ازداد حذري ، وخوفي على نفسي ، فتشددت في الاحتياط والتواري ، وأفضيت إلى منزل برّاز كنت أعرفه في درب بباب الطاق^٣ ، وشدد المأمون في طلبي [٢٥٢ ر] فلم يعرف لي خبراً .

فتذكرني يوماً ، فاغتاظ على إسحاق بن إبراهيم ، وجدّ به في طلبي ، فأغلظ له^٤ ، فخرج إسحاق من حضرته ، وجدّ بأصحاب الشرط ، وأوقع ببعضهم المكارة ، ونادى في الجانبين^٥ ، من جاء به فله عشرة آلاف درهم وإقطاع غلّته

١ الزيادة من غ ، وفي ن : في سنة اثنتين وثلاثين ، وهو خطأ من الناسخ .

٢ في ر : حدثني هشام ، وفي ن : كاتب آل طاهر .

٣ باب الطاق : هي اليوم محلة الصرافية ، وكان يربطها بالجانب الغربي جسر حلّ محله اليوم جسر الصرافية الحديد .

٤ ساقطة من غ .

٥ في غ : ونادى في البلد ، وقوله : في الجانبين ، كناية عن جميع البلد ، والبغداديون اليوم يسمون الجانب : الصوب ، وهي فصيحة ، بمعنى الجهة ، فيقولون : نادى في الصوبين ، بدل : الجانبين ، =

ثلاثة آلاف دينار في السنة ، وإنّ من وجد عنده بعد النداء ضربَ خمسمائة سوط
وهدمت داره وأخذ ماله وحبس طول الدهر ، فنودي بذلك عشياً .

فما شعرتُ ، إلّا وصاحب الدار قد دخل عليّ وأخبرني الخبر ، وقال :
والله ، ما أقدر بعد هذا على سترك ، ولا آمن من زوجتي ، وجاريّتي ، وغلامي ،
وأن تشره نفوسهم إلى المال ، فيدلّون عليك ، وأهلك بهلاكك ، وإن صفح الخليفة
عنك ، لم آمن من أن تتّهمني بأنّي دللت عليك ، فيكون ذلك أقبح وأشنع ،
وليس الرأي لي ولك إلّا أن تخرج عني .

فورد عليّ ذلك أعظم مورد ، وقلت : إذا جاء الليل خرجت عنك .

قال : ومن يطيق الصبر على هذا الضرر إلى الليل ، فإنّك إن وجدت عندي
قبل الليل أهلكني وأهلكت نفسك ، وهذا وقت حارّ ، وقد طال عهد الناس
بك ، فقم وتنكّر [٢٦٩ غ] واخرج .

فقلت : كيف أنتنكر ؟

فقال : تأخذ أكثر لحيتك ، وتغطّي رأسك وبعض وجهك ، وتلبس قميصاً
ضيّقاً ، وتخرج .

فقلت : أفعل .

فجاء بمقراض فأخذت أكثر لحيتي ، وتنكّرت ، وخرجت من عنده في
أولّ أوقات العصر ، وأنا ميّت خوفاً .

فشيئت في الشارع ، حتى بلغت الجسر ، فوجدته قد رشّ ، وهو خالٍ من
الناس ، مترلق .

ويسمّون جانب الكرخ : الصوب الصغير ، لأنّه أصغر من جانب الرصافة الذي يسمّونه : الصوب
الكبير ، وأهل الرصافة ، إذا ذكروا الكرخ ، قالوا : ذاك الصوب ، أي ذلك الجانب ، وكذلك أهل
الكرخ ، فإنّهم يسمّون جانب الرصافة : ذاك الصوب .

فلما توسّطته ، إذا أنا بفارس من الجند الذين كانوا في داري في أيام وزارتي^٦ ،
 قد قرب منّي ، فعرفني ، وقال : طلبة أمير المؤمنين ، وعدل إليّ ليقبض عليّ .
 فلحلاوة النفس دفعته ودابته ، فزلق ، ووقع في بعض السفن التي في الجسر ،
 وتعادى الناس لخلاصه ، وظنّوا أنّه زلق بنفسه .
 وتشاغل عنيّ بهم ، وزدت أنا في المشي ، ولم أعُدْ لئلاّ ينكر حالي من يراني ،
 إلى أن عبرت الجسر ودخلت درب سليمان^٧ .
 فوجدت امرأة على باب دار مفتوح ، فقلت لها : يا امرأة ، أنا خائف من
 القتل ، فأجبريني واحقني دمي .
 فقالت : أدخل ، وأومأت إلى غرفة ، فصعدتها .
 فلما كان بعد ساعة ، إذا بالباب يدقّ ، ففتحتّه ، وإذا زوجها قد دخل ،
 فتأمّلته ، فإذا هو صاحبي على الجسر ، وهو مشدود الرأس يتأوّه من شجّة
 [٧٥ ن] لحقته ، وثيابه مغموسة بالدم .
 وسألته المرأة عن خبره ، فأخبرها بالقصة ، وقال لها : قد زمنت دابّتي وأنفذتها
 لتباع في سوق اللحم ، وقد فاتني الغنى ، وجعل يشتمني ، وهو لا يعلم بوجودي
 معه في الدار ، وأقبلت المرأة تترفّق به إلى أن هدأ .
 فلما صليت المغرب ، وأقبل الظلام ، صعدت المرأة إليّ ، وقالت : أظنّك
 صاحب القصة مع هذا الرجل .
 فقلت : نعم .

٦ وُزِّرَ الفضل بن الربيع للرشد على أثر قتل الوزير جعفر البرمكي في السنة ١٨٧ واستمرّ وزيراً بقية عهد
 الرشيد ، ولما استخلف الأمين أقرّه على وزارته ، ولما اتّضح ظفر المأمون استتر الفضل في السنة ١٩٦
 (الأعلام ٣٥٣/٥) .

٧ درب سليمان : ينسب إلى سليمان بن أبي جعفر المنصور ، وكان امتداداً للجسر ، أي أنّ الذي يعبر
 جسر باب الطاق ، ينصب رأساً إلى درب سليمان ، راجع معجم البلدان ٥٦٣/٢ .

فَقَالَتْ : قَدْ سَمِعْتُ مَا عِنْدَهُ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ وَاخْرُجْ ، فَدَعَوْتُهَا .
فَنَزَلَتْ ، فَفَتَحَتِ الْبَابَ فَتَحاً رَفِيقاً ، وَقَالَتْ : اخْرُجْ ، وَكَانَتِ الدَّرَجَةُ
فِي الدَّهْلِيزِ ، فَأَفْضَيْتِ إِلَى الْبَابِ ، فَلَمَّا انْتَهَيْتِ إِلَى آخِرِ الدَّرَبِ وَجَدْتُ الْحَرَّاسَ
قَدْ أَغْلَقُوهُ ، فَتَحَبَّرْتُ .

ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا يَفْتَحُ بَاباً بِمِفْتَاحِ رُومِيٍّ ، فَقُلْتُ : هَذَا رُومِيٌّ ، وَهُوَ مِمَّنْ يَقْبَلُ
مِثْلِي .

فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ : أَسْتَرْنِي ، سَتَرَكَ اللَّهُ .

فَقَالَ : ادْخُلِي ، فَدَخَلْتُ ، فَرَأَيْتُهُ رَجُلًا فَقِيراً وَحِيداً ، فَأَقَمْتُ لَيْلَتِي عِنْدَهُ ،
وَبَكَّرْتُ مِنْ غَدٍ ، وَعَادَ نِصْفُ النَّهَارِ وَمَعَهُ حِمَالَانِ يَحْمِلُ أَحَدُهُمَا حَصِيراً وَمَخْدَةً ،
وَجَرَاراً ، وَكِيزَاناً ، وَغَضَائِرَ جَدْدَاءَ ، وَقَدِيراً جَدِيداً ، وَيَحْمِلُ الْآخَرَ خَبِزاً وَفَاكْهَةً ،
وَلَحْماً ، وَثَلْجاً ، فَدَخَلْتُ ، وَتَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ عِنْدِي ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ .

فَنَزَلْتُ ، وَعَذَلْتُهُ^٨ ، وَقُلْتُ لَهُ : لِمَ كَلَّفْتَ نَفْسَكَ هَذَا ؟

فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مَزِينٌ^٩ ، وَأَخَافُ أَنْ تَسْتَفْذِرْنِي ، وَقَدْ أَفْرَدْتُ لَكَ هَذَا ،
فَاطْبِخِي أَنْتِ وَأَطْعِمِي [٢٥٣ ر] فِي غَضَارَةِ أَجِيءَ بِهَا مِنْ عِنْدِي ، فَشَكَرْتُهُ عَلَى
ذَلِكَ ، وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ .

فَلَمَّا كَانَ آخِرُ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ ، ضَاقَ صَدْرِي ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَخِي الضِّيَافَةُ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَقَدْ أَحْسَنْتَ وَأَجَمَلْتَ ، وَأُرِيدُ الْخُرُوجَ .

فَقَالَ : لَا تَفْعَلِي ، فَإِنِّي وَحِيدٌ ، وَلَسْتُ مِمَّنْ يَطْرُقُ ، وَخَبْرُكَ لَا يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِي
أَبَداً ، فَأَقِمِّي إِلَى أَنْ يَفْرَجَ اللَّهُ عَنْكَ [٢٧٠ غ] ، فَلَسْتُ أَتَنَاقَلُ بِكَ .

فَأَيَّيْتُ لِلْحَيِّينِ^{١٠} ، وَخَرَجْتُ عَلَى وَجْهِهِ أُرِيدُ مِثْرَلَ عَجُوزٍ [بِبَابِ التَّبَنِ] ^{١١} مِنْ

٨ العذل : اللوم .

٩ المزيّن : الحلاق .

١٠ الحيّين ، بفتح الحاء : المهلك أو المحنة .

موالينا ، فدققت الباب عليها ، فخرجت ، فلمّا رأني بكت ، وحمدت الله على رؤيتي ، وأدخلني الدار .

فلمّا كان في السحر ، وأنا نائم ، بكرت العجوز فغمزت عليّ بعض أصحاب إسحاق بن إبراهيم ، فما شعرت إلّا بإسحاق نفسه ، في خيله ورجله ، قد أحاط بالدار ، ثم كبسها واستخرجني منها ، حتى أوقفني بين يدي المأمون حافياً حاسراً .

فلمّا رأيي سجد طويلاً ثم رفع رأسه ، وقال : يا فضل ، أتدعي لمّ سجدت ؟ فقلت : نعم ، شكراً لله تعالى الذي أظفرك بعدوّ دولتك ، المغربي بينك وبين أخيك .

قال : ما أردت هذا ، ولكّني سجدت شكراً لله على ما ألهمنيه من العفو عنك ، فحدّثني بخبرك ؟ فشرحته له من أوّله إلى آخره .

فأمر بإحضار العجوز مولاتنا ، وكانت في الدار تنتظر الجائزة ، فقال لها : ما حملك على ما فعلت ، مع إنعامه وإنعام أهله عليك ؟ قالت : رغبة في المال .

قال : هل لك زوج أو ولد أو أخ ؟

قالت : لا ، فأمر بضربها مائة سوط ، وتخليدها في السجن .

ثم قال لإسحاق : أحضر الساعة الجندي ، وامراته ، والمزيّن ، فحضروا في مجلس واحد ، فاستثبتي فيهم ، فعرفته أنّهم القوم بأعيانهم .

فسأل الجندي عن السبب الذي حمّله على فعله ، فقال : الرغبة في المال ،

١١ ساقطة من غ ، ومحلّة باب التبن ، محلّة كبيرة كانت ببغداد ملاصقة لمقابر قریش التي فيها قبر الإمام موسى الكاظم عليه السلام (معجم البلدان ١/٤٤٣) أقول : هذا يعني أنّ محلّة باب التبن ، هي الآن جزء من مدينة الكاظمية .

ووالله ، إنّه الذي أثبتني في الجيش ، ولكنّي رغبت في المال العاجل .
فقال : أنت بأن تكون حجّاماً أولى بأن تكون من أوليائنا ، وأمر بأن يسلم
للمزيّنين في الدار ، ويوكّل به من يعسفه حتى يتعلّم الحجامة .
وأمر باستخدام زوجته قهرمانه في دور حرمه ، وقال : هذه المرأة عاقلة أديبة .
وأمر بتسليم دار الجندي وقماشه إلى المزيّن ، وأن يجعل رزقه له ، ويجعل جندياً
مكان ذلك الجندي ، وأطلقني إلى داري .
فرجعت إليها آخر النهار ، آمناً ، مطمئناً^{١٢} .

ووجدت الخبر بخلاف هذا في كتاب الوزراء لابن عبدوس ، فإنّه ذكر :
أنّ الفضل ابن الربيع استتر ، فطال استتاره ، واستعجمت عليه الأخبار ،
فغيّر زيّه ، وخرج في السحر ، وكان استتر بناحية الحربيّة من الجانب الغربي^{١٣} .
فشى وهو لا يدري أين يقصد ، لحيرته ، وبعد عهده بالطرق ، فأذاه
المشي إلى الجسر ، وقد أسفر الصبح ، فأيقن بالعطب ، وقصد منزلاً لرجل كانت
بينه وبينه مودّة ، بسويقة نصر^{١٤} .

فلما صار ببعض الشارع ، سمع النداء عليه ، ببذل عشرة آلاف درهم ،
فتخفّى حتى جاوزه الركبان والمنادي ، ومشى .
فراه رجل ، فانتبه له ، وقال : يا فضل ، وكان في أحد جانبي الطريق
الذي الفضل فيه ، فأّمّه إلى الجانب الذي كان فيه ، ليقبض عليه ، فاعترضته

١٢ هذه القصّة لم ترد في م .

١٣ الحربيّة : محلّة كبيرة مشهورة ببغداد قرب مقبرة ابن حنبل منسوبة إلى حرب بن عبد الله البلخي
الراوندي ، أحد قواد المنصور (معجم البلدان ٢/٢٣٤) أقول : حسب هذا الوصف ، تكون محلّة الحربيّة
داخله الآن في مدينة الكاظميّة ، في جنوبها الغربي .

١٤ سويقة نصر : محلّة بالجانب الشرقي من بغداد أقطعها المهدي نصر ابن مالك الخزاعي (معجم البلدان
٢٠١/٣) .

حمير وجمال عليها جصّ.

ونظر الفضل يمناً وشمالاً ، فلم يجد مذهباً ، وبصر بدرب ، فدخله ، فوجده لا ينفذ ، ووجد في صدره باباً مفتوحاً ، فهجم على المنزل ، وفيه امرأة ، فاستغاث بها ، فأجارته ، وبادرت إلى الباب فأغلقتة ، وناشدها الله أن تستره إلى الليل ، فأمرته بالصعود إلى غرفة لها ، فلم يستقرّ به القعود حتى دقّ الباب ، فلما فتح الباب ، دخل الرجل الذي رآه ، وعزم على القبض عليه ، وإذا المنزل له . فقال لزوجته : فاتني الساعة عشرة آلاف درهم .

قالت له : وكيف ذلك ؟

قال لها : مرّ بي الفضل ، فددت يدي لأقبض عليه ، فابتلعتة الأرض . فقالت له امرأته : الحمد لله - عزّ وجلّ - الذي كفّك أمره وأبقى دينك عليك ، ولم تكن سبباً لسفك دمه ، أو مكروه يلحقه .

فلما خرج ، صعدت إليه ، فقالت : قد سمعت ، وما هذا المكان لك بموضع ، فخرج إلى بعض منازل معامليه ، فلما صار إليه ، نبّه العامل عليه ، وأسلمه إلى طالبيه ، فحمل إلى المأمون ، فلما رآه ، وسأله عن خبره ، شرح له قصّته ، فأمر للمرأة بثلاثين ألف درهم وقال للرسول : قل لها ، يقول لك الفضل : هذا جزاء لك على ما فعلته من الجميل ، فردّها ، وأبت قبوطها ، وقالت : لست آخذ على شيء فعلته لله عزّ وجلّ ، جزاءً ، إلّا منه^{١٥} .

١٥ الجزء الأخير من هذه القصّة ، المنقول عن الجهشيارى ، لم يرد في م ، ولا في ر ، ولا في غ ، وأثبتناه

وما قتل الأحرار كالغفو عنهم

حدّثنا أبو الحسن محمّد بن عمر بن شجاع ، المتكلّم البغدادي ، الملقّب بجنيد ، قال : حدّثنا الفضل بن ماهان السيرافي ، وكان مشهوراً بسلوك أقاصي بلاد البحر ، قال ؛ قال لي رجل من بعض بياسة الهند ، والبيسر هو المولود على ملّة الإسلام هناك ، قال :

كان في أحد بلاد الهند ملكٌ حسنُ السيرة ، وكان لا يأخذ ولا يعطي مواجهة ، وإنّما كان يقلب يده إلى وراء ظهره . فيأخذ ويعطي بها ، إعظاماً للملك ، وهي سنة لهم هناك ولأولادهم .

وإنّه توفي ، فوثب رجل من غير أهل المملكة ، فاحتوى على ملكه [٧٦ ن] ، وهرب ابن له كان يصلح للملك خوفاً على نفسه من المتغلب .

ورسوم ملوك الهند ، أنّ الملك إذا قام عن مجلسه ، لأيّ حاجة عرضت له ، كانت عليه صدره^١ ، قد جمع فيها كلّ نفيس وفاخر من اليواقيت والجواهر ، مضروب في الإبريسم في الصدره ، ويكون فيها من الجواهر ما إن [٢٧١ غ] لو أراد أن يقيم بها ملكاً أقامه .

قال : ويقولون : ليس بملك من إذا قام عن مجلسه وليست معه ، حتى إذا حدثت عليه حادثة وهرب بها أمكنه إقامة ملك منها .

فلما حدثت على الملك تلك الحادثة ، أخذ ابنه صدرته وهرب بها . فحكى عن نفسه : أنّه مشى ثلاثة أيّام ، قال : ولم أطعم طعاماً ، ولم تكن معي فضّة ولا ذهب ، فأبتاع به مأكولاً ، ولم أقدر على إظهار ما معي ، وأنفت أن أستطعم .

١ الصدره : ثوب يغشى الصدر.

قال : فجلست على قارعة الطريق ، فإذا رجل هندي ، مقبل وعلى كتفه كارة ، فحطّها وجلس حذائي .

فقلت : أين تريد ؟

قال : الرستاق^٢ الفلاني .

قلت : وأنا الآخر كذلك .

قال ؛ فنصطحب ؟

قلت : نعم .

فصحبته طمعاً في أن يعرض عليّ شيئاً من مأكوله ، فلم يفعل ، ولم تطب نفسي أن أبدأه بالسؤال .

فلما فرغ قام يمشي ، فشيت معه ، وبتّ معه ، طمعاً في أن تحمله المؤانسة على العرض عليّ ، فعمل بالليل كما عمل بالنهار . [٢٥٤ ر]

قال : وأصبحنا في غد ، فمشينا ، فعاملني بمثل ذلك أربعة أيّام ، فصار لي سبعة أيّام لم أذق فيها شيئاً .

فأصبحت في الثامن ضعيفاً مهووساً^٣ لا قدرة لي على المشي ، فعدلت عن الطريق ، وفارقت الرجل ، فرأيت قوماً يبنون ، وقيماً عليهم ، فقلت للقيّم : استعملني مثل هؤلاء بأجرة تعطينيها عشيّاً .

فقال : نعم ، ناولهم الطين .

فقلت : عجلّ لي أجرة يوم ، ففعل ، فابتعت بها ما أكلته .

وقمت أناولهم الطين ، فكنت - لعادة الملك - أقلب يدي إلى ظهري وأعطيتهم الطين ، فكما أذكر أن ذلك خطأ يتّبه عليّ ويسفك دمي ، أبادر بتلافي ذلك ،

٢ الرستاق : ما يحيط بالبلدة من الريف والقرى .

٣ الهوس : طرف من الجنون وخفة العقل .

٤ كما أذكر : اصطلاح بغداد في أيّام التنوخي ، معناه : حالاً أذكر ، أما الآن فيستعمله أهل الموصل .

فأردّ يدي بسرعة من قبل أن يفتنوا بي .
قال : فلمحتني امرأة قائمة ، فأخبرت سيّلتها بخبري ، وكانت صاحبة
البناء ، وقالت : لا بدّ أن يكون هذا من أولاد الملوك .
قال : فلما انقضى النهار ، [وانصرف الصنّاع ، فأردت الانصراف معهم] ° .
تقدّمتُ إلى القهّمْ أن يحبسني عن المضيّ مع الصنّاع ، فاحتبسني .
فجاءتني بالدهن والعروق لأغتسل بهما ، وهذا مقدّمة إكرامهم ، وسنّة
لعظمائهم ، فتغنّست بذلك ، وجاءوني بالأرز والسمن والسكر ، فطعمت ،
وعرضت المرأة عليّ نفسها بالتزويج ، فأجبت ، وعقدت العقد ، ودخلت بها من
ليلتي ، وأقمت معها أربع سنين ، تعطيني من مالها ، وتنفق عليّ ، وكانت لها نعمة .
فأنا ذات يوم جالس على باب دارها ، وإذا برجل من بلدي ، فاستدعيته ،
فجاء ، فقلت له : من أين أنت ؟

فقال : من بلد كذا وكذا ، فذكر بلدي .
فقلت : ما جئت تصنع ها هنا ؟
قال : كان فينا ملك ، حسن السيرة ، فمات ، فوثب على ملكه رجل ليس
من أهل المملكة ، وكان للملك الأول ابن يصلح للملك ، فخاف على نفسه
فهرب ، وإنّ الملك المتغيّب أساء عشرة الرعيّة ، فوثبنا عليه فقتلناه ، وانتشرنا في
البلاد نطلب ابن الملك المتوفي ، لنجلسه مكان أبيه ، فما عرفنا له خبراً .
فقلت : أتعرفني ؟

قال : لا .
قلت : أنا طلبتكم .
قال : وأعطيته العلامات ، فعلم صحّة ما قلته له ، فكفّر لي ٦ .

٥ الزيادة من غ .

٦ التكفير : الخضوع بوضع اليد على الصدر وطأطأة الرأس والتطامن تعظيماً .

فقلت : أكنتم أمرنا إلى أن ندخل الناحية .

قال : أفعل .

فدخلت إلى المرأة فأعلمتها بالخبر ، وحدثتها [٢٧٢ غ] بأمرى كله ، وأعطيتها الصدرة .

وقلت : هذه قيمتها كذا وكذا ، ومن حالها كذا وكذا ، وأنا ماضٍ مع الرجل ، فإن كان ما ذكره صحيحاً ، فإن العلامة أن يبحثك رسولي فيذكر الصدرة ، فانهضي إليّ ، وإن كانت مكيدة كانت الصدرة لك .

قال : ومضى مع الرجل ، فكان الأمر صحيحاً ، فأنفذ إلى زوجته من حملها إليه ، فجاءت .

فحين اجتمع شمله ، واستقام أمره ، أمر البنّائين فبنوا له دار ضيافة عظيمة ، وأمر أن لا يجوز في عمله مجتاز إلا حمل إليها ، فيضاف فيها ثلاثة أيام ، ويزود لثلاثة أيام آخر ، فكان يفعل ذلك ، وهو يراعي الرجل الذي صحبه في سفره ، ويقدر أن يقع في يده .

فلما كان بعد حولٍ ، استعرض الناس ، وكان يستعرضهم في كل يوم^٧ ، فلا يرى الرجل ، فيصرفهم ، فلما كان في ذلك اليوم ، رأى الرجل بينهم . فحين وقعت عينه عليه ، أعطاه ورقة تنبول^٨ ، وهذه علامة غاية الإكرام ،

٧ في كتاب نشوار المحاضرة ، في القصّة المرقمة ٩٤/٨ (ج ٨ ص ٢١٥) : وكان يستعرضهم في كل شهر .

٨ التنبول : نبات هندي ، يمضغ ورقه كما يمضغ العلك ، من فصيلة الفلفلديات (المنجد) ، قال ابن بطوطة عن التنبول : إنّه شجر يفرس كما تفرس دوالي العنب ، ويصنع له معرّشات من القصب ، أو يفرس في مجاورة شجرة النارجيل ، فيصعد فيها ، ولا تمر له ، وإنما المقصود منه ورقه ، وأطيبه الأصفر ، وتجنّى أوراقه في كل يوم ، وأهل الهند يعظمون التنبول تعظيماً شديداً ، ويكرمون من يأتي لم به ، فإذا أعطى السلطان أحداً منه ، فهو أعظم من إعطاء الذهب والخلع ، وإذا أتى الرجل دار صاحبه ، وأعطاه خمس ورقات منه فكأنما أعطاه الدنيا ، وكيفية استعماله أن يؤخذ قبله الفوفل ، فيكسر ، وبعلكه الإنسان في فمه ، ثم يأخذ ورق التنبول فيجعل عليه شيئاً من التوراة ، ويمضغها مع الفوفل ،

ونهاية رتبة الإعظام ، إذا فعله الملك بإنسان من رعيته^٩ .
فحين فعل ذلك بالرجل ، كَفَّرَ له ، وقَبِلَ الأرض ، فأمر الملك بتغيير
حاله ، وإحسان ضيافته .
ثم استدعاه ، فقال له : أتعرفني ؟
فقال : كيف لا أعرف الملك ، وهو من عظم شأنه ، وعلو سلطانه ، بحيث
هو .

قال : لم أرد هذا ، أتعرفني قبل هذا الحال ؟
قال : لا .
فذكره الملك بالقصة ، ومنعه إياه من الطعام في السفر .
قال : فبهت الرجل .
فقال الملك : ردّوه إلى الدار ، وزيدوا في إكرامه ، وحضر الطعام فأطعم .
فلما أراد النوم ، قال الملك لزوجته : إذهبي إلى هذا الرجل فأغمزيه^{١٠} .
قال : فجاءت المرأة ، فلم تنزل تغمزه إلى أن نام ، فجاءت إلى الملك ،

وخاصته إنه يطيب النكهة ، ويذهب بروائح القم ، ويهضم الطعام (مهذب رحلة ابن بطوطة ٨٦/١
٢٠٥) ، وقال المسعودي في مروج الذهب ١٥٧/١ التنبول : ورق يثبت كأصغر ما يكون ورق الأترج ،
يمضغ هذا الورق بالنورة المبلولة مع الفوفل ، واستعمله يشدّ اللثة ، ويقوّي عمود الأسنان ، ويطيب
النكهة ، ويزيل الرطوبة المؤذية ، ويشهي الطعام ، ويعين على الباه ، ويحمّر الأسنان حتى تكون
كأحمر ما يكون من حبّ الرمان ، ويحدث في النفس طرباً وأريحية ، ويقوّي البدن ، ويثير من النكهة
روائح طيبة ، أقول : أبصرت في صباي ورق التنبول يباع في أسواق بغداد ، وكانت له سوق رائجة عند
الهنود الذين رافقوا الحملة البريطانية في العراق ، واستقروا فيه مدّة الاحتلال البريطاني ، وورقة التنبول
تشبه ورقة النارج ، وقد طلي أحد وجهيها بمادة هي إلى السواد أميل .
قال ابن بطوطة في رحلته ٧٠/٢ : إن سلطان الهند ، لما قدم عليه الأمير غياث الدين ابن الخليفة ،
أخذ التنبول بيده ، وأعطاه إياه ، وهذا أعظم ما أكرمه به ، فانه لا يفعله مع أحد .
١٠ الغمز : الكبس باليد .

وقالت : إنه قد نام .

قال : ليس هذا نوم ، حرّكوه ، فحرّكوه ، فإذا هو ميت .

قال : فقالت له [٢٥٥ ر] المرأة : أيّ شيء هذا ؟

قال : فساق لها حديثه معه ، وقال : وقع في يدي ، فتناهيت في إكرامه ،

والهند لهم أكباد عظيمة ، وأفهام طريفة ، فأدخلت عليه حسرة عظيمة إذ لم يحسن

إليّ ، فقتلته ، وقد كنت أتوقع موته قبل هذا بما توهمه واستشعره من العلة في

نفسه ، لفرط الحسرة ^{١١} .

١١ لم ترد القصّة في م ، ووردت في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتوخي برقم القصّة ٩٤/٨ .

البَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ

فَإِذَا نَالَتْهُ شِدَّةٌ فِي هَوَاهُ ، فَكَشَفَهَا اللَّهُ عَنْهُ وَمَلَكَهُ مِنْ يَهُوَاهُ

٤٦٧

رَأَى الْقَطْعَ خَيْرًا مِنْ فَضِيحَةِ عَاتِقٍ

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرِ الْبَسْطَامِيُّ ، غَلَامٌ [٢٨٧ غ] ابْنُ دَرِيدٍ وَصْهَرُهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ دَرِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَانَ الْعَلِيُّ^١ عَنْ أَبِي خَالِدٍ عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ ، قَالَ : كَانَ لَعَمْرُو بْنُ دَوِيرَةَ السَّحِيمِيِّ^٢ أَخٌ قَدْ كَلَفَ بَابَنَةَ عَمٍّ لَهُ كَلْفًا شَدِيدًا ، وَكَانَ أَبُوهَا يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَأْبَاهُ .

فَشَكَاهُ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ ، أَمِيرِ الْعِرَاقِ ، أَنَّهُ يَسِيءُ جَوَارَهُ ، فَحَبَسَهُ ، ثُمَّ سُئِلَ خَالِدٌ فِي أَمْرِ الْفَتَى ، فَأَطْلَقَهُ ، فَبَقِيَ الْفَتَى كَلْفًا بَابَنَةَ عَمِّهِ ، وَهُوَ نَاءٌ عَنْهَا مَدَّةٌ .

ثُمَّ زَادَ مَا فِي نَفْسِهِ ، فَحَمَلَهُ الْحَبَّ عَلَى أَنْ تَسْوَرَ الْجِدَارَ عَلَيْهَا ، وَحَصَلَ مَعَهَا .

١ كَذَا وَرَدَ الْإِسْنَادُ فِي مَوْغٍ ، أَمَّا فِي رَفْقٍ وَرَدَ الْإِسْنَادُ مُخْتَصَرًا ، قَالَ : حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ ، وَفِي نَ ، وَنَشَوَارُ الْمَحَاضِرَةِ ، فِي الْقِصَّةِ ١٣١/٤ وَرَدَ الْإِسْنَادُ عَنِ الْبَسْطَامِيِّ ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ دَرِيدٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَيْسَى الْعَكْلِيِّ عَنْ أَبِي خَالِدٍ عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ ، وَالْإِسْنَادُ الْأَخِيرُ هُوَ الصَّحِيحُ .

٢ فِي الْقِصَّةِ ١٣١/٤ مِنْ نَشَوَارِ الْمَحَاضِرَةِ ، وَرَدَ فِيهَا اسْمُ عَمْرُو بْنِ دَوِيرَةَ السَّحِيمِيِّ ، وَقَدْ ذَكَرَ صَاحِبُ الْبَابِ ١/٥٣٤ وَ ٥٣٥ أَنَّ السَّحِيمِيَّ : نِسْبَةٌ إِلَى سَحْمَةٍ ، بَطْنٌ مِنْ ثَعْلَبَةٍ ، وَالسَّحِيمِيُّ : نِسْبَةٌ إِلَى سَحِيمٍ ، بَطْنٌ مِنْ حَنْفِيَّةٍ .

فأحسَّ به أبوها ، فقبض عليه ، وأتى به خالد بن عبدالله ، وادَّعى عليه اللصوصية ، وأتاه بجماعة شهدوا على أنهم وجدوه في بيته ليلاً ، قد دخل للتلصص . فسأل خالد الفتى ، فاعترف أنه دخل [٨٧ ن] ليسرق ، وما سرق شيئاً ، يدفع بذلك الفضيحة عن ابنة عمه ، فأراد خالد أن يقطعه . فرفع عمرو أخوه إلى خالد رقعة فيها :

أخالد قد - والله - أوطيت عشوة
وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقر بما لم يأت به غير أنه^٣
رأى القطع خيراً من فضيحة ، عاتق^٤
ومثل الذي في قلبه حلَّ قلبها
فمنَّ لتجلو همَّ عن قلب عاشق^٥ [٢٦٤ ر]
ولولا الذي قد خفت من قطع كفه
لألفيت في أمريهما غير ناطق
إذا مدَّت الغايات للسبق في العلى
فأنت ابن عبد الله أول سابق [٢٣٤ م]

قال : فأرسل خالد مولى له يسأل عن الخبر ، ويفحص جليّة الأمر ، فأتاه بصحيح ما قاله عمرو في شعره .
فأحضر أبا الجارية ، وأمره بتزويجها من الفتى ، فامتنع ، وقال : ليس هو كفاء لها .

٣ في غ ، وفي المستجاد للتنوخي : أقر بما لم يمنحه المرء إته ، وفي نشوار المحاضرة : أقر بما لم يقترفه لأنه .
٤ في ن ، وفي المستجاد ، وفي نشوار المحاضرة : رأى القطع خيراً من فضيحة عاشق .
٥ كذا ورد في ر ، وفي غ : فكأن أنت تجلو همَّ عن قلب عاشق ، ولم يرد هذا البيت في القصّة ١٣١/٤ من كتاب نشوار المحاضرة .

فقال له خالد : والله ، إنه لكفاء لها ، إذ بذل يده عنها ، وإن لم تزوجه طائعاً لأزوجه وأنت كاره .

فزوجته العم ، وساق خالد المهر من عنده ، فكان يسمى العاشق ، إلى أن مات .^٦

وجدت في كتاب العَمَرين ، لمحمد بن داود الجراح الكاتب ،^٧ وهو رسالة كتب بها إلى أبي أحمد يحيى بن علي بن المنجم^٨ ، فيمن يسمى من الشعراء : عَمراً ، فقال :

عمرو بن دويرة البجلي ، سحيمي ، كوفي ، أخبرني أحمد بن أبي علقمة^٩ ، عن دجيل بن علي ، وذكر أبو طالب بن سودة ، عن محمد بن الحسن الجعفري ، عن الحسن بن يزيد القرشي^{١٠} ، عن أبي بكر الوالي ، قال :

كان لعمرو بن دويرة ، أخ قد كلف بابنة عم له .. وذكر نحوه ، إلا أنه أتى في الشعر بزيادة بيت ، وهو بعد البيت الذي أوله : أقر بما لم يأته :

ومثل الذي في قلبه حلّ قلبها فكن أنت تجلو الهم عن قلب وامق

[وأخبرني محمد بن الحسن بن المظفر ، قال : أخبرني محمد بن الحسن

القرشي^{١١} ، قال : أخبرني الحرمي بن أبي العلاء ، عن الزبير بن بكار ، فذكره مع البيت الزيادة .]^{١٢}

٦ وردت القصة في كتاب نشوار المحاضرة برقم ١٣١/٤ إلى هذا الحد .

٧ لمحمد بن داود الجراح كتاب اسمه : من سمي عَمراً من الشعراء في الجاهلية والإسلام ، ذكره صاحب الفهرست ص ١٤٢ وصاحب الاعلام .

٨ أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور ، المعروف بابن المنجم (٢٤١-٣٠٠) : ترجمته في حاشية القصة ٤٠٢ من هذا الكتاب .

٩ في ن : أحمد بن خيثمة .

١٠ كذا في جميع الأصول ، وأحسب أن الصحيح : الحسن بن زيد .

١١ في ن : محمد بن الحسين .

١٢ الزيادة من غ ون .

من مكارم المقتدر

حدثني أبو العلاء صاعد بن ثابت بن إبراهيم بن علي بن خداهي النصراني الكاتب^١ ، [الذي كان خليفة [٢٨٨ غ] الوزراء]^٢ ، قال :
حدثني أبو الحسين بن ميمون الأفطس^٣ ، الذي كان وزير المتني ، ولما

١ أبو العلاء صاعد بن ثابت بن إبراهيم بن علي بن خداهي (في غ : خداهي ، بالحاء) النصراني : من رجال الدولة البويهية بالعراق ، كان أول أمره يضمن النواحي من السلطان ، وخدم أبا عبد الله البريدي ، ثم اختص بالوزير المهلب ، فاستخلفه على الوزارة ، وقدمه معز الدولة ، وصرفه ، ولما وزر أبو الفضل الشيرازي لبختيار استخلفه على الوزارة أيضاً ، ولما وزر ابن بقية لبختيار ، اعتقله ، وهم بقتله ، ولكنه سلم من القتل وأطلق (تجارب الأمم ٥٤/٢ ، ١٤٦ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٣٦٦ ، ٣٧٤ والكامل لابن الأثير ٥٥٣/٨) راجع القصة ٢٨/١ من نشوار المحاضرة .

٢ هذه الفقرة ساقطة من ر .

٣ أبو الحسين أحمد بن محمد بن ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان الكاتب المعروف بالأفطس : كان يكتب للأمير أبي إسحاق إبراهيم (المتني) بن المقتدر ، قبل الخلافة ، وكان استخلاف المتني قد تم باختيار الناس له ، فلما توفي الراضي جمع بحكم مشايخ بني هاشم من ولد علي والعباس ، ومشايخ الكتاب ، ووجوه العدول والتجار لاختيار من يخلفه ، فرشح المتني ، ومضى أبو الحسين بن ميمون إليه فأخرجه من داره التي بحضرة دار البطيخ ، وسار به في الماء إلى دار الخلافة ، فاستوزره المتني في السنة ٣٢٩ ، وبعد ٣٣ يوماً ورد أبو عبد الله البريدي بغداد متغلباً ، فأزال أبو الحسين عن نفسه اسم الوزارة ، وليس الدراعة وهي لباس الكتاب ، فأحدره البريدي إلى واسط ، ثم إلى البصرة ، وتوفي بها سنة ٣٣٠ (الأوراق للصولي - أخبار الراضي والمتني ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ، والفخري ٢٨٤ وتجارب الأمم ١١/٢ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، والكامل لابن الأثير ٣٧٢/٨ و ٣٧٣) أقول : جاء ذكر دار المتني ، وأنها بحضرة دار البطيخ ، ودار البطيخ ، اسم لسوق الفاكهة ، وكانت هذه السوق بالجانب الغربي من بغداد ، وكانت دار المتني على دجلة ، وكانت لإسحاق بن إبراهيم المصعبي ، ثم صارت لإسحاق بن كنداج (كنداجيق) ، واشترت للمتني ، وهو أمير ، بثلاثين ألف دينار ، وأقام بها حتى استخلف ، وعاد إليها بعد عزله ، وتوفي بها في ليلة النصف من شعبان سنة ٣٥٧ ، ودفن في دار تحاذيها ، راجع معجم البلدان ٥١٧/٢ والمتنظم ١٥٣/٦ والتكملة ١٩٩ و ٢٠٠ ، والقصة ١٠١/٤ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار =

دخل أبو عبد الله البريدي بغداد ، متقلداً الوزارة الثانية للمتّي ، قبض عليه وأحدره للبصرة .

فلما وردها البريديّ منهزماً ، أطلقه ، وأحسن إليه ، وأمرني بإنزاله بالقرب مني ، وإيناسه بملازمتي ، وأفتقاده بالدعوات ، ففعلت ، فكنا متلازمين لا نكاد نفرق .

ووجدته أحلى الناس حديثاً ، وأحسنهم أدباً ، وأعمهم فضلاً ، ولم أر قط أشد تغزلاً ، ولا تهالكاً في العشق منه .

فحدثني يوماً ، قال : عشقتُ مغنبةً في القيان عشقاً شلداً ، فراسلت مولاتها في بيعها ، فاستامت فيها ثلاثة آلاف دينار .

وكنت أعرف من نفسي الملل ، فخشيت أن أشتريها فأملها ، فدافعت بذلك ، ومضت أيام ، [وكانت هي تأتي إلى عندي ، وكان يمضي لي معها أطيب عيش] .^٤

فانصرف من عندي يوماً ، وكان المقتدر بالله أمر أن تشتري له مغنّيات ، وأنا لا أعلم ، وكانت الجارية حسنة الوجه جيّدة الغناء ، فحملت إلى المقتدر في جملة جوار ، فأمر بشرائهنّ كلّهنّ ، فاشتريت في جملةنّ .
وأنفذت من غدٍ استدعيها من سيّدها ، فأخبرت بالخبر ، فقامت عليّ القيامة ، ودخل إلى قلبي من الألم ، والاحترق ، والقلق ، أمر ما دخل مثله قط في قلبي ، فضلاً عن عشق .^٥

وزاد الأمر عليّ ، حتى انتهى بي إلى حدّ الوسواس ، فامتنعت عن النظر في أمر داري ، وتشاغلّت بالبكاء ، ولم يكن لي سبيل إلى العزاء .

المذاكرة للقاضي التنوخي .

٤ الزيادة من غ .

٥ كذا في جميع الأصول ، ولعلّ الصحيح : فضلاً عن عشقي .

وكنـت أكتب - حينئذ - لأمّ المتّقي لله ، وهو حدّثٌ ، فتأخّرت عنهم أياًماً ، وأخللت بأمرهما ، وأنا متوقّـر تلك الأيام على الطواف في الصحاري ، لا آكل ، ولا أشرب ، ولا أتشـاغل بأكثر من البكاء والهيمان .
فأنكر المتّقي وأمّه تأخّري ، فاستدعاني المتّقي ، وخاطبني في شيء من أمره ، فوجدني لا أعقل ولا أحصل ما يقوله ، ولا أفهمه .

فسألني عن سبب اختلالي ، فصدّقته ، وبكيت بين يديه ، وسألته أن يسأل أباه بيع الجارية عليّ ، أو هبتها لي .
فقال : ما أجسر على هذا .

قال : وزاد عليّ الأمر ، وبطلت .

وبلغ أمّ المتّقي الخبر ، فراسلتها أسألهـا مثلما سألت أبها ، فرثت لي ، وحملت نفسها على أن خاطبت السيّدة أمّ المقتدر في أمري .

فقالـت لها أمّ المقتدر : ما العجب من الرجل ، فإنّ الذي في قلبه من العشق قد أعماه عن الرأى [٢٣٥ م] بل العجب منك ، كيف وقع لك أنّه يجوز أن يقول أحد للخليفة : إنزل عن جاريـتك لرجل يعشقها .

فراسلـتني أمّ المتّقي بما جرى ، فزاد ما بي من القلق .

وكنـت لا ألقى أحداً من الرؤساء في الدولة ، كالوزير ، وحاشية الخليفة ، إلّا وأقصدهم ، وأبكي بين أيديهم ، وأحدّثهم حديثي ، وأسألهـم مسألة الخليفة في تسليم الجارية إليّ ، إمّا ببيع ، أو هبة .

فمنهم من ينكر عليّ ويوبّخني ، ومنهم من يرثي لي ويعذرنـي ، ومنهم من يشير عليّ بالإمساك ، ومنهم من يقول : إذا علم الخليفة هذا ، وأنك تتعرّض لحرمة ، كان في [٢٨٩ غ] هذا إتلاف نفسك ، وأنا ملازم أبوابهم ، وتركت خدمة صاحبي .

إلى أن طال عليّ الأمر [وعلى المتّقي وأمّه ، لعدم ملازمتي الباب] ، ووضعت

من محلي ، وبطل أمر داري وضيعتي ، وأمور صاحبي .
إلى أن طال هذا على المتّي وأمه ، فطلبنا كاتباً يصرفاني به .
وبلغني الخبر ، وقد كنت أيسر من الجارية ، فعذلت نفسي ، وقلت :
ليس بعد هذا الصرف إلا الفقر والنكبة ، وذهاب الخير والنفس ، ولو كنت
اشتريت هذه الجارية ، لكنت الآن قد مللتها ، فلم أقفر نفسي ، ولم أقطع بصرفي ؟
وأقبلت أعظ نفسي ، وأسليها ليلتي كلها ، إلى أن طاوعتني على الصبر
[٢٦٥ ر] .

وباكرت دار المتّي ، وبدأت في النظر في أموره ، ورأوا مني خلاف ما
تقدّم ، فسرّوا بذلك ، وقالوا : أنت أحب إلينا من الغريب نستأنفه ، فضمنت
لهم الملازمة وتمشية الأمور .

فأقمت على ذلك مدة ، ثم اشتقت إلى الشرب ، وقد كنت فقدته وهجرته
منذ فقدت الجارية إلى ذلك اليوم .

فقلت للغلام : قم ، أمض ، وأصلح لنا مجلساً للشرب ، وأدع أصحابنا
[أعني أصدقائي الذين يعاشرونني ، للروح إليّ ، ولا تدع غناءً ، فلما انقضى
شغلي عدت إلى داري ، واجتمع أصدقائي ، فصوروا رأيي]^٦ ، وجلسنا نشرب ،
وتحدّث ، [٨٨ ن] ، ونلعب بالشطرنج^٧ .
فقالوا : لو دعوت لنا مغنياً .

فقلت : أخاف أن أذكر به أمري مع الجارية .
فجلسوا عندي إلى أن صليت العشاء الآخرة ، وانصرفوا ، وجلست وحدي
أشرب القدح بعد القدح إلى أن مضت قطعة من الليل ، وإذا أنا بياي يدقّ
دقّاً عنيفاً .

٦ الزيادة من ن .

٧ في م : ونلعب الترد .

فقال بولاي : من هذا ؟

قالوا : خدام من دار الخليفة أمير المؤمنين .

فقلت ، ولم أشك أن حديثي قد اتصل به فأنكره ، وقال : مثل هذا لا يصلح أن يكون كاتباً لحرمته^٨ ، ولا مدبراً أمر غلام حدث ، وقد أمر بالقبض عليّ . فقلت أمشي لأخرج من باب آخر كان لي ، وأستر ، فإذا الخدم قد دخلوا ، ومعهم بغلة عليها عمّارية ، وشموع ، وإذا قد أنزلوا من العمّارية جارين ، أحدهما عشيقي ، فبهت .

فقال لي أحد الخدم ، وهو كالرئيس عليهم : مولانا أمير المؤمنين يقرئك السلام ، ويقول : عرفت خبرك مع الجارية في هذه الساعة ، فرحمتك ، وقد وهبتها لك مع جميع مالها ، وتركها الخادم ومضى .

ودخلت معها عدّة أحمال عليها الأثقال من صنوف الثياب ، والفرش ، والآلات ، والقماش ، وعدّة جوار ، وتركوا ذلك عندي ، وانصرفوا .

فأخذت بيد معشوقي . وأدخلتها المجلس ، فلما رأت الشراب والمجلس معباً ، قالت : سلوت عني ، وشربت بعدي .

فحلفت لها أنّي ما شربت نبذاً منذ فارقتها إلّا في هذا اليوم ، وحدّتها حديثي بطوله .

وقلت لها : ما السبب في مجيئك ؟ وما جرى ؟

فقالت : أعلم أنّ الخليفة لم يرني - منذ اعترضني وأمر بشرائي - إلّا الليلة ، وكان قد اتصل مزح السيّدة معي ، فأنها كانت استدعيني منذ مدّة ، وسألتني عن خبري معك ، فأخبرتها .

ثم قالت : هل تحبّينه ؟

٨ الحرمه : الأهل والزوجة ، وهذا التعبير ما زال مستعملاً ببغداد ، كناية عن المرأة ، يقول العامي البغدادي : رأيت حرمه ، أي : رأيت امرأة ، ورأيت حرمه فلان ، أي زوجة فلان .

فقلت : نعم ، حباً شديداً .

فتعجبت من ذلك ، وقالت : ثقلنا عليك وعلى [٢٣٦ م] محبوبك ، ولكن يكون الخير إن شاء الله تعالى ، ووعدتني الجميل التام ، والوعد الحسن .
فلما كان هذه الليلة ، قعد الخليفة [٢٩٠ غ] يشرب مع الجواري والسيدة حاضرة ، فاستدعيت ، وغنيت .

فقال لي الخليفة : إن كنت تحسنين الصوت الفلاني ، فغنيه ، وكان صوتك عليّ ، فغنيت ، وتمثلت لي صورتك ، وذكرت شرابي معك ، فلم أملك دموعي ، حتى جرت .

فقال المقتدر : ما هذا ؟ فتحيرت ، وجزعت ، ونظرت إلى السيدة ، فضحككت ، وضحك الجواري .

فقال المقتدر : ما القصة ؟ فدافعت السيدة .

فقال : بحياتي أصدقيني .

فقالت : على أن لا تؤذي الجارية ، ولا غيرها .

فقال : نعم ، وحياتك .

فحدثته الحديث ، فلما استوفاه ، قال لي : يا جارية ، الأمر هكذا ؟ إنما بكيت من عشق ابن ميمون ؟ فسكت .

فقال : إن صدقتني وهبتك له .

فقلت : نعم .

فأقبل على أمه ، فقال : ما هو بكثير إن وهبتها لخادم لنا .

فقالت : قد - والله - أردت أن أسألك هذا ، ولكن إن تفضلت به ابتداء منك ، كان أحسن .

فقال لبعض الخدم : خذ هذه الجارية ، وجميع ما كان سلم إليها في حجرتها من جوار ، وقماش ، واحمله إلى دار ابن ميمون ، كاتب ابني إبراهيم ،

[٢٦٦ ر] وأقره سلامي ، وعرفه آني قد وهبت ذلك كله له .
فلما قممت ، تصايحوا : قد جاء فرجك ، وبلغت منك ، فقممت إلى حجرتي ،
وجمعت ما ترى ، وحملتة إليك .
قال : فشكرت الله عز وجل على ذلك ، وجلست معها ، وما شيل^٩ ما في
مجلسي ، حتى اجتمعنا ، وجلست معها فيه ، وغنت .
وبكرت من غدٍ نشيطاً ، مسروراً ، أشكر السيدة ، وأمّ المتّي ، وأدعو لهما ،
وأقامت الجارية عندي ، إلى أن ماتت .

٩ شيل : رُفِع ، بضم الراء وكسر الفاء ، ما زالت مستعملة ببغداد .

فارق جاريته ثم اجتمع شملهما

حدّثني عبيد الله بن محمّد بن الحسن الصروي ، قال : حدّثني أبي ، قال : كان ببغداد رجل من أولاد النعم ، ورث من أبيه مالاً جليلاً ، وكان يتعشّق جارية ، وأنفق عليها شيئاً كثيراً ، ثم اشتراها ، وكانت تحبّه ويحبّها ، فلم يزل ينفق ماله عليها إلى أن أفلس .

فقال له الجارية : يا هذا ، قد بقينا كما ترى ، فلو طلبت معاشاً نقتات منه . قال : فلم يجد له صناعة غير الغناء ، إذ كان الفتى من محبّته للجارية ، وإحضاره المغاني إليها ، ليزيدوها في صنعتها ، قد تعلّم الضرب والغناء ، وخرج صالحاً في طبقة الغناء والحدق فيه .

فشاور بعض معارفه ، فقال : ما أعرف لك معاشاً أصلح من أن تغني للناس ، وتحمل جاريتهك إليهم فتأخذ على هذا الكثير ، ويطيب عيشك .

فأنف من ذلك ، وعاد إليها ، فأخبرها بما أشير عليه به ، وأعلمها أنّ الموت أشهى عنده من هذا ، فصبرت معه على الشدّة مدّة .

ثم قالت : قد رأيت لك رأياً .

فقال : قولي .

قالت : تبيغي ، فإنّه يحصل لك من ثمني ما تعيش به عيشاً صالحاً ، وتخلص من هذه الشدّة ، وأحصل أنا في نعمة ، فإن مثلي لا يشتريها إلا ذو نعمة . فحملها إلى سوق النخاسين ، فكان أول من اعترضها فتى هاشمي من أهل [٢٩١ غ] البصرة ، ظريف ، قد ورد بغداد للعب والتمتّع ، فاشتراها بألف

١. في غ ور : ابن الحسين ، وفي م : ابن اسحاق ، والصحيح ما أثبتناه .

وخمسمائة دينار عيناً .

قال الرجل : فحين لفظت بالبيع ، وقبضت الثمن ، ندمتُ ، واندفعت في بكاء عظيم ، وحصلت الجارية في أقبح من صورتي ، وجهدتُ في الإقالة ، فلم يكن إلى ذلك سبيل .

فأخذتُ الدنانير في الكيس ، وأنا لا أدري إلى أين أذهب ، لأنّ بيتي موحش منها ، وورد عليّ من اللطم والبكاء ما هوّسني .
فدخلتُ مسجداً ، وجلست فيه أبكي ، وأفكر فيما أعمل ، فحملتني عيني ، فتركت الكيس تحت رأسي كالمخدة ، ونمت .

فما شعرت إلّا بإنسان قد جذبته من تحت رأسي [٢٣٧ م] فانتبهت فزعاً ، فإذا بإنسان قد أخذ الكيس ، ومرّ يعدو ، فقمّت لأعدو وراءه ، فإذا رجلي مشدودة بخيط في وتد مضروب في آخر المسجد ، فإلى أن تخلّصت من ذلك ، غاب الرجل عن عيني .

فبكيتُ ، ولطمتُ ، ونالني أمر أشدّ من الأوّل ، وقلت : قد فارقت من أحبّ ، وبعته ، لأستغني بثمانه عن الصدقة ، فقد صرت الآن فقيراً ، مفارقاً لمن أحبّ .

فجئتُ إلى دجلة ، ولففت وجهي برداء كان على رأسي ، ولم أكن أحسن أسبح ، ورميت بنفسي في الماء [٨٩ ن] لأغرق .

فظنّ الحاضرون أنّ ذلك لغلط وقع عليّ ، فطرح قومٌ نفوسهم خلفي ، فأخذوني ، وسألوني عن أمري ، فأخبرتهم ، وبقيت منهم بين راحم ومستجهل .
إلى أن خلا بي شيخ منهم ، فأخذ يعظني ، ويقول : يا هذا ، ذهب مالك ، فكان ماذا حتى تتلف نفسك ، أو ما علمت أنّ فاعل هذا في نار جهنّم ، ولست أوّل من افتقر بعد غنى ، فلا تفعل ، وثق بالله تعالى .

ثم قال لي : أين متزلك ؟

فقلت : في الموضع الفلاني .

فقال : قم معي إليه ، وما فارقتني حتى حملني إلى منزلي ، وما زال يؤنسني ، ويعظني ، إلى أن بان له السكون فيّ ، فشكرته .

وانصرف ، فكدت أن أقتل نفسي لوحشة منزلي عليّ ، ثم ذكرت [٢٦٧ ر] النار والآخرة ، فخرجت من بيتي هارباً ، إلى بعض أصدقائي القدماء في حال سعادتي ، فأخبرته خبري ، فبكى رقة لي ، وأعطاني خمسين درهماً .

وقال : أقبل رأيي ، وأخرج الساعة من بغداد ، وأجعل هذه نفقة لك إلى حيث وجدت قلبك يساعدك إلى قصده ، وأنت من أولاد الكتاب ، وخطك جيد ، وأدبك صالح ، فأقصد بعض العمال ، وأطرح نفسك عليه ، فأقل ما في الأمر أن تصير محرراً بين يديه ، وتعيش معه ، ولعل الله أن يصنع لك صنعاً . فعملت على هذا ، وحثت إلى الكتبيين^٢ ، وقد قوي في نفسي أن أقصد واسط^٣ ، وكان لي فيها أقارب ، فأجعلهم ذريعة لي إلى التصرف مع بعض عمالها . فحين جئت إلى الكتبيين ، إذا بزلال مقدم ، وخزانة كبيرة^٣ ، وقماش كثير ينقل إلى الزلال ، وإلى الخزانة .

فسألت : من يحملني إلى واسط ؟

فقال أحد ملاحي الزلال : نحن نحملك بدرهمين إلى واسط ، ولكن هذا

٢ يلاحظ أن موقف وسائل النقل النهرية في بغداد ، كان في مشرعة سوق الكتبيين ، وكذلك الحال في واسط (القصة ٤٥٢ من هذا الكتاب) ، وهذا يعني أن سوق الكتبيين في واسط ، وفي بغداد ، على النهر ، وأن في كل واحد منهما فرضة تتسع لجميع هذه الوسائل التي كان عليها المعول في الانتقال في ذلك العصر بين مدن العراق ، وتسمى تلك الفرضة التي ببغداد «فرضة البصريين» راجع الطبري ١١٨/١٠ وحاشية القصة ٣٠٠ من هذا الكتاب .

٣ الخزانة : سفينة تقطر مع الزلال ويحفظ فيها ، ما يحتاج إليه راكبو الزلال ، من طعام وشراب ، ولباس ومتاع ، وقد أهدى علي بن هشام ، قائد المأمون ، لعلويه المغني حراقة ، بخزائنها ، وجميع آلاتها فباعها بمائة وخمسين ألف درهم (الأغاني ١١/٣٤٨ ، ٣٤٩) .

الزّلال لرجل هاشمي من أهل البصرة ، ولا يمكنّا من حملك معه على هذه الصورة ،
ولكن تلبس ثياب الملاحين ، وتجلس معنا كأنك [٢٩٢ غ] واحد منّا .

فحين رأيت الزّلال ، وسمعت أنّه لرجل هاشمي ، من أهل البصرة ، طمعت
أن يكون مشتري جاريتي ، فأنفّرج بسماعها إلى واسط .

فدفعت الدرهمين إلى الملاح ، وعدتُ فاشتريت لي جبّة من جباب الملاحين
فلبستها ، وبعث تلك الثياب التي كانت عليّ ، وأضفتها إلى ما معي من النفقة ،
واشتريت خبزاً وإداماً ، وجلستُ في الزّلال .

فما كان إلّا ساعة حتى رأيت جاريتي بعينها ، ومعها جاريتان تخدمانها ،
فحين رأيتها سهل عليّ ما كان بي ، وما أنا عليه .

وقلت : أسمع غناءها ، وأراها ، من هاهنا إلى البصرة ، واعتمدت على أن
أجعل قصدي إلى البصرة ، وطمعت في أن أداخل مولاه ، فأصير أحد ندمائه .
وقلت : ولا تخليني هي من الموادّ ، فأني واثق بها .

ولم يكن بأسرع من أن جاء الفتى الذي اشتراها ركباً ، ومعه عدّة ركبّان ،
فنزّلوا في الزّلال وانحدروا .

فلما صاروا بكلواذي ، أخرج الطعام ، فأكل هو والجارية ، وأكل الباقون
على سطح الزّلال [٢٣٨ م] ، وأطعموا الملاحين .

ثم أقبل على الجارية ، فقال لها : إلى كم هذه المدافعة عن الغناء ، وهذا
الحزن والبكاء ، ما أنت أوّل من فارق مولاه ، فعلمت ما عندها من أمري .

ثم ضربت ستارة في جانب الزّلال ، واستدعى الذين في سطحه ، وجلس
معهم خارج الستارة ، فسألت عنهم ، فإذا هم إخوته ، وأخرجوا الصواني ،
ففرّقوها عليهم ، وأحضروا النبيذ .

وما زالوا يترقّقون بالجارية ، إلى أن استدعت العود ، فأصلحته ، وجسّت

أوتاره ، ثم اندفعت تغني ، [من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى] ٤

بان الخليطُ بمن عرفت فأدبلجوا عمداً لقتلك ثم لم يتحرّجوا
وغدت كأنّ على ترائب نحرها جمر الغضا في ساحة يتأجج

قال : ثم غلبها البكاء ، وقطعت الغناء ، وتنغص على الفتية سرورهم .
ووقعت أنا مغشياً عليّ ، فظن القوم أنّي قد صرعتُ ، فأذن بعضهم في أذني ،
وصب عليّ الماء ، فأفقت بعد ساعة .

وما زالوا يداورونها ، ويرفقون بها ، ويسألونها الغناء ، إلى أن أصلحت العود ،
واندفعت تغني [في الثقيل الثاني] ٤ :

فوقفت أنسب بالذين تحملوا وكأنّ قلبي بالشفار يقطّع
فدخلت دارهم أسائل عنهم والدار خالية المنازل بلقع

٤ ساقطة من غ .

٥ في م : في ساعة ، وفي ر : في ساحته ، وفي غ : في ساحته ، وقد رجّحت كلمة : ساحة ، ويراد
بها الأداة المدوّرة يحفظ فيها الجمر وغيره .

٦ كان الناس ، في ذلك العصر ، يعتقدون أنّ المصروع يصصره الشيطان ، فإذا أذنه أحد في إذنه ، تركه
الشيطان ، وفرّ هارباً من ذكر الله ، وكانوا يعتقدون أيضاً أنّ المصاب بمرض عقلي ، يحلّ الشيطان
في بدنه ، وما زالت رواهب هذا الاعتقاد ، مستقرّة في أذهان العامة ببغداد ، وفي المناطق المجاورة لها ،
إلى الآن ، فهم يتكّمون في بيان مرض مريضهم ، إذا كان مصاباً بمرض عقلي ، وإذا اضطروا إلى
ذكره ، قالوا إنّ مريض بالأعصاب ، وكان يتصدّى لمعالجة المرضى بالأمراض العقلية ، دجالين ،
يزعمون أنّ في إمكانهم طرد الأرواح الشريرة من بدن المصاب ، فكانوا يقيّدون المريض ، ويضربونه ،
ويكونون بدنه بالنار ، فيشتد مرضه ، وربما مات ، وأذكر أنّ أحد هؤلاء الدجالين ، قتل شاباً يتيماً ،
كان من طلاب المدرسة الثانوية ، أصيب بالحمى التيفوئيدية ، وأصيب على أثر شفائه منها بعارض
عقلي ، وكان وحيد أمّه ، فاضطربت خوفاً عليه ، وأحضرت له هذا الدجال ، فحبسه في سرداب ،
وقبده ، وجلده ، وكواه ، فمات ، وحوكم هذا الدجال أمام محكمة الجنائيات ببغداد في السنة ١٩٣٢ ،
وكنّت كاتباً في المحكمة ، فحكمت بحبسه أربع سنوات .

ثم شهقت فكادت تتلف ، وارتفع لها بكاء عظيم ، وصعقت أنا ، فتبرم بي الملاحون ، وقالوا : كيف حملنا هذا المجنون معنا .

فقال بعضهم : إذا تبلغم بعض القرى فأخرجوه وأريحونا منه .
فجاءني أمر عظيم ، أعظم من كل شيء دفعت إليه ، ووضعت في نفسي التصبر ، والحيلة في أن أعلمها بمكاني من الزلزال ، لئلا تمنع من إخراجي .
وبلغنا إلى قرب المدائن ، فقال صاحب الزلزال : اصعدوا بنا إلى الشط^٧ [٢٦٨ ر] ، فطرحوا إلى الشط ، وخرج الجماعة ، وقد كان المساء قد قرب ، وصعد أكثر الملاحين يتغوطون^٨ ، فخلا [٢٩٣ غ] الزلزال ، وكان الجوّاري فيمن صعد إلى مستراح ضرب لهنّ .

فضيت سارقاً نفسي حتى صرت خلف الستارة ، فغيرت طريقة العود عما كانت عليه ، إلى طريقة أخرى ، ورجعت إلى موضعي من الزلزال .
وفرغ القوم من حاجاتهم في الشط ، ودفعوا^٩ والقمر منبسط .
فقالوا لها : بالله ياسي غنيّا شيئاً ، ولا تنغصي علينا عيشنا .
فأخذت العود فجسسته ، فشهقت شهقة كادت تتلف ، وقالت : والله ، قد أصلح هذا العود مولاي ، على طريقة من الضرب كان بها معجباً ، وكان يضربها معي ، والله إنه معنا في الزلزال .

فقال لها صاحبها : والله ، لو كان معنا ما امتنعنا من عشرته ، فلعله أن يحفّ بعض ما بك ، فننتفع بغنائك .

فقالت : ما أدري ما تقولون ، هو - والله - معنا .

٧ الغائط : الموضع المنخفض من الأرض ، ولما كان الاعرابي إذا أراد قضاء حاجته قصد الموضع المنخفض ، فقد كني عن قضاء الحاجة ، بكلمة التغوط أو الذهاب للغائط ، وما زال القرويون في وسط العراق وجنوبه ، يكتنون عنّ ذهب لقضاء حاجته ، بقوم : راح للوهاد ، جمع وهدة ، وهي الموضع المنخفض .
٨ دفعوا : يعني حركوا السفينة للمسير ، ما زال مستعملاً في بغداد .

فقال الرجل للملاحين : ويحكم ، حملتم معنا إنساناً غريباً ؟
فقالوا : لا .

* فأشفقت أن ينقطع السؤال ، فصحت : نعم ، هوذا أنا .

فقالت : كلام مولاي ، والله ، وجاء بي الغلمان إلى الرجل .

فلما رأي عرقي ، وقال : ويحك ، ما هذا الذي أصابك ؟ وما أذاك إلى
هذه الحال ؟ فصدفته عن أمري ، وبكيت ، وعلا نحيب الجارية من خلف
الستارة ، وبكا هو وإخوته بكاء شديداً ، رقة لنا .

ثم قال : يا هذا ، والله ، ما وطئت هذه الجارية ، ولا سمعت منها غناء
قبل هذا اليوم ، وأنا رجل موسّع عليّ والحمد لله ، وقدمت إلى بغداد لسماع الغناء ،
وطلب [٩٠ ن] أرزاق من الخليفة ، وقد بلغت من الأمرين ما أردت .

فلما عوّلت على الرجوع إلى وطني ، أحببت أن أستصحب معي مغنية من
بغداد ، فاشتريت هذه الجارية ، لأضمّها إلى عدّة مغنيات عندي بالبصرة .

وإذ كنّا على هذه الحالة ، فأنا - والله - أغتم [٢٣٩ م] المكرمة والثواب
فيكما ، وأشهد الله تعالى على أيّ إذا صرت إلى البصرة أعتقها وأزوّجك إياها ،
وأجري عليكما ما يكفيكما ، على شريطة إن أجبني إليها .

قلت : وما هي ؟

قال : أن تحضرها عندي متى أردنا الغناء ، تعني بحضورك وتنصرف بانصرافك
إلى دار أفرغها لكما ، وقماش أعطيكما إياه .

قلت : يا سيدي ، وكيف أمنع من هو المعطي ، وأبخل على من يرّد حياتي
عليّ ، بهذا المقدار ، وأخذت أقبل يده ، ففنعني .

ثم أدخل رأسه إلى الجارية ، وقال : يرضيك هذا ؟ فأخذت تدعو له ،
وتشكره .

فاستدعى غلاماً له ، وقال له : خذ بيد هذا الرجل ، وغير ثيابه ، وبجّره ،

وقدّم له ما يأكله ، وجثنا به ، فأخذني الغلام ، وفعل بي ذلك ، وعدت ،
فتركت بين يديّ صينيّة .

فاندفعت الجارية تعنيّ بنشاط ، واستدعت النيذ ، وشربت ، وشربنا ،
وأخذت أقترح عليها الأصوات الجياد ، فتضاعف سرور الرجل بها .
وما زلنا على ذلك أياماً ، حتى وصلنا نهر معقل ، ونحن سكارى ، فشدّ
الزّلال في الشطّ .

وأخذتني بولة الماء في الليل ، فصعدت على ضفة نهر معقل^٩ لأبول ، فحملني
السكر على النوم .

ودفع الزّلال وأنا لا أعلم ، وأصبحوا فلم يجدوني ، ودخلوا البصرة ، ولم أنتبه
أنا إلّا بحمي الشمس^{١٠} ، فجئت إلى الشطّ ، فلم أر لهم عيناً ولا أثراً .
وكنت قد أجلت الرجل أن أسأله بمن يعرف ؟ وأين داره [٢٩٤ غ] من
البصرة ؟ واحتشمت غلماناً أن أسألهم ، فبقيت على شاطئ نهر معقل ، كأول
يوم بدأت بي المحنة ، وكأنّ ما كنت فيه منام .

فاجتازت بي سماريّة ، فقعدت فيها ، ودخلت إلى البصرة ، وما كنت دخلتها
قط ، فترلت خاناً ، وبقيت متحيّراً ، لا أدري ما أعمل ، ولم يتوجّه لي معاش .
إلى أن اجتاز بي إنسان أعرفه ، [٢٦٩ ر] فتبعته لأكشف له حالي ، ثم
أنفت من ذلك ، ودخل الرجل إلى منزله ، فعرفته ، وجئت إلى بقال كان على باب
الخان الذي نزلته ، فأعطيته دانقاً ، وأخذت منه ورقة ، وجلست أكتب رقعة
إلى الرجل .

٩ نهر معقل : نهر معروف بالبصرة ، ينسب إلى معقل بن يسار الصحابي ، حفره بالبصر بأمر الخليفة عمر
(معجم البلدان ٤/٤٨٥) .

١٠ حمي الشمس : حرّها ، ويقال أيضاً : حمو الشمس ، والتعبيران ما زالوا مستعملين ببغداد .

فاستحسن البقال خطي ، ورأى رثاءة زئي ١١ ، فسألني عن أمري ، فأخبرته
أني رجل ممتحن ١٢ فقير ، قد تعذر عليّ التصرف ، وما بقي معي شيء ، ولم أشرح
له أكثر من هذا .

فقال لي : تعمل معي كلّ يوم بنصف درهم ، وطعامك وكسوتك عليّ ،
وتضبط حساب دكاني ؟

فقلت : نعم .

فقال : اصعد .

فخرقت الرقعة ، وصعدت ، فجلست معه ، أدبر أمره ، وضبطت دخله
وخرجه ، وكان غلماناه يسرقونه ، فأذيت له الأمانة .

فلما كان بعد شهر ، رأى الرجل دخله زائداً ، وخرجه ناقصاً ، فحمدني .
وبقيت معه كذلك شهراً آخر ، ثم جعل رزقي في كلّ يوم درهماً .

ولم يزل حالي معه يقوى ، إلى أن حال الحول ، وقد بان له الصلاح في
أمره ، فدعاني إلى أن أتزوج بابنته ، ويشاركني ، ففعلت .

ودخلت بزوجتي ، ولزمت الدكان ، وحالي يقوى ، إلا أنني في خلال ذلك ،
منكسر النفس ١٣ ، ميت النشاط ، ظاهر الحزن .

وكان البقال ربما شرب فيجرتني إلى مساعدته ، فامتنع ، وأظهر له أن ذلك
بسبب حزني على موتى لي .

واستمرت بي الحال على هذا سنتين وأكثر .

فلما كان في بعض الأيام ، رأيت الناس يجتازون بفاكهة ، ولحم ، ونبيد ،
اجتيازاً متصلاً ، فسألت عن ذلك ؟

١١ في غ : ورآني بيّرة حسنة .

١٢ الممتحن : المصاب بالحنة أي البلية .

١٣ في غ : منكسر القلب .

فقبل لي : اليوم الشعانين^{١٤} ، يخرج فيه أهل الظرف واللعب ، بالطعام والشراب ، والقيان إلى الأبلّة ، فيرون [٢٤٠ م] النصارى ، ويشربون ، ويفرحون . فدعني نفسي إلى التفرّج ، وقلت : لعلّي أصل إلى أصحابي ، أو أقف لهم على خبر ، فإنّ هذا من مظانّهم^{١٥} .

فقلت لحمي^{١٦} : أريد أن أنظر إلى هذا المنظر . فقال : شأنك وما تريد ، فأصلح لي طعاماً ، وشراباً ، وسلّم إليّ غلاماً وسفينّة .

فخرجت وركبت السفينة ، وبدأت بالأكل ، ثم قدّمت آنية الشراب ، وجلست أشرب حتى وصلت الأبلّة ، وأبصرت الناس وقد ابتدأوا ينصرفون . فإذا بالزّلال بعينه ، في أوساط الناس ، سائراً في نهر الأبلّة ، فتأمّلته ، فإذا أصحابي على سطحه ، ومعهم عدّة مغنّيات .

فحين رأيته لم أتمالك فرحاً ، فطرحته إليهم ، فحين رأوني عرفوني ، فكبروا ، وأخذوني إليهم ، وسلّموا عليّ .

وقالوا : ويحك ، أنت حيّ ؟ وعانقوني ، وفرحوا بي ، وسألوني عن قصّتي ، فأخبرتهم بها ، من أوّلها إلى آخرها ، على أنتم شرح .

فقالوا : إنّنا لما فقدناك [٢٩٥ غ] في الحال ، وقع لنا أنك بالسكر وقعت في الماء ففرقت ، ولم نشكّ في ذلك ، فخرّقت الجارية ثيابها ، وكسرت العود ، وجزّت شعرها ، وبكت ، ولطمت ، فما منعناها من شيء من هذا .

١٤ الشعانين ، والشعانين : عيد من أعياد النصارى ، يحلّ يوم الأحد الذي قبل الفصح ، والكلمة عبرانية : هو شيعة نا ، أي خلّصنا (المتجد) .

١٥ المظانّ ، والمفرد مظنة : الموضع الذي يظنّ وجوده فيه .

١٦ الحمو ، أبو زوج المرأة ، وأبو امرأة الرجل ، وحمو : من الأسماء التي تعرب بالواو رفعاً ، وبألف نصباً ، وبالياء خفضاً ، ولا يكون إلا مضافاً ، تقول : هذا حموه ، ورأيت حماه ، ومررت بحميه .

ووردنا البصرة ، فقلنا لها : ما تحين أن نعمل معك ؟ فقد كنّا وعدنا مولاك وعداً ، تمنعنا المروءة من استخدامك بعده في حالٍ أو سماع .

فقلت : يا مولاي لا تمنعني من القوت اليسير ، ولبس الثياب السود ، وأن أصنع قبراً في بيت من الدار ، وأجلس عنده ، وأتوب من الغناء ، فكناها من ذلك ، فهي جالسة عنده إلى الآن .

وأخذوني معهم ، فحين دخلت ، ورأيتها بتلك الصورة ، ورأيتني ، شهقت شهقةً عظيمةً ، فما شككت في تلفها ، وأعتقتها ، فما افرقنا ساعة طويلة . ثم قال لي مولاها : خذها .

فقلت : بل تعتقها وتزوجني بها ، كما وعدتني .
ففعل ذلك ، ودفع لنا ثياباً كثيرة ، وفرشاً ، وقماشاً ، وحمل إليّ خمسمائة دينار .

وقال : هذا قدر ما أردت أن أجريه عليكم في كلّ شهر [٢٧٠ ر] من أول شهر دخولي إلى البصرة ، وقد اجتمع في طول هذه المدّة ، والجارية في كلّ شهر غير هذا ، وشيء آخر لكسوتك ، وكسوة الجارية ، والشرط في المنادمة وسماع الجارية من وراء الستارة باقي ، وقد وهبت لك الدار الفلانيّة ، وهذه مفاتيحها .

فأخذت المفاتيح ، وأتيت إلى الدار ، فوجدتها مفروشة بأنواع الفرش ، وإذا بذلك الفرش والقماش الذي أعطيته فيها ، والجارية .
فسررت بذلك سروراً عظيماً ، وجئت إلى البقال ، فحدثته حديثي ، وطلّقت ابنته ، ووفّيتها [٩١ ن] صداقها .

وأقمت مع الجارية سنين^{١٧} ، وصرت ربّ ضيعة ونعمة ، وصار حالي إلى

١٧ في غ : وأقمت على تلك الحال سنين .

قريب مما كنت عليه أولاً .
وأنا أعيش كذلك مع جاري ، إلى الآن^{١٨} .

١٨ وردت القصة في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التّوحي ، برقم القصة ١٣٩/٥ .

أمير البصرة يجمع بين متحابين

روى أبو روق الهزاني ، عن الرياشي^١ : أن بعض أهل النعم بالبصرة ، اشترى جارية ، وأحسن تأديبها وتعليمها ، وأحبها حباً شديداً ، وأنفق عليها حتى أُمِلق ، ومسهما الضرّ الشديد ، [والفقر المبيد .

فقال لها يوماً : قد ترين ما صرنا إليه من الفقر ، ووالله ، لموتي وأنت معي ، أهون عليّ مما أذكره لك ، ويسوءني أن أراك على غير الحالة التي تسرّني فيك ، ونهاية الأمر بنا ، أن تحلّ بأحدنا منيته ، فيقتل الآخر نفسه عليه ، فإن رأيت أن أبيعك لمن يحسن إليك ، فيغسل عنك ما أنت فيه ، وأنفّرَج أنا بما لعله يصير إليّ من الشيء من ثمنك ، ولعلّك تحصيلين عند من تتوصّلين إلى نفعي معه . فقالت : والله لموتي وأنا على تلك الحالة ، أهون عليّ من انتقالي إلى غيرك ، ولكن أفعل ما بدا لك^٢ .

وقالت له الجارية : إني لأرثي لك يا مولاي ، مما أرى بك من سوء الحال ، فلو بعثني فانتفعت بشمني ، فلعلّ الله أن يصنع لك صنعاً جميلاً ، وأقع أنا بحيث يحسن حالي ، فيكون ذلك أصلح لكل واحد منا . فخرج ، وعرضها للبيع ، فأشار عليه أحد أصدقائه ، ممن له رأي ، أن

١ في غ : روى أبو روق الرياشي ، عن الهزاني ، وهو غير صحيح ، فإن أبا روق الهزاني هو الراوي عن الرياشي ، راجع القصة ٧٢/٥ من كتاب نشوار المحاضرة ، والرياشي هو أبو الفضل العباس بن الفرج ابن علي بن عبد الله البصري (١٧٧-٢٥٧) المعروف بالرياشي ، نسبة إلى رياش ، رجل من جذام (اللباب ٤٨٤/١) والرياشي ، لغويّ ، راوية ، عالم بتاريخ العرب وأيامها ، قتل بالبصرة ، أيام فتنة صاحب الزنج (الأعلام ٣٧/٤) .

٢ الزيادة من غ .

يحملها إلى عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، وكان أمير البصرة^٣ يومئذ ، فأعجبته .

فقال لمولاه : كم شراؤها عليك ؟

قال : بألف دينار^٤ ، وقد أنفقت عليها أكثر من [٢٩٦ غ] مائة ألف درهم^٥ .
قال : أمّا ما أنفقت عليها ، فغير محتسب لك ، لأنك أنفقت في لذاتك ،
وأما ثمنها ، فقد أمرنا لك بمائة ألف درهم ، وعشرة سفاط ثياب ، وعشرة رؤوس
من الخيل ، [وعشرة من الرقيق]^٦ ، أَرْضِيتَ ؟

قلت : نعم ، رضيت ، فأمر بالمال فأحضر .

فلما قبض المولى الثمن ، وأراد الانصراف ، استعبر كل واحد منهما إلى
صاحبه باكياً ، وأنشأت الجارية تقول : [٢٤١ م]

هنيئاً لك المال الذي قد حوَيْتَهُ ولم يبق في كَفِّي إِلَّا التَّفَكُّرُ^٧
أقول لنفسي وهي في كرباتِها أَقْلِي فَقَدْ بَانَ الْحَبِيبُ أَوْ أَكْثَرِي
إذا لم يكن للأمر عندي حيلة ولم تجدي شيئاً سوى الصبر فاصبري

قال : فاشتدّ بكاء المولى ، وعلا نحيبه ، ثم أنشأ يقول :

فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن يفرّقنا شيء سوى الموت فاعذري
أروح بهمّ في الفؤاد مبرّح أناجي به قلباً طويلاً التَّفَكُّرُ^٨

٣ في غ : أمير العراق ، وهو عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي القرشي (٢٢-٨٢) : قائد ، شجاع ،

جواد ، وليّ البصرة ، ووليّ فارس ، وحارب الخوارج (الأعلام ٥/٢١٤) .

٤ في غ : بمائة ألف درهم .

٥ في غ : مائة ألف دينار .

٦ الزيادة من غ .

٧ في المستجاد : ولم يبق في كَفِّي غير التَحَسُّر .

٨ في المستجاد : أروح بهمّ من فراقك موجع أناجي به قلباً قليل التَّصَبُّر .

عليك سلام ، لا زيارة بيننا ولا وصل إلا أن يشاء ابن مَعْمَر
فقال له ابن مَعْمَر : قد شئت يا هذا ، خذ جاريتك ، بارك الله لك فيها
وفيما صار إليك من المال ، وانصرفا راشدين ، فوالله ، لا كنتُ سبباً في فرقة
محبين .

فأخذها وأخذ المال والخيل والرفيق والثياب ، وأثرى وحسنت حاله^٩ .
[وأخبرني الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الراهزمي ، خليفة أبي رحمه الله
على القضاء بها ، قال : حدثنا أحمد بن سعيد ، أن الزبير حدثهم ، قال :
حدثني ابن أبي بكر المؤملي ، قال : حدثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن
عمار بن ياسر ، قال : كانت لفتى من العرب جارية جميلة ، وكان بها معجباً ،
يحبها جداً شديداً ، فلم يزل يتفق عليها حتى أملق واحتاج ، وجعل يسأل
إخوانه ، فقالت الجارية ... وذكر بقية الخبر على قريب مما رواه الرياشي ،
والألحان في الشعر على ما رواه الزبير]^{١٠} .

[ووجدت هذا الخبر مذكوراً بقريب من هذه الألفاظ ، في كتاب أخبار
المتيمين للمدائني ، وقد زاد فيه : أن الجارية كانت قينة ، ولم يذكر الشعر
الأول]^{١١} .

٩ وردت القصة في نشوار المحاضرة برقم ٧٢/٥ ، وفي الأغاني ٣٨٩/١٥ وفي المستجد للتنوخي ١٦٠-١٦٢ .
١٠ الزيادة من ن ، ويظهر أن القصة ناقصة ، إذ لم يرد في القصة ذكر للألحان التي أشار إليها المؤلف في
آخر الفقرة .

١١ وردت هذه الفقرة في م وفي ن ، ولم ترد في ر ، ولا في غ .

من مكارم جعفر بن يحيى البرمكي

وحدّثني أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالأصبهاني ، إملاء من حفظه ^١ ، قال : حدّثني الحسين بن يحيى المرداسي ، قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلّي ، قال : حدّثني أبي ، قال : لما دخل الرشيد البصرة حاجاً ^٢ ، كنت معه ، فقال لي جعفر بن يحيى : يا أبا محمّد ، قد وصفت لي جارية مغنيّة حسناء محسنة ، تباع ، وذكر أنّ مولاها ممتنع من عرضها إلّا في داره ، وقد عزمتُ على أن أركب [٢٧١ ر] مستخفياً ، فأعترضها ، أفترساعدي ؟

فقلت : السمع والطاعة .

فلما كان في نصف النهار ^٣ حضر النخّاس ^٤ ، فأعلم بحضوره ، فخرج جعفر بعمامة وطيلسان ونعل عربية ، وأمرني فلبست مثل ذلك ، وركبنا حمارين قد أسرجا بسروج التجار ، [وركب النخّاس معنا ، وطلبنا الطريق] ^٥ . فلم يزل النخّاس يسير بين أيدينا ، حتى أتينا باباً شاهقاً يدلّ على نعمة قديمة ، فقرع النخّاس الباب ، وإذا بشاب حسن الوجه ، عليه أثر ضرّ باد ، وقميص غليظ خشن ، ففتح لنا الباب ، وقال لنا : انزلوا يا سادة ، فدخلنا . فأخرج لنا الرجل قطعة حصير خلّق ، ففرشها لنا ، فجلسنا عليها .

١ في غ : من لفظه .

٢ كان ذلك في السنة ١٧٩ (العيون والحدائق ٢٩٧/٣) .

٣ كذا في م وفي غ ، وفي ر : في نصف الليل .

٤ النخّاس : بائع الرقيق .

٥ ساقطة من غ .

فقال له النخّاس : أخرج الجارية ، فقد حضر المشتري .
فدخل البيت ، وإذا الجارية قد خرجت في القميص الغليظ الذي كان
على الفتى بعينه ، وهي فيه - مع خشونته - كأنها في الحلي والحلل ، لحسن
وجهها ، وفي يدها عود .

فأمرها جعفر بالغناء ، فجلست ، وضربت ضرباً حسناً ، واندفعت تغني :

[٢٩٧ غ]

إن يمسّ حبلك بعد طول تواصلٍ خلّقاً ويصبح بيتكم مهجوراً
فلقد أراني والجديد إلى بلّ دهرًا بوصلك^٦ راضياً مسروراً
جذلاً بمالي عندهم لا أبتغي بدلاً بوصلك خلّة وعشيراً
كنت المنى وأعزّ من وطء الحصى عندي وكنت بذاك منك جديراً

ثم غلبها البكاء حتى منعها من الغناء ، وسمعا من البيت نحيب الفتى ،
وقامت الجارية تتعزّز في أذيالها ، حتى دخلت البيت ، وارتفعت لهما ضجّة
بالبكاء والشهيق ، حتى ظنّتا أنّهما قد ماتا ، وهمنا بالانصراف .

فإذا بالفتى قد خرج وعليه ذلك القميص بعينه ، فقال : أيها القوم ، أعذروني
فيما أفعله وأقوله .

فقال له جعفر : قل .

فقال : أشهد الله تعالى ، وأشهدكم ، أنّ هذه الجارية حرّة لوجه الله تعالى ،
وأسألكم أن تزوّجوني بها .

قال : فتحيّر جعفر أسفاً على الجارية ، ثم قال لها : أتحيين أن أزوّجك

من مولاك ؟

قالت : نعم .

٦ في غ : رهناً بوصلك .

فقرّر الصداق ، وخطب ، وزوّجها به ، ثم أقبل على الفتى ، وقال له :
ما حملك على [٢٤٢ م] هذا ؟

فقال : حديثي طويل ، إن نشطت له حديثك به .

فقال : لا أقلّ من أن نسمعه ، فلعلنا أن نبسط عذرك .

فقال : أنا فلان ابن فلان ، وكان أبي من وجوه أهل هذا البلد ، ومياسيره ،
وهذا عارف بذلك ، وأومأ إلى النخاس .

وأسلمني أبي إلى الكتاب^٧ ، وكانت لأمي صبيّة قريب سنّي من سنّها ،
وهي جاريتي هذه ، وكانت معي في المكتب ، تتعلّم ما أتعلّم ، وتنصرف معي .
فبلغت ، ثم بطّلت^٨ من الكتاب ، وتعلّمت الغناء ، فكنت لمحبيّ لها
أتعلّمه معها ، وتعلّق قلبي بها ، وأحببتها حبّاً شديداً .

وبلغت أنا أيضاً ، فخطبني وجوه أهل البصرة لبناتهنّ ، فخيرني أبي ، فأظهرت
له الزهد في الترويح ، ونشأت متوقفاً على الأدب ، متقلّباً في نعم أبي ، غير
[٩٢ ن] متعرّض لما يتعرّض له الأحداث^٩ ، لتعلّق قلبي بالصبيّة ، ورغبة أهل
البلد تزداد فيّ ، وعندهم أنّ عفتي لصلاح ، وما كانت إلّا لتعلّق قلبي بالجارية ،
وأنّ شهوتي لا تتعدّاها لأحد .

وبلغ حذقها في الغناء إلى ما قد سمعتموه ، فعزمت أمّي على بيعها ، وهي
لا تعلم ما في نفسي منها ، فأحسست بالموت ، واضطرت إلى أن حدثت أمي
عن الصورة ، فحدثت أبي ، فاجتمع رأيهما على أن وهبا لي الجارية ، وجهازها

٧ الكتاب : موضع تعلم الصغار .

٨ في م : عطلت عن الكتاب ، وقد اخترت التعبير الوارد في ر ، لأنّ هذا التعبير ما زال مستعملاً في بغداد ،
يقول التلميذ إذا ترك المدرسة : بطّلت من المدرسة .

٩ الأحداث : الشبان الصغار ، المفرد ، حدث ، بالفتح ، والبغداديون يخصّون به الفتاة الصغيرة تحبباً ،
فيقولون : حديثه ، بالتصغير .

كما يجهز أهل البيوتات بناتهم ، وجلت علي ، وعمل لنا عرس حسن ، ونعمت معها دهرًا طويلاً .

ثم مات أبي ، وخلف لي مالاً كثيراً ، فلم أحسن أن أربّ نعمته^{١٠} ، وأسأت التدبير فيها [٢٧٢ ر] ، وأسعرت في الأكل والشرب والقيان ، وأنا مع ذلك أجذر^{١١} في اليوم الواحد بخمسين ديناراً أو أكثر .

فأوجب ذلك أن تلفت النعمة ، وأفضت [٢٩٨ غ] الحال إلى نقض الدار وبيع ما فيها ، حتى صرتُ إلى ما ترى ، وأنا على هذا منذ سنين .

فلما كان في هذا الوقت ، وبلغني دخول الخليفة ، ووزيره ، وأهل مملكته ، البصرة ، قلت لها : يا ستي ، إعلمي أنّ شبابك قد بلي ، وأنّ عمرك في الشقاء ينقضي ، وبالله ، إنّ نفسي تالفة من فراقك ، ولكني أؤثر تلفها مع وصولك إلى نعمة ورفاهية ، فدعيني أعرضك ، لعلّ أن يشترك بعض هؤلاء الأكابر ، فتحصلي معه في رغد عيش ، فإنّ متّ بعدك فذاك الذي أؤثر ، ويكون كلّ واحد منا قد تخلص من الشقاء ، وإنّ حكم الله تعالى عليّ بالبقاء ، صبرتُ على قضائه . فبكّت من ذلك ، وقلقتُ ، ثم قالت : إفعل ما تحبّ .

فخرجت إلى هذا النخّاس ، فأطلعته على أمري ، وقد كان يسمع غناءها أيام نعمتي ، وعرف حالها وحالي ، وأعلمته أنّي لا أعرضها إلّا عندي ، فإنّها - والله - ما طرقت رجلها خارج باب الدار قط ، وقصدتُ بذلك أن يراها المشتري ، ولا تدخل بيوت الناس ، ولا إلى السوق ، وإنّها لم يكن لها ما تلبسه إلّا قميصي هذا ، وهو مشترك بيننا ، ألبسه أنا إذا خرجتُ لأبتاع القوت ، وتتشح هي بأزارها ، وإذا جئت إلى البيت ، ألبستها إياه ، وأتشح أنا بالأزار .

١٠ ربّ النعمة : أصلحها وزادها .

١١ الجذر : أجز المغني .

فلما حصل من يعترضها^{١٢} ، وخرجت ففتنتكم ، لحقني من القلق والبكاء لفراقها أمر عظيم ، فدخلت إليّ ، وقالت : يا هذا ، ما أعجب أمرك ، أنت مللتني ، وأردت بيعي وفراقي ، وتبكي هذا البكاء ؟
فقلت لها : يا هذه ، إنّ فراق نفسي أسهل عليّ من فراقك ، وإِنما أردت أن تتخلّصي من هذا الشقاء .

قالت : والله ، لو ملكت منك ما ملكت مني ، ما بعثك أبداً ، وأموت جوعاً وعرياً ، فيكون الموت هو الذي يفرّق بيننا .
فقلت : أتريدين أن تعلّمي صدق قولي ؟
قالت : نعم .

قلت : هل لك [٢٤٣ م] أن أخرج الساعة إلى المشتري فأعتقك بين يديه وأتزوّجك ، ثم أصبر معك على ما نحن فيه إلى أن يأذن الله تعالى بفرج أو موت ؟
فقالت : إن كان قولك صادقاً ، فافعل ما بدا لك من هذا ، فما أريد غيره .
فخرجت إليكم فكان منّي ما قد علمتم ، فاعذروني .
فقال جعفر الوزير : أنت معذور ، ونهض ، ونهضت معه ، والنخاس معنا .
فلما قدّم حماره ليركب ، دنوت منه ، وقلت : يا سبحان الله ، مثلك في جودك ، يرى مثل هذه المكّمة ، فلا ينتهز الفرصة فيها ؟ والله ، لقد تقطّع قلبي عليهما .

فقال : ويحك ، وقلبي - والله - كذلك ، ولكنّ غيظي من فوت الجارية إيّاي يمنعني من التكرّم عليه .
فقلت : وأين الرغبة في الثواب ؟
فقال : صدقت والله .

١٢ اعترض : أي عرض الشيء عليه ، فأبصره وشاهده ، ومنه اعتراض القائد الجيش ، وهو ما يسمّى الآن بالاستعراض .

ثم التفت إلى النخّاس فقال : كم كان الخادم سلّم إليك عند ركوبنا ،
لتشتري به الجارية ؟

فقال : ثلاثة آلاف دينار .

فقال : أين هي ؟

فقال : مع غلامي .

فقال لي وللنخّاس : خذاها [٢٩٩ غ] وادفعها إلى الفتى ، وقولا له :
يكتسي ويركب ويحيثي ، لأحسن إليه وأستخدمه .

فرجعنا إلى الفتى ، فإذا هو يبكي ، فقلت له : قد عبّل الله فرجك ، أعلم
أنّ الذي خرج من عندك هو الوزير جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، وقد
أمر لك بهذا ، وهو يقول لك كذا وكذا .

قال : فصعق ، حتى قلت قد تلف ، ثم أفاق ، فأقبل يدعو لجعفر ،
ويشكرني .

وكنت قد ركبْتُ فلحقت بالوزير ، وأعلمته ، فحمد الله عزّ وجلّ على
ما وهبه له ، وعاد إلى داره وأنا معه .

فلَمّا كان وقت العشاء ، جئنا إلى الرشيد ، فأقبل يسأل جعفر خبره في
يومه ، وهو يخبره ، إلى أن قصّ عليه حديث الفتى [٢٧٣ ر] والجارية .

فقال له الرشيد : فما عملت معه ؟ فأخبره .

فاستصوب رأيه ، وقال : وقّع له برزق [سلطاني] ١٣ في رسم أرباب النعم ١٤ ،
في كلّ شهر كذا وكذا ، واعمل به بعد ذلك ما شئت .

فلَمّا كان من الغد ، جاءنا الفتى راكباً بثياب حسنة ، وهيأة جميلة ، فإذا

١٣ الزيادة من م و غ .

١٤ الرزق السلطاني : رزق يشبه الراتب التقاعديّ ، يخصّص لأرباب النعم الذين فقدوا نعمهم ، من أجل
معونتهم على العيش .

به من أحلى الناس كلاماً ، وأتمهم أدباً .

فحملته إلى جعفر ، وأوصلته إلى مجلسه ، فأمر بتسهيل وصوله إليه ، وخلطه بحاشيته ، ووقع له عن الخليفة بما رسم له ، وعن نفسه بشيء آخر .
وشاع حديثه في البصرة ، وفي أهل العسكر ، فلم يبق فيهم متغزل ، ولا متظرف ، إلا أهدى له شيئاً جليلاً ، فما خرجنا من البصرة إلا وهو ربّ نعمة صالحة .

ووجدتُ هذا الخبر ، على خلاف هذا ، ما ذكره أبو علي محمد بن الحسن ابن جمهور العمّي البصري الكاتب^{١٥} ، في كتاب «السّمّار والندامي»^{١٦} :
أنّ الرشيد لما حجّ ومعه إبراهيم الموصلي ، ... فأخبرنا بالخبر على قريب ما رويناه وذكرناه ، وأنّ الجارية بدأت وغنّت بصوت من صناعة إبراهيم ، وهو :

تمت عليّ الزفرة الصاعدة وملّني العائد والعائدة
يا ربّ كم فرّجت من كربّة عني فهذي المرّة الواحدة

وأنّ الذي حضر لتقليب الجارية^{١٧} ، الرشيد وجعفر بن يحيى متنكرين^{١٨} ،
ومعهما إبراهيم الموصلي والنخّاس ، وأنهم انصرفوا ، وقطعوا الثمن بمائة ألف درهم ،

١٥ أبو علي محمد بن الحسن بن جمهور العمّي ، الكاتب ، الصلحي ، البصري : وصفه التّوحي في نشوار المحاضرة ، في القصة ١٦٥/٣ بأنّه صاحب الستارة ، المشهور بالأدب والشعر ، وتصنيف الكتب ، وذكره في القصة ٥٢/٤ فقال عنه : إنّ من شيوخ الأدب بالبصرة ، راجع بشأنه كتاب الديارات للشابستي ٢٦٦ وحكاية أبي القاسم البغدادى ٧١-٧٥ ومعجم الأدباء ٤٩٨/٦ ، وعن سبب تسميته بالعمّي ، راجع الأغاني ٢٥٧/٣ .

١٦ في ن : كتاب السّمّار والندماء .

١٧ تقليب الرقيق : فحصه والكشف عنه عند شرائه .

١٨ التنكر : تغيير الزي والهيئة ، كي لا يعرف المتنكر من يراه ، والبغداديون يسمّون التنكر : التبديل ، يعني إبدال الملابس ، ويقولون عن الحاكم الذي يخرج متنكراً : طلع بالتبديل .

ثم عادوا والمال معهم ، فأمرُوا بإعادة التقلب ، فخرجت الجارية ، فغنت بصوتٍ ،
الغناء فيه لإبراهيم ، وهو :

ومن عادة الدنيا بأنَّ صروفها^{١٩} إذا سرَّ منها جانب ساء جانب
وما أعرف الأيام إلا ذميمة ولا الدهر إلا وهو للثَّار طالب
ثم ذكر بقية الحديث على قريب من هذا ، وفي الخبر الأول زيادات ،
ليست في خبر ابن جمهور^{٢٠} .

١٩ في غ : ومن عادة الأيام أنَّ صروفها .

٢٠ هذه الفقرة لا توجد في ر .

من مكارم يحيى بن خالد البرمكي

[وبلغني خبر لجعفر بن يحيى ، مع جارية ، يقارب هذا الخبر ، أخبرني [٩٣ ن] به أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن [٢٤٤ م] خلاد الرامهرمزي ^١ ، خليفة [٣٠٠ غ] أبي رضي الله عنه ، على القضاء بها ، قال : أخبرني أحمد بن الصلت الحماني ^٢ ، قال : حدثنا مفلح وسنبر النخاسان ^٣ ، قال : أرسل إلينا جعفر بن يحيى البرمكي ، يطلب جارية قوالة ^٤ ، ذات أدب وظرف ، على صفة ذكرها وحدها ، فما زلنا نحرص على طلبها ، وتواصف من يعرف عنها مثل ذلك .

وإلى جانبنا شيخ من أهل الكوفة يسمع كلامنا ، فأقبل علينا ، وقال : عندي بغية الوزير ، فانهضوا إن شئتم لتنظروا إليها . قال : فنهضنا معه ، حتى إذا وصلنا إلى داره ، وجدناها ظاهرة الإختلال ، ووجدنا فيها مسحاً خلقاً ^٥ ، وثلاث قصبات عليها مسرجة ^٦ ، فارتبنا بقوله لنا ،

-
- ١ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي : ترجمته في حاشية القصة ٢٦ من الكتاب .
 - ٢ أبو العباس أحمد بن الصلت بن المغلس الحماني : ترجم له الخطيب في تاريخه ٢٠٧/٤ وقال : إنه كان ينزل في الشرقية ، توفي سنة ٣٠٨ .
 - ٣ كذا ورد في ن ، وفي م : صالح وشير ، واقتصر في ر على ما يلي : حكى صالح النخاس ... الخ
 - ٤ القوالة : حدثنا التتويحي في القصة ١٦/٧ من نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، عن جماعة حضروا مجلس تحفة القوالة ، وأورد في القصة ١٨٠/٢ من نشوار المحاضرة : أن أبا القاسم بن بنت منيع المحدث ، كان - وقد تجاوز المائة - يذهب إلى مجلس سني خاطف ، ويتواجد من «قوله» ، والذي يظهر لي أن من يغني في أبيات الرقائق والغزل الصوفي ، يسمى غناؤه «قولاً» ، وموضع الاجتماع عنده «مجلساً» ، ويسمى هو : قول .
 - ٥ المسح : كساء من الشعر ، والخلق : الرث البالي .

لما ظهر من سوء حاله .

ثم أخرج إلينا جارية كأنها - والله - فلقمة قمر ، تشّتي كالقضيبي ، فاستقرأناها ، فقرأت آيات من القرآن ، حرّكت منا ما كان ساكناً ، وأتبعها بقصيدة مليحة ، شوقتنا ، وأطربتنا .

فقلنا لها : أصانعة ؟ وأشرنا إلى يدها .

فقلت : نعم ، تعلّمت العمل بالعود وأنا صغيرة .

فقلنا : فغنّينا به .

فقلت : سبحان الله ، هل يصلح أن أستجيب لذلك إلّا لمولى مالك إن دعاني إليه أجبته .

قال : وراح الرسول إلى جعفر ، فأخبره بما شاهده .

فلم يتمالك جعفر ، لما سمع بصفة الجارية ، حتى استنهض الرسول إلى مجلس الشيخ ، وهو يتبعه ، حتى عاينه ، وسأله إخراجها إليه .

فلما رآها جعفر أعجب بها قبل أن يستنطقها ، ثم إنّه استنطقها ، فأخذت بمجامع قلبه .

فقال لمولاه : قل ما شئت ؟

فقال الشيخ : لست أحدث أمراً حتى أستأذنها ، ولولا الضرّ الذي نحن فيه لما عرضتها ، لكنّ حالي كما يشاهده الوزير من فقر ، وضرّ ، ودين كثير قد فدحني^٧ ، ومن أجله فارقت وطني ، وعرضت على البيع ثمرة فؤادي .

فقال له جعفر : ما مقدارها في نفسك إن أردت بيعها ؟

٦ المرسجة : بكسر الميم ، هي السراج ، وفتح الميم : القائمة التي يوضع عليها السراج ، ويتخذها الأغنياء من الفضة أو الذهب ، ومتوسطوا الحال من المعدن كالحديد أو النحاس ، أو من الخشب ، أمّا الفقراء الذين لا حيلة لهم ، فيتخذون المرسجة من قصبات ثلاث تجمع رؤسها بقطعة من الطين ، كما في هذه القصّة .

٧ الفادح : الصعب المثقل .

فقال : ثلاثون ألف دينار^٨ .

فقال جعفر : فهل لك أن تأمرها بأن تغنيّا ؟

فأقبل الشيخ عليها فاستدناها ، وأمرها أن تغني ، فأخذت العود ، وأصلحته ،

ثم استعبرت ، وغنت بصوت ، الغناء من صنعة إبراهيم :

ومن عادة الأيام أن صروفها إذا سرّ منها جانب ساء جانب

وما أعرف الأيام إلا ذميمة ولا الدهر إلا وهو بالثأر طالب

قال : ثم أنها ألقت العود من يدها ، وصرخت ، وصرخ الشيخ ، وجعل

يتحجان .

ثم إن الشيخ أقبل على جعفر ومن معه ، وقال : أشهدكم أنّي قد أعتقتها ،

وجعلت عتقها صداقها ، والله ، لا ملكها أحد أبداً .

فغضب جعفر ، وأقبل من حضر على الشيخ يؤنبونه ويستجهلونه ، ويقولون

له : ضيعت هذا المال الجليل ، وعجلت ، وجهلت .

فقال الشيخ : النفس أولى أن يبقى عليها من المال ، والرازق الله سبحانه

وتعالى ، وعاد جعفر إلى أبيه فأخبره بما كان من الرجل والجارية .

فقال [٣٠١ غ] له أبوه : فما صنعت بهما ؟

قال : تركتهما وانصرفت .

فقال له : ويحك ، ما أنصفت يا ولدي ، أو ما أنفت على نفسك أن تفرّق

بين متحابين مثلهما ، مقترين [٢٧٤ ر] ، فقيرين ، أو تنصرف عنهما ، ولا

تجبر حالهما ؟ أرضيت أن يكون الكوفيّ أسمع منك .

ودعا بغلام ، فحمل معه إلى الشيخ ثلاثين ألف دينار^٩ على بغال .

٨ في م : عشرون ألف دينار .

٩ في م : عشرين ألف دينار .

فلما وصل المال إلى الشيخ قبله وأخذه ، وحمد الله عزّ وجلّ ، ودعا لجعفر
ولوالمده ، وعاد بالمال والجارية إلى منزله بالكوفة ، [وهو فرح مسرور ، وقد فرّج الله
عنه] ١٠ .

• أين نوال ابن جعفر من نوال ابن معمر

ووجدت في بعض كتبي : أن عمر بن شبة ، قال : حَدَّثني أبو غسان^١ ،
قال : أخبرني بعض أصحابنا ، قال :

إشترى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما جارية من مولّدات
أهل مكّة ، كان يتعشّقها غلام من أهلها ، وقدم في أمرها إلى المدينة ، فنزل
قريباً من منزل عبد الله بن جعفر ، ثم جعل يلطف عبد الله بطرائف مكّة ، حتى
عرفت الجارية أنّه ورَدَ .

وجعلت [٢٤٥ م] الجارية تراسله ، فأدخلته ليلة في إصطبل دواب عبد الله
بن جعفر ، فعثر عليه السائس ، فأعلم عبد الله بن جعفر ، وأتاه به .
فقال له : مالك ، قَبَحك الله ، أبعد تحرّمك بنا تصنع مثل هذا ؟
فقال له : إنك ابتعت الجارية ، وكنتُ لها محبّاً ، وكانت تجِدُني مثل ذلك .
قال : فدعا بالجارية ، وسأها ، فجاءت بمثل قصّة الفتى .
فقال له : خذها ، فهي لك .

فلَمّا كان بعد ذلك بقریب ، عشق عبد السلام بن أبي سليمان ، مولى
مسلم^٢ ، جارية لآل طلحة ، يقال لها : رواح ، ورجا أن يفعلوا به مثلاً فعل
ابن جعفر بالفتى المكّي ، فلم يفعل الطلحيّون ذلك ، فسأل في ثمنها ، حتى
اجتمع له ، فاشتراها منهم .
فقال عبد السلام في ذلك :

١ أبو غسان محمد بن يحيى : من رجال سند الأغاني ٢٤٨/١ والموشح للمرزباني ٤٧ .

٢ في غ : مولى أسلم .

وأين - فلا تعدل - نوال ابن جعفر
وأين لعمرى ، من نوال ابن معمر
يطير لدى الجنّات هذا لفضله
ويرفض^٣ هذا في الجحيم المسعر^٤

٣ إرفض : ذهب .
٤ لم ترد هذه القصّة في ر

ابن أبي حامد صاحب بيت المال يحسن إلى رجل من المتفقهة

وقد كان فيما يقارب عصرنا مثل هذا ، وهو ما حدثني به أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني الحافظ ^١ ، قال : حدثني أبو أحمد محمد بن أحمد الجرجاني الفقيه ، قال :

كنّا ندرس على أبي إسحاق المروزي الشافعي ^٢ ، وكان يدرس عليه معنا فتى من أهل خراسان ، له والد هناك ، وكان يوجّه إليه في كلّ سنة ، مع الحاجّ ، قدر نفقة السنة .

فاشتري جارية ، فوَقعت في نفسه ، وألفها ، وألفته ، وكانت معه سنين . وكان رسمه أن يستدين في كلّ سنة ، ديناً ، بقدر ما يعجز من نفقته ، فإذا جاء ما أنفذه أبوه إليه ، قضى دينه ، وأنفق الباقي مدّة ثم عاد إلى الاستدانة . فلما كان سنة من السنين ، جاء الحاجّ ، وليس معهم نفقة من أبيه . فسألهم عن سبب ذلك ، فقالوا له : إنّ أباك أعتلّ علّة عظيمة صعبة ، واشتغل بنفسه ، فلم يتمكن من إنفاذ شيء إليك .

١ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني الحافظ المحدث (٣٠٦-٣٨٥) : نسبته إلى دار القطن ، محلّة كبيرة ببغداد ، ترجم له صاحب اللباب ٤٠٤/١ وقال إنّ كان عالماً بالفقه ، واختلاف الفقهاء ، وله كتاب في السنن ، وتفقه على مذهب الشافعي ، وكان يحفظ كثيراً من دواوين العرب ، مات ببغداد ودفن بالقرب من معروف الكرخي .

٢ في غ : علي أبي أحمد المروزي الشافعي ، وهو خطأ ، والصحيح إنّ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي الشافعي ، الفقيه ، ولد بمرّو الشاهجان ، قصبة خراسان ، وأقام أكثر أيامه ببغداد ، وإليه انتهت رئاسة الشافعية بالعراق ، وتوفي بمصر سنة ٣٤٠ (الاعلام ٢٢/١) .

قال : فقلق الفتى قلقاً شديداً ، وجعل غرماؤه يطالبونه كالعادة . في قضاء الدين وقت الموسم ، فاضطر . وأخرج الجارية [٣٠٢ غ] إلى النخاسين . فعرضها . وكان الفتى ينزل بالقرب من منزلي ، وكنا نصطحب إلى منزل الفقيه ، ولا نكاد نتفارق .

فباع الجارية بألف درهم وكسّر^٣ ، وعزم على أن يفرق منها على غرمائه قدر ما لهم ، ويتمون بالباقي .

وكان قلقاً ، موجعاً ، متحيراً ، عند رجوعنا من النخاسين . فلمّا كان الليل إذا ببابي يدقّ ، فقممت ففتحت ، فإذا بالفتى . فقلت : مالك ؟

فقال : قد امتنع عليّ النوم ، وقد غلبتني وحشة الجارية ، والشوق إليها . ووجدته من القلق على أمر عظيم ، حتى أنكرت عقله ، فقلت : ما تشاء ؟ فقال : لا أدري ، وقد سهل عليّ أن ترجع الجارية إلى ملكي ، وأبكر غداً فأقر لغرمائي بما لهم ، وأحبس في حبس القاضي ، إلى أن يفرج الله تعالى عني ، ويحييني من خراسان ما أقضي به ديني في العام المقبل ، وتكون الجارية في ملكي . فقلت له : أنا أكفيك ذلك في غد إن شاء الله ، وأعمل في رجوع الجارية إليك ، إذا كنت قد وطّنت نفسك على هذا .

قال : فبكرنا إلى السوق ، فسألنا عمّن اشترى الجارية . فقالوا : امرأة من دار أبي بكر بن أبي حامد [٩٤ ن] ، صاحب بيت المال^٤ .

٣ الكسّر : جمعه : كسور ، وجمع الجمع : كسورات ، العدد الذي يكون أقلّ من العدد المعطوف عليه ، فإن قلت : واحداً وكسر ، فالكسر هو أقلّ من الواحد ، كالثلاث والرّبع ، وإن قلت : عشرة وكسر ، فالكسر هو أقلّ من العشرة كالواحد والإثنين .

٤ أبو بكر أحمد بن موسى بن النضر بن حكيم ، المعروف بابن أبي حامد ، صاحب بيت المال : ترجم له ابن الجوزي في المنتظم ٢٥٠/٦ ، وقال عنه : كان ثقةً ، صدوقاً ، جواداً ، راجع في تكملة الطبري ص ١٥ قصّة ورد ذكره فيها .

فجئنا إلى مجلس الفقيه ، فشرحتُ لأبي إسحاق المروزي بعض حديث الفتى ،
وسألتُه أن يكتب رقعة إلى أبي بكر بن أبي حامد ، يسأله فيها فسخ البيع ، والإقالة ،
وأخذ الثمن ، وردَّ الجارية ، فكتب رقعة مؤكَّدة في ذلك .

فقمْتُ ، وأخذتُ [٢٤٦ م] بيد الخراساني صديقي ، وجئنا إلى أبي بكر بن
أبي حامد ، فإذا هو في مجلس حافل ، فأمهلنا حتى خفَّ ، ثم دنوتُ أنا والفتى ،
فعرَفني ، وسألني عن [أبي إسحاق] المروزي ، فقلت : هذه رقعته خاصَّة في
حاجة له .

فلمَّا قرأها ، قال لي : أنت صاحب الجارية ؟
قلت : لا ، ولكنَّه صديقي هذا ، وأومأتُ إلى الخراساني ، وقصصت عليه
القصة ، وسبب بيع الجارية .

فقال : والله ، ما أعلم أنَّي ابتعت جارية في هذه الأيام ، ولا ابتيعت لي .
فقلت : إنَّ امرأة جاءت وابتاعها ، وذكرت أنَّها من دارك .
قال : يجوز .

ثم قال : يا فلان ، فجاءه خادم ، فقال له : امض إلى دور الحرم ،
فاسأل عن جارية اشترت أمس ، فلم يزل يدخل ويخرج من دار إلى دار ، حتى
وقع عليها ، فرجع إليه .

فقال له : أعثرت عليها ؟

فقال : نعم ، فقال : أحضرها ، فأحضرها .

فقال لها : من مولاك ؟ فأومأت إلى الخراساني .

فقال لها : أفتحَّين أن أردكَّ عليه ؟

ف قالت : والله ، ليس مثلك يا مولاي من يختار عليه ، ولكن لمولاي عليَّ حقٌّ

التربية [٢٧٥ ر] .

فقال : هي كيِّسة عاقلة ، خذها .

قال : فأخرج الخراساني الكيس من كمّه ، وتركه بحضرته .
فقال للخادم : إمض إلى الحرم ، وقل لمنّ : ما كنتنّ وعدتنّ به هذه الجارية
من إحسان ، ففعلته الساعة .
قال : فجاء الخادم بأشياء لها قدر وقيمة ، فدفعها إليها .
ثم قال للخراساني : خذ كيسك فاقض منه [٣٠٣ غ] دينك ، ووسّع بياقيه
على نفسك وعلى جاريتك ، والزم العلم ، فقد أجريت عليك في كلّ شهر
قفيز دقيق ، ودينارين ، تستعين بها على أمرك .
قال : فوالله ما انقطعت عن الفتى ، حتى مات أبو بكر بن أبي حامد^٥ .

٥ وردت القصّة في كتاب نوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي برقم القصّة ١٥٤/٧ .

ابن أبي حامد صاحب بيت المال يحسن إلى صيرفي

[قال مؤلف هذا الكتاب : وجدت هذا الخبر مستفيضاً ببغداد ، وأخبرت به على جهات مختلفة ، وهذا أبينها ، وأصحها إسناداً ، إلا أنني أذكر بعض الطرق الأخرى التي بلغتني] ^١ : حدثني أحمد بن عبد الله ، قال : حدثني شيخ من دار القطن ببغداد ، قال :

كان لأبي بكر بن أبي حامد مكرمة طريفة ، وهي أن رجلاً يعرف بعبد الواحد ابن فلان الصيرفي ، باع جاريته ، وكان يهواها ، على أبي بكر بن أبي حامد - يعني صاحب بيت المال - بثلاثمائة دينار .

فلما جاء الليل ، استوحش لها وحشة شديدة ، ولحقه من الهيمان ، والقلق ، والجنون ، والأسف على فراقها ، ما منعه من النوم ، ولحقه من البكاء والسهر ، ما كادت تخرج نفسه معه .

فلما أصبح خرج إلى دكانه يتشاغل بالنظر في أمره ، فلم يكن له إلى ذلك سبيل .

وزاد عليه القلق والشوق ، فأخذ ثمن الجارية ، وجاء إلى أبي بكر بن أبي حامد ، فدخل عليه ، ومجلسه حافل ، فسلم ، وجلس في أخريات الناس ، إلى أن تقوّضوا ^٢ .

١ الزيادة من غ .

٢ تقوّض البناء : تهدّم ، وتقوّض المجلس : تفرّق الجلساء .

فلَمَّا لم يبقَ غَيرُهُ ، أنكر ابن أبي حَامِد حاله ، [فقال له : إن كانت لك حاجة فاذكرها .

فسكت ، وجرت دموعه ، وشهق .

ففرق به ابن أبي حَامِد ، [٣ وقال له : قل ، عافاك الله ، ولا تستح .

فقال له : بعْتُ أَمْس ، جارية كانت لي ، وكنتُ أحبُّها ، واشتريت لك - أطال الله بقاءك - وقد أحسست بالموت أسفاً على فراقها .

وأخرج الثمن فوضعه بحضرتة ، وقال له : أنا أسألك أن تردَّ عليَّ حياتي ، بأخذ هذه الدنانير ، وإقالاتي من البيع .

قال : فتبسَّم ابن أبي حَامِد ، وقال له : لِمَا كانت بهذا المحلِّ من قلبك

لَمْ بعثها ؟

فقال : أنا رجل صيرفي ، وكان رأس مالي ألف دينار ، فلَمَّا اشتريتها ، تشاغلْتُ بها عن لزوم الدكان ، فبطل كسبي ، وكنتُ أنفق عليها من رأس المال نفقة لا يحتملها حالي ، فلَمَّا مضت مدَّة ، خشيت الفقر ، ونظرت ، فإذا أنا لم يبقَ معي من رأس المال إلَّا الثلث أو أقلُّ ، وصارت تطالبني من النفقة ، بما لو أطعتها فيه ، ذهبت هذه البقيَّة ، وحصلت على الفقر .

فلَمَّا منعتها ، ساءت أخلاقها [٢٤٧ م] ونعَّصت عيشي ، فقلت أبيعها ، وأدير ثمنها فيما أختلَّ من حالي ، وتستقيم عيشتي ، وأستريح من أذاها ، وأنصبر على فراقها ، ولم أعلم أنَّه يلحقني هذا الأمر العظيم ، وقد آثرت الآن الفقر ، وأن تحصل الجارية عندي ، أو أن أموت ، فهو أسهل عليَّ ممَّا أنا فيه .

فقال ابن أبي حَامِد : يا فلان ، فجاء خادم أسود .

فقال له : أخرج الجارية التي اشتريت لنا بالأمس .

قال : فأخرجت جاريَّتي .

فقال : يا بنيّ ، إنّ مثلي لا يطأ قبل الإِستبراء ، والله ، ما وقعت عيني على الجارية - منذ اشتريت - إلّا الساعة ، وقد وهبتها لك [٣٠٤ غ] فخذها ، وخذ دنانيرك ، بارك الله لك فيهما .

ثم قال للخادم : هات ألف درهم ، فجاء بها .
فقال للجارية : قد كنت عوّلت على أن أكسوك ، فجاء من أمر مولاك ما رأيت ولم أر من المروءة منعه منك ، فخذني هذه الدراهم ، وأنّسعي بها في نفقتك ، ولا تحملي مولاك ما لا يطيق ، فتحصلين عند من لا يعرف قدرك كمعرفته ، ولك عليّ ألف درهم في كلّ سنة ، يجيء مولاك فيأخذها لك ، إذا شكرك ، ورضي طريقتك .

قال : فقام الرجل ، وقبّل يديه ، وجعل يبكي ، ويدعو له .
ولم يزل المال واصلاً إليه في كلّ سنة ، حتى مات ابن أبي حامد . [٢٧٦ ر]

الحسن بن سهل يحسن إلى الفسطاطي التاجر

ويشبه هذا الحديث ، ما وجدته في كتاب أعطانيه أبو الحسين عبد العزيز ابن إبراهيم المعروف بابن حاجب النعمان ، وهو يومئذ كاتب الوزير المهلبّي على ديوان السواد^١ ، وذكر أنّه نسّخه من كتاب أعطاه إياه أبو الحسين الخصبي^٢ ، وكان فيه إصلاحات بخط ابن مابنداذ^٣ .

اشترى الحسن بن سهل ، من الفسطاطي التاجر ، جارية بألف دينار ، فحملت إلى منزل الحسن ، وكتب للفسطاطي بثمنها^٤ .

فأخذ الكتاب إلى من أحاله [٩٥ ن] عليه بالمال ، وانصرف إلى منزله ، فوجده مفروشاً نظيفاً ، وفيه ريحان قد عبّى تعبئة حسنة ، ونبذ قد صني .
فقال : ما هذا ؟

١ أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم المعروف بابن حاجب النعمان : كان أبوه حاجب النعمان بن عبد الله الكاتب (راجع القصة ٦١/١ و ٦٢/١ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التّنوّخي) ، وكان أبو الحسين أحد أفراد الزمان في الفضل والنبيل ، ومعرفته كتابة الدواوين ، وكان إليه ديوان السواد أيام معز الدولة (القصة ٢٨/١ من كتاب نشوار المحاضرة) ، ولم تشاهد خزانة كتب أحسن من خزائنه ، وله ستة مؤلفات (الفهرست ١٣٤) .

٢ أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الخصبي : ترجمته في حاشية القصة ٨٢ من الكتاب .

٣ أبو الحسن أحمد بن محمد بن مابنداذ : كان من كبار العمّال في الدولة العباسيّة ، (تجارب الأمم ١/١٤٤) قلّده الوزير علي بن عيسى في السنة ٣١٥ أعمال الخراج بالأهواز (تجارب الأمم ١/١٥٧ و ١٨٦ وتكملة الطبري ص ٥٠) .

٤ في غ : وأخذ الفسطاطي ثمنها .

فَقِيلَ لَهُ : جَارِيَتِكَ الَّتِي بَعَثَهَا السَّاعَةُ ، قَدْ أَعَدَّتْ لَكَ هَذَا لِتَنْصَرِفَ إِلَيْهَا ،
فَبِعَتْهَا قَبْلَ انْصِرَافِكَ .

قَالَ : فَقَامَ الْفُسْطَاطِيُّ ، فَرَجَعَ إِلَى الْحَسَنِ .
[وَأَحْضَرَ الْحَسَنَ الْجَارِيَةَ ، فَرَأَى زَيْئًا حَسَنًا ، وَنَظَافَةً ، وَتَزَيَّنَتْ بِزِينَةٍ لَمْ تُرَ مِنْ مِثْلِهَا ، مَعَ مَا رَأَى فِيهَا مِنَ الْحَسَنِ وَالْجَمَالِ ، وَالْبَهَاءِ وَالْكَمَالِ ، فَهُوَ يَجِيلُ الْفِكْرَ وَالنَّظَرَ فِيهَا ، إِذْ رَجَعَ الْفُسْطَاطِيُّ إِلَيْهِ ، وَهُوَ كَالْمَجْنُونِ الْمَخْبُولِ] ° ، وَقَالَ :
أَقْلَنِي بَيْعَ الْجَارِيَةِ ، أَقَالَكَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

فَقَالَ : مَا إِلَى هَذَا سَبِيلَ ، وَمَا دَخَلْتَ قَطْ دَارَنَا جَارِيَةً ، فَخَرَجْتَ مِنْهَا .
قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّهُ الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ .

قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟

فَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ ، [وَجَبَّ لَهَا ، وَتَلَهَّفَ عَلَيْهَا ، وَآثَمَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى فِرَاقِهَا وَأَنَّ
النَّدَمَ قَدْ لَحِقَهُ ، وَالشُّوقَ قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ فُؤَادِهِ ، وَآثَمَ إِنْ دَامَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، كَانَ فِيهِ
تَلَفٌ نَفْسِهِ] ° ، وَبَكَى ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَضَرَّعُ لَهُ .

فَرَفَّقَ لَهُ الْحَسَنُ ، [وَأَحْضَرَ الْجَارِيَةَ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَقَالَ لَهَا : هَلْ لَكَ فِي
مَوْلَاكَ رَغْبَةٌ ؟

فَقَالَتْ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، فِي مِثْلِهِ يَرِغُبُ] ° ، فَردَّ الْجَارِيَةَ عَلَيْهِ .

وَقَالَ لَهُ : خُذْ هَذِهِ الْأَلْفَ دِينَارَ ، لَكَ هَبَةٌ ، لَا يَرْجِعُ إِلَى مَلِكِي مِنْهَا دِينَارٌ
وَاحِدٌ .

فَأَخَذَ الْفُسْطَاطِيُّ الْجَارِيَةَ وَالْدَنَانِيرَ ، [وَقَالَ : الْجَارِيَةُ حَرَّةٌ لَوْجَهُ اللَّهُ تَعَالَى ،
وَهَذِهِ الْأَلْفُ دِينَارٌ صَدَاقُهَا ، ثُمَّ كَتَبَ كِتَابَهَا] ° .

وَعَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَجَلَسَ مَعَ جَارِيَتِهِ عَلَى مَا أَعَدَّتْهُ لَهُ ٦ .

٥ الزيادة من غ .

٦ لم ترد هذه القصة في ر ، ووردت مضطربة في م .

الأشتر وجيداء

أخبرني أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالأصبهاني ، قال : حدّثني جعفر بن قدامة^١ ، قال : حدّثني أبو العيّن ، قال :

كنت أجالس محمّد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسين ابن علي بن أبي طالب سلام الله عليهم أجمعين^٢ ، وكان قد حُمِلَ إلى [٣٠٥ غ] المتوكّل أسيراً ، فحبسه مدّة ، ثم أطلقه المتوكّل ، وكان أعرابياً فصيحاً ، فحدّثني يوماً قال : [٢٤٨ م] [حدّثني نمير بن مخلف الهلالي^٣ ، وكان حسن الوجه جداً] ، قال :

كان منّا فتى يقال له بشر بن عبد الله ، ويعرف بالأشتر ، وكان يهوى جارية من قومه ، يقال لها : جيداء ، وكانت ذات زوج .

وشاع خبره في حبّها ، فنع منها ، وضيق عليه ، حتى لم يقدر أن يلمّ بها . فجاءني ذات يوم ، وقال : يا أخي ، قد بلغ منّي الوجد ، وضاق عليّ سبيل الصبر ، فهل تساعدني على زيارتها ؟

قلت : نعم فركبتُ ، وسرنا ، حتى نزلنا قريباً من حبّها ، فكمن في موضع . فقال لي : إذهب إلى القوم فكن ضيفاً لهم ، ولا تذكر شيئاً من أمرنا ،

١ جعفر بن قدامة بن زياد : أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم ، وافر الأدب ، حسن المعرفة ، له مصنفات في صناعة الكتابة وغيرها (تاريخ بغداد للخطيب ٢٠٥/٧) .

٢ محمّد بن صالح بن عبد الله بن موسى الحسيني العلوي : ورد ذكره في القصة ١٧٦/٦ والقصة ١٥٣/٧ من كتاب نشوار المحاضرة ، راجع أخباره في الأغاني ٣٦٠-٣٧٢ .

٣ في نشوار المحاضرة ، رقم القصة ١٧٦/٦ : نمير بن قحيف الهلالي .

٤ - ساقطة من غ .

حتى ترى راعية لجيّداء صفتها كذا وكذا ، فأعلمها خبري ، وواعدها بوعد .
ففضيت وفعلت ما أمرني به ، ولقيت الراعية فخاطبتها ، فضت إلى جيّداء ،
وعادت إليّ ، فقالت : قل له : موعذك الليلة عند الشجيرات .
فلما كان الوقت الذي وعدتنا فيه ، إذا بجيّداء قد أقبلت ، فوثب الأشر
إليها ، فقبل بين عينيها .

فقمت مولياً عنهما ، فقالا : نقسم عليك إلا ما رجعت ، فوالله ، ما بيننا ما
نستره عنك ، فرجعت ، وجلسنا نتحدّث .

فقال لها : يا جيّداء ، أما فيك حيلة لتتعلّل الليلة ؟
فقالت : لا والله ، إلا أن نعود إلى ما نعرف من البلاء والشدة .
فقال : ما من ذلك بدّ ، ولو وقعت السماء على الأرض .
فقالت : هل في صاحبك هذا من خير ؟

فقلت : إي والله .

فخلعت ثيابها ، ودفعتها إليّ ، وقالت : البسها ، وأعطني ثيابك ، ففعلت .
فقالت : اذهب إلى بيتي ، فإن زوجي سيأتيك بعد العتمّة ، ويطلب منك
القدح ليحلب فيه الإبل ، فلا تدفعه إليه من يدك ، فهذا فعلي به ، ودعه بين
يديه ، فإنه سيذهب ويحلب ، ثم يأتيك به ملآن لبناً ، ويقول : هالك غبوقك ° ،
فلا تأخذه منه ، حتى تطيل نكدك عليه ، ثم خذه ، أودعه حتى يضعه هو ،
ثم لست تراه حتى تصبح .

قال : فذهبت ، وفعلت ما أمرني به ، وجاءني بالقدح ، فلم آخذه منه ،

٥ الغبوق : ما يشرب في العشي ، وكان السيد خيرى الهنداوي ، الشاعر العراقي المشهور ، رحمة الله عليه ،
إذا أنشأ ، يكثر الترنم بهذا البيت :

يضاع فينشد قعب الغبوق وقلبي يضاع فلا ينشد

٦ النكد : الشدة والعسر .

وأطلت عليه النكد ، ثم أهويت لآخذه ، وأهوى ليضعه ، فاختلفت أيدينا ، فانكفأ القدح .

فقال : إن هذا لطماح^٧ مفرط ، وضرب بيده إلى سوطه ، ثم تناولني به ، وضرب ظهري ، فجاءت أمه ، وأخته ، فانترعوني من يده ، بعد أن زال عقلي ، وهمت أن أجأه^٨ بالسكين .

فلما خرجوا من عندي ، لم ألبث إلا يسيراً ، حتى دخلت أم جيداء ، تؤنّبني ، وتكلمني ، فلزمت الصمت والبكاء .

فقلت : يا بنية ، أتقي الله ، وأطيعي بعلك ، وأما الأشر فلا سبيل لك إليه ، وها أنا أبعث إليك بأختك لتؤنسك ، ومضت .

ثم بعثت إليّ بالجارية ، فجعلت تكلمني^٩ ، وتدعو على من ضربني ، وأنا ساكت ، ثم اضطجعت إلى جانبي .

فشددت يدي على فها ، وقلت : يا جارية ، إن أختك مع الأشر ، وقد [٣٠٦ غ] قطع ظهري بسببها ، وأنت أولى بسترها مني ، وإن تكلمت بكلمة فضحتنا ، وأنا لست أبالي .

فاهترت مثل القضيبي فرعاً ، فطمّنتها ، وطيّت قلبها ، فضحكت ، وباتت معي منها أظرف الناس ، ولم نزل نتحدّث حتى برق الصبح ، فخرجت ، وجئت إلى صاحبي .

فقلت جيداء : ما الخبر ؟ [٢٧٧ ر]

فقلت : سلي أختك عن الخبر ، فلعمري إنّها عالمة به ، ودفعت إليها ثيابها ،

٧ الطماح : الجماح ، يقال : طمحت المرأة على زوجها : جمعت .

٨ الوجأ : الطعن في أي موضع كان .

٩ في نشوار المحاضرة ، القصة ١٧٦/٦ وفي المستجد ص ٥٢ : فجعلت تبكي .

وأريتها ظهري ، فجزعت ، وبكت ، ومضت مسرعة ، وجعل الأشر يبكي ،
وأنا أحدثه بقصتي ، وارتحلنا^{١٠} .

١٠ وردت القصة في نشوار المحاضرة برقم ١٧٦/٦ وفي المستجاد للتونسي ٤٩-٥٣ وفي الأغاني ٣٢٧/٤
قصة لطريح بن إسماعيل الثقي مشابة لهذه القصة .

أقسم أن يغسل يده أربعين مرة إذا أكل زيرباجة

حدثني أبو الفرج أحمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي المعروف بابن النرسي [من أهل باب الشام ببغداد] ، وقد كان خَلَفَ أبا الحسن علي بن أبي طالب بن البهلول التنوخي^١ على القضاء بهيت ، وما علمته إلا ثقة ، قال : سمعت فلان التاجر ، يحدث أبي - وأسمى التاجر ، وأنسيته أنا^٢ ، قال : حضرت عند صديق لي من البزازين ، وكان مشهوراً ، في دعوة ، فقدّم في جملة طعامه ، زيرباجة^٣ ، ولم يأكلها [٢٤٩ م] ، فامتنعنا من أكلها . فقال : أحبّ أن تأكلوا منها ، وتعفوني من أكلها ، فلم ندعه حتى أكل . فلما غسلنا أيدينا ، انفرد يغسل يده ، ووقف غلام يعدّ عليه الغسل ، حتى قال له : قد غسلت يدك أربعين مرة ، فقطع الغسل .

١ أبو الحسن علي بن أبي طالب محمد بن أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي (٣٠١-٣٥٤) : تقلّد القضاء بالأنبار وهيت ، ثم ولي القضاء بطريق خراسان ، ثم صرف ، ثم قلّد قضاء الأنبار وهيت ، ثم أضيف إليهما الكوفة ، ثم صرف (المنتظم ٣٠/٧) .

٢ هذه الفقرة ساقطة من ر .

٣ وردت القصة في نشوار المحاضرة ج ٤ ص ١٧٧ رقم القصة ٨٨/٤ وقد ورد فيها أن الطعام الذي امتنع من أكله ، كان (ديكبريكة) وقد وصفناها هناك ، أما الزيرباجة : فهي طعام يصنع من اللحم ، ويطبخ بالدارسيني والخلّ ، ويضاف إليه الحمص والكسبرة والقلفل والمصطكي واللوز المقشور ، ويقطر عليه ماء الورد ، ويذرّ عليه الزعفران ، أنظر التفصيل في كتاب الطبخ للبغداد ص ١٦ وأنظر في الأغاني ٣٤٢/١١ سبب تفضيل عبد الله بن طاهر للزيرباجة على بقية ألوان الطعام ، وقد ورد اسم هذا اللون من الطعام في غ : داجبراجة ، وأحسب أنها الديكبريكة نفسها ، إحداها منسوبة للدجاجة ، والثانية لديك .

فقلنا له : ما سبب هذا ؟ فامتنع ، فالححنا عليه .
 فقال : مات أبي وسَيّ نحواً من عشرين سنة ، وخَلَفَ عليّ حالاً صغيرةً ،
 وأوصاني قبل موته بقضاء ديون عليه ، وملازمة السوق ، وأن أكون أوّل داخل إليه ،
 وآخر خارج منه ، وأن أحفظ مالي .
 فلَمّا مات ، قضيت دينه ، وحفظت ما خَلَفَه لي ، ولزمت الدكان ، فرأيت
 في ذلك منافع كثيرة .
 فبينما أنا جالس يوماً ولم يتكامل السوق ، وإذا بامرأة راكبة على حمار ،
 وعلى كفله^٥ منديل ديبقي^٦ ، وخدام يمسك بالعنان ، فترلت عندي .
 فأكرمتها ، ووثبت إليها ، وسألتها عن حاجتها ، فذكرت ثياباً .
 فسمعت - والله - نغمةً ، ما سمعت قط أحسن منها ، ورأيت وجهاً لم أر مثله ،
 فذهب عني عقلي ، وعشقتها في الحال .
 فقلت [٩٧ ن] لها : تصبرين حتى يتكامل السوق ، وأخذ لك ما تريدين ،
 ففعلتُ ، وأخذت تحادثني ، وأنا في الموت عشقاً لها .
 وخرج الناس ، فأخذت لها ما أرادت ، فجمعتها ، وركبتُ ولم تخاطبني في
 ثمنه بحرف واحد ، وكان ما قيمته خمسة آلاف درهم .
 فلَمّا غابت عني أفقت ، وأحسست بالفقر ، فقلت : محتالة ، خدعتني بحسن
 وجهها ، ورأتني حَدَثاً ، فاستغرّني^٧ ، ولم أكن سألتها عن منزلها ، ولا طالبها
 بالثمن ، لدهشتي بها .
 فكنمت خبري لثلاث أفتضح ، وأتعجلّ المكروه ، وعولت على غلق دكاني ،

٤ في غ : وخَلَفَ لي مالاً عظيماً .

٥ الكفل ، بالفتح : العجز .

٦ الديبقي : ثياب تنسب إلى دبيق ، مدينة بمصر (معجم البلدان ٥٤٨/٢) ، راجع لطائفت المعارف ص ٢٢٧ .

٧ الغرّ : الشاب الذي لا خبرة له ، والإستغفار : الخديعة باستغلال الغرّة والجهل .

وبيع كل ما فيها ، وأوفي الناس ثمن متاعهم ، وأجلس في بيتي مقتصراً على غلة
سيرة من عقار كان خلفه لي أبي [٣٠٧ غ] .

فلما كان بعد أسبوع ، إذا بها قد باكرتني ، ونزلت عندي ، فحين رأيته
أنسيت ما كنت فيه وقمت لها .

فقالت : يا فتى ، تأخرنا عنك ، وما شككنا أنا قد روعناك ، وظننت أنا قد
احتلنا عليك .

فقلت : قد رفع الله قدرك عن هذا .

فاستدعت الميزان ، فوفّتي دنانير قدر ما قلت لها عن ثمن المتاع ، وأخرجت
تذكرة^٨ بمتاع آخر .

فأجلستها أحادتها ، وأتمتع بالنظر إليها إلى أن تكامل السوق ، وقمت ، ودفعت
إلى كل إنسان ما كان له ، وطلبت منهم ما أرادت ، فأعطوني ، فجثتها به ،
فأخذته وانصرفت ، ولم تخاطبني في ثمنه بحرف .

فلما غابت عني ندمت ، وقلت : المحنة هذه ، أعطيتني خمسة آلاف درهم ،
وأخذت مني متاعاً بألف دينار ، والآن إن لم أقع لها على خبر ، فليس إلا الفقر ،
وبيع متاع الدكان ، وما قد ورثته من عقار .

وتطاولت غيبتها عني أكثر من شهر وأخذ التجار يشددون عليّ في المطالبة ،
فعرضت عقاري ، وأشرفت على الهلكة .

فأنا في ذلك ، وإذا بها قد نزلت عندي ، فحين رأيته زال عني الفكر في
المال ، ونسيت ما كنت فيه ، وأقبلت عليّ تحادثني ، وقالت : هات الطيار^٩ ،
فوزنت لي بقيمة المتاع دنانير .

٨ التذكرة : قائمة تسجل فيها الأشياء المطلوبة ، والعامّة ببغداد يسمونها «تسكرة» .

٩ الطيار : ميزان لطيف توزن به الأشياء الدقيقة كاللدنانير .

فأخذت أطاوها^{١٠} في الكلام ، فبسطني ، فكدت أموت فرحاً وسروراً ،
إلى أن قالت : هل لك زوجة ؟

فقلت [٢٧٨ ر] : لا والله يا سيدي ، وما أعرف امرأة قط ، وبكيت.
فقلت : ما لك ؟

قلت : خير ، وهبتها ثم قمت وأخذت بيد الخادم الذي كان معها ،
وأخرجت له دنانير كثيرة ، وسألته أن يتوسط الأمر [٢٥٠ م] بيني وبين سته .
فضحك ، وقال : إنها هي - والله - أعشق منك لها ، وما بها حاجة إلى
ما اشترته منك ، وإيما تجيئك محبة لمطاولتك ، فخاطبها بما تريد ، فإنها تقبله ،
وتستغني عني .

فعدت ، وكنت قلت لها : إني أمضي لأنقد الدنانير ، فلمّا عدت ، قالت :
نقدت الدنانير ؟ وضحكت ، وقد كانت رأيتني مع الخادم .

فقلت لها : يا سيّتي ، الله ، الله ، في دمي ، وخاطبتها بما في نفسي منها ،
فأعجبها ذلك ، وقبلت الخطاب أحسن القبول .

وقالت : الخادم يجيئك برسائلي بما تعمل عليه ، وقامت ولم تأخذ مني
شيئاً ، فوفيت الناس أموالهم ، وحصلت ربحاً واسعاً ، واغتممت خوفاً من انقطاع
السبب بيني وبينها ، ولم أنم ليلتي قلقاً وخوفاً .

فلمّا كان بعد أيام جاءني الخادم^{١١} ، فأكرمته ، وهبت له دنانير لها صورة ،
وسألته عنها .

فقال : هي - والله - عليّلة من شوقها إليك .

فقلت : فاشرح لي أمرها ؟

١٠ المطاولة : إطالة الحديث والانبساط في الخطاب .

١١ في غ : ولم يقر لي قرار ، وكنت لا أعرف النوم مدّة عشرين يوماً ، فلمّا كان الحادي والعشرين جاءني
الخادم .

فقال : هذه صبيّة ربّتها السيّدة أمّ أمير المؤمنين المقتدر بالله ، وهي من أخصّ جواريا عندها ، وأحضاهنّ ، وأحبهنّ إليها .

وإنّها اشتبهت رؤية الناس ، والدخول [٣٠٨ غ] والخروج ، فتوصّلت حتى صارت القهرمانة ^{١٢} ، وصارت تخرج في الحوائج ، فترى الناس .

وقد - والله - حدّثت السيّدة بحديثك ، وسألتها أن تزوّجها منك ، فقالت : لا أفعل ، أو أرى الرجل ، فإن كان يستحقّك ، وإلا لا أدعك واختيارك .

وتحتاج إلى أن تتحيّل في إدخالك إلى الدار ^{١٣} بحيلة ، إن تمّت وصلت إلى تزويجها ، وإن انكشفت ضربت عنقك ، فما تقول ؟

فقلت : أصبر على هذا .

فقال : إذا كان الليلة ، فأعبر إلى المخرم ^{١٤} ، وادخل المسجد الذي بنته السيّدة على شاطئ دجلة ، وعلى حائطه الأخير ممّا يلي دجلة ، اسمها مكتوب بالآجر المقطوع ، فبت فيه .

قال أبو الفرج بن الترسّي : وهو المسجد الذي قد سدّ باباه الآن سبكتكين ، الحاجب الكبير ، مولى معزّ الدولة ، المعروف بجاشنكير ^{١٥} ، وأضافه إلى ميدان

١٢ القهرمانة : أنظر الشرح في آخر القصّة .

١٣ الدار : دار الخلافة .

١٤ المخرم : قال ياقوت في معجم البلدان ٤/٤٤١ : إنّ محلّة المخرم كانت بين الزاهر والرصافة ، وكانت تضمّ دار الوزارة إبان وزارة ابن الفرات ، ثمّ صارت دار المملكة في عهد سلاطين الدولة البويهية والسلجوقية ، وقد حلّ محلّها الآن : محلّة العلوازية ، والمستشفى التعليمي ، أو مدينة الطبّ الآن ، جزء من محلّة المخرم .

١٥ سبكتكين : القائد التركي ، مولى معزّ الدولة ، وحاجبه ، المعروف بجاشنكير : كان معزّ الدولة يعتمد عليه في أمر الجيش ، فلمّا مات ، وخلفه بختيار ، وكان سيّء السياسة ، أوحش سبكتكين ، ففر منه ، واضطرّ آخر الأمر إلى مجاهرته بالخصومة ، فسيطر على بغداد ، وخلع المطيع ، ونصب الطائع بدلاً منه ، ثم خرج مع الطائع ليحارب بختيار ، ولكنّه مات في دير العاقول في السنة ٣٦٣ ، وخلف ألف ألف دينار ، وعشرة آلاف درهم ، وصندوقين من الجواهر ، وخمسة وأربعين صندوقاً ، من آنية الذهب ، غير

داره ، وجعله مصلى لغلما نه .

قال الرجل : فلما كان قبل المغرب مضيت إلى المخرم ، فصليت في المسجد العشائين ، وبث فيه .

فلما كان وقت السحر ، إذا بطيار لطيف قد قدم ، وخدم قد نزلوا ومعهم صناديق فارغة ، فجعلوها في المسجد ، وانصرفوا ، وبقي واحد منهم ، فتأملته ، فإذا هو الوسطة بيني وبينها .

ثم صعدت الجارية واستدعني ، فقممت ، وعانقتها ، وقبّلت يدها ، وقبّلتني قبلات كثيرة ، وضمتني ، وبكيت ، وبكت .

وتحدثنا ساعة ، ثم أجلسني في واحد من الصناديق ، وكان كبيراً ، وأقفلته . وأقبل الخدم يتراجعون بثياب ، وماء ورد ، وعطر ، وأشياء قد أحضروها من مواضع ، وهي تفرّق في باقي الصناديق ، وتقفل ، ثم حملت الصناديق في الطيار ، وانحدر .

فلحقني من الندم أمر عظيم ، وقلت : قتلت نفسي لشهوة لعلها لا تتم ، ولو نمت ما ساوت قتل نفسي ، وأقبلت أبكي ، وأدعو الله عزّ وجلّ ، وأتوب ، وأنذر الندور ، إلى أن حملت الصناديق بما فيها ، ليجاز بها في دار الخليفة ، وحمل صندوقي [خادمان أحدهما الوسطة بيني وبينها]^{١٦} .

وهي كلّما اجتازت بطائفة من الخدم الموكّلين بأبواب الحرم ، قالوا : نريد نفّش الصناديق ، فتصيح على بعضهم ، وتشم بعضهم ، وتداري بعضهم .

إلى أن انتهت إلى خادم ظننته رئيس القوم ، فخطبته بخضوع وذلة ، فقال لها : لا بدّ من فتح الصناديق [٢٥١ م] وبدأ بصندوقي فأنزله .

العروض الأخرى ، من بلور ، وفرش وخيل ، ودوابّ ، وجمال ، وماليك ، واستولى ملوك بني بويه على داره بالمخرم ، فأصبحت داراً للمملكة (المنتظم ٦٧/٧ وتجارب الأمم ٣٢٧/٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤) .

١٦ الزيادة من غ .

فحين أحسست بذلك ذهب عقلي ، وغاب [٢٧٩ ر] عليّ أمري ، وبلت في الصندوق فرقاً ، فجرى بولي حتى خرج من خلله^{١٧} .

فقال : يا أستاذ^{١٨} ، أهلكني ، وأهلك التجار ، وأفسدت علينا متاعاً بعشرة آلاف دينار في الصندوق ما بين ثياب مصبغات ، وقارورة فيها أربعة أمان من ماء زمزم ، قد انقلبت وجرت على الثياب ، والساعة تستحيل ألوانها .

فقال : خذي صندوقك ، أنت وهو ، إلى لعنة الله ، ومرّي .

فحمل الخادمان [٩٨ ن] صندوقي ، وأسرعوا به ، وتلاحقت الصناديق [٣٠٩ غ] .

فما بعدنا ساعة حتى سمعتها تقول : ويلاه ، الخليفة ، فعند ذلك متُّ ، وجاءني ما لم أحسبه .

فقال لها الخليفة : واللك^{١٩} ، يا فلانة ، أيّ شيء في صناديقك ؟

١٧ الخلل . وجمعه خلال : المنفرج بين الشئين ، وخلل الصندوق : الفرجات بين ألواح ، والخلل كذلك ، جمع خلّة ، وهي الثقبه .

١٨ الأستاذ : المعلم والرئيس ، أصلها فارسي : أستاذ ، وبالتركية والكردية : أستا ، (الألفاظ الفارسية المعربة ١٠) ، والعامّة ببغداد يلفظونها : أسطى (بالمقصورة) أو (أسطه) بألفه الساكنه ، وكانت كلمة الاستاذ تطلق على الخدم الطواشيّة ، السود منهم والبيض ، ومنهم كافور الإخشيدي ، فكان يسمّى : الاستاذ كافور .

١٩ واللك : أصلها ويلك ، خففت إلى واللك ، وقد يقال : واك ، والعامّة الآن ببغداد ، يقولون : ولّك ، بكسر الواو ، وفتح اللام ، أو : لكّ ، بفتح اللام وسكون الكاف ، يقولونها عند الخصومة والتحدّي ، بخلاف اللبّانيين فإنهم يقولون : ولك ، للتعجب ، وقد يقولون : ولك يا حبيبي ، وكان الوزير أبو الحسن علي بن عيسى ، قد تعود أن يقول : واللك ، حتى أنّه قالها للخليفة الراضي ، فحقدها الراضي عليه ، وأراد أن يبطش به ، راجع القصّة رقم ٣٧/٥ في كتاب نشوار المحاضرة ، والتكملة ص ٤٦ ، وفي معجم الأدباء ٣٨٨/١ عن جحظة البرمكي ، قصّة عن الوّقاد الذي تغنى بأبيات من الشعر ، فيها كلمة : واللك ، وهي :

أنا أهواك ونور الـ — له فافعل ما بدالك =

فقال : ثياب للسيدة .
 فقال : افتحها حتى أراها .
 فقالت : يا مولاي ، الساعة تفتحها ستنا بين يديك .
 فقال : مرّي ، هوذا أجي^{٢٠} .
 فقالت للخدم : أسرعوا ، ودخلت حجرة ، ففتحت صندوقي ، وقالت :
 اصعد تلك الدرجة^{٢١} ، ففعلت ، وأخذت بعض ما في تلك الصناديق ، فجعلته
 في صندوقي ، وأقفلته .
 وجاء المقتدر ، فحملت الصناديق إلى بين يديه ، ثم عادت إليّ ، فطيّبت
 نفسي ، وقدمت لي طعاماً وشراباً ، وما يحتاج إليه ، وأقفلت الحجرة ، ومضت .
 فلما كان من غد جاءني ، فصعدت إليّ ، وقالت : الساعة تحيي السيدة
 لترك ، فانظر كيف تكون ؟
 فلما كان بأسرع من أن جاءت السيدة ، فجلست على كرسي ، وفرقت جواربها ،
 ولم يبق معها غير واحدة منهنّ ، ثم أنزلتني الجارية .
 فحين رأيت السيدة قبلت الأرض ، وقمت فدعوت لها .
 فقالت لجارتها : نعم ما اخترت لنفسك هو - والله - كيّس ، عاقل ،
 ونهضت .
 [قامت معها صاحبتى وتبعتهما]^{١٦} ، وأتت إليّ بعد ساعة ، وقالت :

إن تكن تمنعني شخـ	صك فابذل لي خيالك
قد أخذت الدنّ والـ	طنبور والكأس فالكـ
قل لمن في جنبك الـ	قمعوث من دسك والـ

٢٠ هوذا : تعبير بغدادى ، معناه : ها أنا ، أو : الآن .

٢١ الدرجة ، وجمعها درج : المرقاة .

أبشر^{٢٢} فقد - والله - وعدتني أن تزوّجني بك ، وما بين أيدينا عقبة إلا الخروج .
فقلت : يسلم الله تعالى .

فلما كان من غدٍ حملتني في الصندوق ، وخرجت كما دخلت ، وكان
الحرص على التفتيش أقلّ ، وتركت في المسجد الذي حملت منه في الصندوق ،
وقمت بعد ساعة ، ومضيت إلى منزلي ، وتصدّقت ، ووفيت بنذري .

فلما كان بعد أيام ، جاءني الخادم برقعته ، بخطّها الذي أعرفه ، وكيس
فيه ثلاثة آلاف دينار عينا ، وهي تقول في رقعته : أمرتني السيّدة بإنفاذ هذا
الكيس من مالها إليك ، وقالت : اشتر ثياباً ، ومركوباً ، وغلاماً يسعى بين
يديك ، وأصلح به ظاهرك ، وتجمّل بكل ما تقدّر عليه ، وتعال يوم الموكب^{٢٣} إلى
باب العامّة^{٢٤} ، وقف حتى تطلب ، وتدخل على الخليفة ، وتزوّج بحضرته .
فأجبت على الرقعة ، وأخذت الدنانير ، واشترت منها ما قالوه ، واحتفظت
بالباقى .

وركبت بغلتي يوم الموكب إلى باب العامّة ، ووقفت ، وجاءني من استدعاني ،
فأدخلني على المقتدر ، وهو على السرير ، والقضاة ، والهاشميون ، والحشم ،
قيام ، فداخلتني هيئة عظيمة ، فخطب بعض القضاة ، وزوّجني ، وخرجت .
فلما صرت في بعض الممرّات ، عدل بي إلى دار عظيمة ، مفروشة بأنواع
الفرش الفاخر ، والآلات ، والخدم ، فأجلست ، وتركت وحدي ، وانصرف من
أجلسني .

٢٢ أبشر : أي استمع إلى بشرى ، ومن ظريف تعابير العامّة ببغداد ، أنك إذا ناديت أحدهم ، أجب
بقوله : إبشر (بكسر الهمزة) .

٢٣ يوم الموكب : اليوم الذي يجلس فيه الخليفة جلوساً عاماً ، وقد أفرد هلال الصابي في كتابه رسوم دار
الخلافة ، فصلاً خاصاً ص ٩٠-٩٢ فصل فيه كيفيّة جلوس الخليفة ، ووصف مجلسه ولباسه ، وملابس
الذين يدخلون عليه .

٢٤ باب العامّة : أحد أبواب دار الخلافة ، وكانت في شرقي الدار ، وهي أقرب أبواب الدار إلى جامع الخلفاء .

فجلست يومي لا أرى من أعرف ، وخدم يدخلون ويخرجون ، وطعام عظيم ينقل ، وهم يقولون : الليلة تزف فلانة - اسم زوجتي - إلى زوجها ، ها هنا . فلما جاء الليل أثر الجوع فيّ ، وأقفلت الأبواب ، وأيسْتُ من [٢٥٢ م] الجارية ، فبقيت أطوف [٣١٠ غ] في الدار ، إلى أن وقعت على المطبخ ، فإذا قوم طبّاخون جلوس ، فاستطعمت منهم ، فلم يعرفوني ، وظنّوا أنّي بعض الوكلاء ، فقدموا إليّ زيرباجة ، فأكلت منها ، وغسلت يدي بأشنان^{٢٥} كان في المطبخ ، وأنا مستعجل لئلا يفطن بي ، وظننت أنّي قد نقيت من ريحها ، وعدت إلى مكاني .

فلما انتصف الليل إذا بطبول ، وزمور ، والأبواب [٢٨٠ ر] تفتح ، وصاحبتي قد أهديت إليّ^{٢٦} ، وجاءوا بها فجلوها عليّ^{٢٧} ، وأنا أقدر أن ذلك في النوم ، ولا أصدق فرحاً به ، وقد كادت مرارتي تنشقّ فرحاً وسروراً ، ثم خلوت بها ، وانصرف الناس .

فحين تقدّمتُ إليها وقبّلتها ، رفستني فرمت بي عن المنصة ، وقالت : أنكرت أن تفلح يا عامّي ، أو تصلح يا سفلة^{٢٨} ، وقامت لتخرج . فتعلّقت بها ، وقبّلت يديها ورجليها ، وقلت : عرفيني ذنبي ، واعلمي بعده ما شئت .

٢٥ الأشنان : ويلفظ بكسر أوله أو بضمه ، أعواد صغيرة بيضاء أو صفراء ، تدقّ وتستهمل في تنقية الأيدي من الوضوء ، ولها إذا بلّت بالماء رغبة مثل رغبة الصابون ، وكان يخلط بأنواع عديدة من الطيب ، تدقّ معه ، وتحفظ في وعاء يسمونه الأشناندان ، له غطاء يحفظ رائحته ، ويتناول منه بملقعة ، لكي لا يتسخ الباقي بلامسة الأيدي ، وكان الأشنان الذي يصنع لهارون الرشيد يشتمل على ثلاثة عشر جزءاً ، راجع مطالع البدور ٦٦/٢ .

٢٦ إهداء العروس إلى بعلها : زفّها إليه .

٢٧ جلبت العروس على زوجها : عرضت عليه مزينة مصقولة .

٢٨ السفلة : السقط والغواء من الناس .

فقلت : ويليكَ ، تأكلُ ، ولا تغسل يديكَ ؟ وأنت تريد أن تختلي بمثلي ؟

فقلت : اسمعي قصتي ، واعلمي ما شئت بعد ذلك .

فقلت : قل .

فقصصت عليها القصة ، فلمّا بلغت أكثرها ، قلت : وعليّ ، وعليّ ، وحلفت بأيمان مغلظة ، لا أكلت بعد هذا زير باجة^{٢٩} ، إلّا غسلت يدي أربعين مرة .

[فأشفقت^{٣٠} ، وتبسّمتُ ، وصاحت : يا جوازي ، فجاء مقدار عشر جوازي ووصائف]^{٣١} فقلت : هاتم^{٣٢} شيئاً للأكل .

فقدّمت إلينا مائدة حسنة ، وألوان فاخرة ، من موائد الخلفاء ، فأكلنا جميعاً ، واستدعت شرباً ، فشربنا ، أنا وهي ، وغنّى لنا بعض أولئك الوصائف . وقمنا إلى الفراش ، فدخلت بها ، وإذا هي بكر ، فافتضضتها ، وبتّ بليلة من ليالي الجنّة ، ولم نفترق أسبوعاً ، ليلاً ونهاراً ، إلى أن انقضت وليمة الأسبوع^{٣٣} . فلمّا كان من غدٍ ، قالت لي : إنّ دار الخليفة لا تحتمل المقام فيها أكثر من هذا ، وما تمّ لأحد أن يدخل فيها بعروسٍ غيرك ، وذلك لعناية السيّدة بي ، وقد أعطتني خمسين ألف دينار ، من عَيْنٍ وورقٍ ، وجوهر ، وقماش ، ولي بخارج القصر أموال وذخائر أضعافها ، وكلّها لك ، فاخرج ، وخذ معك مالاً ، واشتر لنا داراً حسنة ، عظيمة الاتّساع ، يكون فيها بستان حسن ، وتكون كثيرة الحُجر ،

٢٩ في غ : دجراجة .

٣٠ أشفق : حنا وعطف .

٣١ الزيادة من كتاب نشوار المحاضرة ج ٤ ص ١٨٩ رقم القصة ٨٨/٤ .

٣٢ هاتم : لغة بغدادية في هاتوا .

٣٣ يظهر أنّه كان عندهم تقليد يقضي بإقامة وليمة في نهاية الأسبوع الأول من الزواج ، ولا يوجد ببغداد الآن مثل هذا التقليد .

ولا تضيق على نفسك ، كما تضيق نفوس التجار ، فأني ما تعودت أسكن إلا
في القصور ، واحذر من أن تبتاع شيئاً ضيقاً ، فلا أسكنه ، وإذا ابتعت الدار ،
فعرّفي ، لأنقل إليك مالي ، وجواري ، وانتقل إليك .
فقلت : السمع والطاعة .

فسلمت إليّ عشرة آلاف دينار ، فأخذتها ، وأتيت إلى داري ، واعترضت
الدور ، حتي ابتعت ما وافق اختيارها ، فكتبت إليها بالخبر ، فنقلت إليّ تلك
النعمة بأسرها ، ومعها ما لم أظنّ قط أنني أراه ، فضلاً عن أنني أملكه ، وأقامت
عندي كذا وكذا سنة ، أعيش معها عيش الخلفاء ، وأنجر في خلال ذلك ، لأنّ
نفسي لم تسمح لي بترك تلك الصنعة ، وإبطال المعيشة ، فتزايد مالي وجاهي ،
وولدت لي هؤلاء [٣١١ غ] الشباب^{٣٤} ، وأومأ إلى أولاده ، وماتت رحمها الله ،
وبقي عليّ مضرة الزيرباجة^{٣٥} ، إذا أكلتها ، غسلت يدي أربعين مرة^{٣٦} .

٣٤ كذا ورد في ر ، وفي غ ، وما تزال كلمة الشباب تطلق في بغداد على الفتيان فرداً أو جماعة .

٣٥ في غ : الدجراجة .

٣٦ وردت القصة في نشوار المحاضرة ٨٨/٤ وفي نهاية الأرب ١٦٥/٢ .

القهرمانة

القهرمان : وجمعه قهارة : مدبر البيت ، أو أمين الدخل والخرج ، يونانية (تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية ٥٩) ، وأصل عمل القهرمانة في بلاط الخليفة ، أن تؤدّي الرسائل عن الخليفة ، ولكن ضعف الخلفاء ، واحتجابهم في قصورهم ، وتسلب النساء ، أدّى إلى سيطرة القهرمانة .

وكانت خالصة جارية الخيزران ، لها في البلاط العباسي مقام منذ أيام المنصور ، فكانت تتدخل على المنصور ، وهو في مخدعه (الطبري ٧٢/٨) وكانت ترسل بين سيدها الخيزران والخلفاء (الطبري ٢٠٥/٨) وكانت الخيزران تستشيرها في ما يجد لها من أمور (الطبري ٢٠٦/٨) وكانت مدلّة على سيدها ، جريئة عليها (الطبري ٢١٢/٨) وكان مال الخيزران في حوزتها (الطبري ٢١٣/٨) كما كان مال المهدي وهو ولي عهد في حوزتها أيضا (الطبري ٧٢/٨) .

وكان للمكتفي ، دابة اسمها فارس ، نصبها قهرمانة لما استخلف ، وكانت تتدخل في نصب الوزراء وعزلهم (القصة ١٧١/٣ من نشوار المحاضرة) وفي دولة المقتدر ، وكانت دولة السيدة أمّه (كتاب الوزراء للصائي ٣٠٨) أصبح للقهرمانة سيطرة تامة على أمور الدولة ، بحكم صلتها بالخليفة والسيدة ، فكانت القهرمانة تتدخل في ترشيح الوزراء وكبار العمال (تجارب الأمم ٢١/١ و ٢٤) وفي عزلهم واعتقالهم (تجارب الأمم ٤٠/١) وقد تحضر القهرمانة عقوبة الوزير المعزول (٩٠/١ تجارب) أو يعهد إليها الخليفة بتعذيب من يريد تعذيبه (٨٤/١) أو يعتقل لديها من يريد اعتقاله (٤٠/١ تجارب) ومن شهيرات القهرمانات في الدولة العباسية ، فاطمة القهرمانة ، غرق بها طيارها في يوم ريح عاصف ، تحت جسر بغداد في السنة ٢٩٩ (٢٠/١ تجارب) وأم موسى الهاشمية ، عيّنت قهرمانة في قصر الخليفة في السنة ٢٩٩ (٢٠/١ تجارب) وسيطرت سيطرة عظيمة ، بحيث أنّ صاحبها فرج النصرانية كان تحمل خاتم الخليفة لمن يعده بتوليته الوزارة (الوزراء ٢٩٣) وانتهى أمر أم موسى بالاعتقال والمصادرة (تجارب الأمم ٨٣/١) ، وزيدان القهرمانة ، اعتقل عندها الوزير علي بن عيسى لما عزل عن الوزارة (٤٠/١ تجارب) ، وبلغ من سطوتها ، أنّ الوزير ابن الفرات كان يعنون رسائله إليها : يا أختي (الوزراء ١٧٢) ، وثمل القهرمانة ، وكانت موصوفة

بالشر والإسراف في العقوبة (تجارب الأمم ٨٤/١) وكانت تجلس للمظالم ، وتنظر في رقاع الناس ، في كلّ جمعة ، وتصدر عنها التوقيعات (المنتظم ١٤٨/٦) .

وكانت للقاهرة قهرمانة اسمها اختيار ، كانت هي السبب في استيزار محمد بن القاسم ابن عبيد الله (تجارب الأمم ٢٦٠/١) .

وعلم ، قهرمانة المستكني ، وكان اسمها حسن الشيرازية ، أغرت أمير الأمراء توزون ، فخلع المتني وسمله ، ونصب المستكني خليفة بدلاً منه ، وأصبحت علم ، قهرمانة الخليفة الجديد ، فسيطرت على جميع مرافق الدولة وأمورها (تجارب الأمم ٧٥/٢) ، وعندما اعتقل المستكني اعتقلت علم معه (تجارب ٨٦/٢) وسملت عيناها ، وقطع لسانها (تجارب ١٠٠/٢) . وكان لعز الدولة ، بختيار البويهي ، قهرمانة اسمها تحفة ، تعقد المحادثات مع كبار الموظفين ، لتحميمهم ، ثم يرشوها خصومهم ، فتركهم إلى غيرهم (تجارب الأمم ٣٢١/٢-٣٢٣) .

وكانت للأخشيدي بمصر ، قهرمانة اسمها (سماية) ، بلغ من تأثيرها أن خصومة حصلت بين خليفة قاضي مصر الذي نصبه المطيع ، وبين أحد الشهود ، فأسقط القاضي شهادته ، وأسجل بذلك ، فشكا إليها الشاهد ذلك ، فأحضرت القاضي ، وأمرته بإحضار السجل ، فأحضره ، فزقت الحكم الذي أسجل فيه إسقاط شهادة الشاهد ، وأصلحت بينهما ، راجع ذلك في أخبار القضاة في كتاب الولاة للكندي ص ٥٦٨ .

وكانت «وصال» قهرمانة الخليفة القائم ، تشترك في اختيار الوزراء (المنتظم ٢١١/٨ و ٢٥٢) .

ومن القهرمانات ، نظم القهرمانة ، التي ذكرها القاضي التنوخي ، في القصة ٧٠/٤ من نشوار المحاضرة .

ومنهنّ الجارية ، صاحبة هذه القصة ، وكانت مملوكة للسيدة أم المقتدر ، واشتهت أن تتصرف ، وأن تخرج إلى خارج القصر ، فقهرمتها السيدة ، مما يدلّ على أنّ مبارحة قصر الخلافة محرّم على الحريم ، إلّا على القهرمانة .

إسحاق الموصلي يتطفل ويقترح

حدّثني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني رحمه الله تعالى ، إملاء من حفظه ، وكتبته عنه في أصول سماعاتي منه ، ولم يحضرني كتابي فأنقله منه ، فأثبتته من حفظي ، وتوخّيت ألفاظه بجهدي ، قال : حدّثني محمّد بن مزيد بن أبي الأزهر ، قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، قال : حدّثني أبي ، قال : [١] غدت يوماً ، وأنا ضجر من ملازمة دار الخلافة ، والخدمة فيها ، فركبت بكرة ، وعزمت على أن أطوف الصحراء ، وأنفّرج بها .

فقلت لغلماني : إن جاء رسول الخليفة ، فعرفوه أنّي بكرت في مهمّ لي ، وأنكم لا تعرفون أين توجهت .

ومضيت ، وطففت ما بدا لي ، ثم عدت وقد حمي النهار ، فوقفت في شارع المخرم ، في الظلّ ، عند جناح رجب في الطريق ، لأستريح .

فلم ألبث أن جاء خادم يقود حماراً فارهاً ، عليه جارية راكبة ، تحتها منديل ديبقيّ ، وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية وراءه ، ورأيت لها قواماً حسناً ، وطرفاً فاتناً ، وشمائل ظريفة ، فحدّست أنّها مغنيّة^٢ .

فدخلت الدار التي كنت واقفاً عليها ، وعلقها قلبي في الوقت علوقاً شديداً ، لم أستطع معه البراح .

فلم ألبث إلّا يسيراً ، حتى أقبل رجلان شابان جميلان ، لهما هيئة تدلّ على قدرهما ، راكبان ، فاستأذنا ، فأذن لهما ، فحملني حبّ الجارية على أن نزلت

١ كذا ورد في ن ، وفي بقية النسخ : وعن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه قال : ... الخ

٢ في الأغاني ٤٢٤/٥ : وطرفاً فاتراً ، وشمائل حسنة ، فخرصت أنّها مغنيّة .

معهما ، ودخلت بدخولهما ، فظنّا أنّ صاحب الدار دعاني ، وظنّ صاحب الدار أنّي معهما .

فجلسنا ، فأتي بالطعام فأكلنا ، وبالشراب فوضع ، وخرجت الجارية ، وفي يدها عود ، فرأيتها حسناء ، وتمكّن ما في قلبي منها ، وغنّت غناءً صالحاً ، وشرينا . وقمت قومة للبول ، فسأل صاحب المنزل من الفتين عني ، فأخبراه أنّهما لا يعرفاني ، فقال : هذا طفيلي ، ولكنّه ظريف ، فأجملوا عشرته . وجثتُ ، فجلستُ ، وغنّت الجارية في لحن لي :

ذكرتكِ إذ مرّت^٣ بنا أمّ شادن^٤ أمام المطايا تستريب^٥ وتطمح^٥
من المولعات^٦ الرمل أدماء^٧ حرّة شعاع الضحى في منها يتوضّع^٨
فأدّته أدماءً صالحاً ، ثم غنّت أصواتاً فيها من صنعتي :

الطلول الدوارس فارقتها الأوانس
أوحشت بعد أهلها فهي قفر بسابس

فكان أثرها فيه أصلح من الأوّل ، ثم غنّت أصواتاً من القديم والمحدث ، وغنّت في أضعافها من صنعتي ، في شعري :

قل لمن صدّ عاتبا ونأى عنك جانباً

٣ في الأغاني ٤٢٤/٥ : أن مرّت .

٤ أمّ شادن : الطيبة .

٥ في الأغاني : تشرّب وتسنح ، وكلاهما صحيح ، فإنّ تستريب : تتخوّف وتخشى أن يقع ما يريبها ، وتطمح : ترفع بصرها وتستشرف ، وتشرّب : ترفع رأسها ، وتسنح : تعرض سانحة أي على يسار الناظر .

٦ كذا في الأصل ، وفي الأغاني : من المؤلفات الرمل ، من الإلفة .

٧ الأدماء : البيضاء التي تعلوها غبرة ، فإن كانت خالصة البياض ، فهي : ريم .

٨ يتوضّع : يبرق ويلمع .

قد بلغت الذي أردت وإن كنت لاعبا
واعترفنا بما أدعيت وإن كنت كاذبا^٩

فكان أصلح ما غنته ، فاستعدته منها لأصححها لها ، فأقبل عليّ رجل منهم ، فقال : ما رأيت طفيلياً أصفق منك وجهاً ، لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت ، وهذا تصديق للمثل : طفيليّ ويقترح ، فأطرقت ، ولم أجبه ، وجعل صاحبه يكفّه عني ، فلا يكفّ .

ثم قاموا إلى الصلاة ، وتأخّرت ، فأخذت العود وشدّدت طبقتها ، وأصلحته إصلاحاً محكماً ، وعدت إلى موضعي ، فصلّيت ، وعادوا ، وأخذ الرجل في عربدته عليّ ، وأنا صامت .

وأخذت الجارية العود ، وجسّته ، فأنكرت حاله ، وقالت : من مسّ عودي ؟ فقالوا : ما مسّه أحد .

قالت : بلى ، والله ، قد مسّه حاذق متقدّم ، وشدّ طبقتها ، وأصلحه إصلاح متمكّن من صناعته .

فقلت لها : أنا أصلحته .

قالت : بالله عليك ، خذه ، فاضرب به .

فأخذته ، وضربت به مبدأً عجيباً ، فيه نقرات محرّكة ، فما بقي في المجلس أحد إلّا وثب فجلس بين يدي .

وقالوا : بالله عليك يا سيّدنا ، أتغني ؟

قلت : نعم ، وأعرّفكم نفسي أيضاً ، أنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وإني - والله - لأتبه على الخليفة ، وأنتم تشتموني اليوم ، لأنّي تملّحت معكم بسبب

٩ لم يرد هذا البيت في الأغاني .

هذه الجارية ، والله ، لا نطقت بحرف ، ولا جلست معكم ، أو تخرجوا هذا المعاند^{١٠} .

ونهضت لأخرج ، فتعلقوا بي ، فلم أرجع ، فلحقني الجارية ، فتعلقت بي ، فلنت ، وقلت : لا أجلس ، حتى تخرجوا هذا البغيض .

فقال له صاحبه : من هذا كنت أخاف عليك ، فأخذ يعتذر .

فقلت : أجلس ، ولكي ، والله ، لا أنطق بحرف وهو حاضر ، فأخذوا بيده ، فأخرجوه .

فبدأت أغني الأصوات التي غنتها الجارية من صنعتي ، فطرب صاحب البيت طرباً شديداً ، وقال : هل لك في أمر أعرضه عليك ؟

فقلت : وما هو ؟

قال : تقيم عندي شهراً ، والجارية لك بما لها من كسوة .

فقلت : أفعل .

فأقيمت عنده ثلاثين يوماً ، لا يعرف أحد أين أنا ، والمأمون يطلبني في كل موضع ، فلا يعرف لي خبراً .

فلما كان بعد ذلك ، سلم إليّ الجارية والخادم ، وجئت بها إلى منزلي ، وكان أهل منزلي في أقبح صورة لتأخري عنهم .

وركبت إلى المأمون من وقتي ، فلما رأي ، قال لي : يا إسحاق ، ويحك ، أين كنت ؟ فأخبرته بخبري .

فقال : عليّ بالرجل الساعة ، فدللتهم على بيته ، فأحضر ، فسأله المأمون عن القصة ، فأخبره بها .

فقال : أنت ذو مروءة ، وسبيلك أن تعان عليها ، فأمر له بمائة ألف درهم .

١٠ في الأغاني ٤٢٥/٥ : هذا المرید .

وقال : لا تعاشر ذلك المعربد السفلى .
فقال : معاذ الله يا أمير المؤمنين [٩٦ ن] .
وأمر لي بخمسين ألف درهم ، وقال لي : أحضر الجارية ، فأحضرت إياها ،
فغنته .
فقال لي : قد جعلت لها نوبة كلّ يوم ثلاثاء ، تغنيني من وراء الستارة ، مع
الجواري ، وأمر لها بخمسين ألف درهم .
فربحت - والله - بتلك الركبة ، وأربحت ١١ .

١١ لم ترد هذه القصة في م ولا في ر ولا في غ ، وقد أثبتناها من هـ ، وقد وردت في كتاب الأغاني
٤٢٣/٥ - ٤٢٦ .

أنت طالق إن لم تكوني أحسن من القمر

ووجدت في بعض الكتب :

أنَّ عيسى بن موسى^١ ، كان يحبَّ زوجته حبًّا شديداً ، فقال لها يوماً :
أنت طالق ، إن لم تكوني أحسن من القمر .

فنهضت ، واحتجبت عنه ، وقالت : قد طَلَّقْتَنِي ، فبات بليلة عظيمة .
فلَمَّا أصبح غدا إلى المنصور ، وأخبره الخبر ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن
تَمَّ طلاقها ، تلفت نفسي غمًّا ، وكان الموت أحبَّ إليَّ من الحياة .
وظهر للمنصور منه جزع شديد ، فأحضر [٢٥٣ م] الفقهاء ، واستفتاهم ،
فقال جميع من حضر ، قد طَلَّقْتَ ، إلَّا رجلاً من أصحاب أبي حنيفة ، فإنَّه
سكت .

فقال له المنصور : ما لك لا تتكلَّم ؟.

فقال : (بسم الله الرحمن الرحيم ، والتين والزيتون ، وطور سنين ، وهذا البلد
الأمين ، لقد خلقنا [٩٩ ن] الإنسان في أحسن تقويم)^٢ ، فلا شيء أحسن من
الإنسان .

فقال المنصور لعيسى بن موسى : قد فرَّج الله تعالى عنك ، والأمر كما قال ،
فأقم على زوجتك .

وراسلها أن [٢٨١ ر] أطيعي زوجك ، فَا طَلَّقْتَ .

١ أبو موسى عيسى بن موسى بن محمد : ترجمته في حاشية القصة ١٥٦ من الكتاب .

٢ (١-٤) ك التين ٩٥ .

ما ثمانية وأربعة واثنان

أخبرني أبو الفرج الأصبهاني ، قال : أخبرني أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري^١ ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني أحمد بن عبيد^٢ ، عن الهيثم بن عدي^٣ ، عن عبد الملك بن عمير^٤ ، قال : قدم علينا عمر بن هبيرة^٥ الكوفة ، فأرسل إلى عشرة ، أنا أحدهم ، من وجوه أهل الكوفة ، فسمروا عنده .

ثم قال : يحدثني كل رجل منكم أخذوثه ، وأبدأ أنت يا أبا عمرو .
فقلت : أصلى الله الأمير ، أحدث الحق ، أم حديث الباطل ؟
فقال : بل حديث الحق .

فقلت : إن أمره القيس بن حجر الكندي ، آلي الآية^٦ ، أن لا يتزوج بامرأة حتى يسألها عن ثمانية ، وأربعة ، واثنين ، فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهن عنها ، قلن : أربعة عشر .

١ أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (٢٧١-٣٢٩) : كان من أعلم الناس بالنحو والأدب ، وأكثرهم حفظاً له ، وصنف كتباً كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث ، وذكر عنه أنه كان يحفظ ثلثمائة ألف بيت من الشواهد في القرآن ، وكان زاهداً متواضعاً (المنتظم ٣١١/٦) .

٢ أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح بن بلنجر ، المعروف بأبي عبيدة النحوي ، مولى بني هاشم : ترجم له الخطيب في تاريخه ٢٥٨/٤ .

٣ أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الثعلبي الطائي البصري الكوفي (١١٤-٢٠٧) : ترجمته في حاشية القصة ١٧٥ من الكتاب .

٤ أبو عمرو عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي الفرسى : ترجمته في حاشية القصة ٣٠٩ من الكتاب .

٥ أبو المثنى عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي الفزاري ، أمير العراق : ترجمته في حاشية القصة ١٩١ من الكتاب .

٦ آلي الآية : أقسم قَسَمًا .

فينا هو يسير في الليل ، وإذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة ، كأنها القمر لثمّه ، فأعجبته .

فقال لها : يا جارية ، ما ثمانية ، وأربعة ، واثنان ؟

فقلت : أمّا الثمانية : فأطباء الكلبة^٧ ، وأمّا الأربعة : فأخلاف الناقة^٨ ،

وأمّا الاثنان : فتديا المرأة .

فخطبها من أبيها ، فزوجه منها ، واشترطت هي عليه ، أن تسأله ليلة يأتيها ، عن ثلاث خصال ، فجعل لها ذلك ، على نفسه ، وعلى أن يسوق لها مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس ، ففعل ذلك .

ثم إنّه بعث عبداً له إلى المرأة ، وأهدى إليها نجياً من سمن^٩ ، ونجياً من غسل ، وحلّة من قصب^{١٠} .

فترل العبد ببعض المياه ، فنشر الحلّة ، ولبسها ، فتعلّقت بشجرة فانشقّت ، وفتح النحيين ، وأطعم أهل الماء منهما .

ثم قدم على حيّ المرأة وهم خلوف^{١١} ، فسألها عن أبيها ، وأمّها ، وأخيها ، ودفع [٣١٢ غ] إليها هديّتها .

فقلت : أعلم مولاك ، أن أبي ذهب يقرب بعيداً ، ويبعد قريباً ، وأنّ أمّي ذهبت تشقّ النفس نفسين ، وأنّ أخي يراعي الشمس ، وأنّ سماءكم

٧ الأطباء ، مفردا طبي ، بضم الطاء : حلّات الضرع في ذوات الخفّ والظلف والحافر والسباع .

٨ الأخلاف ، مفردا خلف ، بكسر الخاء : ضرع الناقة .

٩ النحي : الزرق يوضع فيه السمن أو العسل ، راجع في الأغاني ٢٧١/١٣ و ٢٧٢ قصّة ذات النحيين .

١٠ الحلّة ، بالضم ، وجمعها حلل : الثوب الساتر لجميع البدن ، والحلّة لا تكون إلاّ ثوبين ، راجع التلخيص

لأبي هلال العسكري ٢١٦/١ و ٢١٧ ، والمقصبة أي المطرزة بشرائط الذهب المطروق ، وهو المسمّى

في بغداد : كلبدون .

١١ الحيّ خلوف : أي أنّ رجالهم غيّب (أساس البلاغة للزمخشري ٢٤٧/١) .

انشقت ، وأن وعائيكما نضبا .

فقدم الغلام على مولاه ، وأخبره بما قالت .

فقال : أمّا قولها : ذهب أبي يقرب بعيداً ، ويبعد قريباً ، فإنّ أباهما ذهب يحالف قوماً على قومه .

وأما قولها : ذهبت أمي تشقّ النفس نفسين ، فإنّ أمّها ذهبت تقبل امرأة .
وأما قولها : إنّ أخي يراعي الشمس ، فإنّ أخاها في سرح^{١٢} له يرعاها ،
فهو ينتظر وجوب الشمس^{١٣} ليروح .

وأما قولها : إنّ سماءكم انشقت ، فإنّ الحلة التي بعثت بها معك انشقت .
وأما قولها : إنّ وعائيكما نضبا ، فإنّ النحيين الذين بعثت بهما نقصا ،
فأصدقني .

فقال : يا مولاي ، إني نزلت بماء من مياه العرب ، فسألوني عن نسي ،
فأخبرتهم أنّي ابن عمك ، ونشرت الحلة فلبستها ، وتجمّلت بها ، فعلقت بشجرة ،
فانشقت ، وفتحت النحيين ، فأطعمت منهما أهل الماء .

فقال : أولى [١٠١ن] لك^{١٤} .

ثم ساق مائة من الإبل ، وخرج نحوها ، ومعه الغلام ، فتزلا منزلاً .
فقام الغلام ليستقي ، فعجز ، فأعانه امرؤ القيس ، فرمى به الغلام في البئر ،
وانصرف حتى أتى المرأة بالإبل ، فأخبرهم أنّه زوجها .
فقبل لها : قد جاء [٢٥٤م] زوجك .

فقالت : والله ، لا أدري أهو زوجي أم لا ، ولكن انحروا له جزوراً^{١٥} ،

١٢ السرح ، مفردة السرحة : الماشية .

١٣ وجوب الشمس : غيابها .

١٤ أولى لك : كلمة يقال للوعيد أو التهديد .

١٥ الجزور : ما أعد للجزر أي الذبح من النوق أو الغنم .

وأطعموه من درشها وذنبا ، ففعلوا ، فأكل ما أطعموه .
 فقالت : اسقوه لبناً حازراً^{١٦} وهو الحامض ، فشرب .
 فقالت : أفرشوا له عند الفرث^{١٧} والدم ، ففرشوا له ، فنام .
 فلماً أصبحت ، أرسلت إليه : إني أريد أن أسألك .
 فقال : سلي عما بدا لك .
 فقالت : ممّ تختلج شفتاك ؟
 فقال : لتقبيلي فاك .
 فقالت : ممّ يختلج كشحاك ؟
 قال : لالتزامي إياك .
 فقالت : ممّ يختلج فخذاك ؟
 فقال : لتوركي إياك .
 فقالت : عليكم بالعبد ، فشدّوا أيديكم به ، ففعلوا .
 قال : وممّ قوم ، فاستخرجوا امرء القيس من البئر ، فرجع إلى حيّه ، واستاق
 مائة من الإبل ، وأقبل إلى امرأته .
 فقيل لها : قد جاء زوجك .
 فقالت : والله ، ما أدري أهو زوجي أم لا ، ولكن أنحروا له جزوراً ، وأطعموه
 من كرشها وذنبا ، ففعلوا ، فلماً أتوه بذلك ، قال : أين الكبد والسنام^{١٨}
 والملحة ، وأبى أن يأكل .

١٦ اللبن الحازر : فوق الحامض (لسان العرب : حزر)

١٧ الفرث : السرجين ما دام في الكرش .

١٨ السنام : الحديدة في ظهر البعير ، وهي أطيب ما فيه ، قال النابغة :

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والبلد الحرام
 ونمك بعده بذناب عيش أجبّ الظهر ليس له سنام

فَقَالَتْ : أَسْقُوهُ لَبْنًا حَازِرًا ، فَأَبَى أَنْ يَشْرَبَ ، وَقَالَ : أَيْنَ الضَّرْبُ^{١٩}
وَالزَّبْدُ ؟

فَقَالَتْ : افْرَشُوا لَهُ عِنْدَ الْفَرْثِ وَالدَّمِ ، فَأَبَى أَنْ يَنَامَ ، وَقَالَ : افْرَشُوا لِي فَوْقَ
التَّلْعَةِ^{٢٠} الْحَمْرَاءَ ، وَاضْرِبُوا لِي عَلَيْهَا خَبَاءً .
ثُمَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تَقُولُ : هَاتِ شَرْطِي عَلَيْكَ فِي الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا
سَلِي عَمَّا شِئْتَ .

فَقَالَتْ : مِمَّ تَخْتَلِجُ شَفْتَاكَ ؟

قَالَ : لَشَرْبِي الْمَشْعَشَعَاتِ [٣١٣ غ] .

قَالَتْ : مِمَّ يَخْتَلِجُ كَشْحَاكَ ؟

قَالَ : لِلْبَسِي الْحَبْرَاتِ .

قَالَتْ : فَمِمَّ يَخْتَلِجُ فَخْذَاكَ ؟

قَالَ : لِرُكُوبِي السَّابِقَاتِ .

فَقَالَتْ : هَذَا هُوَ زَوْجِي ، فَعَلَيْكُمْ بِهِ ، وَاقْتُلُوا الْعَبْدَ ، [٢٨٢ ر] فَقَتَلُوهُ ،
وَأَقْبَلَ امْرَأُ الْقَيْسِ عَلَى الْجَارِيَةِ .

فَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ : لَا خَيْرَ فِي سَائِرِ الْحَدِيثِ اللَّيْلَةِ ، بَعْدَ حَدِيثِكَ يَا أَبَا عَمْرٍو ،
وَلَنْ يَأْتِيَنَا أَحَدٌ بِأَعْجَبَ مِنْهُ ، فَقَمْنَا ، وَانْصَرَفْنَا ، وَأَمَرَ لِي بِجَائِزَةٍ^{٢١} .

١٩ الضَّرْبُ : الْعَسَلُ الْأَبْيَضُ .

٢٠ التَّلْعَةُ : مَا عَلَا مِنَ الْأَرْضِ .

٢١ وَرَدَتْ الْقِصَّةُ فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ ١٥٥/٣-١٥٧ .

أخبار قيس ولبنى

وجدت في كتاب الأغاني الكبير ، لأبي الفرج المعروف بالأصبهاني ، الذي أجاز لي روايته ، في جملة ما أجاز لي ، أخبار قيس بن ذريح الليثي ، فقال في صدرها :

أخبرني بخبر قيس بن ذريح ولبنى امرأته ، جماعة من مشايخنا ، في قصص متصلة ومتقطعة ، وأخبار منظومة ومثورة ، فألفت جميع ذلك ليتسق حديثه ، إلا ما جاء منفرداً ، وحسن إخراجه^١ عن جملة النظم ، فذكرته على حديثه . فمن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، ولم يتجاوز به إلى غيره ، وإبراهيم بن محمد بن أيوب عن ابن قتيبة . والحسن بن علي عن محمد بن أبي السري ، عن هشام محمد الكلبي ، وعلى روايته أكثر المعول .

ونسخت أيضاً من أخباره المنظومة ، أشياء ذكرها القحذمي ، عن رجاله ، وخالد بن كلثوم عن نفسه ، [ومن روى عنه ، وخالد بن جميل]^٢ . ونتفأ حكاها اليوسفي صاحب الرسائل ، عن أبيه ، عن أحمد بن حماد ، عن جميل^٣ ، عن ابن أبي جناح الكعبي ، وحكى كل متفق فيه متصلاً ، وكل مختلف في معانيه منسوباً إلى راويه ، قالوا جميعاً :

١ في الأغاني ١٨١/٩ : وعسر إخراجه .

٢ في الأغاني ١٨١/٩ : عن محمد بن موسى بن حماد البربري عن أحمد بن القاسم بن يوسف ، عن جزء بن قطن ، عن جساس بن محمد .

٣ في غ : خالد بن جميل .

كان منزل في ظاهر المدينة للذريح ، وهو أبو قيس ، وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة^٤ .

فرّ قيس في بعض حوائجه ، ذات يوم ، بحيّ من بني كعب بن خزاعة ، والحيّ خلوف ، فوقف على خباء لبني بنت الحُباب الكعبيّة ، واستسقى ماء ، فسقته ، وخرجت إليه به ، وكانت امرأة مديدة القامة ، شهلاء^٥ ، حلوة المنظر والكلام ، فلما رآها وقعت في نفسه ، وشرب من الماء .
فقال له : أتتزل عندنا ؟

قال : نعم ، فتزل بهم ، وجاء أبوها ، فنحر له وأكرمه .
وانصرف قيس ، وفي قلبه من لبني حرّ لا يطفأ ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع خبره ، وروي شعره فيها .

وأتاها يوماً آخر ، وقد اشتدّ وجده بها ، فسلم ، فظهرت له ، وردّت سلامه ، ورحّبت به ، فشكى إليها ما يجد بها ، وما يلقي من حبّها ، فبكت وشكت إليه [٢٥٥ م] مثل ذلك ، فعرف كلّ واحد منهما ، ما له عند صاحبه .
ثم انصرف إلى أبيه ، فأعلمه بحاله ، وسأله أن يزوجه إياها ، فأبى عليه ، وقال له : يا بنيّ عليك بإحدى بنات عمّك ، فهنّ أحقّ بك ، وكان ذريح كثير المال ، وأحبّ أن لا يخرج ماله إلى غريبة .

فانصرف قيس ، وقد ساء ما خاطبه به أبوه ، فأتى أمّه وشكى ذلك إليها ، واستعان بها على أبيه ، فلم يجد عندها ما يحبّ .

٤ في الأغاني ١٨١/٩ إضافة : وذكر خالد بن كلثوم أنّ منزله كان بسرف ، واحتجّ بقوله :

الحمد لله قد أمست مجاورة أهل العقيق وأمسينا على سرف

٥ الشهلاء : التي يخالط سواد عينيها زرقة .

فأتى الحسين بن علي ، سلام الله عليهما^٦ ، فشكى ما به^٧ ، فقال له الحسين : أنا أكفيك .

فرضي معه إلى أبي لبني ، فلمّا بصر به ، وثب إليه ، وأعظمه ، وقال : يا ابن رسول الله ، ما جاء بك إليّ ؟ ألا بعثت إليّ قاتيك ؟

قال : قد جئتكم خاطباً ابنتك لبني ، لقيس بن ذريح ، وقد عرفت مكانه مني^٨ [٣١٤ غ] .

فقال : يا ابن بنت رسول الله ، ما كنت لأعصى لك أمراً ، وما بنا عن الفتى رغبة ، ولكن أحبّ الأمرين إلينا ، أن يخطبها ذريح علينا ، وأن يكون ذلك عن أمره ، فإننا نخاف أن يسمع أبوه بهذا^٩ ، فيكون عاراً ومسبة علينا .

فأتى الحسين سلام الله عليه ذريحاً ، وقومه مجتمعون ، فقاموا إليه وقالوا له مثل قول الخزاعي .

فقال : يا ذريح ، أقسمت عليك بحقي ، إلا خطبت لبني لابنك قيس . فقال : السمع والطاعة لأمرك .

وخرج معه في وجوه قومه ، حتى أتى حيّ لبني ، فخطبها ذريح من أبيها على ابنه قيس ، فزوجها بها ، وزوّت إليه .

فأقام معها مدّة ، لا ينكر أحدهما من صاحبه شيئاً .

٦ أبو عبد الله الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (٤-٦١) : الإمام الشهيد ، سبط رسول الله صلوات الله عليه ، وابن فاطمة الزهراء ، ولد بالمدينة ، ونشأ في بيت النبوة ، أبى أن يبايع يزيد بالخلافة ، فقتله عبد الله بن زياد ، بأمر من يزيد ، في موقعة كربلاء ، ودفن في موضع قتله ، وكان مقتله السبب الأوّل في انقراض دولة الأمويين (الاعلام ٢/٢٦٤) .

٧ في الأغاني ٩/١٨٢ : فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب وابن أبي عتيق ، فشكا إليهما ما به ، وما ردّ عليه أبوه .

٨ كان قيس بن ذريح أخو الحسين عليه السلام من الرضاعة .

٩ في الأغاني : فإننا نخاف إن لم يسمع أبوه في هذا .

وكان قيس أبرّ الناس بأمّه ، فألهته لبني وعكوفه عليها عن بعض ذلك ، فوجدت أمّه في نفسها ، وقالت : لقد شغلت هذه المرأة ابني عن برّي .

ولم تر للكلام موضعاً حتى مرض قيس مرضاً شديداً ، فلما برئ ، قالت أمّه لأبيه : لقد خشيت أن يموت قيس ولم يترك خلفاً ، وقد حرم الولد من هذه المرأة ، وأنت ذو مال ، فيصير مالك إلى الكلاله^{١٠} ، فزوجه غيرها ، لعلّ الله عزّ وجلّ يرزقه ولداً ، وألحّت عليه في ذلك .

فأمهل ذريح حتى اجتمع قومه ، ثم قال له : يا قيس ، إنك اعتللت هذه العلة ولا ولد لك ، ولا لي سواك ، وهذه المرأة ليست [١٠٢ ن] بولود ، فتزوج إحدى بنات عمك لعلّ الله تعالى أن يهب لك ولداً تقرّ به عينك وأعيننا . فقال قيس : لست متزوجاً غيرها أبداً .

فقال أبوه : يا بني ، فإنّ مالي كثير ، ففسّر بالإيماء .

فقال : ولا أسوؤها بشيء أبداً .

قال أبوه : فإني أقسم عليك إلا طلقته .

فأبى ، وقال : الموت - والله - أسهل عليّ من ذلك ، ولكي أخيرك خصلة من خصال .

فقال : وما هي ؟

قال : تتزوج أنت ، فلعلّ الله عزّ وجلّ أن يرزقك ولداً غيري .

فقال : ما فيّ فضل لذلك .

قال : فدعني أرحل عنك بأهلي ، وأصنع ما كنت صانعاً ، لو كنت متّ في علتي هذه .

فقال : ولا هذا .

قال : فأدعُ لبني عندك ، وأرتحل عنك إلى أن أسلوها ، فإني ما تحبّ

١٠ الكلاله : من ليس بذي نسب لاصق بالانسان ، وذو النسب اللاصق الأب والإبن والأخ الشقيق .

نفسى أن أعيش ، وتكون لبنى غائبة عني أبداً ، وأن لا تكون في حبالي .
فقال : لا أرضى بذلك ، أو تطلقها ، وحلف لا يكته سقف بيت أبداً ،
حتى يطلق لبنى .

وكان يخرج فيقف في حرّ الشمس ، ويجيء قيس فيقف [٢٨٣ ر] إلى
جانبه ، فيظله بردائه ، ويصلى هو بحرّ الشمس ، حتى يبيء النياء عنه ، وينصرف
إلى لبنى ، فيعانقها ، ويبكي ، وتبكي معه .

وتقول له : يا قيس ، لا تطع أباك ، فتهلك ، وتهلكي معك .
فيقول لها : ما كنت لأطيع أحداً فيك أبداً .
فيقال : إنه مكث كذلك سنة ١١ ، ثم طلقها لأجل والده ، [فلم يطق الصبر
عنها .

قال ابن جريج : أخبرني أن عبد الله بن صفوان لقي ذريحاً أبا قيس ، فقال
له : ما حملك على أن فرقت بين قيس ولبنى ، أما علمت أن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ، قال : ما أبالي فرقت بين الرجل وامرأته ، أو مشيت إليهما بالسيف .
وروى هذا الحديث ، إبراهيم بن يسار الرمادي ، عن [٣١٥ غ] سفيان بن
عيينة ، عن عمرو بن دينار ، قال :

قال الحسين بن عليّ عليهما السلام لذريح بن سنة ، أبي قيس : أحلّ لك
أن فرقت بين قيس ولبنى ، أمّا أنّي سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يقول :
ما أبالي فرقت بين الرجل وامرأته ، أو مشيت إليهما بالسيف [١٢] ..

[قال أبو الفرج : أخبرني محمد بن خلف ، وكيع ، قال : حدثني محمد بن
زهير ، قال : حدثنا يحيى بن معين ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : حدثنا

١١ في م : يسيراً ، وفي ر و غ : إنه مكث أربعين يوماً ، والتصحیح من الأغاني ١٨٤/٩ .

١٢ الزيادة من غ .

ابن جريج ، قال : أخبرنا عمر بن أبي نصر^{١٣} ، عن ليث بن عمرو ، أنه سمع قيس بن ذريح يقول ليزيد بن سليمان : هجرني أبوي ، إثنتي عشرة سنة ، أستاذن عليهما ، فإرداني ، حتى طلقتهما^{١٤} .

قالوا : فلما بانث لبني منه ، بطلاقه إياها ، وفرغ من الكلام ، لم يلبث حتى استطير عقله ، ولحقه مثل الجنون ، وجعل يبكي وينشج أحرّ نشيج ، وبلغها الخبر ، فأرسلت إلى أبيها ليحملها ، وقيل : أقامت حتى انقضت عدتها ، وقيس يدخل إليها ، فأرسلت إلى أبيها ليحملها ، فأقبل أبوها بهودج على ناقة ، ومعه إبل ، ليحمل أئاثها .

فلما رأى قيس ذلك ، أقبل على جاريتها ، وقال : ويحك ، ما دهاني فيكم ؟ فقالت : لا تسألني ، وسل لبني .

فذهب ليّلم بجائتها ، فنعمة قومها ، وأقبلت عليه امرأة من قومها ، وقالت : ويحك تسأل ، كأنك جاهل أو متجاهل ، هذه لبني ترحل الليلة أو غداً . فسقط مغشياً عليه ، ثم أفاق ، وبكى بكاءً كثيراً ، ثم أنشأ يقول :

وإني لمفّن دمع عيني بالبكا حذار الذي قد كان أو هو كائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة فراقٌ حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتي بكفّيك إلا أن ما حان حائن

قال أبو الفرج : في هذه الأبيات غناء ، ولها أخبار قد ذكرت في أخبار المجنون قيس بن الملوّح ، مجنون بني عامر ، ثم ذكر أبو الفرج بعد هذا عدّة قطع من شعر قيس بن ذريح .

ثم قال : قالوا : فلما ارتحل بها أبوها إلى قومها ، اتّبعها ملياً ، ثم علم أن

١٣ في الأغاني ٩/ ١٨٤ : عمر بن أبي سفيان .

١٤ الزيادة من م .

أباها يسوءه أن يسير معها ، ويمعنه ذلك ، فوقف ينظر إليها ويبيكي ، حتى غابوا
عن عينيه ، ففكر راجعاً ، فنظر إلى أثر خفّ بعيرها ، فأكبّ عليه يقبله ، ورجع
يقبّل موضع مجلسها ، وأثر قدميها ، فلم على ذلك ، وعنّفه قومه في تقبيل التراب ،
فقال :

وما أحببت أرضكم ولكن أقبل إثر من وطىء الترابا
لقد لاقيت من كلني بلبي بلاء ما أسيع له شرابا
إذا نادى المنادي بأسم لبني عييت فما أطيق له جوابا^{١٥}

ثم ذكر أبو الفرج قطعاً من شعر قيس ، وأخباراً من أخباره منشورة ، بأسانيد
مفردة على الإسناد الذي رويته عنه ههنا ، ثم رجع إلى مواضع من الحديث
الذي جمع فيه من أسانيده ، وأتى بسياقة يطول عليّ أن أذكرها في كتابي هذا ،
جملتها عظيم ما لحق قيس من التملل ، والسهر ، والحزن ، والأسفار ، والبكاء
العظيم ، والجزع المفرط ، وإلصاق خده بالأرض على آثارها ، وخروجه في أثرها ،
وشم رائحتها ، وعتابه نفسه في طاعة أبيه على طلاقها .

ثم اعتلّ علّة أشرف منها على الموت ، فجمع له أبوه فتيات الحيّ يعلّنه ،
ويحدّثنه ، طمعاً في أن يسلو عن لبني ، ويعلق بواحدة منهنّ ، فيزوجه منها ،
فلم يفعل ، وقصّة له مع طبيب أحضر له ، وقطع شعر كثيرة لقيس في [٣١٦ غ]
خلال ذلك [٢٥٧ م] .

ثم إنّ أبا لبني شكاً قيساً إلى معاوية بن أبي سفيان ، وذكر تعرّضه لها بعد
الطلاق .

فكتب معاوية إلى مروان بن الحكم بهدر دمه إن تعرّض لها ، فكتب مروان
بذلك إلى صاحب الماء .

١٥ هذا البيت زيد من الأغاني ١٨٦/٩ .

ثم إن أباه زوجها ، فبلغ ذلك قيساً ، فاشتدّ جزعه ، وجعل يبكي أشدّ بكاء ، وأتى حلّة^{١٦} قومها ، فنزل عن راحلته ، وجعل يتعمّد^{١٧} في موضعها ، ويمرّغ خدّه على ترابها ، ويبكي أحرّ بكاء ، ثم قال قصيدته التي رواها أبو الفرج ، التي أولها :

إلى الله أشكو فقد لبني كما شكا إلى الله فقد الوالدين يتم

وذكر بعد هذا أخباراً له معها ، واجتماعات عفيفة كانت بينهما ، بحيل طريفة ، ووجدتها به ، وبكاءها في طلاقها ، وإنكار زوجها - الذي تزوّجها بعد قيس - ذلك عليها ، ومكاشفتها له ، وعلة أخرى لحقت قيساً ، واشتارهما ، وافتضاحهما ، وما لحق قيساً ولبنى من الخبل ، واختلال العقل ، وقطع شعر كثيرة لقيس أيضاً في خلال ذلك ، وأنّ قيساً مضى إلى ابن أبي عتيق^{١٨} ، فضى به إلى يزيد بن معاوية ، ومدحه وشكى إليه ما جرى عليه ، فرق له ، ورحمه ، وأخذ له كتاب أبيه بأن يقيم حيث أحبّ ، ولا يعترض له أحد ، وأزال ما كتب به إلى مروان ، من هدر دمه ، وقطع شعر كثيرة أخرى لقيس في خلال ذلك ، وأخبار مفردة ، ومفصّلة .

ثم قال : وقد اختلف في أكثر أمر قيس ولبنى وذكر كلاماً يسيراً في ذلك ، والجميع في نيف وعشرين ورقة .

١٦ الحلّة ، بكسر الحاء ، وجمعها حلل وحلال : القوم النزول فيهم كثرة ، إذا كانت بيوتهم من القصب ، وكلّ بيت ليس من الحجارة ، فهو خيمة ، فإن كان من السعف ، فهو صريفة ، وإن كان من الخرق ، فهو فازه ، وإن كان من القصب ، فهو حلّة ، ومنه مدينة الحلّة المشهورة في العراق ، كانت معسكراً لجند ملك العرب ديبس بن صدقة الأسدي ، وهي إلى الآن تعرف بحلّة ديبس .

١٧ عمد الثرى : بلّله المطر ، يريد أنّه بلّل موضعها بدموعه .

١٨ ابن أبي عتيق ، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق : راجع القصّة ٢٧٧ .

وذكر القحذمي^{١٩} : أن ابن أبي عتيق ، صار إلى الحسين بن علي ، وجماعة من قريش^{٢٠} [١٠٣ ن] وقال لهم : إن [٢٨٤ ر] لي حاجة أحب أن تقضوها ، وأنا أستعين بجاهكم وأموالكم عليها .

قالوا : ذلك مبدول لك منا ، فاجتمعوا بيوم وعدهم فيه ، فضى بهم إلى زوج لبني ، فلما رآهم ، أعظم مسيرهم إليه ، وأكبره .

فقالوا : قد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق . فقال : هي مقضية كائنة ما كانت .

فقال له ابن أبي عتيق : قد قضيتها كائنة ما كانت ؟ قال : نعم .

قال : تهب لي اليوم لبني زوجتك ، وتطلقها ثلاثاً .

قال : فأبى أشهدكم أنها طالق ثلاثاً .

فاستحيا القوم ، واعتذروا ، وقالوا : والله ، ما عرفنا حاجته ، ولو علمنا أنها هذه ، ما سألناك إياها .

قال ابن أبي عائشة : فعوضه الحسين بن علي عليهما السلام عن ذلك مائة ألف درهم .

وحمل ابن أبي عتيق ، لبني معه ، فلم تزل عنده ، حتى انقضت عدتها ، وسأل القوم أباه ، فزوجها قيساً ، ولم تزل معه حتى مات .

فقال قيس يمدح ابن أبي عتيق :

جزى الرحمن أفضل ما يجازي على الإحسان خيراً من صديق
فقد جربت إخواني جميعاً فما ألفت كابن أبي عتيق

١٩ في م : إن ابن أبي عتيق صار إلى الحسين وإلى أخيه الحسن وإلى عبد الله بن جعفر الطيار عليهم السلام ، وإلى جماعة من قريش ، وكذلك الأغاني ٢١٩/٩ .

٢٠ من ابتداء هذه الجملة ، إلى نهاية القصة ، وردت في المستجد للتنوحي ٢٣٧-٢٣٨ .

سعى في جمع شملي بعد صدع ورأي حُدْتُ فيه عن الطريق
وأطفأ لوعة كانت بقلبي أغصتني حرارتها بريتي
قال : فقال له ابن أبي عتيق : يا حبيبي ، أمسك عن هذا الحديث ، فما
سمعه أحد إلا ظنني قواداً^{٢١} .

٢١ راجع في الأغاني ٩/١٨٠-٢٢٠ أخبار قيس بن ذريح وزوجته لبنى ، وهي أكثر تفصيلاً مما ورد في هذا الكتاب .

عشق جارية زوجته فوهبتها له

ووجدتُ في بعض كُتبي : قال أبو عبد الله محمد بن علي بن حمزة :
كانت لزوجتي جارية حسنة الوجه ، فعَلِقْتُهَا ، وعلمت زوجتي بذلك ،
فحجبتها عني ، فاشتدَّ ما بي من الوجد عليها [٣١٨ غ] ، وقاسيت شدة شديدة .
فبينما أنا ذات ليلة نائم ، ومولاتها زوجتي إلى جانبي ، إذ رأيت في منامي كأنَّ
الجارية حيالي ، وأنا أبكي ، إذ لاح لي إنسان فأنشدني :

وقفت حيالك أذري الدموع وأخلط بالدمع مني دما
وأشكو الذي بي إلى عاذلي ولا خير في الحب أن يكتما
رضيت بما ليس فيه رضا بتسليم طرفك إن سلما [١٠٤ ن]
فهمت عليّ وأقصيتني وأعزز عليّ بأن أرغما

قال : فانتبهت فزعاً مرعوباً ، ودعوت بدواة وقرطاس ، وجلست في فراشي ،
وكتبت الشعر .

فقلت لي زوجتي : ماذا تصنع ؟ فقصصت عليها القصة والرؤيا .
فقلت : هذا كله من حبِّ فلانة ؟ قد وهبتها لك .

بالله يا طرفي الجاني على كبدي

أخبرني أبو الفرج الأصبهاني إجازة ، قال : أخبرني عمي الحسن بن محمد ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخزازي ، قال : حدثنا معبد الصغير المغني ، مولى علي بن يقطين^١ ، قال : كنت منقطعاً إلى البرامكة ، فبينما أنا ذات يوم في منزلي ، وإذا بابي يدق ، فخرج غلامي ثم رجع إليّ .

فقال : على الباب فتى ظاهر المروءة ، يستأذن عليك . فأذنت له ، فدخل عليّ شاب ، ما رأيت أحسن منه وجهاً ، ولا أنظف ثوباً ، ولا أجمل زياً ، عليه أثر السقم ظاهر . فقال لي : يا سيدي أنا منذ مدة أحاول لقاءك ، ولا أجد إليه سبيلاً ، ولي إليك حاجة .

قلت : ما هي ؟ فأخرج إليّ ثلثمائة دينار ، فوضعها بين يدي . ثم قال : أسألك أن تقبلها ، وتصنع في بيتين قلتهما لحناً تغنيني به . فقلت له : هاتهما ، فأنشدني :

بالله يا طرفي الجاني على كبدي^٢ لتطفئن بدمعي لوعة الحزن [٢٨٥ ر]
أولا تؤخر^٣ حتى يحجبوا سكني^٤ فلا أراه ولو أدرجت في كفني

١ معبد الصغير المغني : خلاسي من مولدي المدينة ، نشأ بها ، وأخذ الغناء عن أهلها ، واشتره بعض ولد علي بن يقطين ، فأخذ عن جماعة من المغنين بالعراق مثل إسحاق وابن جامع ، وخدم الرشيد ، ومات في أيامه ، وكان أكثر انقطاعه إلى البرامكة (الأغاني ١١٦/١٤) .

٢ في غ : على بدني ، وكذلك في الأغاني ١١٦/١٤ .

٣ كذا في ر و غ ، وفي م : ولا ترضى ، وفي الأغاني ١١٧/١٤ أو لأبوحن حتى يحجبوا سكني .

٤ سكني : حبيبي الذي أسكن إليه .

قال : فصنعت فيهما لحناً ، ثقیل أول ، مطلق في مجرى الوسطى ، ثم غنّيته إياه ، فأغمي عليه ، حتى ظننته قد مات .
ثم أفاق ، فقال : أعد فديتك .
قلت : أخشى أن تموت .
فقال : هيات ، هيات ، أنا أشقى من ذلك ، فأعد عليّ .
وما زال يخضع ويتضرّع ، حتى أعدته ، فصعق صعقة أشدّ من الأولى ، حتى ظننت نفسه قد فاظت ، فلما أفاق ، رددت عليه الدنانير .
وقلت له : خذ دنانيرك ، وانصرف عنيّ ، فقد قضيت حاجتك ، وبلغت وطراً مما أردته ، ولست أحب أن أشارك في دمك .
فقال : لا حاجة لي في الدنانير ، وهذه مثلها لك ، وأخرج ثلثمائة دينار أخرى .

وقال : أعد عليّ الصوت مرّة أخرى ، وحلال لك دمي .
فقلت : لا والله ، إلا على شرط .
قال : وما هو ؟
قلت : تقيم عندي ، وتحرم بطعامي وتشرب أقداحاً من النبيذ تشدّ قلبك ، وتسكن بعض ما بك ، وتحذّني بقصّتك .
فقال : أفعل .
فأخذت الدنانير ، ودعوت بطعام ، فأصاب منه ، وبالنبيذ ، فشرب أقداحاً ، وغنّيته بشعر غيره في معناه ، وهو يشرب ويبكي .
ثم قال : الشرط ، أعزك الله ، فغنّيته صوته ، فجعل يبكي أحرّ بكاء ، ويتحبّ .

فلما رأيت ما به قد خفّ عما كان يلحقه ، والنبيذ قد شدّ من قوّته ، كررت عليه صوته مراراً ، ثم [٣٢٣ غ] قلت له : حدّثني حديثك .

فقال : أنا رجل من أهل المدينة ، خرجت يوماً متترياً في ظاهرها ، وقد سال العقيق^٥ ، في فنية وأقران ، فبصرنا بفتيات قد خرجن لمثل ما خرجنا نحن له ، فجلسن قريباً منا .

ونظرت بينهن إلى فتاة كأنها قضيب بان قد طله الندى ، تنظر بعينين ، ما ارتد طرفهما إلا بنفس من يلاحظهما ، [فأطلنا وأطلن]^٦ ، حتى تفرق الناس . وانصرفنا ، وقد أبقيت بقلبي جرحاً بطيناً اندماله ، فسرت إلى منزلي وأنا وقيذ^٧ .

وخرجت من غد إلى العقيق ، وليس فيه أحد ، فلم أر لها أثراً ، ثم جعلت أتبعها في طرق المدينة وأسواقها ، فكأن الأرض ابتلعها ، وسقمت ، حتى يشس ميّ أهلي .

فأعلمت زوجة أبي بذلك ، فقالت : لا بأس عليك ، هذه أيام الربيع قد أقبلت ، وهي سنة خصب ، والساعة يأتي المطر ، فتخرج وأخرج معك ، فإن النسوة سيجنن ، فإذا رأيتهن أتبعتهن ، حتى أعرف موضعها ، ثم أصل بينكما ، وأسعى لك في تزويجها .

قال : فكأن نفسي اطمأنت ، ورجعت ، وجاء المطر ، وسال العقيق ، وخرجت

٥ العقيق : كل مسيل ماء شقه السيل في الأرض ، فأنهره ، وسعه ، فهو عقيق ، وفي بلاد العرب أربعة أعقة ، أشهرها العقيق بالمدينة ، وأكثر ما ينجي ذكره في الشعر ، فإياه يعنون ، وعقيق المدينة على ثلاثة أميال منها ، مما يلي الحرة إلى منتهى البقيع ، وعليه دور ، وقصور ، ومنازل ، وقرى ، فإذا كان وقت الربيع ، وأمطرت السماء سال العقيق ، فكان منتجع أهل الظرف والأدب والشعر راجع معجم البلدان ٧٠٣-٦٩٩/٢ ، أقول : وقد حرصت على أن أراه لما حججت في السنة ١٩٦٤ ، وزرت قبر النبي صلوات الله عليه ، فاستأجرت سيارة وخرجت أسأل الناس عن العقيق ، فلم أوفق إلى من يعرفه ، أو يدلني عليه .

٦ الزيادة من الأغاني .

٧ الوقيذ : الصريع ، أو المشرف على الموت من شدة الضرب .

مع إخواني إليه ، وزوجة أبي معنا ، فجلسنا مجلسنا الأول ، فما كنّا والنسوة إلا كفرسي رهان^٨ ، فأومأتُ إلى زوجة أبي ، فجلستُ قريباً منها .

وأقبلت على إخواني ، فقلت لهم : أحسن والله القائل ، إذ يقول :

رمتني بسهم أقصد القلبَ وانثت وقد غادرتُ جرحاً به وندبها

فأقبلت على صويحباتها ، وقالت : أحسن والله القائل ، وأحسن من أجابه

حيث يقول :

بنا مثل ما تشكو فصبراً لعلنا نرى فرجاً يشفي السقام قريباً [٢٦٣ م]

قال : فأمسكتُ عن الجواب ، خوفاً أن يظهر مني ما يفضحني وإياها ،

وانصرفنا .

وتبعته زوجة أبي ، حتى عرفت بيتها ، وصارت إليّ ، وأخذت بيدي ، ومضينا

إليها ، وتزاورنا ، وتلاقينا على حال مراقبة ومخالسة .

حتى ظهر ما بيني وبينها ، فحجبها أهلها ، وتشدد عليها أبوها ، فلم أقدر

عليها .

فشكوت إلى أبي شدة ما نالني ، وشدة ما ألقى ، وسألته خطبتها .

ففضيت أنا وأبي ومشیخة قومي إلى أبيها ، فخطبوها ، فقال : لو كان بدأ بهذا

من قبل أن يشهرها ، لأسعفناه بحاجته وبما ألتمس ، لكنه قد فضحها ، فلم أكن

لأحقّق [٢٨٦ ر] قول الناس فيها بتزويجه إياها ، فانصرفت على يأس منها ومن

نفسي ، قال معبد : فسألته أن يتزل بقربي ، فأجابني ، وصارت بيننا عشرة .

ثم جلس جعفر بن يحيى يوماً للشرب ، فأتيته ، فكان أول صوت غيّته

بشعر الفتى ، فطرب عليه طرباً شديداً ، وقال : ويحك لمن هذا الصوت ؟

٨ فرسارهان : يقال للمتساوين في المرتبة ، المتقاربين في الفضل ، وإيرادها هنا يعني أنهما جاءا في وقت واحد .

فحدّثته فأمر بإحضار الفتى ، فأحضر في وقته ، فاستعاده الحديث ، فأعاده .
فقال له : هي في ذمتي ، حتّى أزوّجك بها [٣٢٤ غ] فطابت نفسي ونفس
الفتى ، وأقام معنا ليلتنا حتّى أصبح .

وغدا جعفر إلى الرشيد ، فحدّثه الحديث ، فعجب منه ، وأمر بإحضارنا
جميعاً ، وأمر بأن أغنّيه الصوت ، فغنّيته ، وشرب عليه ، وسمع حديث الفتى .
فأمر من وقته ، بأن يكتب إلى عامل الحجاز ، بأشخاص الرجل وابنته ،
وسائر أهله إلى حضرته .

فلم تمض إلّا مسافة الطريق ، حتّى أحضر ، فأمر الرشيد بإحضاره إليه ،
فأوصل ، وخطب إليه الجارية للفتى ، فأجابه ، فزوّجه إياها ، وحمل الرشيد إليه
ألف دينار مهرها^٩ ، وألف [١٩٥ ن] دينار لجهازها ، وألف دينار لنفقته ، في
طريقه ، وأمر للفتى بألني دينار .

وكان المدينيّ بعد ذلك من جملة ندمائه^{١٠} .

٩ في ن : وحمل إليه الرشيد ثلاثة آلاف دينار لمهرها .

١٠ راجع القصّة في الأغاني ١٤/١١٦-١٢٠ .

به من غير دائه وهو صالح

أخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني ، قال : حدثني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر ، قال : حدثنا حماد بن إسحاق ، قال : حدثني أبي ، قال : سرت إلى سرّ من رأى بعد قدومي من الحجّ ، فدخلت إلى الواثق بالله ، فقال : بأيّ [٢٥٨ م] شيء أطرفني من الأحاديث التي [٣١٧ غ] استفدتها من الأعراب وأشعارهم ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين جلس إليّ فتى من الأعراب في بعض المنازل ، فحاورني ، فرأيت منه أحلى ما رأيت من الفتيان ، منظراً ، وحديثاً ، وظرفاً ، وأدباً . فلهتشدته ، فأنشدني :

سقى العَلَمَ الفرد الذي في ظلاله غزالان مكتّان مؤتلفان
إذا أَمِنَا أَلتَقَاً بيجيد توأصلٍ وطرفاهما للريب مسترقان
أردتهما ختلاً فلم أستطعهما ورمياً ففاتاني وقد قتلتاني

ثم تنفّسَ تنفّساً ، ظننت أنّه قد قطع حيازيمه^١ .

فقلت له : ما لك بأبي أنت ؟

فقال : وراء هذين الجبلين شَجِيّ ، وقد حيل بيني وبين المرور بهذه البلاد ، ونذروا دمي ، فأنا أتمتع بالنظر إلى هذين الجبلين ، تعلّلاً بهما ، إذا قدم الحاجّ ، ثم يحال بيني وبين ذلك .

فقلت له : زدني بما قلت ، فأنشدني :

١ الحيزوم : وسط الصدر .

إذا ما وردت الماء في بعض أهله حضور فعرض بي كأنك مازح
فإن سألت عني حضور فقل لها : به غير^٢ من دائه وهو صالح

فأمرني الوائق ، فكتبتُ الشعرين .

فلما كان بعد أيام دعاني ، فقال لي : قد صنع بعض عجائز دارنا في أحد
الشعرين لحناً ، فاسمعه ، فإن ارتضيته أظهرناه ، وإن رأيت فيه موضع إصلاح
أصلحناه .

ثم غني لنا به من وراء الستارة ، فكان في غاية الجودة ، وكذلك كان يصنع
إذا وضع لحناً .

فقلت له : أحسن - والله - صانعه ، يا أمير المؤمنين .

فقال : بحياتي ؟

فقلت : إي وحياتك ، وحلفت له بما وثق به .

فأمر لي برطل ، فشربته ، ثم أخذ العود ، فغناه ثلاث مرّات ، وسقاني عليه
ثلاثة أرطال ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم .

فلما كان بعد أيام ، دعاني فقال : قد صنع بعض عجائز دارنا في الشعر
الآخر لحناً ، وأمر فغني به ، فكان حالي مثل الحال في الشعر الأول ، وحلفت له
على جودته ، فغناه ثلاث مرّات ، وسقاني ثلاثة أرطال ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم .

ثم قال : هل قضيت حقّ حديثك^٣ ؟

فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءك ، وأتمّ نعمته عليك .

فقال : ولكنّك لم تقض حقّ الأعرابي ، ولا سألتني معونته على أمره ؟ وقد
سبقتُ مسألتك ، وكتبتُ بخبره إلى صاحب الحجاز ، وأمرته بتجهيزه ، وخطبة

٢ الغير : بكسر الغين وفتح الباء ، تغيّر الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد ، وغير الدهر : أحداثه .

٣ في غ : حقّ حديثك .

المرأة له ، وحمل صداقها إلى قومها عنه من مالنا ، ففعل .
فقبّلت يده ، وقلت : السبق إلى المكارم لك ، وأنت أولي بها من غيرك من
سائر الناس^٤ .
قال : أبو الفرج : وصنعة الواثق في الشعرين جميعاً من الرّمْلِ .

٤ هذه القصّة لم ترد في ر .

عمر بن أبي ربيعة
والجعد بن مهجع العذري

.. وحدثني أبو الفرج القرشي ، المعروف بالأصبهاني ، قال : نسخت من كتاب
[٢٥٩ م] محمد بن موسى بن حماد ، قال : ذكر الرياشي قال : قال حماد
الراوي :

أتيت في مكة ، إلى حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، فتذاكرنا
العذريين ، وقال عمر بن أبي ربيعة :

كان لي صديق من بني عذرة يقال له : الجعد بن مهجع ، وكان أحد بني
سلامان ، وكان يلقي من الصباية ، مثل الذي [ألقاه] بالنساء ، على أنه كان
لا عاهر الخلوة ، ولا سريع السلوة .

وكان يوافي الموسم في كل سنة ، فإذا غاب^١ عن وقته ، ترجحت^٢ عنه
الأخبار ، وتوكت^٣ له الأسفار^٤ ، حتى يقدم .

فغمي ذات سنة إبطاؤه ، حتى قدم حاج عذرة ، فأتيت القوم أنشد صاحبي ،
فإذا غلام قد تنفس الصعداء ، وقال : عن أبي المسهر تسأل ؟
قلت : نعم ، وإياه أردت .

١ في الأغاني ١٦٩/١١ : راث ، ومعناها : أبطأ .

٢ الرجم : التكلم بالظن ، والرجم بالغيب : الكلام بما لا يعلم ، قال الشاعر :

كم بالدروب وأرض السند من جدث^١ ومن جماجم قتلى ما بها قبروا
بقندهار ومن كانت منيته بقندهار يرحم^٢ دونه الخبر

٣ التوكت : التوقع والانتظار .

٤ الأسفار : جماعة المسافرين .

فقال : هيهات ، هيهات ، أصبح - والله - أبو المسهر ، لا مئوس منه
فيهمل ، ولا مرجو فيعمل ، أصبح - والله - كما قال القائل :

لعمري ما حيي لأسماء تاركي أعيش ولا أقضي به فأموت

فقلت : ما الذي به ؟

فقال : مثل الذي بك ، من تهتككما^٥ في الضلال ، وجركما أذيال
الخسار ، كأنكما لم تسمعا بجنة ولا نار .

فقلت : ومن أنت منه ، يا ابن أخي ؟

قال : أخوه .

فقلت له : يا ابن أخي ، ما منعك أن تسلك مسلكه من الأدب ، وأن تركب
منه مركبه [إلا أنك وإياه كالبعاد والبرد ، لا ترقعه ولا يرقعك]^٦ .

ثم صرفت وجه ناقتي ، وأنا أقول :

أرائحة حجاج عذرة وجهة	ولما يرح في القوم جعد بن مهجع
خليلان نشكو ما نلاقي من الهوى	متى ما يقل أسمع وإن قلتُ يسمع
ألا ليت شعري أي شيء أصابه	فلي زفرات هجن ما بين أضلعي
فلا يبعدنك الله خلاً فإنني	سألقي كما لاقيت في الحب مصرعي

ثم انطلقت حتى وقفت موقفاً من عرفات ، فبينما أنا كذلك ، وإذا بإنسان
قد تغير [٣١٩ غ] لونه ، وساءت هيأته ، فأدنى ناقتي من ناقتي ، ثم خالف بين
أعناقهما ، وعانقني وبكى ، حتى اشتد بكأؤه .

فقلت : ما وراءك ؟

فقال : برح العدل ، وطول المطل ، ثم أنشأ يقول :

٥ في الأغاني ١٧٠/١١ : من تهوركما .

٦ الزيادة من غ ، ومن الأغاني ١٧٠/١١ .

لئن كانت عديّة ذات لبّ لقد علمت بأن الحبّ داء
 ألم تنظر إلى تغيير جسمي وآتي لا يفارقني البكاء
 وآتي لو تكلفني سواها لخفّ الكَلَمُ وانكشف الغطاء^٧
 وأنّ معاشري ورجال قومي حتوفهم الصبابة واللقاء
 إذا العذريّ مات خليّ ذرّع فذاك العبد يكيه الرشاء

فقلت : يا أبا المسهر ، إنّها ساعة تضرب إليها أكباد الإبل من شرق الأرض
 وغربها ، فلو دعوت الله تعالى ، كنتُ مؤملاً لك أن تظفر بحاجتك .
 قال : فتركني ، وأقبل على الدعاء ، فلما تدلّت الشمس للغروب ، وهمّ
 الناس أن يفوضوا ، سمعته يتكلّم بشيء ، فأصغيت إليه ، فإذا هو يقول :
 يا ربّ كلّ غسدة وروحة من مُحرّم يشكو الضنا^٨ ولوحه
 أنت حسيب^٩ الخطب يوم الدوحة

فقلت : وما يوم الدوحة ؟
 فقال : والله لأخبرنك ولو لم تسألني ، ثم أقبل عليّ ، وقال : أنا رجل ذو
 مال من نعم وشاء ، وذو المال لا يصدره القلّ ، ولا يرويه الثماد .
 وآتي خشيت عام أوّل على مالي التلف ، وقطر الغيث أرض كلب ، فانتجعت
 أخوالاً لي منهم ، فأوسعوا لي عن صدر المجلس ، وسقوني جمّة الماء^{١٠} ، وكنت
 معهم في خير أحوال .

٧ في الأغاني ١١/ ١٧٠ :

ولو آتي تكلفت الذي بي لقفّ الكسَمُ وانكشف الغطاء

٨ في م : الصبي ، وفي الأغاني : الضحى ، والتصحيح من غ .

٩ في م : حنيت ، والتصحيح من غ .

١٠ الجمّة ، وجمعها جمام : البئر الكثيرة الماء ، والجَمّ من الماء : معظمه .

ثم إني عزمت على مرافقة إيلي بماء لهم ، فركبت فرسي ، وسَمَطْتُ خلني شراباً
كان أهداه إليّ بعضهم ، ثم مضيت .

حتى إذا كنتُ قريباً من الحيِّ ومرعى الغنم ، رفعت لي [٢٦٠ م] دوحة
عظيمة ، فترلت عن فرسي ، وشددته ببعض أغصانها ، وجلست في ظلّها .
فبينما أنا كذلك إذ سطع غبار في ناحية الحيِّ ، ثم رفعت لي شخص ثلاثه ،
ثم نظرت فإذا بفارس يطرد مسحلاً وأتانا^{١١} ، فتأمّلته ، فإذا عليه درع أصفر ،
وعمامة خزّ سوداء^{١٢} ، وإذا فروع شعره تضرب خصره^{١٣} ، فقلت : غلام ،
حديث عهد بفرسٍ ، أعجلته لذّة الصيد ، فترك ثوبه ، وليس ثوب امرأته .
فما كان إلّا يسيراً ، حتى طعن المسحّل ، وثنى بطعنة للأتان ، فصرعهما ،
وأقبل راجعاً نحوي ، وهو يقول :

نطعنهم سلكي^{١٤} ومخلوجة^{١٥} كرك لأمين^{١٦} على نابل

فقلت : إنك تعبت ، وأتعبت فرسك ، فلو نزلت .
فثنى [٣٢٠ غ] رجله ، فنزل ، وشدّ فرسه بغصن من أغصان الشجرة ،
وألقي رمحه ، وأقبل حتى جلس ، فجعل يحدثني حديثاً ذكرت به قول أبي
ذؤيب :

وإنّ حديثاً منك لو تبدّلينــــه جنى النحل في ألبان عوذٍ مطّافلٍ^{١٧}

١١ المسحّل : الحمار الوحشيّ ، والأتان : أنثى الحمار .

١٢ في غ : عمامة خزّ بيضاء .

١٣ في غ : تضرب فخذه .

١٤ الطعنة السلكي : المستقيمة .

١٥ الطعنة المخلوجة : المعوجة من يمن أو شمال .

١٦ اللأمان : السهمان عليهما ريش .

١٧ العوذ : جمع عائد ، وهي الحديثة التّاج إلى خمسة عشر يوماً ، والمطافل ، مفردها مطفل : ذات الطفل =

وقمت إلى فرسي ، فأصلحت من أمره ، ثم رجعت وقد حسر العمامة عن رأسه ، وإذا غلام كأن وجهه الدينار المنقوش .

فقلت : سبحانك اللهم ، ما أعظم قدرتك ، وما أحسن صنعتك ؟
فقال لي : ممّ ذلك ؟

فقلت : لما راعني من جمالك ، وما بهرني من نورك .
فقال : وما الذي يروعك من حبيس التراب ، وأكيل الدواب ؟ وما يدري أينعم بعد ذلك ، أم يبتئس .

قلت : لا يصنع الله بك إلا خيراً .
ثم تحدّثنا ساعة ، فأقبل عليّ ، فقال : ما الذي سمعت في سرجك ؟
قلت : شراباً ، أهدها إليّ بعض أهلي ، فهل لك فيه من أرب ؟
فقال : أنت وذاك .

فأتيت به ، فشرب منه ، وجعل - والله - ينكت بالسوط أحياناً على ثناياه ،
فيتبيّن [١٠٦ ن] لي أثر السوط فيهن^{١٨} .

فقلت : مهلاً ، إنني أخاف أن تكسرهنّ .
فقال : ولم ؟

قلت : لأنهنّ رقائق عذاب .
قال : ثم رفع صوته يغني :

إذا قبل الإنسان آخر يشتهي ثناياه لم يأثم وكان له أجرا
فإن زاد زاد الله في حسناته مثاقيل يمحو الله عنه بها الوزرا
قال : ثم قام إلى فرسه ، فأصلح من أمره ، ثم رجع ، فبرقت له بارقة تحت

من الإنس أو الوحش ، وجنى النحل : العسل ، يقول : إن حديث هذه الفتاة لذيد مثل اللبن المحلى بالعسل .

١٨ في الأغاني : ظلّ السوط فيهنّ .

الدرع ، فإذا ثدي كانه حقّ عاج .

فقلت : ناشدتك الله : امرأة أنت ؟

فقلت : نعم والله ، إلا أنّها تكره العار^{١٩} ، وتحبّ الغزل ، ثم جلست ، فجعلت تشرب معي ، وما أفقد من أنسنا شيئاً ، حتى نظرت إلى عينيها ، كأنهما عينا مهاة مذعورة ، فوالله ، ما راعني إلا ميلها تحت الدوحة سكرى .

فزيّن الشيطان لي - والله - الغدر ، وحسّنه في عيني ، ثم إنّ الله عزّ وجلّ عصمني منه ، فجلست منها حجرة^{٢٠} .

ثم انتبهت فزعة مذعورة ، فلائت عمامتها برأسها ، وجالت في متن فرسها ، وقالت : جزاك الله عن الصحبة خيراً .

فقلت : ألا تزوديني منك زاداً ؟

فناولتني يدها ، فقبلتها ، فشممت - والله - منها ريح الشباب المطلول^{٢١} ، فذكرت قول الشاعر :

كأنّها إذ تقضّي النوم وانتبهت سيّابة ما لها عين ولا أثر

فقلت : وأين الموعد ؟

فقلت : إنّ لي أخوة شوساً^{٢٢} ، وأباً غيوراً ، ووالله ، لأنّ أسرك ، أحبّ إليّ من أن أضرك ، وانصرف .

فجعلت أتبعها بصري حتى غابت ، فهي - والله - يا ابن أبي ربيعة ، أحلّني هذا المحل ، وأبلغتني هذا المبلغ .

١٩ في الأغاني ١١/١٧٣ : تكره العشير .

٢٠ الحجرة : الناحية .

٢١ في الأغاني ١١/١٧٣ : ريح المسك المفتت .

٢٢ الأشوس ، وجمعه شوس : الشديد ، الجريء في القتال .

فقال : يا أبا المسهر ، إن الغدر بك مع ما تذكر للمليح ، فبكي ، واشتدّ
بكاءه .

قلت : لا تبك ، فما [٢٦١ م] قلت لك [٣٢١ غ] ما قلت إلا مازحاً ،
ولو لم أبلغ حاجتك إلا بمالي وروحي لسعيت في ذلك حتى أقدر عليه .
فقال لي : جزيت خيراً .

فلما انقضى الموسم ، شددت على ناقتي ، وشدّ على ناقته ، ودعوت غلامي
فشدّ على بعير له ، وحملت عليه قبة من آدم حمراء ، كانت لأبي ربيعة المخزومي ،
وحملت معي ألف دينار ، ومطرف خزّ ، وانطلقنا ، حتى أتينا بلاد كلب .
فسألنا عن أبي الجارية ، فوجدناه في نادي قومه ، وإذا هو سيّد القوم ،
والناس حوله ، فوقفت على القوم ، وسلّمت ، فردّ الشيخ السلام .
ثم قال : من الرجل ؟

قلت : عمر بن أبي ربيعة المخزومي .
فقال : المعروف غير المنكر ، فما الذي جاء بك ؟
قلت : جئت خاطباً .
قال : الكفو والرغبة .

قلت : إني لم آت لنفسي من غير زهادة فيك ، ولا جهالة بشرفك ، ولكني
أتيت في حاجة ابن أختكم^{٢٣} هذا العُدريّ .
فقال : والله ، إنّه لكنيّ الحسب ، رفيع النسب ، غير أنّ بناتي لم ينفقن إلا
في هذا الحيّ من قريش ، فوجمت لذلك .
وعرف التغيّر في وجهي ، فقال : إني صانع بك ما لم أصنع بغيرك .

قلت : مثلي من شكر ، فما ذاك ؟
قال : أخيرها ، وهي وما اختارت .

^{٢٣} في غ : ابن أخيكم .

قلت : ما انصفتني ، إذ تختار لغيري ، وتولي الخيار غيرك .
فأشار إليّ العذريّ ، أن دعه يخيّرهما ، قال : فأرسل إليها : أن من الأمر كذا وكذا .

فأرسلت إليه : ما كنتُ أستبدّ برأيٍ دون القرشيّ ، والخيار في قوله وحكمه .
فقال لي : إنّها قد ولّتك أمرها ، فاقض ما أنت قاضٍ .
فقلت : اشهدوا أنّي قد زوجتها من الجعد بن مهجع ، وأصدقها هذه الألف دينار ، وجعلتُ تكرمها العبد ، والبعير ، والقبّة ، وكسوتُ الشيخ هذا المطرف ، وسألته أن يبيّن الرجل عليها من ليلته .

فأرسل إلى أمّها ، فأبت ، وقالت : أخرج ابنتي كما تخرج الأمّة ؟
قال الشيخ : فعجّلني في جهازها .

فما برحت ، حتى ضربت القبّة في وسط الحريم ، وأهديت إليه ليلاً ، وبت أنا عند الشيخ .

فلما أصبحت ، أتيت القبّة ، فصحت بصاحبي ، فخرج إليّ ، وقد أثر السرور فيه .

فقلت : إيه .

فقال : أبدت - والله - كثيراً مما كانت تخفيه عني يوم لقيتها ، فسألته عن ذلك ، فأنشأت تقول :

كتمتُ الهوى لما رأيته جازعاً وقلتُ فتى بعض السرور يريد
وأن تطرحني أو تقول فتيةً يضرّ بها برح الهوى فتعود
فوريت عمّا بي وفي داخل الحشا من الوجد برح فاعلمنّ شديد

فقلت : أقم على أهلك ، بارك الله لك فيهم ، وانطلقت ، وأنا أقول :

كفيتُ الفتى العذريّ ما كان نابه وإني لأعياء النوائب حمّال [٣٢٢ غ]

أما استحسننت مَنّي المكارم والعلی
فقال العذريّ :

إذا ما أبو الخطاب خلّى مكانه
فأفّ لدينا ليس من أهلها عمر
فلا حيّ فتيان الحجازين بعده
ولا سقيت أرض الحجازين بالمطر^{٢٥}

٢٤ في الأصل : إني مع القوم حمّال ، والتّصحیح من الأغاني ١١/١٧٥ .
٢٥ لم ترد هذه القصّة في ر ، ووردت في الأغاني ١١/١٦٩-١٧٥ وفي العقد الفريد ٦/٤٥٠-٤٥٦ .

رضي أن يموت بعد أن يتمتع بحبيته أسبوعاً واحداً

أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد بن جعفر البصري ، المعروف بابن
لنك^١ ، في رسالة له ، في فضل الورد^٢ على النرجس^٣ ، فقال فيمن سمي بنته

١ أبو الحسين محمد بن محمد بن جعفر البصري الشاعر ، المعروف بابن لنك : شاعر مجيد ، أنشئ
عليه الثعالي في اليتيمة ، وأورد طائفة من شعره ٣٤٨/٢-٣٥٨ ، وقال عنه : إنه فرد البصرة ، وصدر
أدبائها ، وبدر ظرفائها ، وأكثر شعره ملح وطرف ، وجلها في شكوى الزمان وأهله ، ومن رائق قوله في
شكوى الزمان :

يا زماناً ألبس الأحـ ررار ذلاً ومهانـ
لست عندي بزمان إنما أنت زمانه

وقال في أهل زمانه :

لا تخدعنك اللحي ولا الصور تسعة أعشار من ترى بقـ
في شجر السرو منهم مثل له رواء وما له ثمر

وجاء في وفيات الأعيان ٣٨٢/٥ : إن لنك ، لفظ أعجمي ، معناه : أعرج ، تصغير أعرج ،
لأن كلمة لك ، معناها أعرج ، والكاف الثانية للتصغير .

٢ الورد : راجع التفصيل في آخر القصة .

٣ النرجس ، بفتح النون وكسرها : نبت من الرياحين ، طيب الرائحة جداً ، أصله بصل ، زهره مستدير
أبيض أو أصفر ، تشبه به الأعين (المنجد) ، قال محمد بن أبي أمية ، يصف روضة [الديارات ٣١] :

في جنان كأنما نشرت فو ق نراها حريرة خضراء
أعين النرجس الجني نجوم واخضرار الرياض فيها سما

والكلمة فارسية الأصل : نركس ، ذكر صاحب كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ١٥١ أن اسم
هذا الورد متشابه في اثني عشرة لغة ، وعقد له صاحب كتاب مطالع البدور ٩٩/١-١٠٤ فصلاً ذكر
=

من سائر العرب وردة : ففهم شرحبيل بن مسعود التنوخي ، وعائد الطائي ، وهي التي كان داود بن سعد التميمي عاشقاً لها ، فاستقبل النعمان بن المنذر ، في يوم بؤسه ، وقد خرج يريد لها ، وهو لا يعلم بيوم النعمان .

فقال له : ما حملك على استقبالي في يوم بؤسي ؟

فقال : شدة الوجد ، وقلة الصبر .

فقال : أو لست القائل ؟ :

وددتُ وكاتبِ الحسناتِ آني	أقارع نجم وردة بالقـداح
على قتلي بأبيض مشرفي	وكوني ليلة حتى الصباح [١٠٧ ن]
مع الحسناء وردة إن قلبي	من الحبّ المبرّح غير صاح
فإن تكن القداح عليّ تلقى	ذبحت على القداح بلا جناح
وإن كانت عليه يمين جعدي	لهوت بكاعب خود رباح

قال : نعم .

قال : فأني مخيرك إحدى اثنتين ، فاختر لنفسك .

قال : ما هما أبيت اللعن ؟

قال : أخلي سبيلك ، أو أمتعك سبعة أيام ، ثم أقتلك .

قال : بما تتمعني ؟

قال : بوردة .

قال : قبلت الثاني .

فساق النعمان مهرها إلى عمّها ، وجمع بينهما ، فلمّا انقضت الأيام ، أقبل

فيه فضائل الترجس ، ومنافعه الطيبة ، وما قيل فيه من الشعر ، كما أفرد الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه القانون في الطب ٣٧٣/١ وابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١٧٩/٤ أبحاثاً في منافعه في الدواء ، والبغداديون يسمّون الترجس : نركز ، بالكاف الفارسية والزاي ، ويسمّون به البنات .

على النعمان ، وهو يقول :

إليك ابن ماء المزن^٤ أقبلت بعدما
مجيء مقرّ لاصطناعك شاكر
لتنقي فيه ما أردت قضاءه
فإن كان عفو كنت أفضل منعم
مضت لي سبع من دخولي على أهلي
منتت عليه بالكريم من الفعل
من العفو ، أهل العفو ، أو عاجل القتل
وإن تكن الأخرى فمن حكم عدل

فأحسن جائزته ، وخلق سبيله ، وأنشأ النعمان يقول : [٢٦٤ م]

لم ينل ما نال داو د بن سعد بن أنيس
إذ حوى من كان يهوى ونجا من كلّ بوس [٣٢٥ غ]
وكذاك الطير يجري بسعود ونحوس

قال مؤلف هذا الكتاب : وجدت كتاباً لأحمد بن أبي طاهر ، سمّاه :
كتاب فضائل الورد على النرجس ، أكبر قدراً ، وأغزر فائدة من كتاب ابن
لنكك ، فوجدته قد ذكر فيه هذا الخبر .

قال : ومن سمّى ابنته وردة ، شرحبيل بن مسعود التنوخي ، وهو صاحب
العين ، على مسيرة يوم وليلة من تيماء اليمن .

وسليمان بن صرد ، أمير الجيش الذي يقال لهم : التوابون ، الذين تولّوا الطلب
بدم الحسين عليه السلام ، وقتل عبيد الله بن زياد .

وسمّى عائذ الطائي بنته وردة ، وهي التي كان داود بن سعد التميمي ، عاشقاً
لها وساق الخبر كما ذكره* .

٤ في غ : إليك أيت اللعن .

٥ هذه القصة لم ترد في ر .

الورد

الورد : في اللغة ، نَوْر كلّ شجرة ، وزهر كلّ نبتة ، ثم اقتصر على الورد المعروف ، وقد توصّل الإنسان بفضل عنايته إلى إنتاجه على أشكال وألوان مختلفة ، وبروائح عطرة متنوّعة (لسان العرب ، المنجد) .

وكانت عناية الإنسان بالورد ، منذ أقدم الأزمان ، واستعمله الأطباء دواءً ، ووصفوه لكثير من الشكاية (القانون في الطب لابن سينا ٢٩٩/١ والجامع لمفردات الأدوية ١٨٩/٤ و ١٩٠) .

وذكر القاضي التنوخي ، في نشوار المحاضرة ١٩/٥ أنّه أبصر ورداً أصفر ، عدّ ورق الورد منه ، فكانت ألف ورقة ، وإنّه رأى ورداً أسود حالك اللون ، وإنّه رأى بالبصرة ، وردة نصفها أحمر قاني الحمرة ، ونصفها الآخر ناصع البياض .

وكان المتوكّل يقول : أنا ملك السلاطين ، والورد ملك الرياحين ، فكلّ منّا أولى بصاحبه ، وحرّم الورد على جميع الناس ، واستبدّ به ، وقال : إنّ لا يصلح للعامة ، فكان لا يرى الورد إلّا في مجلسه ، وكان في أيام الورد يلبس الثياب المورّدة ، ويفرش الفرش المورّدة ، ويورّد جميع الآلات (مطالع البدور ٩٣/١) وأراد مرة أن يشرب على الورد ، ولم يكن الموسم موسم ورد ، فأمر ، فضربت له دراهم خفيفة ، مقدارها خمسة آلاف ألف درهم ، ولوّنت بألوان الورد ، ونثرت في مجلسه كما ينثر الورد ، وشرب عليها (الديارات ١٦٠) .

وذكر التنوخي في نشوار المحاضرة ، في القصّة ١٦٣/١ أنّه شاهد الوزير المهلبّي اشترى في ثلاثة أيام متتابعة ورداً بألف دينار ، فرش في مجالسه ، وطرحه في بركة أمامه ، وشرب عليه ، وذكر في القصّة ١٦٤/١ أنّ أبا القاسم البريدي ، شرب بالبصرة في يوم واحد على ورد بعشرين ألف درهم .

وأولم الوزير أبو الفضل الشيرازي ، لمعز الدولة البويهّي ، وليمة في داره الكائنة على ملتقى نهري دجلة والفرات ، موضعها الآن في رأس الجعيفر بالكرخ ، فشدّ حبلاً مفتولة على وجه الماء بين الشاطئين ، ثم نثر الورد بكيات غطّت وجه النهر ، ومنعته الحبال المعترضة من الانحدار ، فاستقرّ في موضعه ، راجع وصف الوليمة وما صرف عليها في كتاب الملح والنوادر للحصري ٢٧٦ و ٢٧٧ .

وكان الورد يتخذ للتحيات في مجالس الشراب ، بأن يقدم الساقى للنديم وردة ، أو غصن آس ، أو تفاحة ، مما له منظر جميل ، ورائحة عذبة ، وقد أفرد صاحب الموشى باباً في الورد (٢٠٤-٢٠٦) ، وما قيل في تفضيله ومدحه من الأشعار ، ثم قال : إن فضائل الورد أكثر من أن يحصى عددها ، أو يبلغ أمدها ، وأنه أفرد لذلك كتاباً ، بوجه أبياباً ، وترجمه بكتاب العقد ، وشحنه بفضل الورد (الموشى ٢٠٦) ، كما ذكر أن بعض المتظرفين ، كان يفضل الآس على الورد ، لأن الورد موسمي ، والآس دائم الخضرة ، (الموشى ٢٠٥) ، قال ابن زيدون :

لا يكن عهدك ورداً إنَّ عهدي لك آس

وأشهر أنواع الورد ، الجوري ، نسبة إلى جور ، مدينة بفارس (معجم البلدان ١٤٧/٢) ومنه يستخرج ماء الورد .
وفي بغداد أغنية قديمة ، ما زالت شائعة ، تقول :

أحبك ، أحبك وأحب كل من يحبك
وأحب الورد جوري لأنه بلون خدك

لاحظ أن المتعارف أن يشبه خد المحبوب بالورد ، أما شاعرنا العامي البغدادي ، فقد عكس الوضع ، وشبه الورد بوجه المحبوب ، فجاء نهاية في حسن التعبير .

إبراهيم بن سيّابة يشكو فلا يجاب

أخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني ، قال : أخبرني حبيب بن نصر المهلبی ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني عبد الله بن نصر المروزيّ ، قال : حدّثنا محمّد بن عبد الله الطلحي ، قال : حدّثنا سليمان بن يحيى بن معاذ ، قال :

قدم على نيسابور إبراهيم بن سيّابة ، يعني الشاعر البصري^١ ، الذي كان جدّه حجاباً ، فأعتقه بعض بني هاشم ، فصار مولى لهم ، فأنزله عليّ ، فجاءني ليلة من الليالي وهو مكروب ، وقد هام ، فجعل يصيح بي ، يا أبا أيّوب ؟ فخشيت أن يكون قد غشيته بليّة ، فقلت له : ما تشاء ؟ فقال : أعياني الشادن الريب .

فقلت له : ماذا يقول ؟ ، فقال :

أشكو إليه فلا يجيب .

فقلت : داره ، وداه ، فقال :

من أين أبغي شفاء دائي وإّما دائي الطيب

١ إبراهيم بن سيّابة : مولى بني هاشم ، كان خليعاً ، ماجناً ، طيّب النادرة ، وكان منقطعاً إلى إبراهيم الموصلي ، وابنه إسحاق ، توفّي سنة ٢٧٨ ، ومن نوادره ، أنّه قيل له : ما نظنّك تعرف الله ، فقال : كيف لا أعرف من أجاعني ، وأعراني ، وأدخلني في حراميّ (البصائر والذخائر م ٢ ق ٢ ص ٣٥٩) ، وعوّب مّرة على مجونه ، فقال : ويلكم ، لأنّ ألقى الله بذلك المعاصي ، فيرحمني ، أحبّ إليّ من أن ألقاه أتبختر إدلاًلاً بحسناني ، فيمقتني (الأغاني ٨٩/١٢) ، راجع ترجمته مفصّلة في الأغاني ٨٨/١٢-٩٢ وقد ورد ذكره في المنتظم ١١٩/٥ وفي الأعلام ٣٦/١ بأنّه إبراهيم بن شياه ، وهو تصحيف ، وقد تابعتها في ذلك التصحيف ، في نشوار المحاضرة ، رقم القصّة ٥٦/٤ حتى تبيّن لي الصحيح ، فأثبتته .

فقلت : فلا ، إذن ، إلى أن يفرّج الله تعالى ، فقال :
يا ربّ فرّج إذن وعيّل فإنّك السامع المجيب
ثم انصرف^٢ .

٢ لم ترد هذه القصة في ر ، ولا في غ ، وقد وردت في كتاب نشوار المحاضرة للتّنوخي برقم القصة ٥٦/٤ ،
ووردت في الأغاني ٩٢/١٢ وفي نهاية الأرب ١٥٤/٢ و ١٥٥ و ٥٧/٤ .

عزل عن الراققة ، فولّي دمشق

[قال محمد بن عبدوس ، في كتاب أخبار الوزراء والكتّاب ، أخبرني جعفر ابن أحمد ، قال : حدّثني أبو العباس بن الفرات ، قال : حدّثني محمد بن عليّ بن يونس]^١ ، قال :

لما سلّمت عمل دمشق إلى أبي المغيث الراققي^٢ ، سألتني أن أكتب له عليه ، ففعلت ، فلما تأنّست أنا وهو ، حدّثني أوّل خبره في تقلّد الناحية .

فقال لي : كنتُ قصدت عيسى بن موسى^٣ ، [ابن عمّي ، وهو]^٤ يتقلّد حمص ، فقلّدني ربع فامية^٥ ، فأقمت إلى أن قدم ابن عمّ له ، وهو أقرب إليه منّي ، فصرفتني ، فانصرفت عنه إلى الراققة^٦ ، ومعّي شيء مما كسبته .

وكانت لابنة عمّ لي ، جارية نفيسة ، قد ربّتها ، وعلمّتها الغناء ، وكنت

١ الزيادة من ن ، وفي بقية النسخ : عن محمد بن يونس .

٢ أبو المغيث موسى بن ابراهيم الراققي : وُلّي دمشق في السنة ٢٢٧ ، وصلب من قيس خمسة عشر رجلاً ، فخرجوا عليه ، وزحفوا على دمشق ، فاستعان بجيش من العراق حاربهم وأخضعهم (شذرات الذهب ٥٩/٢) ، وفي السنة ٢٤٠ كان أميراً على حمص ، وقتل رجلاً من رؤسائهم ، فقتلوا جماعة من أصحابه ، وأخرجوه وطرّدوا معه عامل الخراج ، فعزله المتوكّل (الطبري ١٩٧/٩ وابن الأثير ٧٣/٧) وفي معجم الأدباء ٤٧٩/٦ إنّ محمد بن حسنّ الضبيّ قدم عليه ، ومدحه ، فوعده بثواب ، وتأخّر عنه ، فعاتبه ، فاعتذر منه ، وعجّل صلته .

٣ عيسى بن موسى الراققي : من رجال الدّولة العبّاسيّة ، ذكره صاحب معجم الأدباء ٣٨٦/٥ .

٤ الزيادة من ن .

٥ فامية : مدينة كبيرة ، وكورة من سواحل حمص (معجم البلدان ٨٤٦/٣) .

٦ الراققة : بلدة على الفرات ، كانت متّصلة بالرقّة ، بينهما ٣٠٠ ذراع ، وتخربت الرقّة ، فغلب اسمها على الراققة ، فصار اسمها الرقّة ، وهي من أعمال الجزيرة ، مدينة كبيرة ، كثيرة الخير (معجم البلدان ٧٣٤/٢) .

أدعوها ، فألفتها ، ووقعت من قلبي موقعاً عظيماً ، واشتدَّ حبِّي لها ، فعملت على أن أبيع منزلي وأبتاعها ، وناظرت مولاتها في ذلك ، فحلفت أنها لا تنقص ثمنها عن ثلاثة آلاف دينار .

فنظرتُ ، فإذا أنا أفقر ، ولا تني حالي بشمنها ، فقامت قيامتي ، واشتدَّ وجدي ، وانحدرتُ إلى سرٍّ من رأى ، أطلب تصرفاً ، أو ما به شراؤها .

وكان محمد بن إسحاق الطاهري^٧ ، وأبوه^٨ ، يرجيان لي^٩ ، فقصدت محمداً ، ومعني دواب ، وبقية من حالي ، فأقمت عليه مدة لم يسنع لي فيها تصرف ، فاشتدَّت بي رقة الحال ، فانحدرت إلى بغداد ، أقصد إسحاق بن إبراهيم الطاهري ، فوردت في زورق .

وفكرت في أمري ، وعلى من أنزل ، فلم أثق بغير محمد بن الفضل الجرجاني^{١٠} ، لمودة كانت بيني وبينه ، فقصدته ، ونزلت عليه ، ووقع ذلك منه أجلّ موقع ، وفاتشني عن أمري ، وسألني عن حالي ، فذكرت له قصتي مع الجارية .

فقال : والله ، لا تبرح من مجلسك حتى تقبض ثمنها ، وأمر خادمه ، فأحضر كيساً فيه ثلاثة آلاف دينار ، وسلمت إليّ ، وتأبّيت عليه ، فحلف أيماناً مؤكدة أن أقبلها .

وقال : إن اتسعت لقضائه ، واحتجّت إليه ، لم أمتنع من أخذه منك ،

٧ محمد بن إسحاق بن إبراهيم المصعبي : كان أبوه إسحاق أمير بغداد ، أمّا هو فكان خليفة أبيه بباب الخليفة بالحضرة سامراء ، فلما مات إسحاق سنة ٢٣٥ ، قلّد المتوكل ولده محمداً أعمال أبيه كلها ، وعقد له المنتصر على اليمامة والبحرين وطريق مكة ، وعقد له المعتز على فارس (ابن الأثير ٥٤/٧) .

٨ أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب المصعبي ، أمير بغداد : ترجمته في حاشية القصة ٧٣ من الكتاب .

٩ كذا وردت الكلمة في ن ، يريد أنّه يؤمل منهما العون .

١٠ أبو جعفر محمد بن الفضل الجرجاني الكاتب : ترجمته في حاشية القصة ١٥٧ من الكتاب .

فأخذت الكيس وشكرته ، وتشاغلنا بالشرب .

فلما كان من الغد ، أتى رسول إسحاق بن إبراهيم الطاهري يطلبني ، فصررت إليه ، فاحتفى به ، وأكرمني ، وقال : ما ظننت أنك توفي بلداً أحله ، فتتزل غير داري .

فقلت : والله ، ما وافيت إلا قاصداً الأمير ، ولكن دواي تأخرت ، فتوقعت ورودها ، لأصير إلى باب الأمير عليها .

فدعا بكتب وردت من محمد بن عبد الملك^{١١} ، وفيها كتاب من أمير المؤمنين المعتصم ، بولايتي دمشق ، وأراني كتاباً يعلمه فيه ، ما جنى عليّ بن إسحاق من قتل رجاء بن [أبي] الضحّاك^{١٢} بدمشق ، وأنّ أمير المؤمنين رأى تقليدك ، وطلبت بسرّ من رأى ، فذكر له أنك انحدرت إلى إسحاق بن إبراهيم ، فأمر بتسليم كتبك إليّ ، ودفع مائة ألف دينار لك معونة على خروجك ، وأحضر المال ، ووكل بي من يستحقني على البدار .

فورد عليّ من السرور ما أدهشني ، وودّعته ، وخرجت إلى محمد بن الفضل ، ففرّقته ما جرى ، وودّعته أيضاً ، وأخرجت دنائره ، فردّتها عليه ، فحلف بأيمان غليظة عظيمة ، لا غادت إلى ملكه أبداً .

وقال : إن جلست في عملك واتسعت ، لم أمتنع أن أقبل منك غير هذا .

١١ أبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات ، وزير المعتصم : ترجمته في حاشية القصة ٦٦ من الكتاب .
١٢ رجاء بن أبي الضحّاك : ابن عم الفضل بن سهل (الطبري ٥٤٠/٨) ووالد الحسن بن رجاء الكاتب (الطبري ١١١/٩) ، وكان من رجال الدولة العباسية ، عهد إليه المأمون في السنة ٢٠٠ بأن يسافر إلى المدينة وأن يحضر معه الإمام علي بن موسى الرضا ليعهد إليه بولاية العهد من بعده (الطبري ٥٤٤/٨ وابن الأثير ٣٨٩/٦) وولاه المعتصم الخراج بدمشق ، وكان على المعونة صول أرتكين ، خليفته علي بن إسحاق بن يحيى بن معاذ ، فوثب علي ، على رجاء فقتله ، في السنة ٢٢٦ ، فاعتقل عليّ ، ومكث حيناً محبوساً بسامراء ، وتظاهر بالجنون ، فأطلق (الطبري ١١١/٩) ، راجع في العقد الفريد ١٥٥/٢ ما قاله سعيد بن سلم لما بلغه أنّ المأمون غضب على رجاء بن أبي الضحّاك وأمر بأخذه ماله .

فشخصتُ ، ومررتُ بالرافقة وابتعت الجارية ، وبلغت مناي بملكها ،
واجتزت [١٧٣/٢ هـ] بحمص ، بابن عمي ، وأنا أجلّ منه عملاً ، ودخلت
عملي ، فصنع الله سبحانه ، ووسّع^{١٣} .

١٣ لم ترد القصّة في م ولا في ر ولا في غ ، وأثبتناها من ن وهـ .

أين اختبأ الأسد

ووجدتُ في كتاب المتيمين^١ للمدائني :

أن رجلاً من بني أسد ، علق امرأة من همدان بالكوفة ، وشاع أمرها ،
فوضع قوم المرأة عليه عيوناً ، حتى أخبروا أنه قد أتاها في منزلها ، فأتوا دارها ،
واحتاطوا بها .

فلما رأت ذلك ، ولم تجد للرجل مهرباً ، وكانت المرأة بادرة ، فقالت له :
ما أرى لك موضعاً أستر لك من أن أدخلك خلف ظهري ، وتلزميني ، فأدخلته
بينها وبين القميص ، ولزمها من خلفها .

ودخل القوم ، فداروا في الدار . حتى لم يتركوا موضعاً إلا فتشوه ، فلما لم
يجدوا الرجل ، استحيوا من فعلهم ، وأغلظت المرأة عليهم ، وعنفتهم ، فخرجوا .
وأنشأ الرجل يقول :

فحبك أشهاني وحبك قادني	لهمدان حتى أمسكوا بالمخنق
فجاشت إلي النفس أول مرة	فقلت لها لا تفرقي حين مفرقي
رويدك حتى تنظري عم تنجلي	عماية هذا العارض المتألق ^٢

١ كذا ورد في ن ، وهو الصحيح ، وورد الاسم في ه : السмир ، ولم أعثر بين مصنفات المدائني على كتاب باسم : السмир ، وأحسب أن ما ورد في ه تحريف عن المتيمين .

٢ لم ترد هذه القصّة م ، ولا في ر ، ولا في غ ، وأثبتناها من ن وه .

جميل وبشينة

ذكر الهيثم بن عدي ، أن جماعة من بني عُذرة حدثوه :
 أن جميل بشينة^١ حضر ذات ليلة عند خباء بُشينة^٢ ، حتى إذا صادف منها
 خلوة تنكر ، ودنا منها ، وكانت الليلة ظلماء ، ذات غيم ورعد وريح .
 فحذف بحصاة ، فأصاب بعض أترابها ، ففرغت ، وقالت : ما حذفني
 في هذه الليلة إلا الجن .
 فقَطِنتْ بشينة أن جميلاً فعل ذلك ، فقالت لتربها : ألا فانصرفي يا أختي إلى
 منزلك حتى تنامي ، فانصرفت ، وبقيت مع بشينة أم الحسين - ويروى أم الجسير -
 بنت منظور^٣ ، وكانت لا تكتمها .
 فقامت إلى جميل ، فأدخلته الخباء معها ، وتحدثوا جميعاً ، ثم اضطجعوا ،
 وذهب به النوم حتى أصبحوا .
 وجاءهم غلام زوجها بصبح من اللبن ، بعث به إليها ، فأراها نائمة ، ونظر
 جميلاً ، ففضى لوجهه ، حتى خبر سيده .

-
- ١ أبو عمرو جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي : من الشعراء العشاق ، افتتن ببشينة ، وشبب
 بها ، وتناقل الناس أخبارهما ، وفد على عبد العزيز بن مروان بمصر ، ومات عنده سنة ٨٢ (الاعلام
 ١٣٤/٢) ، راجع أخبار جميل في الأغاني ٩٠/٨ - ١٥٤ .
- ٢ بشينة بنت حبا بن ثعلبة العذرية : شاعرة من بني عُذرة ، من قضاة ، اشتهرت بأخبارها مع جميل بن
 معمر العذري القضاعي ، وهو من قومها ، وكانت منازلهم بوادي القرى ، بين مكة والمدينة ، في شعرها
 رقة ومثانة ، مات جميل قبلها ، فرثته ، ولم تعيش بعده طويلاً ، وماتت في نفس السنة التي مات فيها جميل
 أي في السنة ٨٢ (الاعلام) .
- ٣ في الأغاني ١١٥/٨ : وبقيت مع بشينة أم الجسير ، وأم منظور .

وكانت ليلي^٤ رأت الغلام والصبح معه ، وقد عرفت خبر جميل وبشينة ،
فاستوقفته كأنها تسأله عن حاله ، وطاولته الحديث ، وبعثت بجارية لها ، وقالت :
حذري جميلاً وبشينة .

فجاءت الجارية ونبّتها ، فلمّا تبَيَّنَت بشينة أنّ الصبح قد أضاء ، والناس
قد انتشروا ، ارتاعت لذلك .

وقالت : يا جميل نفسك ، فقد جاء غلام بعلي بصبح من اللبن ، فرآنا
نائمين .

فقال جميل ، وهو غير مكترث :

لعمرك ما خوّفتني من مخافة عليّ ولا حذّرتني موضع الحذر
وأقسم ما تلقى لي اليوم غرّة وفي الكفّ منّي صارم قاطع ذكر

فأقسمت عليه أن يلقي نفسه تحت النّضد ، وقالت : إنّما أسألك خوفاً على
نفسي من الفضيحة ، لا خوفاً عليك ، ففعل ذلك ، ونامت ، وأضجعت أمّ
الحسين^٥ إلى جانبها [١٠٠ ن] ، [وذهبت خادم ليلي إليها ، فأخبرتها الخبر ،
فتركت العبد يمضي إلى سيّده ، فضى والصبح معه ، وقال له : إنّني رأيت بشينة
مضطجعة ، وجميل إلى جنبها]^٦ .

فجاء زوجها [١٧٤/٢ هـ] إلى أخيها وأبيها ، فعرفهما الخبر ، وجاعوا بأجمعهم
إلى بشينة ، وهي نائمة ، فكشفوا عنها الثوب ، فرأوا أمّ الحسين^٥ إلى جانبها
نائمة .

فخجل زوجها ، وسبّ عبده ، وقالت ليلي لأبيها وأخيها : قبّحكما الله ،

٤ ليلي وأمّ الحسين ونجّيا ، بنات خالة بشينة (الأغاني ١٠٧/٨) .

٥ في الأغاني : أم الجسير .

٦ الزيادة من الأغاني ١١٦/٨ .

في كلّ يوم تفضحان المرأة في فنائكما ، ويلكما ، هذا لا يجوز .
فقالا : إنّما فعل هذا زوجها .
فقالا : قبحه الله وإياكما ، فجعلنا يسبان زوجها ، وانصرفوا .
وأقام جميل تحت النضد إلى الليل ، ثم ودّعها وانصرف^٧ .

٧ لم ترد القصة في ر ، ولا في م ، ولا في غ ، وأثبتناها من ه ، ووردت في الأغاني ١١٥/٨ و ١١٦ .

العمر أقصر مدّة من أن يضيّع في الحساب

[حدّثني الحسن بن صافي [مولي] ابن المتوكّل القاضي ، قال : حدّثنا^١ أبو القاسم علي بن أحمد الليثي الكاتب المعروف بابن كردويه ، قال : كان لي صديق من أهل راذان^٢ ، عظيم النعمة والضيعة ، فحدّثني ، قال : تزوّجت في شبّاني امرأة من آل وهب ، ضخمة النعمة ، حسنة الخلقة والأدب ، كثيرة المروءة ، ذات جوارٍ مغنّيات ، فعشقتها عشقاً مبرّحاً ، وتمكّن لها من قلبي أمر عظيم ، ومكث عيشي بها طيّباً مدّة طويلة . ثم جرى بيني وبينها بعض ما يجري بين الناس ، فغضبت عليّ ، وهجرتني ، وأغلقت باب حجرتها من الدار دوني ، ومنعتني الدخول إليها ، وراسلتي بأن أطلقها .

فترضّيتها بكلّ ما يمكنني ، فلم ترض ، ووسّطت بيننا أهلها من النساء ، فلم ينجع . فلحقني الكرب والغمّ ، والقلق والجزع ، حتى كاد يذهب بعقلي ، وهي مقيمة على حالها .

فبحثت إلى باب حجرتها ، وجلست عنده مفترشاً التراب ، ووضعتُ خدي على العتبة ، أبكي وأنتحب ، وأتلافاها ، وأسألها الرضا ، وأقول كلّما يجوز أن يقال في مثل هذا ، وهي لا تكلمني ، ولا تفتح الباب ، ولا ترأسني . ثم جاء الليل ، فتوسّدت العتبة إلى أن أصبحت ، وأقمت على ذلك ثلاثة

١ الزيادة من ن ، وفي هـ : وعن أبي القاسم ... الخ

٢ راذان الأعلى ، وراذان الأسفل : كورتان ببغداد تشتملان على قرى كثيرة (مراسد الاطلاع ٥٩٣/٢) .

أيام بلياليها ، وهي مقيمة على المجران .
 فأيست منها ، وعدلتُ نفسي ، ووبَّختها ، ورضتها على الصبر ، وقمت من باب
 حجرتها ، عاملاً على التشاغل عنها .
 ومضيت إلى حمام داري ، فأمطت عن جسدي الوسخ الذي كان لحقه ،
 وجلستُ لأغَيِّر ثيابي وأتَبَخَّر .
 فإذا بزوجتي قد خرجت إليّ ، وجواريتها المغنّيات حوالها ، بآلاتهنَّ يغنّين ،
 ومع بعضهنَّ طبق فيه أوساط ، وسنبوسج^٣ ، وماء ورد ، وما أشبه ذلك .
 فحين رأيتهما استطرطت فرحاً ، وقمت إليها ، وأكبيت على يديها ورجليها .
 وقلت : ما هذا يا سَيِّ ؟

٣ الأوساط ، واللّقات ، والبزماورد ، والسنبوسج ، يشملها الطعام الذي كان يسمّى : المعجّل ، أو الميسر ،
 أو المهَيّا ، ونسمّيه اليوم : الساندويچ sandwich ، راجع ما كتبه أحد تيموري في مجلّة المجمع العلمي العربي
 ج ١١ م ٣ وقد بحثنا عن الوسط ، في حاشية القصّة ١٨٥ من هذا الكتاب ، أما اللّقات ، ومفردها :
 لَقّة ، فقد ورد ذكرها في القصّة ١١٩/٥ من كتاب نشوار المحاضرة ، وما زال هذا اسمها في بغداد ،
 وقد وصفها في حاشية تلك القصّة ، وفصّلت كيفية صنعها ، وأشارت إلى تعلق البغداديين بها ، وأمّا
 البزماورد ، فكيفية صنعه : أن يؤخذ الشواء الحار ، ويجعل عليه ورق النعنع ، وقليل من الخلّ ، والليمون
 الحامض المملوح ، ولبّ الجوز ، ويرشّ عليه قليل ماء ورد ، ويدقّ بالساطور دقّاً ناعماً ، ويسقى خلال
 ذلك خلّاً ، ثم يؤخذ الخبز السميد الفائق الملبّب ، فيخرج لبابه ، ثم يحشى من ذلك الشواء حشواً
 جيّداً ، ويقطع بالسكين قطعاً متوسطة مستطيلة ، ويترك ساعة ، ويؤكل ، لزيادة التفصيل راجع كتاب
 الطبخ للبغدادى ص ٨٥ ، وأمّا السنبوسج أو السنبوسك ، أو السنبوسق ، وأصل الكلمة : سنبوسه ،
 فارسيّة (الألفاظ الفارسيّة المعرّبة ٩٥) ، وكيفية صنعه أن يدقّ اللحم بالساطور ، ثم بالهاون ، ويجعل
 في مصفى ماء السماق ، ويسلق ، ويرش عليه ماء الليمون الحامض ، ويسط حتى ينشف ، ثم تذر
 عليه الكسفرة ، والكمون ، والفلفل ، والدراصيني ، ويفرك عليه النعنع اليابس ، ويضاف اليه الجوز
 المجروش ، ثم يقطع الخبز الرقيق ويحشى به اللحم المذكور بعد أن يقطع سيوراً ، ويعمل مثلثاً ، لزيادة
 التفصيل راجع كتاب الطبخ للبغدادى ص ٥٧ ، وأنظر في وصفه أرجوزة من نظم إسحاق بن إبراهيم
 الموصلى في مروج الذهب ٥٩١/٢ وقد سماه في آخر بيت منها : المأكّل المعجّل .

فقلت : تعال ، حتى نأكل ونشرب ، ودع السؤال .
 وجلستُ وقدمَ الطبق ، فأكلنا جميعاً ، ثم جيء بالشراب ، واندفع الجوّاري
 بالغناء ، وأخذنا في الشراب ، وقد كاد عقلي يزول سروراً .
 فلما توسّطنا أمرنا ، قلت لها : يا ستي ، أنت هجرتيني ، بغير ذنب كبير أوجب
 ما بلغته من الهجران ، وترضيتك بكل ما في المقدرة ، فما رضيت ، ثم تفضّلت
 ابتداء بالرجوع إلى وصالي بما لم تبلغه آمالي ، فعرفني ما سبب هذا ؟
 قالت : كان الأمر في سبب الهجر ضعيفاً كما قلت ، ولكن تداخلني من
 التجني ما يتداخل المحبوب ، ثم استمرّ بي اللجاج ، وأراني الشيطان أنّ الصواب
 فيما فعلته ، فأقمت على ما رأيته .
 فلما كان الساعة ، أخذت دفترأ كان بين يدي [١٧٥/٢ هـ] ونصفحته ،
 ف وقعت عيني منه على قول الشاعر :

العمر أقصر مدّة من أن يضيع في الحساب
 فتغنمي ساعاته فمرورها مرّ السحاب

قالت : فعلمت أنّها عظة لي ، وأنّ سبيلي أن لا أسخط الله عزّ وجلّ بإسقاط
 زوجي ، وأن لا أستعمل اللجاج ، فأسوءك ، وأسوء نفسي ، فجئتك لأترضأك ،
 وأرضيتك .

فانكبت على يديها ورجليها ، وصفا ما كان بيننا .

-
- ٤ لا يزال التعبير البغدادي ، كما كان في القرن الرابع الهجري ، فالبغدادي ، لا يقول : هجرتي ،
 وإنما يقول : هجرتيني ، ورميتني ، وتركتني ، وظلمتني ، وعلى ذلك فقس .
 ٥ في الأصل : الدهر .
 ٦ لم ترد هذه القصّة في م ، ولا في ر ، ولا في غ ، وقد أثبتناها من ن ، وه .

محتويات الكتاب

اسحاق المصعبي تحرّكه رقاع أصحاب الأرباع ببغداد	٣٦٩	٥
ما خاب من استشار	٣٧٠	٨
منصور بن زياد يحدد نعمة يحيى البرمكي	٣٧١	١٠
درس في المروءة والكرم	٣٧٢	١٣
القدرة تذهب الحفيظة	٣٧٣	١٦
ما صحب السلطان أخبر من عمر بن فرج الرخجي	٣٧٤	١٧
مصعب بن الزبير يعفو عن أحد أسراه ويجعله من ندمائه	٣٧٥	٢٠
عمارة بن حمزة في كرمه وكبريائه	٣٧٦	٢٢
الهائم الراوية يقتل أسوداً مصاباً بداء الكلب	٣٧٧	٢٥
ابو جعفر بن شيرزاد كان لداره أربعة عشر باباً	٣٧٨	٢٨
تعذيب العمال المطالبين بضرهم بالمقارع ووضع الحجارة على أكتافهم	٣٧٩	٤٣
الله يجزي سعيد الخير نائلة	٣٨٠	٤٦
فان نلتني حجاج فاشتف جاهداً	٣٨١	٤٩
أسود راجل رزقه عشرون درهماً يبرّ في كرمه معن بن زائدة الشيباني	٣٨٢	٥١
سبب رضا المنصور عن معن بن زائدة	٣٨٣	٥٤
قطن بن معاوية الغلابي يستسلم للمنصور	٣٨٤	٥٦
المأمون يغضب على ابراهيم الصولي ثم يرضى عنه	٣٨٥	٦١

الأمير سيف الدولة يصفح عن أحد أتباعه ويعيد إليه نعمته	٣٨٦	٦٣
ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحلّ العقال	٣٨٧	٦٩
الوليد بن عبد الملك يعفو عن القمير التغلبي	٣٨٨	٧٣
مزنة امرأة مروان الجعدي تلجأ إلى الخيزران جارية المهدي	٣٨٩	٧٥
قر من اسحاق المصعبي فوجد كنزاً	٣٩٠	٨٣
أبو أمية الفرائضي يخلص رجلاً من القتل	٣٩١	٨٦
المهدي يحتج على شريك برؤيا رآها في المنام	٣٩٢	٨٧
إن من البيان لسحراً	٣٩٣	٨٩
سقى معن بن زائدة أسراه ماءً فأطلقهم لأنهم أصبحوا أضيافه	٣٩٤	٩١
قتى بغدادي قُدم للقتل وسئل ما يشتهي ، فطلب رأساً حاراً ورقاقاً	٣٩٥	٩٢
أشرف يحيى البرمكي على القتل فخلصه إبراهيم الحراني وزير الهادي	٣٩٦	٩٤
رمي من أعلى القلعة أولاً وثانياً فنجا وسلم	٣٩٧	٩٧
سقط من علو ألف ذراع ونهض سالماً	٣٩٨	١٠٢
بين المهدي ويعقوب بن داود	٣٩٩	١٠٤
جزاء الخيانة	٤٠٠	١٠٧
الخائن لا يؤتمن	٤٠١	١٠٨
أراد ابن المعتز قتل يحيى بن المنجم فلم يمهل القدر	٤٠٢	١١٠

الحجّاج بن خيثمة ينصح الحسن بن سهل	٤٠٣	١١٣
يحيى البرمكي يغري الرشيد بجعفر بن الأشعث	٤٠٤	١١٦
هب مجرم قوم لوافدهم	٤٠٥	١١٩
ضراوة الحجّاج على القتل	٤٠٦	١٢١
أ - قتل الحجّاج عامّة يومه الأسرى، من أصحاب ابن الأشعث		
ب - قتل جميع أسراه إلّا واحداً		
ج - احتجّ لقتله بأنفه حجة فخلّصه الله منه بأهون سبيل		
أمر الخليفة بضرب عنقه ثم لم يلبث أن عفا عنه	٤٠٧	١٢٥
حسن ظنه بالله أنجاه من القتل وأطلقه من السجن	٤٠٨	١٢٦
الباب التاسع : من شارف الموت بحيوان مهلك رآه ، فكفّ الله ذلك بلطفه ونجّاه		
آلى على نفسه أن لا يأكل لحم فيل أبداً	٤٠٩	١٢٩
لقمة بلقمة	٤١٠	١٣٣
كفى بالأجل حارساً	٤١١	١٣٥
ألجأته الضرورات إلى ركوب الأسد	٤١٢	١٣٩
القرد وامرأة القرّاد	٤١٣	١٤٦
تمكّن منه السبع ثم تحلّص منه بأهون سبيل	٤١٤	١٤٨
قتل فيلاً بالقبض على خرطوميه	٤١٥	١٥٠
قتلوا شبلأ فاجتمع عليهم بضعة عشر سباعاً	٤١٦	١٥٢
افترس السبع صاحب الدين وسلم الغريم	٤١٧	١٥٤

الأفعى التي أخربت الضيعة	٤١٨	١٥٦
مفلوج لسعته عقرب جرّارة فعوفي	٤١٩	١٦٠
قضى ليلة في الجلب بجوار أفعى	٤٢٠	١٦٢
سقط طفل من القنطرة فالتقطه العقاب ثم نجا سالماً	٤٢١	١٦٦
قصة ابن التماسيح	٤٢٢	١٦٨
أبو القاسم العلوي يواجه الأسد	٤٢٣	١٧٠
أعان القيلة على قتل ثعبان فكافأوه بما أغناه	٤٢٤	١٧٤
حلف بالطلاق أن لا يبيت بمنادر فكان ذلك سبباً لإنقاذ شخص من برائن الأسد	٤٢٥	١٧٧
حيلة ابن عرس في قتل الأفعى	٤٢٦	١٧٩
ألقي نفسه على نبات البرديّ فوقع على أسد	٤٢٧	١٨١
كيف نجا من الأسد والثعبان	٤٢٨	١٨٥
قضى ليلة مع الأسد في حجرة مغلقة الباب	٤٢٩	١٨٦
أخذه الأسد في المكان الذي أخذ فيه أباه	٤٣٠	١٨٨
نجا من الأسد واقترس مملوكه	٤٣١	١٩٠

الباب العاشر : فيمن اشتدّ بلاؤه بمرض ناله فعافاه الله سبحانه بأيسر سبب وأقاله

دعاء يشني من الوجع	٤٣٢	١٩٢
وجأ نفسه بسكين فعوفي من مرضه	٤٣٣	١٩٤
يا قديم الإحسان لك الحمد	٤٣٤	١٩٦
أبرأ أبو بكر الرازي غلاماً ينفث الدم بإطعامه الطحلب	٤٣٥	١٩٩
أصيب بوجع في المعدة وشفاه لحم جرو سمين	٤٣٦	٢٠١

ذكاء طيب أهوازي	٤٣٧	٢٠٤
شج رأسه فرض ثم شج بعدها فصلح	٤٣٨	٢٠٦
القطيعي الطيب وذكاؤه ومكارم أخلاقه	٤٣٩	٢٠٨
مريض بالاستسقاء تشفيه أكلة جراد	٤٤٠	٢١٠
مريض بالاستسقاء يبرأ بعد أن طعم لحم أفعى	٤٤١	٢١٣
القاضي أبو الحسين بن أبي عمر يحزن لموت يزيد المائي	٤٤٢	٢١٥
زمنة مقعدة يشفيها الحنظل	٤٤٢	٢١٨
اشترى الرشيد لطيبه ضياعاً غلّتها ألف ألف درهم	٤٤٤	٢١٩
لسعته عقرب فعوفي	٤٤٥	٢٢٢
أبرأته مضيرة لعقت فيها أفعى	٤٤٦	٢٢٣

الباب الحادي عشر : من امتحن من اللصوص بسرقة أو قطع فعوض

من الارتجاع والخلف بأجمل صنع

قاطع طريق يردّ على القافلة ما أخذ منها	٤٤٧	٢٢٧
قاطع طريق يتفلسف	٤٤٨	٢٣١
القاضي التنوخي والد المؤلف والكرخي قاطع الطريق	٤٤٩	٢٣٤
ابن حمدي اللصّ البغدادي وفتوته وظرفه	٤٥٠	٢٣٨
قطع عليه الطريق فتخلص بخاتم عقيق	٤٥١	٢٤١
سرق ماله بالبصرة واستعاده بواسط	٤٥٢	٢٤٤
وضع السيف على عنقه ثم نجا سالماً	٤٥٣	٢٤٨
كيف استعاد التاجر البصري ماله	٤٥٤	٢٥١
صادف درء السيل درءاً يصدعه	٤٥٥	٢٥٦
قصة الأخوين عاد وشدّاد	٤٥٦	٢٥٩

٢٦٤	٤٥٧	قارع سبعين من قطاع الطريق وانتصف منهم
الباب الثاني عشر : فيمن ألجأه الخوف إلى هرب واستتار فأبدل بأمن		
ومستجدّ نعمة ومسار		
٢٦٨	٤٥٨	يحيى بن طالب الحنفي ييارح وطنه مديناً ويعود إليه
موسراً		
٢٧٠	٤٥٩	العتابي يؤدّب الأمين والمأمون
٢٧٢	٤٦٠	لماذا قتل أبو سلمة الخلّال
٢٧٨	٤٦١	أمير البصرة العباسي يحمي أمويّاً
٢٨١	٤٦٢	عبد الملك بن مروان يؤمّن ابن قيس الرقيّات ويحرّمه
العطاء		
٢٨٧	٤٦٣	هشام بن عبد الملك وحمّاد الراوية
٢٩١	٤٦٤	أكل على مائدته فأمضى له الأمان
٢٩٣	٤٦٥	الفضل بن الربيع يتحدّث عما لاقى أيام استتاره من
المأمون		
٣٠٠	٤٦٦	وما قتل الأحرار كالغزو عنهم
الباب الثالث عشر : فيمن نالته شدّة في هواه فكشفها الله عنه وملكه		
من يهواه		
٣٠٦	٤٦٧	رأى القطع خيراً من قضيحة عاتق
٣٠٩	٤٦٨	من مكارم المقتدر
٣١٦	٤٦٩	فارق جاريته ثم اجتمع شملهما
٣٢٨	٤٧٠	أمير البصرة يجمع بين متحابين
٣٣١	٤٧١	من مكارم جعفر بن يحيى البرمكي

من مكارم يحيى بن خالد البرمكي	٤٧٢	٣٣٩
ابن نوال ابن جعفر من نوال ابن معمر	٤٧٣	٣٤٣
ابن أبي حامد صاحب بيت المال يحسن إلى رجل من المتفقهة	٤٧٤	٣٤٥
ابن أبي حامد صاحب بيت المال يحسن إلى صيرفي	٤٧٥	٣٤٩
الحسن بن سهل يحسن إلى الفسطاطي التاجر	٤٧٦	٣٥٢
الأشتر وجيداء	٤٧٧	٣٥٤
أقسم أن يغسل يده أربعين مرة إذا أكل زيرباجة	٤٧٨	٣٥٨
اسحاق الموصلي يتطقل ويقترح	٤٧٩	٣٧٢
أنت طالق إن لم تكوني أحسن من القمر	٤٨٠	٣٧٧
ما ثمانية وأربعة وأثنان	٤٨١	٣٧٨
أخبار قيس ولبنى	٤٨٢	٣٨٣
عشق جارية زوجته فوهبتها له	٤٨٣	٣٩٣
بالله يا طرفي الجاني على كبدي	٤٨٤	٣٩٤
به غير من دائه وهو صالح	٤٨٥	٣٩٩
عمر بن أبي ربيعة والجعد بن مهجع العذري	٤٨٦	٤٠٢
رضي أن يموت بعد أن يتمتع بحبيبته أسبوعاً واحداً	٤٨٧	٤١١
ابراهيم بن سيابة يشكو فلا يحاب	٤٨٨	٤١٦
عزل عن الراققة فولي دمشق	٤٨٩	٤١٨
ابن اختبأ الأسدي	٤٩٠	٤٢٢
جميل وبثينة	٤٩١	٤٢٣
العمر أقصر مدّة من أن يضيع في الحساب	٤٩٢	٤٢٦